المائة الثانية

من

وصايا الرسول ﷺ

جمع وتقديم وتعليق

طه عبد الله العفيفى

المجلد الثالث

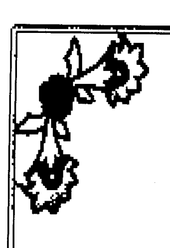
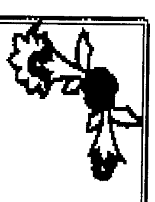
دار البيان العربي

١٨ ش درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٣٩٠٨ / ٢٠٠٥

دار البيان العربي
١٨ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت: ٥١١٨٠٩٧

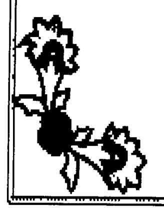
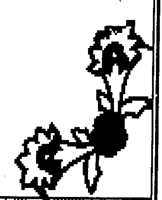
الوصية الواحدة والتسعون بعد المائة:

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(زَيِّنُوا الْقُرآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ).

رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

فكن أخا الإسلام:

منفذاً للمراد من هذه الوصية التى يوصينا فيها الرسول ﷺ أن نزيِّن القرآن بأصواتنا..قال شارح ابن ماجه: (أى: بتحسين أصواتنا عند القراءة، فإن الكلام الحسن يزيد حسناً وزينة بالصوت الحسن، وهذا مشاهد، وقد روى الدارمى عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((حسِّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنا))**..

ولما رأى بعضهم أن القرآن أعظم وأجل من أن يحسن بالصوت، بل الصوت أحق أن يحسَّن بالقرآن، قال: معناه: (زينوا أصواتكم بالقرآن) هكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث، زعموا أنه من باب القلب.

وقال شعبة: نهانى أيوب أن أحدِّث: **((زينوا القرآن بأصواتكم))**.. ورواه مُعمر عن طلحة: **((زينوا أصواتكم بالقرآن))** وهو الصحيح.. والله أعلم.

وتوضيحاً..لهذا..إليك هذه الأحاديث الشريفة التى جاءت فى (الترغيب والترهيب) ج٢بالإضافة إلى الهامش من ص٦٠٨-٦١٢.

(فعن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **((ما أذن[١] الله لشىء كما أذن[٢] لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن[٣] يجهر به))**.

رواه البخارى ومسلم واللفظ له، وأبو داود والنسائى.

(قال) الحافظ: أذن بكسر الذال. أى ما استمع لشىء من كلام الناس كما استمع الله إلى من يتغنى بالقرآن أى: يحسن به صوته، وذهب سفيان بن عيينه وغيره إلى أنه من الاستغناء، وهو مردود-لأنه لا يقال فى الاستغناء بالقرآن: أَذِن واستمع، بل لا يتعلق الاستماع إلا بالأصوات.. فسياق الحديث يأبى هذا التفسير، وإن كان جائزاً فى اللغة فإنه يقال: تغنَّى أى صار غنيّاَ-.

---

(١) أى: ما استمع..يقال أذن له يأذن أذنا من باب تعب قال تعالى: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

(٢) أى: كإذنه وهو استماعه فما مصدرية.

(٣) أى: يرقق صوته ويحسنه بقراءته من غير أن يخرج إلى الترنم والتطريب الذى يحتاج فيه إلى مد مالبس بممدود، أو همز ما ليس بمهموز كما هى عادة أهل الألحان..فذلك لا يجوز.

(وروى) ابن جرير الطبرى هذا الحديث بإسناد صحيح، وقال فيه: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ حَسَنِ الترنُّم بالقرآن).

(وروى) الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم والبيهقى عن فضالة بن عبيد، أن النبى ﷺ قال: ((**لله أشد أذنا** –أى استماعاً– **للرجل الحسن الصوت**[1] **بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**[2])) وقال الحاكم صحيح على شرطهما– قال فى الزوائد: إسناده حسن.

(وعن) ابن أبى مليكة قال: قال عبيد بن أبى زيد رضى الله عنهما: مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رث الهيئة[3] يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ليس منا من لم يتغن**[4] **بالقرآن**)). قال: فقلت لابن أبى مليكة: يا أبا محمد؛ أرأيت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع[5]رواه أبو داود، والمرفوع منه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة.

(والخلاصة)كما قال فى شرح ابن ماجه..

(أن) التغنى بالقرآن..(هو تحسين الصوت وتزيينه، والاستغناء به عن غير الله، وعن سؤاله، وعن سائر الكتب، وإكثار قراءته كما تكثر العرب التغنى عند الركوب على الإبل، وعند النزول، وحال المشى، أو رفع الصوت به، والإعلان أو التحزن به.. وليس طيب الصوت بأنواع النغم، ولكن هو أن يقرأ القرآن متأسفاً على ما وقع من التقصير.. فإذا تألَّم القلب وتوجَّع حزن الصوت وسالت العيون بالدموع) ا.هـ.

ولا شك أن الألفاظ إذا أدِّيت أداء حسناً بصوت جميل كانت المعانى أكثر تأثيراً فى القلوب وأخذاً بمجامع النفوس.

---

(١) قوله (الحسن الصوت) يحتمل أن يكون ذلك خلقة لأن الحسن صفة مشبهة، ويحتمل أن يكون المقصود أنه هو الذى يحسنه ويرققه.

(٢) القينة بفتح–القاف وسكون الياء: الجارية مطلقاً مغنية كانت أو غير مغنية.. وبعض الناس زعم أن القينة هى المغنية خاصة وليس هو كذلك.

(٣) يعنى بالثياب.

(٤) يعنى يحسن به صوته.

(٥) أى: يحاول تحسينه.

(وأن) يكون التحسين هذا من غير أن يخرج إلى الترنُّم والتَّطريب الذى يحتاج فيه إلى مدٍّ ما ليس بممدود أو همز ما ليس بمهموز كما هى عادة أهـل الألحـان فذلك لا يجوز.

(وقد) قرأت فى كتاب: (مع القرآن الكريم) لفضيلة الشيخ (محمود الحصرى) شيخ المقارئ المصرية فى عصره –عليه رحمة الله– تحت عنوان[1]:

حكم التغنى بالقرآن وتحسين الصوت به

(أنه) قد اختلف العلماء فى التطريب بالقرآن، والترجيع فيه، والتغنى به، وتحسـين الصوت بقراءته.. (فذهب) فريق إلى كراهة ذلك وإنكاره، ومن هذا الفريق أنس ابن مالك، وسعيد بن المسيِّب، وسعيد بن جبير، والحسن البصرى، وابن سيرين، ومالك ابن أنس، وأحمد بن حنبل.

(واستدلوا) على ذلك بالأدلة الآتية:

الأول: ما روى عن زياد النميرى أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل لـه: اقرأ، فرفع صوته وطرَّب وكان رفيع الصوت.. فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء، وقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون.. وكـان إذا رأى شـيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه.

الثانى: روى عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فطـرَّب فى قراءته.. فأرسل إليه سعيد بن المسيب يقول: أصلحك الله، إن الأئمـة لا تقـرأ هكذا، فترك عمر ﷺ التطريب بعد ذلك.

الثالث: روى عن القاسم بن محمد أن رجلاً قـرأ فى مسـجد رسـول الله ﷺ فطرَّب.. فأنكر ذلك القاسم، وقال: يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّـهُ لَكِتَـابٌ عَزِيـزٌ ۞لا يَأْتِيـهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

الرابع: روى ابن القاسم عن مالك ﷺ أنه سئل عن الألحان فى قـراءة القـرآن الكريم فى الصلاة. فقال: لا تعجبنى، إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم.

(١) مع التصرف والاختصار فى بعض التنبيهات بدون خروج عن المعنى المراد..

الخامس: روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرب، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن الأذان سمح سهل، فإن كان أذانك سهلاً سمحاً، وإلا فلا تؤذن**» أخرجه الدارقطني.

(قال) القرطبي: فإن كان النبي ﷺ قد منع ذلك في الأذان، فأحرى ألا يجيزه في قراءة القرآن الذي حفظه الرحمن، فقال وقوله الحق: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩] وقال ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾ [فصلت: ٤١]

السادس: روى عن أحمد بن حنبل أنه قال: القراءة بالألحان لا تعجبني وهي بدعة لا تسمع.

السابع: قال عبد الله بن يزيد العكبري: سمعت رجلا يسأل أحمد بن حنبل: ما تقول في القراءة بالألحان؟ فقال: ما اسمك؟ قال: محمد، فقال له: أيُسُرك أن يقال لك: يا موحمَّد-بالمد؟.

(قال) القاضي أبو يعلى: وهذه مبالغة في الكراهة.

الثامن: حديث: «**اقرأوا القرآن بلحون العرب**».

التاسع: ذكر القاضي أبو يعلى في الجامع، أنه ﷺ ذكر اشراط الساعة، وذكر أشياء منها: «**أن يتخذ القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنِّيهم غناء**».

العاشر: أن التطريب بالقرآن، وتحسين الصوت به ذريعة تفضي إلى التلاعب بكتاب الله تعالى بالزيادة فيه، أو بالنقص منه، أو بتطويل المدِّ فوق المقدار المقرَّر له، أو تقصيره عن المقدار المذكور، أو المبالغة في الغن إلى غير ذلك مما يترتب على القراءة بالتطريب من انحراف عن الجادة في القراءة، وبعد عن الصواب في التلاوة (فالمنع) من التطريب كالمنع من الذرائع الموصلة إلى الحرام.

(ثم) يقول الشيخ الحصري- عليه رحمة الله- بعد ذلك: (وذهب) فريق إلى إباحة التطريب بالقرآن -وتحسين الصوت عند قراءته- ومن هذا الفريق:

عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعطاء بن أبي رباح، وأبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وابن المبارك، واختاره الطبري وابن العربي وغيرهما.

(قال) الإمام النووى فى التبيان: أجمع العلماء من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شىء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث الرسول ﷺ مستفيضة عند الخاصة والعامة..ا.هـ.

(وقال) ابن القيم فى زاد المعاد: وكان عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد يتتبَّع الصوت الحسن فى المساجد فى شهر رمضان، وذكر الطحاوى عن أبى حنيفة وأصحابه أنهم كانوا يستمعون القرآن بالألحان[1].

(وقال) محمد بن الحكم: رأيت أبى والإمام الشافعى، ويوسف بن عمر، يستمعون القرآن بالألحان.ا.هـ.

(ثم) استدل هذا الفريق على ما ذهب إليه بما يلى: قال رسول الله ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» أخرجه أبو داود، والنسائى، وابن ماجه.

(وفى) لفظ عند الدارمى: «**حسِّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسناً**».

(وفى) حديث آخر: «**حسن الصوت زينة القرآن**» أخرجه البزار وغيره.

(وقال) ﷺ: «**من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منَّا**» أخرجه أبو داود.

(وقال) ﷺ: «**لله اشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت من صاحب القينة إلى قينته**»أخرجه ابن ماجه..(وأُذناً).. بمعنى الاستماع.

(وهذا) المعنى فى حق الله تعالى لا يراد به ظاهره، وإنما هو على سبيل التوسع على ما جرى به عرف التخاطب.. والمراد به فى حق الله تعالى: إكرام القارئ وإجزال ثوابه لأن ذلك ثمرة الإصغاء.

(وعن) أبى موسى الأشعرى ﷺ أن الرسول ﷺ، قال له: «**يا ابا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**» أخرجه البخارى.

والمزمار: الآلة المعروفة، والمراد هنا الصوت الحسن.

---

(١) أى: التى لا تخرج عن حدود التجويد..المتفق عليه..

(وعن) أبي موسى الأشعرى أيضا، أن رسول الله ﷺ قال له: «**لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة**»، فقال: أما والله لو أعلم أنك تسمع قراءتى لحبَّرتها لك تحبيراً أخرجه مسلم، والتحبير: التزيين والتحسين، أى: لزينته وحسنته بصوتى.. (وهذا) دليل على جواز تعاطى ذلك وتكلفه.

(وقال) الزهرى: عن أبي سلفة كان عمر رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى الأشعرى قال له: ذكِّرنا ربنا أبا موسى، فيقرأ عنده.

(وقال) عمر: من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل.

(وقال) أبو عثمان النهدى رضي الله عنه: كان أبو موسى يصلى بنا فلو قلت إنى لم أسمع صوت صنج. ولا بربط ولا شيئاً قط أحسن من صوته[1].

(وكان) عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فقال له عمر: اعرض علىَّ سورة كذا، فعرض عليه، فبكى عمر وقال: ما كنت أظن أنها نزلت.

(وعن) جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ...

(وفى) بعض ألفاظه: فلما سمعته قرأ: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ [الطور: ٣٥].

خلت أن فؤادى قد انصدع، وكاد قلبى يطير، وكان جبير حين سمع هذا مشركاً على دين قومه، وإنما قدم لفداء الأسرى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر. (فكان) هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءة ما كان عن خضوع وخشوع من القلب لتثمر ثمرتها، قال ﷺ: «**أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم الله**».

وقال ﷺ: «**إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**» أخرجه ابن ماجه.

(قال) ابن كثير: والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة.ا.هـ.

---

(١) الصنج بسكون النون آلة من آلات الملاهى ويجمع على صنوج. وبربط كجعفر: هو العود، وهو من آلات الطرب أيضا وهو معرب.

(وقال) الشيخ النووى: ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها لهذه الأحاديث الصحيحة، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ.

(فعن) عبد الله بن مسعود قال: (قال لى رسول الله ﷺ: **((اقرأ علىَّ القرآن))** فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟، قال: **((إنى أحب أن أسمعه من غيرى))**، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾** [النساء: ٤١]، قال: **((حسبك الآن))**، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1]) أخرجه البخارى ومسلم.

(والخلاصة) كما جاء أيضاً فى نفس المرجع.. هى: ما قاله النووى فى التبيان، وهو: وقال أقضى القضاة الماوردى فى كتابه (الحاوى): القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود، أو مدِّ مقصور، أو تمطيط يخفى به بعض اللفظ، ويلتبس به المعنى: فهو حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم، إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول: **﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾** [الزمر: ٢٨].

قال الماوردى: وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه، وقراءته عن ترتيله: كان مباحاً، لأنه زاد على ألحانه فى تحسينه.

(قال) النووى: هذا كلام أقضى القضاة.

ثم قال: وهذا القسم الأول من القراءة المحرمة مصيبة ابتلى بها بعض الجهلة الطغاة الغشمة الذين يقرءون على الجنائز وفى بعض المحافل، وهذه بدعة محرمة ظاهرة، ويأثم كل مستمع لها، ويأثم كل قادر على إزالتها، أو على النهى عنها إذا لم يفعل ذلك.ا.هـ من التبيان.

(وقال) القسطلانى فى شرح البخارى:

(وقد) علم مما ذكرناه أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان الموسيقية فى كلام الله تعالى من الألحان والتطريب، والتغنى المستعمل فى الغناء والغزل على إيقاعات

---

(١) تذرفان بكسر الراء: أى سال دمعها.

مخصوصة وأوزان مخترعة، من أشنع البدع، وأسوأ المنكرات، وأنه يوجب عليهم التعزيز، وعلى سامعيهم النكير..

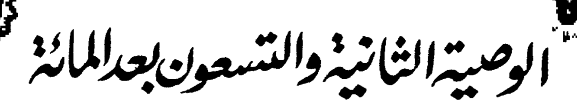
(نعم) إن كان التطريب والتغنى مما اقتضته طبيعة القارئ، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين، ولا تعليم، ولم يخرج عن حد القراءة به فهذا جائز..انتهى.

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا..وينفذ الصواب فيه على ضوء ما وقف عليه..

(وعليه) أن يكثر من تلاوة القرآن حتى يكون من الموفقين -إن شاء الله- فى حفظه وتجويده وتصحيح تلاوته على أحد أساتذة التجويد..حتى لا يكون من المخطئين أثناء تلاوته..(وهذا) من أهم ما ينبغى على الأخ المسلم أن يسارع بتنفيذه والعمل بمقتضاه..

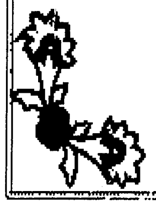
(وإذا) كان لا يحسن التلاوة فليكن إن شاء الله من الذين يحسنون الإستماع على هذا الأساس المشار إليه فى قول الله تعالى:﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

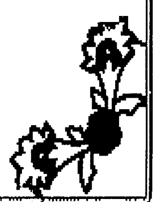
والله ولى التوفيق



● عن أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(مَامِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ إِلَّا غَفَرَ ٱللَّهُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ ٱلْآيَةَ : (وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا





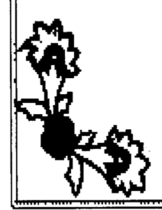
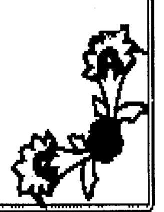



وَهُمْ يَعْلَمُونَ ا(١)

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وأبو داود والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه والبيهقي، وقالا:

(ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ)

وذكره ابن خزيمه في صحيحه بغير إسناد وذكر فيه الركعتين.

فكن أخا الإسلام:

من المنتفعين بهذه الوصية العظيمة.. التي إن نفّذت المراد منها، والمشار إليه فيها: كنت إن شاء الله تعالى من الذين سيغفر الله تعالى لهم ذنوبهم..كما جاء في نص الآية الكريمة التي استشهد بها الرسول ﷺ، وهي: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(وحسبك) أن تستبشر بالآية التي بعدها، وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٦].

(وذلك) بعد أن تتطهر..أي: تتوضأ..

(ثم) تصلى ركعتين-كما في رواية ابن حبان والبيهقي-وفي بعض الروايات: ((**ثم يصلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء..ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**))، ثم قرأ – الرسول ﷺ – هذه الآية) التي وقفنا عليها..استدلالاً بها على ذلك، وهي تفصيلاً: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾ أي: فعلوا الفعلة المتناهية في القبح كالزنا واللواط[1]..ونحوهما من أنواع الفاحشة..

﴿**أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾: أي: بما دونها كالقبلة والغمزة..﴿**ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ أي: ذكروا وعيده سبحانه وتعالى وهيبته ومقامهم بين يديه في يوم القيامة الذى فيه ستظهر السرائر..﴿**فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم**﴾ أي: سألوه سبحانه وتعالى أن يستر عليهم ذنوبهم فلا يعاقبهم عليها..﴿**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ أي: وما يغفر الذنوب أحد إلا الله..

﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ أي: ولم يقيموا على ذنوبهم التي فعلوها، ومعصيتهم التي ارتكبوها، وهم يعلمون وعيد الله عليها، ولكنهم تابوا واستغفروا..

ولهذا قال الله تعالى بعد ذلك –كما علمنا قبل ذلك ﴿**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٦]. الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً منهم.. اللهم آمين.

---

(١) وهو نكاح الذكر والعياذ بالله.

(وهذه) الصلاة المرغب فيها فى نص الوصية..تسمى:

صلاة التوبة

(كما)جاء فى جميع كتب السنة.. (وهذا) معناه أن الصلاة الخاشعة.. ينبغى أن تكون مفتاحاً لكل خير..كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع — لأن بها الأرقاب لله تخضع

وأول فرض فى شريعة ديننا — وآخر ما يبقى إذا الدين يرفع

فمن قام للتكبير لاقته رحمة — وكان كعبد باب مولاه يقرع

وكان لرب العرش حين صلاته — نجيّاً فيا طوبى له حين يخشع

(ولا سيما) إذا كان العبد هذا قد عصى مولاه سبحانه وتعالى.. ويريد أن يتوب إليه ويصطلح معه. (لأنه) دائماً وأبداً فى حاجة إليه سبحانه وتعالى: وليس الله تعالى فى حاجة إليه..

(وقد) قرأت حول هذا المعنى الكبير كلاماً هامًّا لابد وأن ينتفع به الأخ المسلم.

(وهو) أن رجلاً من الذين أسرفوا على أنفسهم فى فعل المعاصى.. (ذهب) إلى إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه وقال له: يا أبا إسحاق إنى مسرف على نفسى فاعرض علىَّ ما يكون زاجراً لها.. (فقال) له: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة...

(فقال) الرجل المذنب هات ما عندك يا إبراهيم.. فقال له إبراهيم ابن أدهم:

الأولى: إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئاً من رزقه..

(فقال) الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟؟؟!

(فقال) الرجل: لا يا إبراهيم هات الثانية..

فقال له: **الثانية**: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده..

(فقال) الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والبلاد كلها ملك الله؟

(فقال) له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقة وتسكن بلاده وتعصيه؟!

(فقال) الرجل لا يا إبراهيم هات الثالثة..

(فقال) له: **الثالثة**: إذا أردت أن تعصى الله.. فانظر مكاناً لا يراك فاعصه فيه..

(فقال) الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم وهو أعلم بالسرائر.. يعلـــم الســـر وأخفى..ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.. ولا تخفى عليه خافية..؟

(فقال) له: إذا كنت تعلم ذلك، فهل يجدر بك أن تأكل رزقه، وتسكن بـــلاده، وتعلم أنه يعلم سرَّك وجهرك وتعصيه ؟!

(فقال) الرجل: لا يا إبراهيم هات الرابعة..

(فقال) له: **الرابعة**: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك.. فقل له أخِّـــرني إلى أجل معلوم..

(فقال) الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم..

والله تعالى يقول: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤] ويقول: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾ [النساء: ٧٨].

(فقال) له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟!

(فقال) الرجل: نعم يا إبراهيم هات الخامسة..

(فقال) له: **الخامسة**: إذا جاءك الزبانية –وهم ملائكة جهنم– فلا تذهب معهم.. وقل لهم اتركوني فلن اذهب معكم..

(فعند) ذلك صرخ الرجل بأعلى صوته وقال: كفى يا إبراهيم.. أنا اســـتغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فارق الحياة..ا.هـــ بتصرف كبير.

(وهذا) هو المطلوب منا نحن كذلك لأننا أولاً وأخيراً..لن نستطيع الاستغناء عن رزق الله، ولن نستطيع أن نخرج من ملكه إلى ملك آخر.. لأنه لا يوجد سوى ملك الله ﴿**الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ [الملك: ١]، ولن نجد مكاناً بحيث لو عصينا الله تعالى فيه لن يرانا الله.. لأنه سبحانه بصير بكل ما نعمل..

(ولن) نستطيع الفرار من ملك الموت أو الزبانية.. (ولهذا) فإنه ليس أمامنا إلا أن نفعل كما فعل الرجل المسرف على نفسه.. والله تعالى غفور رحيم.. وهو ســـبحانه وتعـــالى أحنُّ على عبده من الوالدة على ولدها.. وهو القائل سبحانه: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾ [الزمر: ٥٣،٥٤].

(وقد) قرأت فى (رياض الصالحين) حديثاً صحيحاً متفقاً عليه.. وهو حديث هام: أحبُّ أن أذكِّر الأخ المسلم الذى ربما أسرف على نفسه- بمضمونه- عسى أن يكون بسببه من المسارعين إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة..

(وهو) أن رجلاً من الأمم التى كانت قبلنا **((كان قد قتل تسعة وتسعين نفساً..ثم أراد أن يتوب إلى الله تعالى..فسأل عن أعلم أهل الأرض..فدلَّ على راهب))**- وهو العابد الذى يتعبد بدون علم- **((فذهب إليه فأخبره بأنه قتل تسعة وتسعين نفسًا))**..

ثم قال له: فهل لى من توبة؟ فقال له الراهب: لا.. فقتله فكمَّل به المائة.. ولكنه يريد أن يتوب إلى الله تبارك وتعالى.. **((فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على رجل عالم))**-أى من الذين منَّ الله عليهم بالعلم النافع- **((فذهب إليه وأخبره بأنه قتل مائة نفس..ثم سأله: فهل لى من توبة؟ فقال له العالم: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة..))** ثم قال له ناصحاً: **((انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت[1] فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطٌّ، فأتاهم ملك فى صورة آدمىٍّ فجعلوه بينهم أى حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيَّتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة))** متفق عليه (وفى رواية) فى الصحيح: **((فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها))**. (وفى رواية) فى الصحيح: **((فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى، وإلى هذه أن تقرَّبى، وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له))** (وفى رواية) **((فنأى بصدره نحوها))**.

(وعن) أبى حمزة أنس بن مالك الأنصارى ﷺ خادم رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: **((لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة))** متفق عليه.

---

(١) فمات أى فى منتصف الطريق.

وفى رواية لمسلم: ((**لله اشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فيئس منها فأتى شجرةً فاضّجع فى ظلّها وقد يئس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها[1] قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**)).

(وعن) أبى موسى عبد الله بن قيسٍ الأشعرى ﷺ (عن) النبى ﷺ قال: ((**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**)) رواه مسلم.

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**))رواه مسلم.

(وعن) أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال ((إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(وكيف لا) وهو الغنى الكريم الذى يقول مخاطباً عبده- كما ورد فى حديث قدسى-: ((**يا ابن آدم: جعلت لك قرارًا فى بطن أمك[2]، وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفر من الرحم، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك متكئاً عن يمينك ومتكئاً عن شمالك، فأما الذى عن يمينك فالكبد، وأما الذى عن شمالك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك.. فهل يقدر على ذلك غيرى..فلما أن تمت مدتك فى بطن أمك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك، فأخرجك على ريشة من جناحه.. لا لك سنٌّ يقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى بها..وأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك يجريان لبناً خالصاً: حارّاً فى الشتاء بارداً فى الصيف..وألقيت محبتك فى قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد..(فلما) قوى ظهرك واشتد أزرك: بارزتنى بالمعاصى واعتمدتَ على المخلوقين ولم تعتمد علىَّ، وتسترتَ ممن يراك وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك ولم تستح منى..(ومع) هذا: فإن دعوتنى أجبتك،**

(١) أى: بالراحلة التى عليها طعامه وشرابه..إلخ.

(٢) أى: مستقراً.

وإن سألتنى أعطيتك، وإن تُبت إلى قبلتك». أو كما قال رب العزة سبحانه وتعالى.

(ويقال): إن الله تعالى يقول فى بعض كتبه: (يا بن آدم: عليك الجهد وعلىَّ الوفاء، وعليك الصبر، وعلىَّ الجزاء، وعليك السؤال، وعلى العطاء، وعليك الإملاء، وعلىَّ الكتابة، وعليك الدعاء، وعلى الإجابة.. وعليك الشكر، وعلىَّ الزيادة، وعليك التوبة، وعلىَّ القبول.

(وقد) يسأل الأخ المسلم عن المعنى المراد من كلمة (توبة)؟ فأجيبه بالأقوال الآتية[1]:

(قال) ذو النون المصرى عليه رحمة الله: التوبة: أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لايكون لك قرار، وتضيق عليك نفسك، قال الله تعالى فى كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية حين تخلفوا عن غزوة تبوك، فهجرهم النبىﷺ والمسلمون خمسين صباحاً، ثم جاءت توبتهم:﴿**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ**﴾ [التوبة: ١١٨] ... إلخ

فالتائب دائم التأسف، كثير التلهف، يعرف من بين أمثاله بذبوله، ويستدل على حاله بنحوله.

(وقال) الجنيد عليه رحمة الله: التوبة: على ثلاثة أركان: الندم على ما فات، والعزم على ترك المعاودة، والسعى فى تلافى ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس، فإن لم يكن فالعزم على الوفاء والدعاء للخصوم.

(وقال) يحى بن معاذ رحمه الله تعالى: ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها (وأصل) التوبة فى اللغة: الرجوع، يقال: تاب وأناب بمعنى رجع، فالتوبة الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة.

(ويقال) (من) رجع عن المخالفات خوفاً من عذاب الله تعالى فهو تائب، (ومن) رجع حياءً من نظر الله تعالى فهو منيب، (ومن) رجع تعظيماً لجلال الله تعالى فهو أواب (ومعنى) قولهﷺ : «**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**» يعنى أنه يترك المعاصى تعظيماً لجلال الله، ولو لم يتوعد الله عليها بالعقوبة.

---

(١) كما جاء فى كتاب (طهارة القلوب..) للإمام الديرينى عليه رحمة الله.

(ويقال) أول التوبة يقظة من الله تعالى تقع فى القلب فيتـذكر العبـد تفريطـه وإساءته، وكثرة جناياته مع دوام نعم الله عليه، فيعلم أن الذنوب سموم قاتلة يخـاف منها حصول المكروه، وفوات المحبوب فى الدنيا والآخرة، فإذا حصل له هذا العلم أثمر حالاً وهو الندم على تضييع حق الله تعالى، ثم يثمر الندم عملاً وهـو المبـادرة إلى الخيرات، وقضاء الواجبات، وردِّ الظُّلامات، والعزم على إصلاح ما هو آت..(فهذه) الأمور الثلاث إذا انتظمت فهى التوبة.

(ويقال): التوبة قود النفس إلى الطاعة بخطام لرغبة، وردُّها عن المعصية بزمام الرهبة.

(ويقال): التوبة أن يعلم العبد جراءته على الله تعالى، ويرى حلم الله تعالى عليـه حيث لم يأذن للأرض أن تخسف به، أو النار أن تحرقه بما عمل من المعاصى، ثم يتوب من الذنب ويعزم أن لا يرجع إليه كما لا يرجع اللبن إلى الضرع.

(وقد) ورد فى الآثار: أن الذنب إذا أتبع بثمانية أشياء كان العفو عنـه مرجـواً: **أربعة فى القلب**، وهى: التوبة، والعزم على أن لا يعود، وحب الإقلاع عنه، وخوف العقاب، ورجاء المغفرة عليه.

وأربعة فى الجوارح، وهى: أن يصلى أربع ركعات فى المسجد، ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة ويقول: سبحان ربى العظيم وبحمده مائة مرة، ويتصدق بصدقة، ثم يصوم يوماً فى سبيل الله..قـال الله تعـالى: ﴿..**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: ١١٤].

(فاذكر) أخا الإسلام كل هذا حتى تعود إلى الله تبارك وتعالى وسـريعاً بالتوبـة والاستغفار..

(فقد) ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: «**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**» رواه البخارى.

(وعن) الأغرِّ بن يسار المزنى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة**» رواه مسلم.

(وكأنى) برب العزة سبحانه وتعالى يناديك[1]: (يا عبدى: لم تقنط من رحمـتى،

(١) كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه.

أليس أنا الذى أظهرتك، ولأمانىَّ طوقتك، مالك تتجاهل علىَّ كأنك مـــا عـــرفتنى، وتتنحىَّ كأنك ما وافقتنى).

عبدى: إن استقلتنا أقلناك، وإن تبت إلينا قبلناك، وإن عزمت على قصدنا أدنيناك، وإن اضطرب دليلك أريناك، وإن عاديت نفسك فى حبّ ودنا واليناك، وإن بكيـــت لعوز دوائك داويناك، وإن بكيتَ لضرك شفيناك، وإن بكيتَ خشية أحضرناك، وإن بكيتَ خوفاً أمنَّاك، وإن بكيتَ أسفاً على ما فاتك من حقوقنا عوضناك..لا تقنطـــوا من رحمتى، هل رأيتم مَن انقطع إلىَّ ذلَّ، هل رأيتم مَن احتمى من أجلى اعتل، هـــل رأيتم مَن تنسم رياض قربى اختل، هل رأيتم مَن رأى أعلام نصرتى انغل، هل رأيتم مَن وجد حلاوة ذكرى انسلَّ.

(كأنه) سبحانه وتعالى يقول: يا عبدى لا تقنط فإنك إن كنت بالغدر موصوف، فأنا بالجود معروف، وإن كنت ذا أساة، فأنا ذو أناة.وإن كنت ذا غفلة وسهوة، فأنا ذو عفو ورحمة.

وإن كنت ذا خشية وإنابة، فأنا ذو قبول وإجابة.

لا تقنط من رحمة من جاد بالمغفرة على الألوف مَن السحرة وجعلهم من البررة.

(وتذكَّر) أخا الإسلام الحديث الشريف والقدسى الذى ورد (عـــن) أنـــس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك مـــا دعـــوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى.**

يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك.

يا ابن آدم: لو أتيتنى بقُراب[1] الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(وتستطيع) أخا الإسلام أن تناجى ربك بهذه الأبيات:

يا رب إن عظمـــت ذنـــوبى كثـــرة ... فلقد علمت بـــأن عفـــوك أعظـــم
إن كـــان لا يرجـــوك إلا مُحســـن ... فمن الذى يـــدعو ويرجـــو المجـــرم
أدعوك رب كمـــا أمـــرت تضـــرعاً ... فلئن رددتَ يـــدى فمـــن ذا يـــرحم
مـــا لى إليـــك وســـيلة إلا الرجـــا ... وجميـــل عفـــوك ثم إنى مســـلم[2]

(١) أى بما يقارب ملء الأرض خطايا.
(٢) فقد قرأت أن بعضهم رأى أبا نواس بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى بأربعة أبيـــات وفقنى الله لها قبل الموت، وها هى تحت الوسادة، فبحث عنها فإذا هى تلك الأبيات المذكورة أعلاه.

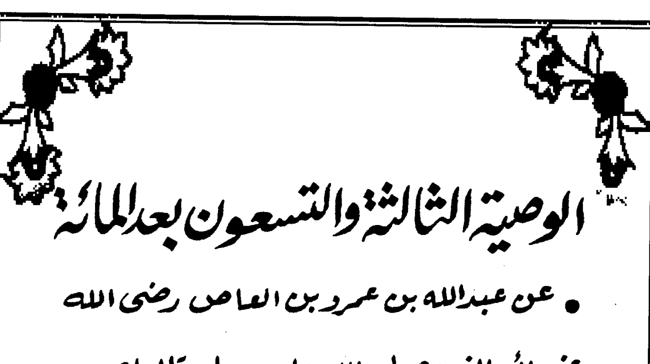
(إنك) يا أخا الإسلام إن صدقت فى هذا الرجاء..فإنك إن شاء الله تعالى ستفوز بتلك الإشارات والبشارات من هذه الأبيات الآتية:

قل للذى ألــف الــذنوب وأجرمــا ... وغـــدا علـــى زلاَّتـــه متنـــدًّ مـــا
لا تيأســـنَّ مـــن الجميـــل فعنـــدنا ... فضـــل ينيـــل التـــائبين تكرُّمـــا
يا معشر العاصـــين جـــودى واســـع ... توبـــوا ودونكـــم المـــنى والمغنمـــا
لا تقنطـــوا فالـــذنب مغفـــور لكـــم ... إنى الجـــدير بـــأن أجـــود وأرحمـــا

(والله) تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

أسأل الله تعالى أن يقبل توبتنا، وأن يوفقنا دائماً لطاعته حتى نلقاه غير خزايا ولا مفتونين.

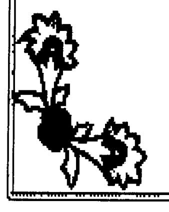
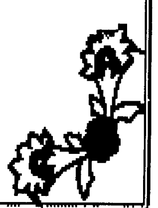
اللهم آمين



الوصية الثالثة والتسعون بعد المائة

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:

(بلغني أنك تَصُومُ ٱلنهار، وتَقُومُ ٱللَّيْلَ، فَلا تَفْعَلْ، فإنَّ لجَسَدِكَ عليكَ حظًّا، ولِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حظًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حظًّا، صُمْ وَأَفْطِرْ، صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ صَومُ ٱلدهرِ)؛ قُلْتُ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ إنَّ لِي قُوَّةً؟ قال:

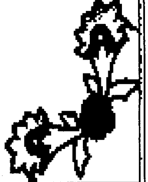



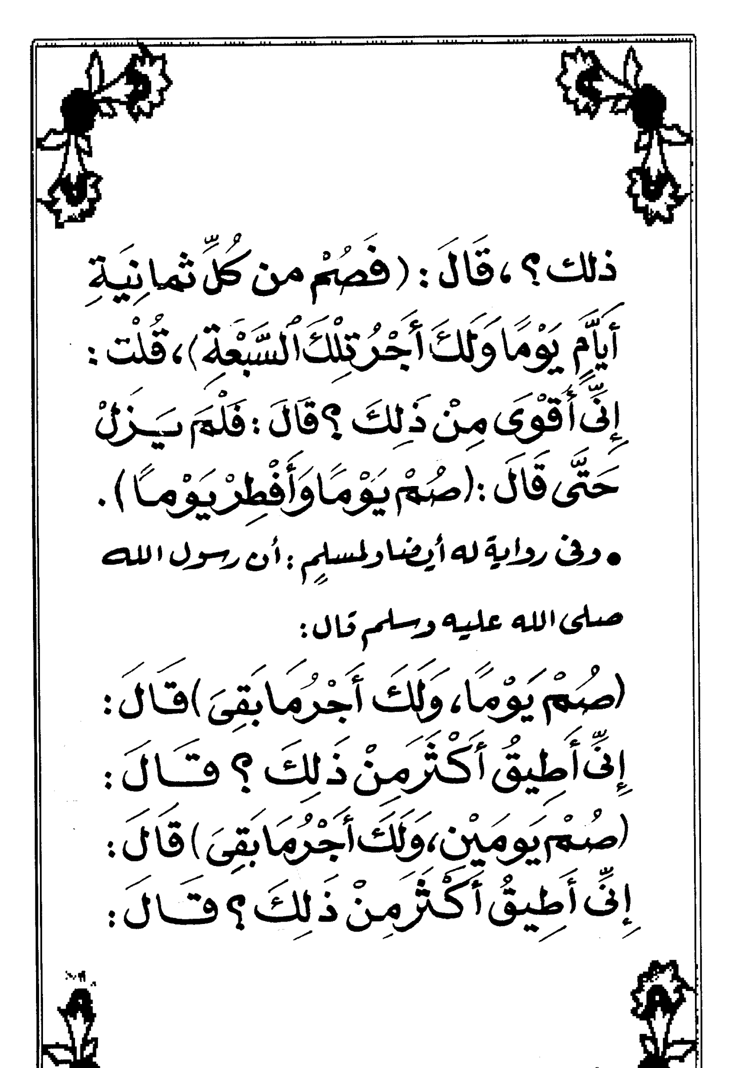
(فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا)، فَكَانَ يَقُولُ: يَالَيْتَنِى أَخَذْتُ بِالرُّخْصَةِ.

رواه البخارى ومسلم والنسائى ولفظه قال:

• ذكرت للنبى صلى الله عليه وسلم الصوم فقال:

(صُمْ مِنْ كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، وَلَكَ أَجْرُ تِلْكَ ٱلتِّسْعَةِ)، قلتُ: إِنِّى أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: (فَصُمْ مِنْ كُلِّ تِسْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، وَلَكَ أَجْرُ تِلْكَ ٱلثَّمَانِيَةِ)، فَقُلْتُ: إِنِّى أَقْوَى مِن

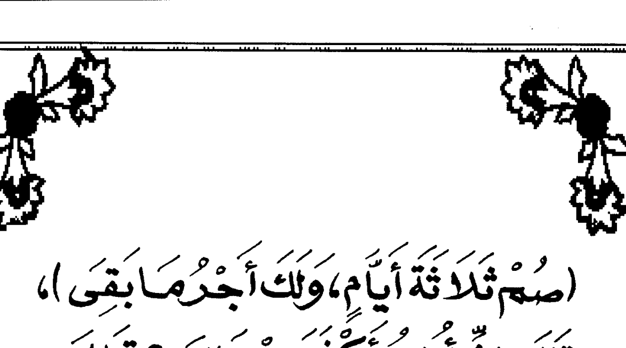





ذلك ؟ ، قَالَ : (فَصُمْ من كُلِّ ثمانِيةِ أيَّامٍ يَوْمًا ولَكَ أَجْرُ تِلْكَ السَّبْعَةِ) ، قُلْتُ : إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ : (صُمْ يَوْمًا وأَفْطِرْ يَوْمًا) .

• وفي رواية له أيضاً ولمسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(صُمْ يَوْمًا ، وَلَكَ أَجْرُ مَا بَقِيَ) قَالَ : إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : (صُمْ يَوْمَيْنِ ، وَلَكَ أَجْرُ مَا بَقِيَ) قَالَ : إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ :



(صُمْ ثلاثةَ أيامٍ، ولَكَ أجْرُ ما بقي)،

قالَ: إنِّي أُطيقُ أكْثرَ منْ ذلكَ؟ قالَ:

(صُمْ أرْبعةَ أيامٍ، ولَكَ أجْرُ ما بقي)

قالَ: إنِّي أُطيقُ أكْثرَ منْ ذلكَ؟ قالَ:

(فصُمْ أفْضلَ الصِّيامِ عِنْدَ اللهِ:

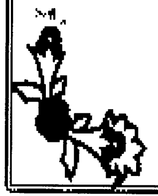
صَوْمَ داوُدَ، كانَ يصُومُ يوْماً، ويُفْطِرُ

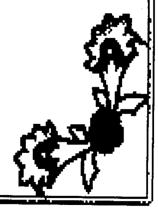
يوْماً).

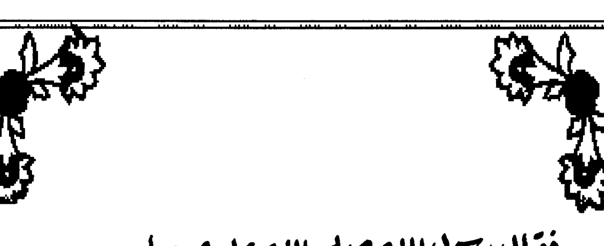
• وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم، قال: أُخبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقول:

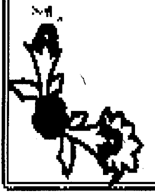
لأقومن الليل، ولأصومن النهار ما عشت،







فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إِنَّكَ ٱلَّذِى تَقُولُ ذَٰلِكَ ؟) فَقُلْتُ له:
قَدْ قُلْتُهُ يَارَسُولَ ٱللَّهِ، فقال رَسُولُ
ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: (فَإِنَّكَ
لَاتَسْتَطِيعُ ذَٰلِكَ : فَصُمْ، وَأَفْطِرْ،
وَنَمْ، وَقُمْ : صُمْ مِنَ ٱلشَّهْرِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ فَإِنَّ ٱلحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا،
وَذَٰلِكَ مِثْلُ صِيَامِ ٱلدَّهْرِ). قَالَ: فَإِنِّى
أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَٰلِكَ؟ قَالَ: (صُمْ
يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ)، قَالَ: فَقُلْتُ:

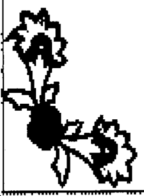


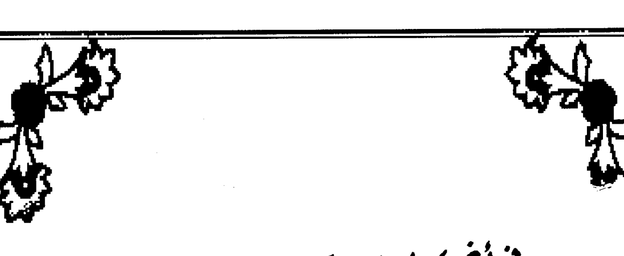


فَإِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟، قَالَ : (فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ). قَالَ : فَإِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟، قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّهُ عليه وسلم : (لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ).

● زاد مسلم : قال عبدالله بن عمرو : لأن أكون قبلت الثلاثة التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

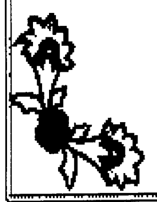
أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَهْلِى وَمَالِى .

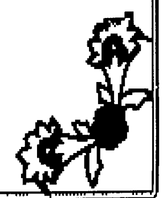


• وفي أخرى لمسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(بلغني أنك تقوم الليل، وتصوم النهار؟)، قلت: يارسول الله ماأردت بذلك إلا الخير، قال: (لاصام من صام الدهر). وفي رواية: (الأبد، ولكن أدلك على صوم الدهر: ثلاثة أيام من كل شهر)، قلت: يارسول الله إني أطيق أكثر من ذلك؟ ...الحديث.







فكن أخا الإسلام:

من المؤمنين الصادقين المنتفعين بهذه الوصية المحمدية – بكل رواياتها – وذلك حتى لا تكون محمِّلا لنفسك فوق طاقتها.. لأن الله تعالى يقول: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] ويقول فى الآية ٧ من سورة الطلاق ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾ ويقول: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥] (وأيضا) حتى يؤدى لكل ذى حق حقه..

(ولهذا) فقد قال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما..

«**بلغنى أنك تصوم النهار، وتقوم الليل، فلا تفعل، فإن لجسدك عليك حظا –** أى حقا [١] **– ولعينيك عليك حظا، وإن لزوجك عليك حظا، صم وأفطر، صم من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صوم الدهر** [٢]»: فقال له عبد الله بن عمرو.. يا رسول الله إن لى قوة ؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**فصم صوم داود عليه السلام: صم يوما وأفطر يوما** [٣]»، فكان يقول: يا ليتنى أخذت بالرخصة. وظل الرسول ﷺ يتنزل معه يوما فيوما.. من ثلاثة أيام من كل شهر.. إلى أن أوصاه بصيام داود عليه السلام، وهو أن يصوم يوما ويفطر يوما.. وهو أفضل الصيام.. (فكان) عبد الله يقول: يا ليتنى أخذت بالرخصة.. أى صمت ثلاثة أيام من كل شهر عربى.. وكان هذا بعد أن كبرت سنه وعجز عن القيام بما أخذ به نفسه، فتمنى أن لو كان قبل رخصة رسول الله ﷺ.

(ولهذا) فإن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو..(فلا تفعل) (فهو) النهى الصريح عن المبالغة والانقطاع إلى العبادة.. (بل) وهو الدليل القاطع على ذم تلك الحالة.. لأن ذلك يؤدى إلى الضعف والانقطاع بالكلية، وفى الحديث: «**القصد القصد تبلغوا فإن المنبتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى**» [٤].

---

(١) وهذا هو الصحيح باتفاق.

(٢) أى: كأنه صيام العام كله.. لأن الحسنة بعشر أمثالها.. فلو أنك صُمتَ الثلاثة × ١٢ = لكان العدد ٣٦ × ١٠ = ٣٦٠ يوما..

(٣) وهو حديث صحيح.

(٤) وهو حديث صحيح .

**(وقد) رأيت بعد هذا الإيجاز الماضى بالإضافة إلى نص الوصية وما تبعها من روايات أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة الواردة فى (رياض الصالحين)، تحت عنوان:

باب الاقتصاد فى الطاعة

**(وذلك) حتى لا نكون كعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما الذى حمل نفسه فوق طاقته.. — والذى قال كما علمنا بعد أن كبرت سنه، وعجز عن القيام بما أخذ به نفسه: (يا ليتنى أخذت بالرخصة) — وكان لا يريد بذلك إلا الخير..

* (فعن) عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: **«من هذه ؟»** قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها، قال: **«مه [1]، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل حتى تملوا»**، وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه.

(ومعنى): لا يمل الله: أى لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم، ويعاملكم معاملة المال حتى تملوا فتتركوا.. فينبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم.

* (وعن) أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط[2] إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ؟ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا.

وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أُفطر.

وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا [3]، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب[4] عن سنتى[5] فليس منى»** متفق عليه. واللفظ للبخارى وعند مسلم نحوه.

---

(١) (مه) كلمة نهى وزجر.

(٢) الرهط فى اللغة: من ثلاثة إلى عشرة.. وهؤلاء الثلاثة هم: على بن أبى طالب، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم.

(٣) أى: أنتم.. ويحتمل أنه أوحى له بما قالوه ولم يعلمه به أحد من البشر فأخبر به معجزة.

(٤) أى: أعرض.

(٥) أى: طريقتى.

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثـــا. رواه مسلم.

(والمتنطعون) أى المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد...

(**وقال**) **الخطابى**: المتنطع المتعمق فى الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

(وقال) فى النهاية: المغالون فى الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، ثم اســتعمل فى كل تعمق وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل فى كل تعمق قولا وفعلا.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن الدين** [1] **يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**» — والمعنى: لا يتعمق أحد فى الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجـــز وانقطع من عمله كله أو بعضه —

«**فسدَّدوا**» أى الزموا السداد، وهو التوسط من غير إفراط ولا تفريط «**وقاربوا**» أى: إن لم تستطيعوا العمل بالأكمل فاعملوا ما يقرب منه «**واستعينوا**» أى: علـــى تحصيل العبادات «**بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**» رواه البخارى، وفى رواية له: «**سدِّدوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة القصد القصد تبلغوا**».

قوله «**الدين**» هو مرفوع على ما لم يسم فاعله، وروى منصوبا

وروى «**لن يشاد الدين أحد**» وقوله ﷺ «**إلا غلبه**» أى غلبه الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه.

و«**الغدوة**» سير أول النهار «**والروحة**» آخر النهار.

و«**الدلجة**»: آخر الليل، وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه استعينوا على طاعة الله عـــز وجل بالأعمال فى وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأموا وتبلغوا مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير فى هذه الأوقات ويستريح هو ودابته فى غيرها فيصل المقصود بغير تعب، والله أعلم.

---

(١) أى: دين الإسلام. (يسر) على سبيل المبالغة..

* (وعن) أنس ﷺ قال: (دخل النبى ﷺ المسجد فـإذا حبـل ممـدود بـين الساريتين(١)، فقال: «**ما هذا الحبل ؟**» قالوا: هذا حبل لزينب(٢)، فـإذا فتـرت(٣): تعلقت به، فقال النبى ﷺ: «**حُلُّوه ليُصَلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**» متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر: فيه الحث على الاقتصاد فى العبادة، والنهى عـن التعمـق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط، وفيه إزالة المنكر باللسان واليد، وفيه جواز تنفل النساء فى المسجد.

*(وعن) عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يـدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه** (٤)» متفق عليه.

وفى رواية النسائى: «**فينصرف**» والمراد: به التسليم من الصلاة فرضـاً أو نفـلاً، فالنعاس سبب النوم، وللأمر به ولا يقطع الصلاة بمجرد النعاس (٥)، وحمله المهلـب على ظاهره فقال: إنما أمره بقطع الصلاة لغلبة النوم عليه، ثم قال: على أنه إذا كـان النعاس أقل من ذلك فلا قطع.

*(وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: (بينا النبى ﷺ يخطب إذا هـو برجـل قائم، فسأل عنه ؟ فقالوا: أبو إسرائيل.. نذر أن يقوم فى الشـمس ولا يقعـد، ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبى ﷺ: «**مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعـد، وليتم صومه**» رواه البخارى.

** (فليذكر) الأخ المسلم كل هذه الأحاديث الصحيحة والتعليق عليها بالإضافة إلى الوصية التى ندور حولها بجميع رواياتها.. حتى لا يكون من المتشددين فى الدين.. أو من المتنطعين.. (وإنما) ينبغى أن يكون من أهل الوسطية والاعتدال.. أى: التوسط فى أداء العبادة؛ إبقاءً على النفس ودفعا للملل عنها ...

---

(١) من سوارى المسجد.. أى العمودين.

(٢) قيل: إنها زينب بنت جحش، وقيل: حمنة بنت جحش.

(٣) أى: كسلت عن القيام فى الصلاة.

(٤) أى: يدعوا عليها.

(٥) انظر: دليل الفالحين ج١ص٣٨٧ وما بعدها...

(قال) ابن رسلان فى شرح سنن أبى داود: قال الحســن: نفوســكم مطايــاكم فأصلحوا مطاياكم توصلكم إلى ربكم، فمن وفَّى النفس حقا من المباح بنية صــالحة كالتقوِّى به على صالح العمل، ومنعها من شهواتها وحظها كان مأجورا فى ذلــك، كما قال معاذ: إنى احتسبت نومتى كما احتسبت قومتى، ومتى قصر فى حقها حــتى ضعف وتضررت كان ظالما لها، وإلى هذا أشار النبى ﷺ بقوله لعبد الله بن عمــرو: **((إنك إذا فعلت ذلك تَفهَت له النفس[1]، وهجمت له العين))**.

(وقال) لأعرابى جاءه وأسلم، ثم أتاه من عام قابل وقد تغير فلم يعرفه، فلما عرفه سأله عن حاله ؟ فقال: (ما أكلت بعدك طعاما بنهارى [2]، فقال: **((ومن أمــرك أن تعذب نفسك ؟))** فمن عذب نفسه بأن حملها على ما لا تطيق من الصيام ونحوه فربما أثر ذلك فى ضعف بدنه وعقله فيفوته من الطاعات أكثر ما حَصَّله بتعذيب بالصيام ونحوه [3] ا.هــ.

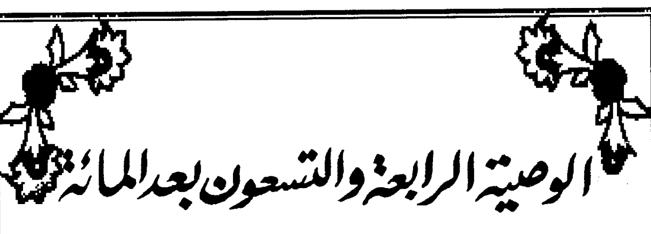
فاعقل كل هذا أخا الإسلام ونفذ الصواب فيه..

والله الموفق

(١) تفهت له النفس: بكسر الفاء: أعيت وكلت، وهجمت العين: أى غارت.

(٢) أى: أنه كان دائم الصيام .

(٣) انظر: (دليل الفالحين) جــ ١صــ ٣٧٨.

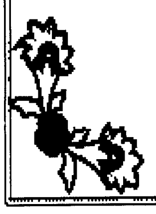
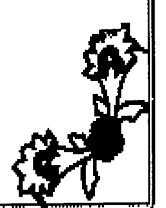


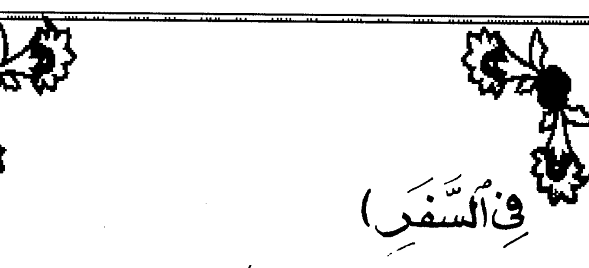
الوصية الرابعة والتسعون بعد المائة

• عن جابر رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر، فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه وقد ظلل عليه، فقال: (مَالَهُ؟) قَالُوا: رَجُلٌ صائِمٌ، فقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: (لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَنْ تَصُومُوا فِى ٱلسَّفَرِ).

زاد فى روايةٍ: (وَعَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ ٱللَّهِ ٱلَّتِى رَخَّصَ لَكُمْ)

• وفى روايةٍ: (لَيْسَ مِنَ ٱلْبِرِّ ٱلصَّوْمُ



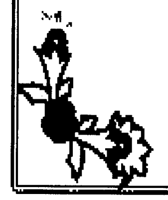
فِي السَّفَرِ)

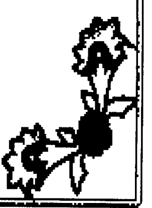
رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

• وفي رواية للنسائي:

(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل في ظل شجرة يُرَشُّ عليه الماء، قال:

مَا بَالُ صَاحِبِكُم؟ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: صَائِمٌ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ، وَعَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي رَخَّصَ لَكُم فَاقْبَلُوهَا).





فكن أخا الإسلام:

منتفعا بهذه الوصية – بالإضافة إلى الوصية السابقة [1]– حتى لا تكـــون كهـــذا الرجل الذى اجتمع الناس حوله وقد ظلل عليه.. أى وضعوا على رأسه مظلة تقيه من حر الشمس.. فقال النبى ﷺ : **((ما له ؟))** قالوا: رجل صائم، فقال رســـول الله ﷺ : **((ليس البر أن تصوموا فى السفر))** زاد فى رواية: **((وعليكم برخصة الله التى رخص لكم))**، (وفى) رواية: **((ليس من البر الصوم فى السفر))**.

(وفى) ذلك دليل على أن الصيام فى السفر لمن كان يشق عليه لـــيس بفضـــيلة.. والأمر بقبول الرخصة دليل على فضل الإفطار على الصيام فى السفر لمن شق عليـــه الصوم.. والرخصة هى ما شرع ثانيا مبنيا على أعذار العباد..

*(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **((إن الله تبارك وتعالى يحب أن تُؤْتَى رُخَصُه كما يكره أن تؤتى معصيته))** رواه أحمد بإسناد صـــحيح، والبـــزار والطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما.

*(حتى) ولو كان الصيام هذا فى شهر رمضان [2]..

** (وقد) قرأت فى (فقه السنة) ج١ص١٩٣ وما بعدها أحكاما هامة تتعلق بفطر المسافر.. تحت عنوان:

من يرخص لهم فى الفطر ويجب عليهم القضاء

(فقد) ذكر أنه يباح الفطر للمريض الذى يُرجى برؤه والمسافر، ويجب عليهمـــا القضاء. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٤]، وروى أحمد وأبو داود والبيهقى بسند صحيح من حديث معاذ، قال: (إن الله تعالى

---

(١) وهى رقم ٩٣ بعد المائة.

(٢) وإذا كان هو الأصل فى التنبيه فمن باب أولى الصيام التطوع لمن شق عليه الصوم.. بل هو أمـــير نفسه كما ورد فى الحديث (وفى) رواية لابن خزيمة قال: **((إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تترك معصيته))**.

فرض على النبى ﷺ الصيام، فأنزل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم**﴾ [البقرة:١٨٣] إلى قوله: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة:١٨٤] فمن شاء فليصم ومن شاء أطعم مسكينا، فأجزأ ذلك عنه. ثم إن الله تعالى أنزل الآية الأخرى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة:١٨٥] إلى قوله: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح، ورخَّص فيه للمريض والمسافر، وثَبَّت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام).

(ثم) يقول فى (فقه السنة): والمرض المبيح للفطر هو الشديد الذى يزيد بالصوم أو يخشى تأخُّر برئه [(١)].

قال فى المغنى: (وحكى عن بعض السلف: أنه أباح الفطر بكل مرض حتى من وجع الإصبع والضرس لعموم الآية فيه، و لأن المسافر يباح له الفطر، وإن لم يحتج إليه فكذلك المريض)

وهذا مذهب البخارى وعطاء وأهل الظاهر.

(والصحيح) الذى يخاف المرض بالصيام يفطر مثل المريض، وكذلك من غلبه الجوع أو العطش فخاف الهلاك لزمه الفطر وإن كان صحيحا مقيما وعليه القضاء.
قال الله تعالى:﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيما**﴾ [النساء:٢٩] وقال: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨].

*(وإذا) صام المريض وتحمل المشقة: صح صومه إلا أنه يكره له ذلك لإعراضه عن الرخصة التى يحبها الله، وقد يلحقه بذلك ضرر.

*(وقد) كان بعض الصحابة يصوم على عهد رسول الله ﷺ، وبعضهم يفطر متابعين فى ذلك فتوى الرسول ﷺ.

قال حمزة الأسلمى: يا رسول الله، أجد منى قوة على الصوم فى السفر فهل علىَّ جُناحٌ [(٢)] ؟ قال: **((هى رخصة من الله تعالى، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جُناح عليه))** رواه مسلم.

---

(١) يعرف ذلك إما بالتجربة أو بإخبار الطبيب الثقة، أو بغلبة الظن..

(٢) الجناح: بضم الجيم أى الإثم.

*(وعن) أبي سعيد قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة - ونحن صيام- قال: فنزلنا منزلا، فقال رسول الله ﷺ:
((**إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم**)) فكانت رخصة فمنا من صام، ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر، فقال: ((**إنكم مُصبِّحوا عدوكم، والفطر أقوى لكم، فأفطروا**)) فكانت عزمة، فأفطرنا، ثم رأيتنا نصوم بعد ذلك مع رسول الله ﷺ في السفر) رواه أحمد ومسلم وأبو داود (وعن) أبي سعيد، قال:

*(كنا نغزوا مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنا الصائم ومنا المضطر، فلا يجد [1] الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، ثم يَرَون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن) رواه أحمد ومسلم.

**(ثم) يقول في (فقه السنة): وقد اختلف الفقهاء في أيهما أفضل.. (فرأى) أبو حنيفة والشافعي ومالك: أن الصيام أفضل لمن قوي عليه، والفطر أفضل لمن لا يقوى على الصيام.

(وقال) أحمد: الفطر أفضل.

(وقال) عمر بن عبد العزيز: أفضلهما أيسرهما، فمن يسهل عليه حينئذ ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك فالصوم في حقه أفضل.

**(وحقَّق الشوكاني): فرأى أن من كان يشق عليه الصوم، ويضره، وكذلك من كان معرضا عن قبول الرخصة، فالفطر أفضل، وكذلك من خاف على نفسه العُجْبَ أو الرياء إذا صام في السفر فالفطر في حقه أفضل (وما) كان من الصيام خاليا عن هذه الأمور فهو أفضل من الإفطار.

*(وإذا) نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له أثناء النهار (فعن) جابر أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم[2]، وصام الناس معه، فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإن الناس ينظرون فيما فعلت، فدعا

---

(١) أي: لا يغضب عليه. (مختار الصحاح).

(٢) اسم واد أمام عسفان.

بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم، وصام بعضهم، فبلغه أن ناسا صاموا، فقال: ((**أولئك العصاة**)) رواه مسلم والنسائى والترمذى وصححه.

* (وأما) إذا نوى الصوم وهو مقيم ثم سافر فى أثناء النهار (فقد) ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز الفطر له، وأجازه أحمد وإسحاق، لما رواه الترمذى وحسنه عن محمد بن كعب قال: أتيت أنس بن مالك فى رمضان وهو يريد سفرا وقد رُحِّلَت له زاحلَتُه ولبس ثياب السفر، فدعا بطعام فأكل، فقلت له: سُنَّة ؟ فقال: سُنَّة، ثم ركب.

(وعن) عبيد بن جبير، قال: ركبت مع أبى بصرة الغفارى فى سفينة من الفسطاط[1] فى رمضان، فدفع، ثم قرب غداءه، ثم قال: اقترب، فقلت: ألست بين البيوت ؟ فقال أبو بصرة أرغبت عن سنة رسول الله ﷺ [2] رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات.

(قال) الشوكانى: والحديثان يدلان على أن للمسافر أن يفطر قبل خروجه من الموضع الذى أراد السفر منه. وقال: قال ابن العربى: وأما حديث أنس فصحيح يقتضى جواز الفطر مع أهبة السفر. وقال: هذا هو الحق.

**(والسفر) المبيح للفطر هو السفر الذى تقصر الصلاة بسببه، ومدة الإقامة التى يجوز للمسافر أن يفطر فيها هى المدة التى يجوز له فيها أن يقصر الصلاة.. (وقد) روى أحمد وأبو داود والبيهقى والطحاوى عن منصور الكلبى: (أن دحية بن خليفة خرج من قرية من دمشق مرة إلى قدر عَقَبة [3] من الفسطاط فى رمضان ثم إنه أفطر، وأفطر معه ناس، وكره آخرون أن يفطروا، فلما رجع إلى قريته قال: والله لقد رأيت

---

(١) مصر القديمة.

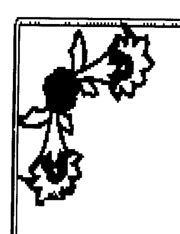
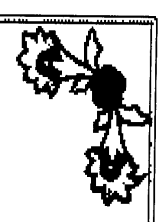
(٢) استفهام إنكارى.

(٣) أى: تعدل المسافة بين مصر القديم و ميت عقبة..

اليوم أمرا ما كنت أظن أني أراه، وإن قوما رغبـــوا عـــن هـــدى رســـول الله ﷺ وأصحابه، يقول ذلك للذين صاموا، ثم قال عند ذلك: اللهم اقبضني إليك) وجميـــع رواة الحديث ثقات إلا منصور الكلبي وقد وثقه العجلي..

(فلاحظ) كل هذا أحيا الإسلام ونفذ المراد منه..

والله ولي التوفيق

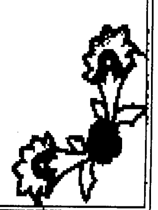



الوصية الخامسة والتسعون بعد المائة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

(لَا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ).

رواه مسلم والنسائي.

فكن أخا الإسلام:

منتفعا بهذه الوصية المتعلقة بيوم الجمعة وليلتها، وقبل أن أدور معك حول موضوع الوصية.. (فإنني أرى) أن أقف معك أولا على:

فضل يوم الجمعة

**(فقد) ورد أن يوم الجمعة خير أيام الأسبوع [1].

* (فعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلق آدم عليه السلام، وفيه أُدخل الجنة [2]، وفيه أُخرِج منها [3]. ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة**» رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وصححه.

*(وعن) أبي لبابة البدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عند الله تعالى، وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر و يوم الأضحى، وفيه خمس خلال: خلق الله عز وجل فيه آدم عليه السلام، وأهبط الله تعالى فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفَّى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه الله تعالى ما لم يسأل حراما، وفيه تقوم الساعة، ما من ملَك مقرب، ولا سماء ولا أرض، ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا هُنَّ يُشفقن من يوم الجمعة**» رواه أحمد وابن ماجه قال العراقى: إسناده حسن.

**(وأما) عن الساعة التى يُستجاب فيها فى يوم الجمعة، فهى المشار إليها فى الأحاديث الآتية:

(فعن) عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قلت — ورسول الله ﷺ جالس — إنا لنجد فى كتاب الله تعالى فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلى يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا قضى الله له حاجته. قال عبد الله: فأشار إلَيَّ رسول الله ﷺ، (أو بعض ساعة). فقلت، صدقت، أو بعض ساعة، قلت: أى ساعة هى ؟ قال: «**آخر ساعة**

---

(١) أما يوم عرفة فإنه أفضل الأيام عند الله تعالى بالنسبة لأيام السنة.

(٢) لأنه فى الفترة التى لم يكن فيها شيئا مذكورا كان على باب الجنة إلى أن نفخ الله تعالى من روحه.

(٣) أى: بعد أن أكل من الشجرة مع أمنا حواء..

من ساعات النهار» قلت: إنما ليست ساعة صلاة، قال: «**بلى: إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة فهو فى صلاة**» رواه ابن ماجه.

* (وعن) أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرا إلا أعطاه إياه، وهى بعد العصر**» رواه أحمد. قال العراقى: صحيح.

* (وعن) جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئا إلا آتاه إياه: والتمسوها آخر ساعة بعد العصر**» رواه النسائى وأبو داود والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وحَسَّن الحافظ إسناده فى الفتح.

* (وعن) أبى سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه: (أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فتذكَّروا الساعة التى فى يوم الجمعة، فتفرقوا و لم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة) رواه سعيد فى سنده وصححه الحافظ فى الفتح.

وقال أحمد ابن حنبل: أكثر الأحاديث فى الساعة التى يرجى فيها إجابة الدعاء أنها بعد صلاة العصر، ويُرْجَى بعد زوال الشمس.

** (ولهذا) فقد ورد:

استحباب كثرة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ليلة الجمعة ويومها

* (فعن) أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة [1]، وفيه الصعقة: فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على**» قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرِمْتَ [2] ؟، فقال: «**إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» رواه الخمسة إلا الترمذى.

---

(١) المراد بالنفخة: أى النفخة الثانية وهى نفخة البعث، والصعقة: النفخة الأولى التى يموت بها كل حى إلا رؤساء الملائكة. (انظر هامش الدين الخالص ج٤ ص١٤٤).

(٢) وقد أرمت: أى بليت.

قال ابن القيم: يستحب كثرة الصلاة على النبىﷺ فى يوم الجمعة وليلته، لقوله: «**أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة**»ورسول الله ﷺ سيد الأنـــام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه فى هذا اليوم مَزِيَّة ليست لغيره مع حِكمـــة أخرى وهى أن كل خير نالته أمته فى الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده، جمـــع الله لأمته بين خيرى الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم فإنما تحصل يوم الجمعة. فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم فى الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهـــو عيد لهم فى الدنيا، ويوم يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد ســـائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شُكرِه وحَمدِه وأداءِ القليـــل من حقه ﷺ أن يكثروا من الصلاة عليه فى هذا اليوم وليلته.ا.هـــ.

**(كما ورد) كذلك:

استحباب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلته

*(فعن) أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «**من قرأ سورة الكهـــف فى يـــوم الجمعة أضاء الله له من النور ما بين الجمعتين**» رواه النسائى والبيهقى والحاكم.

* (وعن) ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**من قرأ سورة الكهف فى يـــوم الجمعـــة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين**» رواه ابن مردويه بسندٍ لا بأس به.

**(هذا)، وإذا كان لنا أن ننتقل إلى موضوع الوصية التى ندور حولها.. وهو:

النهى عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام، ويوم الجمعة بصيام

** (فقد) قرأت فى (الترغيب والترهيب) تحت هذا العنوان السابق:

(عن) أبى هريرة ﷺعن النبى ﷺ قال: «**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بـــين الليالى، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم**[1]» رواه مسلم والنسائى.

---

(١) وهذا الحديث هو نص الوصية التى ندور حولها.. وقد أعدته حتى نقف على التعليق عليه كما جاء فى هامش (الترغيب والترهيب) ج٢ص١٩٧ وما بعدها.. بالإضافة إلى الأحاديث الأخرى الواردة فى نفس الموضوع..

(فقد) قال الشوكاني- حول تخصيص قيام ليلة الجمعة -: فيه دليل على عدم جواز تخصيص ليلة الجمعة بقيامٍ أو صلاة من بين الليالي.

(وقال) النووي في شرح مسلم: وهذا متفق علي كراهته..

قال: واحتج به العلماء على كراهة هذه الصلاة المبتدعة التي تسمى (الرغائب) قاتل الله واضعها ومخترعها فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة، وفيها منكرات ظاهرة، وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة في تقبيحها وتضليل مُصلِّيها ومبتدعيها، ودلائل قبحها وبطلانها، وتضليل فاعلها أكثر من أن تحصر، والله أعلم ا.هـ.

(وقال) الشوكاني حول النهي عن إفراد يوم الجمعة بالصيام: (استدل به على كراهة إفراد يوم الجمعة بالصيام، وقد حكاه ابن المنذر وابن حزم عن علي عليه السلام وأبي هريرة وسلمان وأبي ذر.

قَال ابن حزم: ولا نعلم مخالفا لهم في الصحابة، ونقله أبو الطيب الطبري عن أحمد وابن المنذر وبعض الشافعية.

وقال ابن المنذر: ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة كما ثبت النهي عن صوم يومي العيد [1].. وهذا يشعر بأنه يرى تحريمه. وذهب الجمهور إلى أن النهي فيه للتتريه [2]، وقال مالك وأبو حنيفة: لا يكره. ا.هـ.

** (وأما) عن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ — في نص الوصية — **«إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم»** أي: إلا أن يدخل في صيام نذر أو كفارة أو نحوهما.

* (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده»** رواه البخاري واللفظ له، ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه.

* (وفي) رواية لابن خزيمة: **«إن يومَ الجمعة يومُ عيدٍ فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده»**.

---

(١) لأن صيام يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى حرام..

(٢) أي: أنه إلى الحلال أقرب.. أما الكراهة التحريمية. فهي إلى الحرام أقرب.

** (قال) الشوكانى: (وقد اختلف فى سبب كراهة إفراد يوم الجمعة بالصيام على أقوال ذكرها صاحب الفتح.. منها لكونه عيدا، ويدل على ذلك رواية أحمد المذكورة فى الباب، ومنها لئلا يضعف عن العبادة، ومنها: خوف المبالغة فى تعظيمه فيفتتن به كما افتتن اليهود بالسبت، ومنها: خشية أن يفرض عليهم، كما خشى ﷺ من قيام الليل كذلك.. إلى أن قال: وأقوى الأقوال وأولاها بالصواب الأول لما تقدم من حديث أبى هريرة وقد أخرجه الحاكم أيضا) ا.هـ.

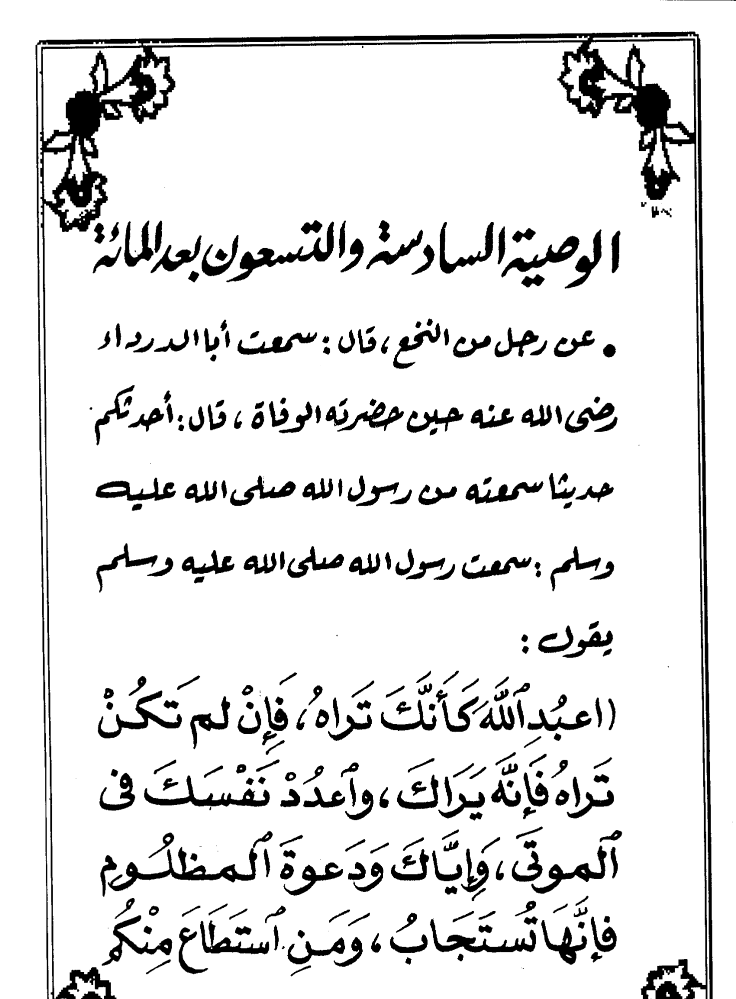
(وعن) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها يوم الجمعة، وهى صائمة. فقال: «**أصمت بالأمس ؟**» قالت: لا.

قال: «**أتريدين أن تصومى غدا ؟**» قالت: لا قال: «**فأفطرى**» رواه البخارى وأبو داود.

* (وأمره) ﷺ لها بالفطر بعد ما شرعت فى الصيام دليل على تأكد الكراهة.. بل هى على الحرمة.

** (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذ الصواب منه.. بل وحتى لا يفعل ما هو منهى عنه والذى قد يصل إلى درجة التحريم – كما علمنا –

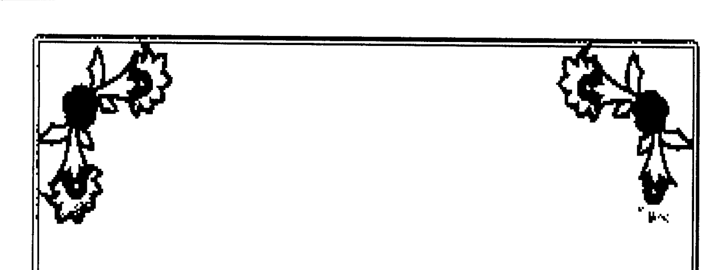
والله الموفق للصواب



الوصية السادسة والتسعون بعد المائة

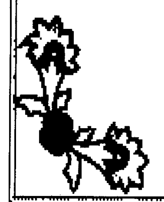
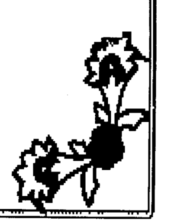
• عن رجل من النخع، قال: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه حين حضرته الوفاة، قال: أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(اعبُدِ ٱللَّهَ كَأَنَّكَ تراهُ، فَإِنْ لم تَكُنْ تراهُ فَإِنَّهُ يراكَ، واْعدُدْ نفْسَكَ في ٱلموتى، وَإِيَّاكَ وَدَعوةَ ٱلمظلُوم فإنَّهَا تُستجابُ، وَمَنِ ٱستطاعَ مِنْكُم



أن يَشْهَدَ الصَّلاتَين : العشاءَ والصُّبْحَ
وَلو حَبْوًا فَلْيَفْعَلْ).

رواه الطبرانى فى الكبير .

فكن أخا الإسلام:

من المنتفعين بهذه الوصية العظيمة التى إن نفذتها بإخلاص وصدق: كنت من أعبد الناس.. ولا سيما بالنسبة للعنصر الأول منها، وهو:

أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (مع) ملاحظة أن هذا هو الإحسان الذى لابد منه كما أجاب النبى ﷺ فى الحديث الصحيح – الذى رواه مسلم – والذى سأله فيه جبريل عن الإسلام، وعن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان: فقال: **((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))**

* (وحسب) الإنسان المؤمن أن ينفذ هذا المعنى الكبير.. حتى لا يرتكب ما يغضب الله رب العالمين.. الذى معنا أينما كنا.. وهو بصير بكل ما نعمل. لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.. فهو القائل سبحانه:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

*(وقد) قرأتُ أن عالما من علماء السلف الصالح – عليهم رحمة الله – أراد أن يمتحن بعض تلاميذه بعد أن تتلمذوا على يديه مدة كبيرة من الزمان.. فأعطى كل واحد من العشرة الذين كان قد اختارهم لإجراء هذا الامتحان.. طائرا، أو حمامة.. وأمر كل واحد منهم بأن يذبحها – أى الحمامة – فى مكان لا يراهم فيه أحد.. (فذهبوا). ثم عاد تسعة منهم بعد أن نفذوا الأمر كما أراد الأستاذ – إلا العاشر.. فلقد عاد دون أن يذبحها.. فسأله العالم أمام زملائه.. لماذا عدت بها حية دون أن تنفذ ما أمرتك به ؟ فقال التلميذ النابه الذى مَنَّ الله عليه بالعلم النافع: إننى يا سيدى كلما دخلت فى مكان لكى أنفذ الأمر فيه.. تصورت أن الله تعالى يرانى [1].

*(وقرأت) كذلك: أن لصًّا خرج مع ولده الذى كان يدربه على السرقة – ليلا– لكى يسرقا فاكهة من حديقة ما.. فقال اللص الكبير هذا لولده: إننى سأدخل الحديقة لكى أعود بالفاكهة.. (وعليك) أنت أن تراقب الطريق.. (فإن) رأيت أن هناك من يرانى.. فنادنى.. بأية إشارة تراها.. وفعلاً نزل اللص الحديقة لكى يسرق..

---

(١) فما أعظم هذا القول الذى لابد وأن ننتفع به..حتى ننجح نحن كذلك فى سلوكنا مع الله رب العالمين...

(وبعد) وقت قصير جدا سمع الابن يناديه بأن يسارع بالخروج لأن هنـــاك مـــن يراهم.. (فخرج) اللص سريعا وهو يرتجف.. ثم سال ولده.. من الذى يرانا ؟ فقال له الابن: إنه الله يا أبي.. فكانت الكلمة هذه سببا فى هداية هذا اللص الكبير.. الذى كان بَعْدُ من كبار الصالحين مع ولده المبارك.

* ولله در من قال:

إذا ما خَلَوتَ الدهر يوما فـــلا تقـــل   خلوتُ ولكـــن قُـــلْ عَلَـــيَّ رقيـــبُ

فـــلا تحســـبن الله يغفُـــل ســـاعة   ولا أن مـــا تخفيـــه عنـــه يغيـــبُ

** (ولهذا) فقد قال الإمام على كرم الله وجهه لابنه الحسن عليهما رضوان الله: استحِ من ثلاث:

* استحَ من مطالعة الله إياك وأنت مقيم على ما يكره.

* واستحِ من الحفظة الكرام الكاتبين.

* واستحِ من صالحي المؤمنين.

** (وقد) قرأت فى كتاب (طهارة القلوب) تحت عنوان:

فى المراقبة والإنابة

(أن) المراقبة أصل عظيم من أصول التقوى، وهو العلم بأن الله — يسمع ويرى.. فإذا حصل هذا العلم فى القلب وتوالى فلم يعقبه غفلة، وقوى حتى أثمر الحياء والهيبة، والتعظيم للمولى..

(فإن) العبد حينئذ سيكون من أهل المراقبة..

* (ومنه) قوله تعالى﴿ **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** ﴾ [سورة العلق :١٤].

* (ومنه) قوله ﷺ : «**الحياء من الإيمان**» ومن ثمراته تخفيف ألم البلوى، والاكتفاء بعلم الله تعالى عن الشكوى..

* (ومن) ثمراته تسهيل المجاهدات على العابدين.

** (وقد) نبه الله تعالى على المراقبة بقوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٣٥].

* (وقال) عمر بن الخطاب ﷺ: أفضل الذكر ذكر الله عند ما حرَّم الله..- أى حتى يستحى منه سبحانه -.

* (وفى) بعض كتب الله المنزلة يقول سبحانه وتعالى: (**ما نصفنى ابن آدم: يدعونى فأستحى أن أرده، ويعصينى ولا يستحى منى**).

(وفيها) يقول الله تعالى: (**عبدى إنك ما استحييت منى أنسيتُ الناسَ عيوبك، وأنسيتُ بقاع الأرض ذنوبك، ومحوتُ من أمِّ الكتاب زلاتك، ولم أناقشك للحساب يوم القيامة**).

(وفيها) يقول الله تعالى: (**إن كنتم تعلمون أنى لا أنظر إليكم فالخلل فى إيمانكم، وإن كنتم تعلمون أنى أنظر إليكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين إليكم**).

** (ومن) ثمرات المراقبة: الإنابة، ومعناها الرجوع عن معصية الله تعالى إلى الطاعة حياء من نظر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿**هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**﴾ [ق: ٣٢، ٣٣] وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩]: فالنفس تجمح فى ميدان المخالفة باتباع، فإذا تذكر القلب باطلاع الرب أناب ورجفت النفس مقهورة بلجام الجبار..

** (وأما) عن العنصر الثانى الذى يقول فيه الرسول ﷺ فى نص الوصية: **((واعدد نفسك فى الموتى))**: فإن، المراد منه أن تعتبر نفسك فى عداد الموتى، وتمثل هذه الحالة دائما، فإنها تدعوك إلى قصر الأمل، وإحسان العمل..

(وهذا) العنصر بهذا التمثيل.. يعتبر من أهم ما ينبغى على الأخ المسلم أن يكون حريصا على الإكثار من ذكره والتذكير به حتى لا تكون هناك غفلة بتلك الصورة الدنيوية التى جعلت أكثر الناس.. كأن الموت فيها على غيرهم قد كُتب..

(فعن) على رضي الله عنه أن النبى ﷺ -- قال فى خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله -:

* ثم قال: (أما بعد) **أيها الناس: كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذى نشيع من الأموات سفرٌ عما قليل إلينا راجعون. نبوئهم أجداثهم** [١]**، ونأكل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم. قد نسينا كل واعظة، وأمنَّا كل جائحة** [٢].

طوبى [٣] **لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.**

طوبى لمن طاب كسبه[٤]**، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، واستقامت طويته.**

طوبى لمن تواضع لله فى غير منقصة [٥]**، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة.**

طوبى لمن زكت نفسه وحسنت خليقته، وطابت سريرته وعزل عن الناس شره.

طوبى لمن أنفق الفضل من ماله [٦]**، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة».**

(وفى رواية) **«ولم يعد عنها إلى البدعة»** أخرجه أبو نعيم، وقد ورد بألفاظ متقاربة.

**(وقال) ﷺ: (فى خطبة له فى تذكر الموت) بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس: أكثروا من ذكر هاذم اللذات، فإنكم إذا ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم، وإن ذكرتموه فى غنى بغضه إليكم. إن المنايا قاطعات الآمال، والليالى مدنيات الآجال، وإن العبد بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه، ويوم قد بقى لا يدرى لعله لا يصل إليه. وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه[٧] **يرى جزاء ما أسلف، وقلة غناء ما خلف** [٨].

---

(١) جمع جدث وهو القبر، أى نتزلهم مقابرهم.
(٢) الجائحة، أى الآفة المهلكة.
(٣) طوبى: اسم شجرة فى الجنة.. أو الفلاح لهم..
(٤) أى: كان كسبه من الحلال ..
(٥) أى: فى غير مذلة.
(٦) أى: الزائد..
(٧) الرمس: بفتح فسكون: التراب سمى به القبر.
(٨) الغناء بفتحتين: الاكتفاء، أى يرى قلة كفاية ما ترك.

أيها الناس: إن فى القناعة لَغنًى، وإن فى الاقتصاد لبلغة [1]**، وإن الزهد لراحة، وإن لكل عمل جزاء، وكل آت قريب))** ذكره العلامة بهاء الدين محمد العاملى فى الكشكول.

* (وقال) القرطبى فى تذكرته عن بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة النفس، والنشاط فى العبادة.

(ومن) نسى ذكر الموت عوقب بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل فى العبادة.

* (وعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة [2]، فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبى الله من أكيس الناس [3] ؟ وأحزم الناس [4] ؟ قال: **((أكثرهم ذكرا للموت، وأكثرهم استعدادا للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة))** رواه ابن أبى الدنيا، والطبرانى فى الصغير بإسناد حسن ورواه ابن ماجه مختصرا بإسناد جيد، والبيهقى فى الزهد، ولفظه: أن رجلا قال للنبى ﷺ: أى المؤمنين أفضل ؟ قال: **((أحسنهم خلقا))** قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: **((أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم لما بعده استعدادا، أولئك الأكياس))** وذكره رزين فى كتابه بلفظ البيهقى من حديث أنس. و لم أره.

** (فاذكر) كل هذا أخا الإسلام؛ حتى تكون من الأكياس الذين يكثرون من ذكر الموت ويعملون لما بعده. وإياك أن تكون من الذين يتمنون الموت:

* (فعن) أم الفضل [5] رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل على العباس وهو يشتكى [6] فتمنى الموت، فقال: **((يا عباس عمَّ رسول الله ﷺ لا تتمنَّ الموت** [7]**: إن**

---

(١) البلغة بضم فسكون ما يتبلغ به من العيش.
(٢) أى: كانوا تسعة وهو عاشرهم.
(٣) يعنى أعقلهم وأشهرهم فطنة.. من الكياسة وهى القدرة على استنباط ما هو أنفع.
(٤) الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة (مختار الصحاح).
(٥) هى زوجة العباس رضى الله عنها واسمها لبابة بنت الحارث الهلالية وهى أخت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها.
(٦) أى: يئن ويتوجع من ألم المرض.
(٧) وفى الصحيح: **((لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه...))**

كنت محسنا تزداد إحسانا إلى إحسانك خير لك [1]**، وإن كنت مسيئا، فإن تؤخر**[2] **تستعتب من إساءتك** [3] **خير لك، لا تتمنَّ الموت** [4]» رواه أحمد والحاكم واللفظ له، وهو أتم وقال: صحيح على شرطهما.

* (وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يتمن أحدكم الموت إما محسنا فلعله يزداد، وإما مسيئا فلعله يستعتب**» رواه البخارى ومسلم.

(وهذا) المشار إليه فى هذا الحديث الأخير هو التعليل الصحيح للنهى عن تمنى الموت لأنه لا يخلو إما أن يكون محسنا أو مسيئا — فإن كان الأول فلعله يزداد إحسانا فيما يستقبل من أيام عمره، وإن كان الثانى فلعله يوفق إلى توبة صادقة تزيل عنه ذنوبه قبل موته.

* (وعن) أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنَّ أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان ولابد فاعلا، فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى**» رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائى.

** (فليكن) كل هذا أخا الإسلام نصب عينيك.. وأنت تذكر قول القائل:

الموت لابد منه فاستعد له ... إن اللبيب بذكر الموت مشغول

وكيف يلهو بعيش أو يلذ به ... مَن الترابُ على خديه مجعول

*** *** ***

واتق الله وقصِّر أملا ... وارض من رزق بمهما حصلا

ليس فى الدنيا خلود للملا

إن من يطلبه الموت على ... غرَّة منه جدير بالوجل

** (وأما) عن العنصر الثالث الذى يقول الرسول ﷺ فيه — كما جاء فى نص الوصية —: «**وإياك ودعوة المظلوم فإنها تستجاب**»: فقد ورد:

---

(١) أى: فيكون طول العمر خيرا لك حينئذ بسبب ما ازددت فيه من الحسنات.

(٢) أى: تمهل ويمتد أجلك.

(٣) أى: ترجع عنها وتسأل الله أن يغفرها لك وأن لا يؤاخذك عليها..

(٤) وإنما كرر هذه الجملة فى تأكيد النهى عن تمنى الموت.

* (عن) ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن فقال: **((اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))** رواه البخارى ومسلم، وأبو داود، والنسائى فى حديث، والترمذى مختصرا هكذا، واللفظ له، ومطولا كالجماعة.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((ثلاث لا ترد دعوتهم[1]: الصائم حتى يفطر[2]، والإمام العادل[3]، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين))** رواه أحمد فى حديث، والترمذى، وحسنه، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحهما، والبزار مختصرا: **((ثلاث حق على الله[4] أن لا يرد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر[5]، والمظلوم حتى ينتصر له[6]، والمسافر حتى يرجع[7]))**.

وفى رواية للترمذى حسنة: **((ثلاث دعوات لا شك فى إجابتهن[8]: دعوة المظلوم[9]، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على الولد[10]))** وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير.

** (ولهذا) كان لابد وأن نتقى دعوة المظلوم: (فعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: (اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة) رواه الحاكم وقال: رواته متفق على الاحتجاج بهم، إلا عاصم بن كليب فاحتج به مسلم.

---

(١) أى: لا يرد الله دعوة واحد منهم بشرط أن لا يدعوا بإثم أو قطيعة .

(٢) يعنى يجيب الله دعوته طيلة نهار صيامه إلى أن يدخل فى الفطر.

(٣) أى: الذى يتحرى العدل فى إمامته.

(٤) أى: واجب على الله بمقتضى وعده فضلا منه وكرما، لا أن أحدا يوجب عليه ذلك.

(٥) وفى رواية **((حين يفطر))**.

(٦) أى: حتى يأخذ بحقه ممن ظلمه.

(٧) لأن المشقة التى فى السفر تجعل دعاءه أقرب إلى الإجابة.

(٨) أى: مقطوع بإجابتهن.

(٩) يعنى على ظالمه.

(١٠) لأن الوالد غالبا لا يدعو على ولده إلا بسبب عقوق ونحوه.

**(وذلك) بتنفيذ المشار إليه فى الحديث الآتى:

*(عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ههنا** – ويشير إلى صدره ثلاث مرات–، **بحسب امرىءٍ من الشَّرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))** رواه مسلم.

*(وعن) أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((انصر أخاك ظالما أو مظلوما))** فقال رجل: يا رسول الله انصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: **((تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره))** رواه البخارى، وروى مسلم فى حديث عن جابر عن النبى ﷺ قال: **((ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، وإن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصرة، وإن كان مظلوما فلينصره))**.

(قال) الحافظ فى الفتح فى باب نصر المظلوم: (هو فرض كفاية وهو عام فى المظلومين كذلك فى الناصرين بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع – وشرط الناصر أن يكون عالما بكون الفعل ظلما، ويقع النصر مع وقوع الظلم، وهو حينئذ حقيقة وقد يقع قبل وقوعه، كمن أنقذ إنسانا من يد إنسان طالبه بمال ظلما وهدده إن لم يبذله وقد يقع بعد).

** (وإياك..إياك) أن تعين ظالما على ظلمه.. وأنت تعلم أن الحق فى جانب خصمه:

* (فعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من حالت شفاعته دون حد من حدود الله عز وجل** [1]**، فقد ضاد الله عز وجل**[2]**، ومن خاصم فى باطل، وهو يعلم** [3]**، لم يزل فى سخط الله حتى ينزع**[4]**، ومن قال فى**

---

(١) يعنى شفع لمجرم ارتكب ما يوجب الحد وقامت عليه البينة فمنعت شفاعته تنفيذ الحد فيه.

(٢) أى: عارض الله عز وجل فى حكمه...

(٣) يعنى دخل فى خصومة مع غيره وهو يعلم أن الحق فى جانب خصمه.

(٤) أى: يظل ساخطًا عليه حتى يتوب ويرجع.

مؤمن ما ليس فيه (١) **أسكنه الله ردغة الخبال** (٢) **حتى يخرج مما قال**)) رواه أبو داود واللفظ له، والطبراني بإسناد جيد نحوه، وزاد الحاكم في آخره: ((**وليس بخارج** (٣))) ورواه الحاكم مطولا ومختصرا وقال في كل منها: صحيح الإسناد.

ولفظ المختصر قال ((**من أعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله حتى ينزع**)).

وفي رواية لأبي داود: ((**من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب الله** (٤))).

*(وروى) عن أوس بن شرحبيل أحد بني أشجع رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((**من مشى مع ظالم** (٥) **ليعينه** (٦)، **وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام** (٧))) رواه الطبراني في الكبير، وهو حديث غريب.

**(وإذا) تخوفت من ظالم.. فإنك تستطيع أن تتحصن ضده بالدعاء الوارد:

* (عن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**إذا تخوف أحدكم السلطان** (٨)، **فليقل: اللهم رب السموات ورب العرش العظيم كن لي جارا من شر فلان بن فلان**، – يعني الذي يريده – **وشر الجن والإنس وأتباعهم أن يفرط على أحد منهم، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك**)) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا جنادة بن سلم وقد وثق، ورواه الأصبهاني، وغيره موقوفا على عبد الله لم يرفعوه.

* (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إذا أتيت سلطانا مهيبا (٩) تخاف أن يسطو بك فقل: الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعا (١٠)، الله أعز مما أخاف وأحذر،

---

(١) يعني بهته بما هو منه برىء.
(٢) يعني أدخله الله النار وأنزله منها في ردغة الخبال.. وهي عصارة أهل النار.. أو عرقهم كما جاء مفسرا في صحيح مسلم وغيره.
(٣) أي: لا يملك أن يخرج مما قال في الآخرة.
(٤) أي: رجع به واستحقه.
(٥) يعني ذهب معه ولو راكبا..
(٦) يعني على ظلمه.
(٧) يعني خرج عن طريقة المسلمين أو إن استحل ذلك فارق الإسلام حقيقة.
(٨) يعني خاف من ظلمه وغشمه وتسلطه.
(٩) أي: ذا هيبة وسطوة بحيث تخافه وتفرق منه.؟
(١٠) من ملائكة وجن وبشر.. بل له العزة جميعا.. ولا عز إلا لمن أعزه الله.

أعوذ بالله الذى لا إله إلا هو الممسك السموات أن يقعن على الأرض إلا بإذنه، من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن جل ثناؤك وعز جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك ثلاث مرات) رواه ابن أبى شيبة موقوفا، وهذا لفظه وهو أتم، ورواه الطبرانى، وليس عنده: ثلاث مرات، ورجاله محتج بهم فى الصحيح..

**(ثم) إذا كان لى بعد ذلك أن أعود إلى الظالم لكى أحذره.. فإننى أذكره بالحديث الذى ورد:

(عن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس ؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا: فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار**» رواه مسلم.

** (وأيضا) أذكره بأن الله تبارك وتعالى قد يسامح فى حقه ولا يسامح فى حقوق العباد، (ولهذا) فقد ورد (عن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**» رواه البخارى.

**(ثم) أذكره – فى الختام – بقول القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم عقباه تأتيك بالندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

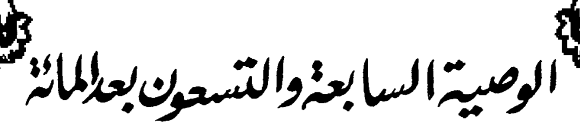
** (ثم) إذا كان النبى ﷺ قد قال فى ختام الوصية: «**ومن استطاع أن يشهد الصلاتين: العشاء والصبح ولوحبوًا فليفعل**»: فقد رغب النبى ﷺ فى شهودهما، لأن فى شهودهما خيرا كثيرا لمن يشهدهما.. أى مع الجماعة: (فعن) عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله**» رواه مالك ومسلم

واللفظ له وأبوداود ولفظه: **«من صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة»**.

** (فعلى) الأخ المسلم أن ينتفع بكل هذا التذكير المتعلق بكل عناصر هذه الوصية التى ترغب فى الخير وتحذر من الشر.

(وليكن) على صلة دائمة بالله عن طريق فعل الخيرات وترك المنكرات.. حتى يكون من أهل الجنة إن شاء الله.

والله ولى التوفيق



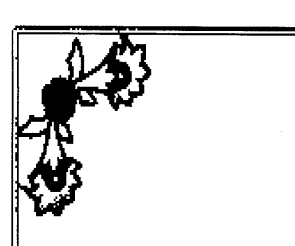
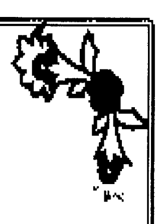
• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ كَانَتْ عِنده مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ
فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ
وَلا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أن يُؤْخَذَ لأَخِيهِ
مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ
أُخِذَ من سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ)

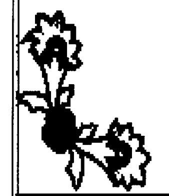
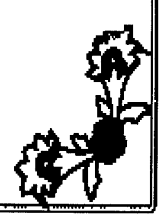
رواه الشيخان والترمذي ، ولفظه :

• (رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً كَانَتْ لأَخِيهِ عِنْدَهُ



مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ فَجَاءَهُ
فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ ثَمَّ
دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ
حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِه ، وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ
سَيِّئَاتِهِمْ)

فكن أخا الإسلام:

حريصا على تنفيذ ما جاء فى هذه الوصية بروايتيها.. حتى لا تكون مدينا لأحـــد من الناس يوم القيامة..(مع) ملاحظة ما أشار إليه الرسول ﷺ فى نص الـــروايتين.. وهو أنه لن يكون هناك فى الآخرة رصيد لك من الدراهم أو الدنانير حتى تسدد منه حقوق العباد.. الذين ظلمتهم بأكل حقوقهم فى الدنيا.. (وإنما) الرصيد الذى سيكون هناك هو ما يسمى بالحسنات والسيئات..(وحسبك) أن تعلـــم أنـــك إذا لم تكـــن صاحب رصيد كبير من الحسنات فى يوم القيامة فإنك ستكون فى موقف لا تحســـد عليه.. ولا سيما إذا كان رصيدك الأكبر هو السيئات.. التى ستكون غالبا ســـببا فى دخولك النار.. قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾ أى بالحسنات﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾ أى: من الحسنات ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ [القارعة:٦-١١].. (وحسبى) حتى يتضح لى ولك أهم ما يتعلق بالحســـنات والسيئات: أن أذكرك ونفسى بالحديث الآتى [(١)]:

(عن) ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمـــا يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «**إن الله كتب الحسنات ثم بين ذلك فمـــن هـــم بحسنة فلم يعملها: كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها: كتبـــها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلـــم يعملها: كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هَمَّ بها فعملها: كتبها الله سيئة واحدة**» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما بهذه الحروف.

(ثم) يقول بعد نص هذا الحديث: فانظر يا أخى وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمل هذه الألفاظ. وقوله: (عنده) إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله: (كاملة) للتأكيد وشدة الاعتناء بها، وقال فى السيئة التى هَمَّ بها ثم تركها: كتبـــها الله عنـــده حسنة كاملة، فأكدها بكاملة، وإن عملها: كتبها سيئة واحدة فأكد تقليلها بواحدة ولم يؤكدها بكاملة، فلله الحمد والمنة، سبحانه لا نحصى ثناء عليه وبالله التوفيق.

(١) وهو الحديث السابع والثلاثون فى الأربعين النووية.

** (وقد) جاء في الشرح حول قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة**» قوله:

* (وروى) البزار في مسنده أنه ﷺ قال: «**الأعمال سبعة: عملان موجبان، وعملان واحد بواحد، وعمل: الحسنة فيه بعشرة، وعمل الحسنة فيه بسبعمائة ضعف، وعمل: لا يحصى ثوابه إلا الله تعالى.**

(فأما) **العملان الموجبان: فالكفر والإيمان، فالإيمان يوجب الجنة، والكفر يوجب النار** [1]، **وأما العملان اللذان هما واحد بواحد: فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة، ومن عمل سيئة كتبها الله عليه سيئة واحدة**

(وأما) **العمل الذى بعشر حسنات فعمل الحسنة، لقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** [الأنعام:١٦٠] (وأما) **العمل الذى بسبعمائة ضعف، فدرهم الجهاد فى سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾** [البقرة: ٢٦١] **ثم ذكر الله سبحانه وتعالى: أنه يضاعف لمن يشاء زيادة على ذلك. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾** [النساء:٤٠].

فدلت الآية والحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إلى أضعاف كثيرة**» أن العشر والسبعمائة كلمة ليست للتحديد، وأنه يضاعف لمن يشاء ويعطى من لدنه أجرا عظيما، وما لا يحصى ولا يعد، فسبحان من لا تحصى آلاؤه ولا تعد نعماؤه، فله الشكر والنعمة والفضل.

(وأما) السابع: فهو الصوم، يقول الله تعالى فى الحديث القدسي: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به**»: فلا يعلم ثواب الصوم إلا الله تبارك وتعالى.

** (هذا) بالإضافة إلى المصادر الأخرى للحسنات:

* (فعن) أبى ذر رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا للنبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور[2] بالأجور؛ يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم،

---

(١) لما أشار الله تعالى إلى هذا فى سورة البينة من الآية ٦-٨.

(٢) أى: الأموال.

قال: **((أوليس قد جعل الله لكم ماتصدقون: إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمرٌ بمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة))**. قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال: **((أرأيتم إن وضعها فى حرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر))** رواه مسلم.

(ومن) فضل الله تعالى علينا أن قال فى قرآنه: **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾** [هود: ١١٤]، كما أخبر سبحانه وتعالى فى سورة الفرقان بأنه إذا عمل أحدنا معصية — ولو كبيرة— ثم تاب توبة صادقة إلى الله تبارك وتعالى فإن الله تعالى سيمحو سيئاته، بل وسيجعل مكانها حسنات فهو القائل سبحانه وتعالى:

* **﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾** [الفرقان: ٦٨-٧٠].

** (وقد) ورد أن العبد منا إذا عمل حسنة فإن سيدنا رقيب — وهو الملك الموكل بتسجيل الحسنات — يسجلها فورا. (أما) إذا عمل سيئة فإن سيدنا رقيب يقول لسيدنا عتيد — وهو الموكل بتسجيل السيئات — وسيدنا رقيب هو رئيسه -: انتظر عَلَّه يستغفر فيغفر له.. (تقول) الرواية: فينتظره ست ساعات فلكية.. فإن تاب خلال هذه الفترة.. فإن السيئة لا تسجل، و إلا فإن رقيبا يقول له اكتب.. أراحنا الله منه.. (بعكس) المؤمنين.. فإن، الملائكة يستغفرون لهم.. قال تعالى: **﴿.. وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾** [غافر: ٧]..

* (وفى) الحديث القدسى يقول الله تبارك وتعالى: **((إنى والجن والإنس فى نبأ عظيم: أخلق ويعبد غيرى، وأرزق ويشكر سواى، خيرى إلى العباد نازل، وشرهم إلى صاعد، أتقرب إليهم بنعمى وأنا الغنى عنهم، ويتبغضون إلى بالمعاصى وهم أفقر شيء إلَيَّ، مَنْ أقبل إلى تلقيته من بعيد، ومن أعرض عنى ناديته من قريب ؛ فإنى**

أحب التوابين وأحب المتطهرين، أهل ذكرى أهل مجالستى، أهل طاعتى أهل مغفرتى، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى، فإن تابوا إلىَّ فأنا حبيبهم، وإن أعرضوا وأبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب، الحسنة عندى بعشرة أمثالها، والسيئة عندى بواحدة، ومن استغفرها غفرتها له، وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها)).

وما هو المطلوب بعد هذا ؟

(والمطلوب) من الأخ المسلم بعد هذا التذكير إذا كان إن شاء الله تعالى من أهل الحسنات أن يحرص من الآن على أن يكون رصيده منها — يوم القيامة — كاملا لا نقصان فيه.. (وأعنى) بهذا أن لا يكون ظالما لأحد.. حتى لا يكون رصيده هذا من نصيب غيره من هؤلاء الذين أساء إليهم وأكل أموالهم، _ كما جاء فى نص الوصية التى ندور حولها — وكما جاء فى نص الحديث الآخر الذى ينبغى أن تجعله دائما نصب عينيك حتى لا تكون من أهل الإفلاس فى الآخرة.. بل وحتى لا يكون من أهل السيئات بعد أن كان من أهل الحسنات (إنه) إذا كان من أهل السيئات فإنه سيقذف معها فى النار.._ وهو الحديث الذى سبق التذكير به — (عن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**أتدرون من المفلس ؟**)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: ((**إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار**)) رواه مسلم.

* (وعلى) الأخ المسلم أن يتخفف[1] من حقوق العباد.

(فقد) ورد أن رسول الله ﷺ قال لأبى ذر ﷺ فى وصية من أعظم وصاياه: ((**يا أبا ذر: أحكم السفينة فإن البحر عميق**)) والسفينة هى العمل الصالح، والبحر العميق هو الدنيا ((**واستكثر الزاد فإن السفر طويل**)) أى: إلى الآخرة ((**وخفف ظهرك**)) أى

(١) بل عليه أن يتخلص منها بردها إلى أصحابها.

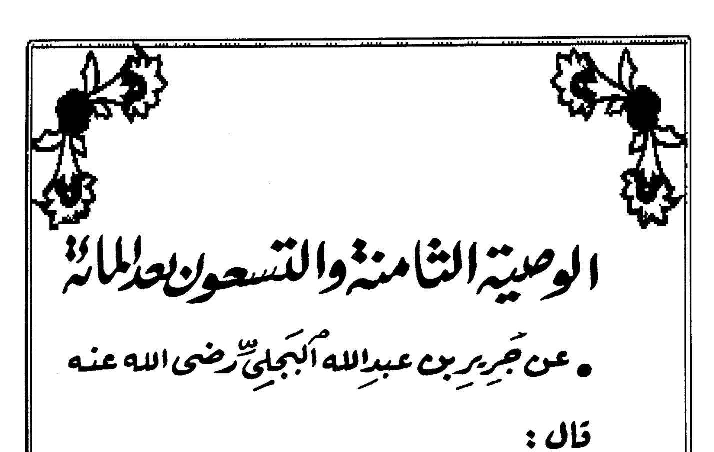
من حقوق العباد «**فإن العقبة كئود**» أى فإن المرتقى سيكون صعبا «**وأخلص العمل فإن الناقد بصير**» [1]: وهو الله تبارك وتعالى الذى لا تخفى عليه خافية، والذى يقول فى قرآنه: ﴿**إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* (وكن) أخا الإسلام على عكس هذا من أهل العدل الذى يأمر الله تعالى بـه بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠]، ولأن العدل إن دام عَمَّر والظلم إن دام دَمَّر — فى الدنيا والآخرة .

والله ولى التوفيق

(١) رواه الإمام المقدسى، وهى الوصية رقم ٣١ من المجموعة الأولى من الوصايا..

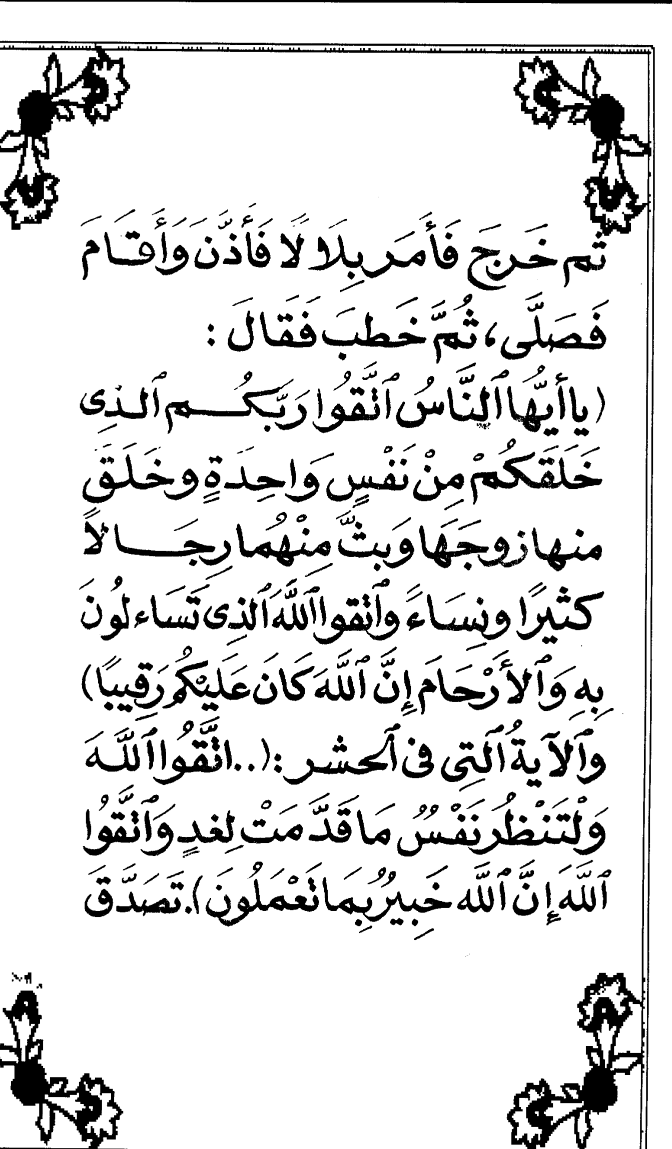




الوصية الثامنة والتسعون بعد المائة

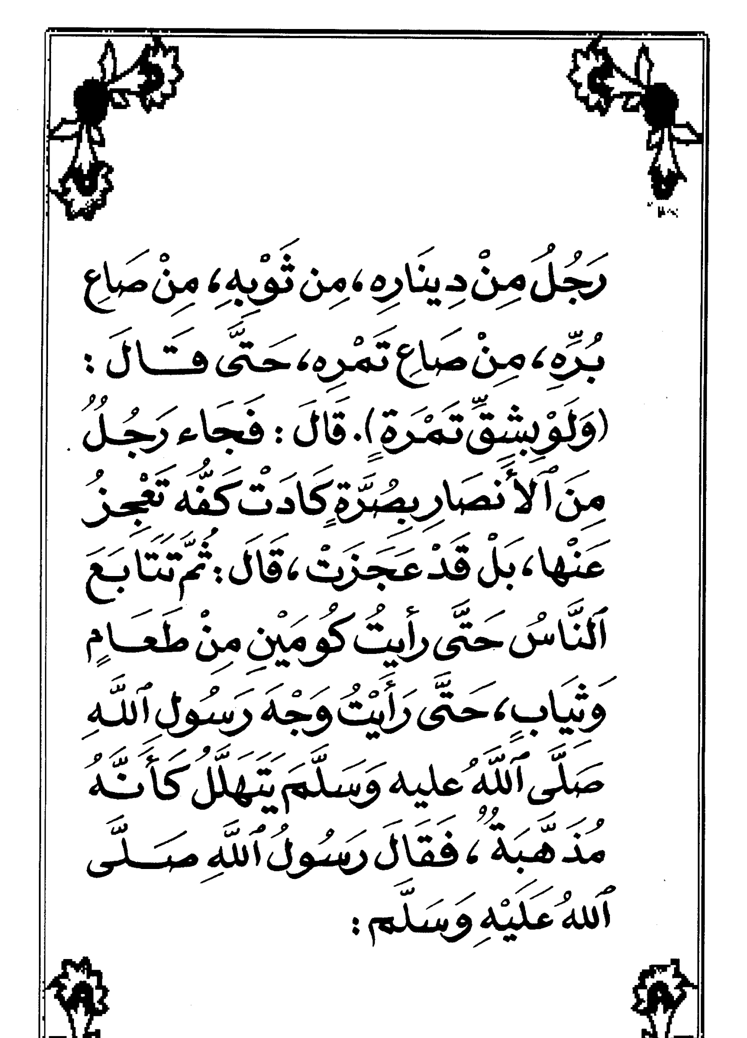
• عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال:

كُنَّا في صدر النَّهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قومٌ غُزاةٌ مُجتابي النِّمار والعباء مُتقلِّدي السُّيوف عامَّتُهم من مُضَر، بل كُلُّهم من مُضَر، فتمعَّر وجهُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لمَّا رأى ما بهم من الفاقة، فدخل،

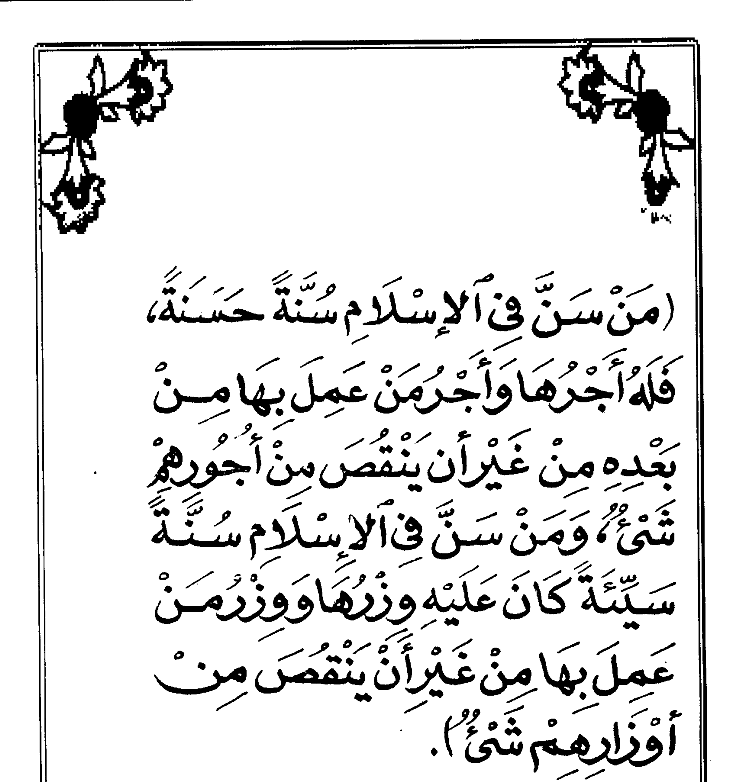


ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلّى، ثُمَّ خطب فقال :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) والآية التى فى الحشر: (..اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون). تصدق

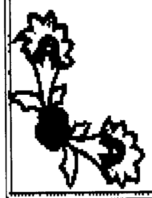


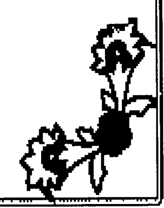
رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ
بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ:
(وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ). قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ
مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ
عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ
النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ
وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ
مُذَهَّبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:



(مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِى الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ).

رواه مسلم، والنسائى، وابن ماجه، والترمذى باختصار القصة.





فكن أخا الإسلام:

من المؤمنين الصادقين المنتفعين بما جاء فى نص هذه الوصية من إشارات وتنبيهات (بل) وحتى تعرف المراد من سياق هذا الحديث الصحيح — الذى بين الرسول ﷺ فى ختامه الفرق بين السنة الحسنة والسنة السيئة. (وهذا) أمر هام ينبغى على الأخ المسلم أن يكون دارسا له حتى لا يكون من الجاهلين المبتدعين الذين يقولون كلاما لا أصل له فى السنة ..

(وقد) أشار[1] فى الجزء الأول من (الدين الخالص) إلى قصة هذا الحديث بعد مقدمة هامة يقول فيها: على العاقل أن يعلم أن جميع أئمة المسلمين على هدى من ربهم، ولا هم لأحدهم إلا الوصول إلى الحق الصحيح، وبيانه بالدليل الصريح، وإرشاد الناس إليه، وحثهم على التمسك به، والاعتصام بحبله، وتنفيرهم من البدع التى حذر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيما رواه العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال: صَلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا**[2]، **فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**» أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال حسن صحيح.

* (وما) إلى ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة فى ذم البدع وأنها ضلالة (فمن) زعم أن بعض البدع فى العبادة قد تكون حسنة، (فقد أخطأ) وذلك لأنه ﷺ أخبر أن كل بدعة ضلالة، فإن لفظ (كُلّ) موضوع للأفراد. فمعنى الحديث: أن كل فرد من أفراد البدع ضلالة. وموضوعه العبادة كما علمت.

---

(١) أى: الإمام خطاب السبكى عليه رحمة الله.

(٢) أى: وإن تأمر عليكم عبد..

(ومن ادعى) أن الحديث دخله التخصيص بحديث: **«من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»** أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(فدعواه) باطلة لأن الحديث إنما ورد فى الحث على مكارم الأخلاق العادية التى بها ارتباط القلوب، واتفاق الكلمة، والقضاء على أسباب التباغض والنفور.

وأيضا، فإن الاستنان فيه ليس المراد به الاختراع [1]، وإنما المراد به العمل بما ثبت من السنة النبوية. (وذلك) لأن سبب الحديث هو الحث على الصدقة المشروعة (فقد) قال جرير بن عبد الله: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صدر النهار، فجاء قوم حفاة عراة مجتابى النمار [2]، متقلدى السيوف، عامتهم، بل كلهم من مضر، فتمعَّر [3] وجه رسول الله ﷺ لما رأى ما بهم من الفاقة [4]، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن، وأقام فصلى، ثم خطب فقال: ﴿**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النساء: ١]، والتى فى سورة الحشر: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ [الحشر: ١٨]، **تَصَدَّقَ رجل من ديناره، من درهمه من ثوبه من صاع بُرِّه، من صاع تمره»** حتى قال: **«ولو بشق تمرة»** فجاءه رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تعجز عنها بل عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى

---

(١) الاختراع: أى الإنشاء وإلا كان تشريعا، وهو ليس لأحد كائنا من كان، قال تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾ وهذا أمر له صلى الله عليه وآله وسلم بالاستقامة و من تاب معه على ما يتزل عليه من عند الله لا من عنده بحسب رأيه وهواه. وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً**﴾ لم يقل الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو المعصوم: بما رأيته، بل ﴿**بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ وفى هذا غاية البيان، لمن شرح الله صدره للاتباع والبعد عن البدع (هامش الدين الخالص) ج١ص٥).

(٢) النمار — جمع نمرة: كساء من صوف مخطط. ومجتابيها: أى لابسيها.

(٣) وتمعر: أى تغير.

(٤) والفاقة: أى الفقر.

رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل كأنه مُذهبة [1]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((من سن فى الإسلام..))** الحديث أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه.

* (قال) فى الاعتصام: فتأملوا أين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة حسنة ؟ تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ على ما يُقدر عليه حتى أتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال: **((من سن فى الإسلام..))** الحديث. فدل على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابى. وهو العمل بما يثبت كونه سنة.

* (وأما) البدعة التى قسموها إلى حسنة وغيرها فهى اللغوية (ومن المعلوم) أن البدع ليست من الدين، فكيف يتقرب به إلى الله عز وجل. وهل يصح من عاقل أن يعبد الله تعالى بغير ما شرع ؟ (وأن) سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم هى فعله وقوله وتقريره. (وأن) ما ترك مع قيام المقتضى فتركه سنة وفعله بدعة: كالأولى والثانية يوم الجمعة: تركها النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع قيام المقتضى وهو التشريع. فتركها سنة (وكذا) الترقية بين يدى الخطيب ورفع الصوت حال السير مع الجنازة، وسائر البدع فى العبادة: تركها مطلوب شرعا لأنها ضلالة يجب البعد عنها (وقد) أجمعوا على أن كل بدعة حدثت رفع مثلها من السنة؛ لحديث غضيف بن الحارث أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: **((ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة))** أخرجه أحمد.

* (وقال) عبد الله بن الديلمى: (بلغنى أن أول ذهاب الدين ترك السنة، يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة) أخرجه الدارمى.

(فالمطلوب): ممن يريد حفظ دينه من الضياع وسلامة عقيدته من الفساد، أن لا يركن إلى أى كتاب ادعى صاحبه استحسان أى بدعة فى العبادة، أو مال إلى عقيدة فاسدة، وإلا ضل وخاب، وغرق فى غياهب التباب [2].

---

(١) أى: مستنيرة صافية.

(٢) أى: الخسران والهلاك.

(هذا) والمعلوم أن الدين هو ما أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه مأمور بتبليغه من غير تغيير ولا زيادة ولا نقص، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: ٣، ٤] وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧] وقال:﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[هود: ١١٢] وقال:﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٨]. وقال: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

(وما) إلى ذلك من الآيات الناطقة بأنه لا مُشَرِّع إلا الله تعالى: (ولو أدرك) المتعرضون للتأليف ذلك ما قالوا بتحسين أى بدعة سيما وأن كل بدعة مردودة بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أحدَثَ فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**» أخرجه الشيخان وأبو داود وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها.

**(ولو عقلوا) أن الأحكام لا تثبت إلا بدليل من الكتاب والسنة. (ما أثبتوا) شيئا من هذه المخالفات فى كتبهم.

* (وإذا) كانت البدع ليست من الدين فما الدليل على حسنها؟ (وهل) الدين كان ناقصا فكمل بالبدع التى ليست منه؟ ألم يبلغهم قول الله عز وجل ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]؟ أم بلغهم و لم يفقهوه؟ أم اعتقدوا أن الدين الذى شرعه الله سبحانه وتعالى كامل ولكن البدع أكمل منه فلذا تركوا العمل بالكثير منه وعكفوا على العمل ببدعهم، وغفلوا عن قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**» أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود ﷺ[1].

** (فعلى) الأخ المسلم أن يفهم كل هذا فهما جيدا وينفذ الصواب فيه.. وهو السنة الصحيحة التى ينبغى عليه أن يعض عليها بالنواجذ كما أوصاه الرسول ﷺ فى حديث العرباض بن سارية — الذى وقف عليه —

(وعليه) كذلك أن يعلم أنه ليست هناك بدعة حسنة فى الدين — أبدا —وإنما من

(١) ارجع إلى الجزء الأول من (الدين الخالص) من ص٤-٨.

الممكن أن تكون فى أمور الدنيا.. بمعنى أنه من الممكن أن يخترع لنا ما شاء من المخترعات النافعة التى تغنينا عن الشرق والغرب – كالأسلحة مثلا– فضلا عن الصناعات التى نحتاج إليها فى السِّلم والحرب.. والتى تكلف بلادنا الكثير والكثير من المليارات..

(أما) بالنسبة للدين فلا اختراع فيه لأن النبى ﷺ لم ينتقل إلى جوار ربه وهنـاك ثغرة فى الإسلام لم تُسد.. لم ينتقل إلى جوار ربه إلا بعد أن تركنـا علـى المحجـة البيضاء.. ليلها كنهارها.. لا يزيغ عنها إلا هالك.

** (ولهذا) فقد قال الأئمة الأعلام لأصحابهم خذوا العلم من حيث أخذنا، أى: من الكتاب والسنة (وقالوا): نحن بريئون ممن يخالف الكتاب والسنة، (وقالوا) : ليس لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الله لم يجعل لأحـد معـه كلاما وجعل قوله يقطع كل قول.

(وقال) الشافعى فى رسالته: إذا وجدتم قولى يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعملوا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضربوا بقولى عُرض الحائط.

(وقال) مالك رحمه الله: من استحسن بدعة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة (وقـال): ما لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وآله وسلم دينًا لم يكن اليوم دينا. ا.هـ[1]

فاعمـل بآثـار النبى	فإنمـا النـور المبين
واقبـل نصـيحتها ففيهـا	العـز والشـرف المكـين
واشـدد بالشـريعة	إنمـا السـبب المـتين
خـير البريـة أحمـد	والحـق صـحبه اليقين
زان النبيـون الـورى	ومحمـد لهـمُ يـزين
هـاد إلى طـرق النجـاة	مؤيَّـد فيهـا أمـين
والهـج بمـدح الهـاشمى	فإنـه الحصـن الحصـين
ولـئن فعلـت فلـن تفـو	تـك بعـد ذا دنيـا وديـن[2]

** (هذا) ولما كان موضوع الوصية، هو والترغيب فى الصدقة والتقرب إلى الله

(١) كما جاء فى (الجزء الأول من (الدين الخالص) ص ٣ بتصرف.
(٢) كما جاء فى المقامات العلية..للإمام محمود خطاب السبكى.. عليه رحمة الله.

تبارك وتعالى بها..(فقد) رأيت أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة المرغبة في هذا.. عسى أن تكون حافزة له في التقرب إلى الله تعالى بالصدقات التي لا منّ فيها ولا أذى:

* (فعن) أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((من نفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأ به عمله لم يُسرعْ به نسبه))** رواه مسلم بهذا اللفظ.

** (وقد) قرأت في الأربعين النووية، حول قوله ﷺ: **((مَنْ نَفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة..))**.

* (قوله): فيه دليل على استحباب القرض الحسن، وعلى استحباب خَلاص الأسير من أيدي الكفار بمال يعطيه، وعلى تخليص المسلم من أيدي الظلمة، وخَلاصه من السجن..

(وفي) الحديث سرٌّ مكتوم يظهر بطريق اللازم للملزوم، وذلك أن فيه وعدا بإخبار الصادق أن من نفس الكربة عن المسلم يختم له بخير ويموت على الإسلام، لأن الكافر لا يُرحم في دار الآخرة، ولا ينفس عنه من كربه شيء، ففي الحديث إشارة إلى بشارة تضمنتها العبارة الواردة عن صاحب الإمارة، فبهذا الوعد العظيم فليثق الواثقون، لمثل هذا فليعمل العاملون فأفضل العمل تنفيس الكُرب.

(وفي) الحديث دليل على استحباب ستر المسلم إذا اطلع عليه أنه عمل فاحشة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [النور: ١٩]، والمستحب للإنسان إذا اقترف ذنبا أن يستر على نفسه.

(وأما) شهود الزنا فاختلف فيهم على وجهين:

أحدهما: يستحب لهم الستر.

والثاني: الشهادة.

(وفصَّل) بعضهم فقال: إن رأوا مصلحة فى الشـهادة شـهدوا، أو فى السـتر ستروا.... إلخ [1]

* (وقد) قرأت كذلك حديثا شريفًا يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه لأُمِّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها: **«يا عائشة اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة»** رواه أحمد بإسناد حسن.

* (وقال) القرطبى ﷺ أن عائشة رضى الله عنها تصدقت برغيف لا تملك غيره، وكانت صائمة، فقالت لها خادمتها فى ذلك، وإذا برجل قد أهدى لها شاة مكفنـة، فقالت عائشة رضى الله عنها: هذا خير من رغيفك).

قال القرطبى: كان العرب يلبسون الشاة عجينا ويجعلونها فى التنور.

* (وعن) أبى هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخـر: اللـهم أعط ممسكا تلفا»** متفق عليه.

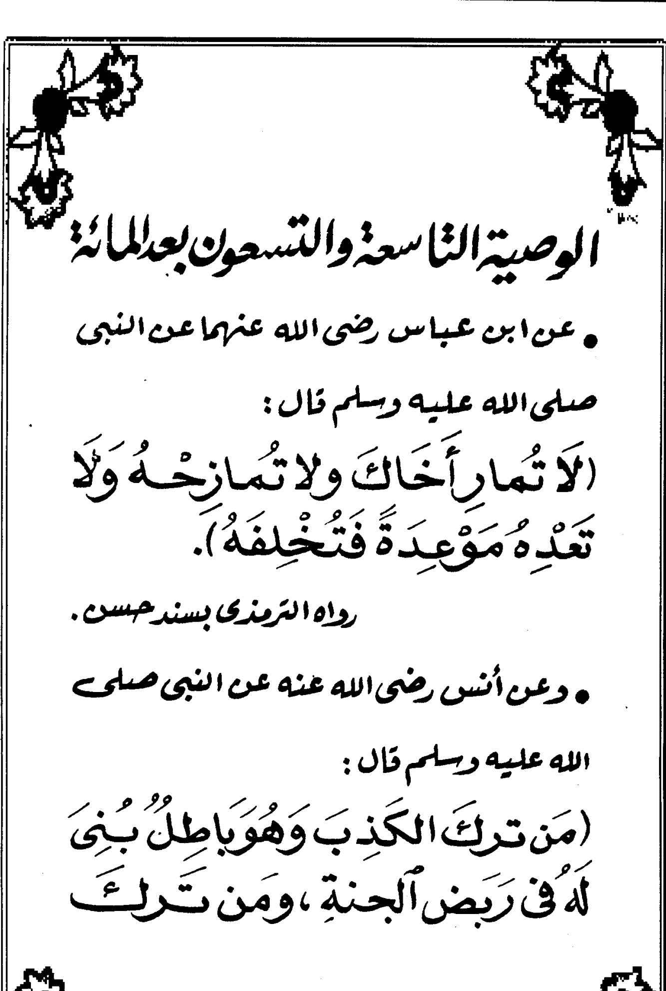
(فاذكر) كل هذا أخا الإسلام..

وقـدم لنفسـك خـيرا	**وأنـت مالـك مالـك**
مـن قبـل تصـبح فـردا	**ولـون حالـك حَالـك[2]**
ولسـت والله تـدرى	**أىّ المسـالك سـالك**
إمـا لجنـة عـدن	**أو فى المهالـك هالـك.**

* (وإياك.. إياك) أن تكون بخيلا.. (فعن) جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُحَّ فإن الشح أهلك مـن كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»** رواه مسلم.

والله ولى التوفيق

(١) على الأخ المسلم أن يرجع إلى الحديث.(٣٦) فى الأربعين النووية ليقرأ شرح ما بقى من الحديث.
(٢) حالك : الثانية أى مظلم.



الوصية التاسعة والتسعون بعد المائة

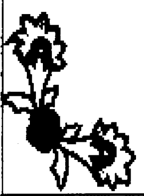
• عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

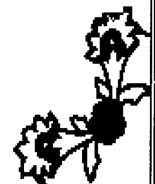
(لَا تُمارِ أَخَاكَ ولا تُمازِحْهُ وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدَةً فَتُخْلِفَهُ).

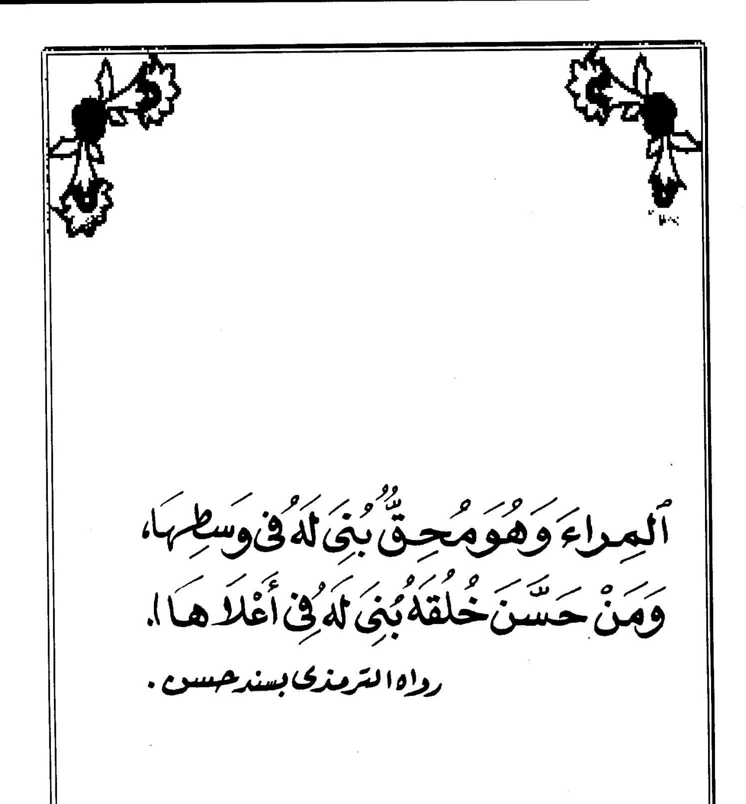
رواه الترمذى بسند حسن.

• وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(مَن تركَ الكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ بُنِيَ لَهُ فى رَبَضِ الجنةِ، وَمَن تَرَكَ

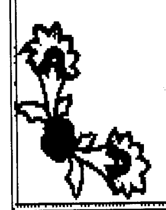
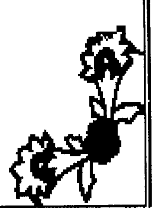






الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا،
وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا.

رواه الترمذي بسند حسن.

فكن أخا الإسلام:

منتفعًا بهذه الوصية العظيمة التى لابد وأن ننفذ المراد منها كمؤمنين صادقين إن شاء الله.. ولاسيما بالنسبة للمراء أو الجدال الذى نهينا عنه فى أول الوصية مع ملاحظة أن المراء والجدال بمعنى واحد وهو المجادلة والمغالبة، وهو مذموم لأنه ينبت العداوة بينهما.. و المراء يجلب الحقد والعداوة..

** (وقد) يجلب خيرا كما سجل الله تبارك وتعالى هذا فى سورة (المجادلة) أى المحاورة فى الكلام والمغالبة فيه بحق أو باطل، (والمراد هنا) المحاورة فى الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله - ﷺ فإن تلك المرأة - وهى خولة بنت ثعلبة ابن مالك الخزرجية - قد أصابها من ألم الفراق ما حملها على إكثار الكلام مع رسول الله ﷺ وترديد الكلام معه.

(فقد) روى[1] أنها كانت حسنة الجسم، فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة فى الصلاة فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها، فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت، فغضب عليها، وكان به لمم [2] فأصابه بعض لممه، فقال لها: أنت على كظهر أمى.

ثم ندم علىَ ما قال - وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية - فقال: ما أظنك إلا قد حَرُمْت علىَّ.. فقالت: والله ما ذاك إلا طلاق، فأتت رسول الله وعائشة تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالى وأفنى شبابى، وتفرق أهلى، وكبر سنى: ظاهر منى، وقد ندم، فهل من شيء يجمعنى وإياه تنعشنى به ؟ فقال رسول الله ﷺ: **((حَرُمْت عليه))**، فقالت: يا رسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق، وإنه أبو ولدى، أحبُّ الناس إلىَّ، فقال رسول الله ﷺ: **((حرمت عليه))** فقالت: أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى، قد طالت له صحبتى ونقضت له بطنى، فقال رسول الله ﷺ : **((ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر فى شأنك بشيء))** فجعلت تراجع رسول الله ﷺ،

(١) كما جاء فى (حاشية الصاوى على الجلالين) ج٤ص١٤٠ وما بعدها.
(٢) وهو طرف من الجنون.. (مختار الصحاح).

وإذا قال لها رسول الله ﷺ «**حرمت عليه**» هتفت وقالت: أشـــكوا إلى الله فـــاقتى ووحدتى، وشدة حالى، وإن لى صبية صغارا إن ضممتهم إلىَّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا.. وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم أشكو إليك، اللهم أنزل على لسان نبيك فرجى — فكان هذا أول ظِهار فى الإسلام — فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فقالت: انظر فى أمرى جعلنى الله فداك يا رســـول الله، فقالـــت عائشة: أقصرى حديثك ومجادلتك، أما رأيتِ وجه رسول الله ﷺ — وكان إذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السبات أى النوم — فلما قضى الوحى، قـــال: «**ادعـــى لى زوجك**»، فدعته فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...**﴾ الآيات إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: ١:٤].

(وروى) الشيخان (عن) عائشة رضى الله عنها قالت: الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة خَوْلَة إلى رسول الله ﷺ وكلمته وأنا فى جانب البيت وما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**﴾ الآيات، فقال ﷺ لزوجها: «**هل تستطيع العتـــق**»؟ فقـــال: لا والله إنى إن أخطأنى الأكل فى اليوم مرة أو مرتين كل بصرى، وظننت أنى أموت.. قال: «**فأطعم ستين مسكينا**»، قال: ما أجد إلا أن تعيننى منك بمعونة وصلة.. فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكينا.

(وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها فى زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله، فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تُدْعَى عميرا، ثم قيل لك: يا عمر، ثم قيل لك: يا أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف من الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف من العذاب، وهو واقف يسمع كلامها.

(فقيل) يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف ؟ فقال: والله لو حبســـتنى من أول النهار إلى آخره، لا زلت، إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجـــوز ؟ هى: (خولة بنت ثعلبة) سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر.؟.

(ثم) إليك أخا الإسلام تفسير الآيات إجمالا -كما جاء فى تفسير الجلالين — إتماما للفائدة، فإليك:

﴿ *قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ أى: تراجعك أيها النبى ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها وكان قال لها: أنت علىَّ كظهر أمِّى.. وقد سألت النبى ﷺ عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار موجبه فرقة مؤبدة وهى: خولة بنت ثعلبة، وهو أوس بن الصامت [1] ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحدتها وفاقتها وصبية صغارا إن ضمتهم إليها جاعوا، أو إليه ضاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أى: تراجعكما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أى: عالم ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ أصله يتظهرون ﴿مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ﴾ بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أى للمظاهر بالكفارة ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أى: فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها الذى هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] أى: إعتاقها عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ أى بالوطء، هذا قول للشافعى قديم، وفى الجديد: إنه الاستمتاع بما بين السرة والركبة، (وعند) مالك بالوطء ومقدماته ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أى: رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ أى: الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه، أى من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد لكل مسكين مد من غالب قوت البلد — ظاهره أنه مد النبى ﷺ، وعليه الشافعى.

وقال مالك: إنه مد هشام بن عبد الملك، وكان يزيد على مد النبى ﷺ ثلثا تشديدا على المظاهر بخلاف باقى الكفارات، فالمراد به مد النبى ﷺ، وقدر الجميع تقريبا عن الشافعى فى زماننا ثلاثون قدحا بالمصرى، لكل مسكين نصف قدح (وعند مالك) أربعون قدحا لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر.

﴿ذَلِكَ﴾ أى: التخفيف فى الكفارات ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ﴾ أى الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أى: بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أى: مؤلم.

(١) أخو عبادة بن الصامت رضى الله عنهما.

** (فلتكن) المجادلة من هذا النوع الذى وقفنا عليه.. حتى نكون فى نهايته من أهل العلم النافع الذى يبصرنا بحدود الله التى ينبغى علينا أن لا نتعداها ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

** (وإياك) أن تجادل غيرك فيما ليس مفيدا..كتلك الأمور التى اختلف فيها العلماء والفقهاء.. والتى غالبا ما تؤدى إلى ما لا يحمد عقباه من الفتن ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.. [البقرة: ١٩١]..

**(والتى) منها مثلا موضوع:

المتشابه فى القرآن والسنة

* (فقد) أجمع السلف والخلف رضى الله عنهم على أنها مصروفة عن ظاهرها، لقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] وقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(ثم) اختلفوا فى بيان معانى تلك الآيات والأحاديث.

* (فالسلف) يفوضون علم معانيها إليه تعالى ، فيقولون: إن الاستواء فى آية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، مع جزمهم بأنه جل جلاله يستحيل عليه الاستقرار على العرش، أو اتصاله به، أو جلوسه عليه، لأنه تعالى إله قديم موصوف باستوائه على العرش قبل خلق العرش، لأن القرآن الذى منه هذه الآيات قديم موجود قبل إيجاد العرش.

(فكيف) يعقل أنه تعالى استقر على عرش غير موجود ؟ (ولما) خلق الخلق لم يحتج إلى مكان يحل فيه، بل هو غنى عنه. فهو تعالى لم يزل بالصفة التى كان عليها.

* (والخلف) يقولون فيها: الاستواء معناه الاقتدار والتصرف أو نحو ذلك، ومذهب السلف أسلم، لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى فى الآية غير ما فسرها به الخلف..

(قال) فى روح البيان: يقال لمن قال: إن لله تعالى مكانا: أين كان قبل خلق هذه العوالم ؟ ألم يكن له وجود متحقق ؟ فإن قالوا: لا، فقد كفروا، وإن قالوا بالحلول والانتقال، فكذلك، لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور

كمالاته، لكن لا من حيث أنه حادث مطلقا، بل من حيث إن وجوده مستفاض منه، فافهم.ا. هـ.

(قال) أيضا: من يثبت له تعالى مكانا فهو من المجسمة. ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى فى كل مكان، ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف ا.هـ.

(والعلماء) الزائغون عن الحق هم الذين ذمهم الله تعالى بقوله:﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٧]، وأى فتنة أفظع من كونهم كفروا بالله تعالى لاعتقادهم أن الله تعالى جالس على العرش، أو له مكان أو حل فى جهة زعما منهم أن ظاهر الآيات والأحاديث يدل على ذلك، وكفر بسببهم كثير من جهلة العوام ضعفاء العقول كما شاع فى كثير من البقاع فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

** (فلا تكن) أخا الإسلام من الزائغين عن الحق (وإنما) كن من الراسخين فى العلم الذين يقولون فى المتشابهات:﴿...**آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٧، ٨].

** (وأما) المزاح الذى نهينا عنه كذلك فى نص الوصية..(فقد) ورد فيه أن النبىﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقا..

* (فعن) أبى هريرةرضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: **((إنى لا أقول إلا حقا))**. رواه الترمذى.

* (وعن) أنسرضي الله عنه قال: إن كان النبىﷺ ليخاطبنا حتى يقول لأخ له صغير: **((يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَير))** متفق عليه.

* (وعن) أنس أن رجلا استحمل رسول اللهﷺ، فقال: **((إنى حاملك على ولد ناقة))**، فقال: ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول اللهﷺ: **((وهل تلد الإبل إلا النوقُ؟))** رواه الترمذى وأبو داود.

* (وعنه) أن النبىﷺ قال له: **((يا ذا الأذنين))**. رواه أبو داود والترمذى.

* (وعنه) أن النبى ﷺ قال لامرأة عجوز: «**إنه لا يدخل الجنة عجوز**»، فقالت: وما لهن ؟ وكانت تقرأ القرآن. فقال لها: «**أما تقرأين القرآن**: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً**﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٦] رواه رزين. وفى شرح السنة بلفظ المصابيح.

** (فليكن) مزاحك من هذا النوع البرىء الذى لا هزل فيه.. وإياك إياك أن تكون من الذين يضحكون الناس بمثل هذا المزاح الباطل الذى هو من صنع الشيطان وتزيينه (فعن) بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له**» رواه أحمد والترمذى وأبو داود والدارمى.

(وعن) أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليقول الكلمة — لا يقولها إلا ليضحك بها الناس — يهوى بها أبعد مما بين السماء والأرض، وإنه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه**» رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

** (وأما) عن العنصر الثالث المنهى عنه فى نص الوصية، وهو: «**أن تعده موعدة فتخلفه**»: لأن المنهى عنه هذا من أهم صفات المنافقين الذين هم ﴿**فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [النساء: ١٤٥] .

* (فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**أربع مَنْ كُنَّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» متفق عليه.

** (ولهذا) فإن المؤمن الصادق لابد وأن يكون وفيا بوعده (فعن) جابر قال: لما مات رسول اله ﷺ وجاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمى، فقال أبو بكر: (من كان له على النبى ﷺ دين أو كانت له قِبَلَهُ عِدَةٌ فليأتنا. قال جابر: وعدنى رسول الله ﷺ أن يعطينى هكذا وهكذا فبسط يديه ثلاث مرات. قال جابر: فحثا لى حثية، فعددتها فإذا هى خمسمائة، وقال: خذ مثليها) متفق عليه.

* (وعن) عبد الله بن الحسماء قال: بايعت النبى ﷺ قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها فى مكانه، فنسيت. فذكرت بعد ثلاث، فإذا هو فى مكانه، فقال: «**لقد شققت على، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك**». رواه أبو داود.

* (وعن) عبد الله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما – ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا – فقالت ها تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أردت أن أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما أنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة**» رواه أبو داود والبيهقى فى شعب الإيمان.

** (فليكن) خلقك أخا الإسلام على هذا الأساس الإيمانى حتى لا تكون من المنافقين والعياذ بالله..

اللهم إلا إذا كان هناك عذر قاهر منعك من الوفاء بالوعد.. وإلا فلا.

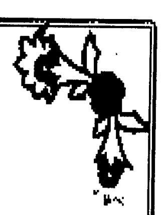
** (ثم) حسبك أن تفوز بالمشار إليه فى نص الحديث الثانى، وهو: «**من ترك الكذب وهو باطل بُنى له فى ربض الجنة**» أى فى الفضاء المحوط بها حولها «**ومن ترك المراء وهو محق بُنى له فى وسطها، ومن حَسَّن خلقه بُنى له فى أعلاها**» رواه الترمذى بسند حسن.

** فعلى الأخ المسلم أن ينفذ المراد من كل هذا التذكير النافع إن شاء الله. و لاسيما بالنسبة لترك الكذب بصفة خاصة.. لأن المؤمن لا يكذب أبدا.. (وكذلك) بالنسبة لحسن الخلق.. لأنه لن يكمل إيمانه إلا بحسن الخلق.

* (فعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا**» رواه أبو داود والدرامى.

* (وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم كما حسنت خَلْقى فأحسن خُلُقى**» رواه أحمد.

والله ولى التوفيق

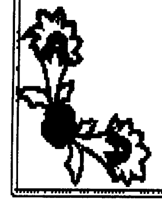
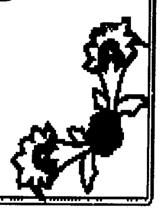
الوصية المائتان

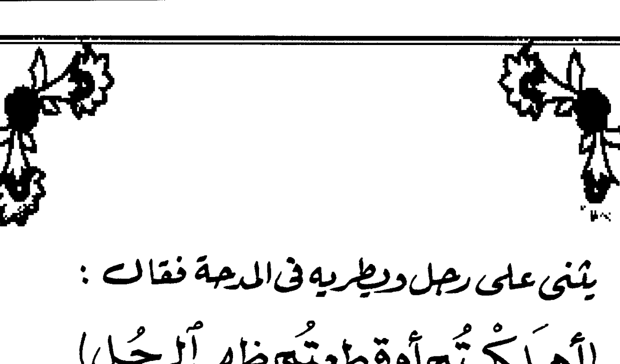
● جاء رجل فأثنى على عثمان رضي الله عنه في وجهه فأخذ المقداد بن الأسود ترابًا فحثا في وجهه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ)

رواه أبو داود ومسلم والترمذي

● وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً



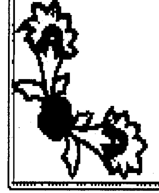
يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال :

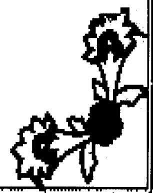
(أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل)

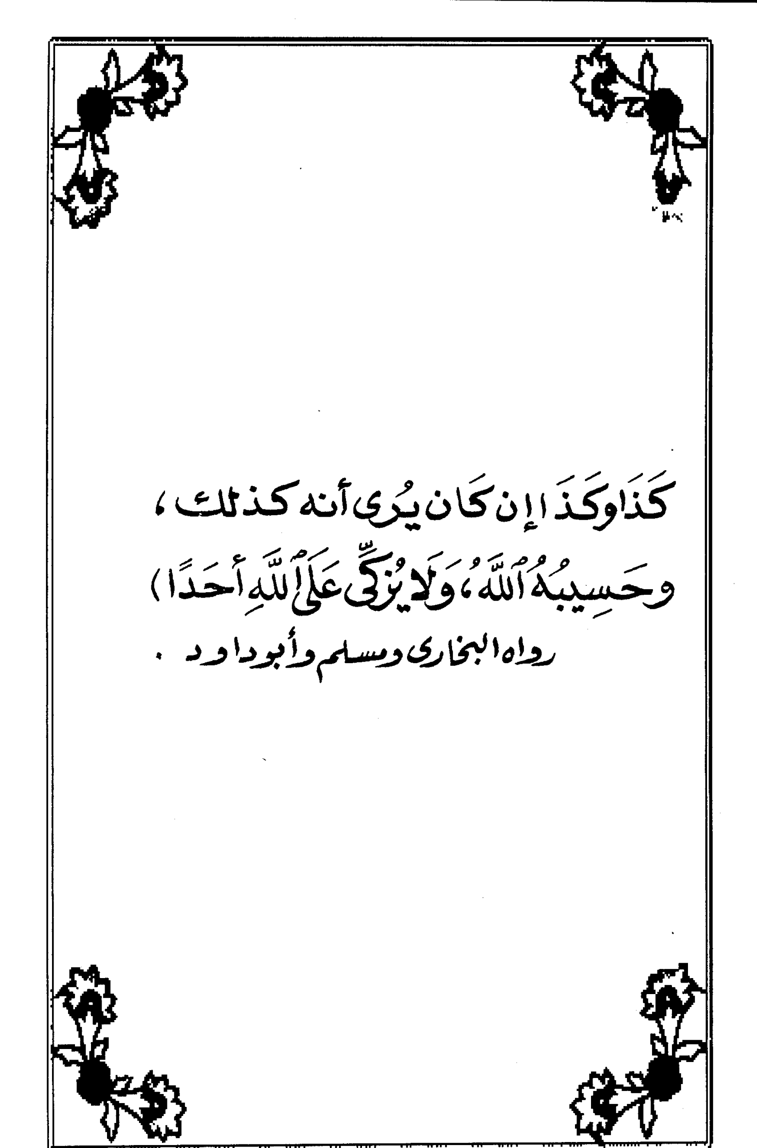
رواه الشيخان.

• وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال :
ذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(ويحك قطعت عنق صاحبك، يقوله مراراً : إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب







كَذَا وكَذَا إن كان يُرى أنه كذلك ، وحَسِيبُهُ ٱللَّهُ ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى ٱللَّهِ أَحَدًا)

رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

فكن أخا الإسلام:

من المؤمنين الصادقين الذين يأبون مدح المداحين الكذابين المنافقين الذين يستأكلون به الممدوحين المهزوزين.. الذين غالبا ما يفتتنون بمثل هذا المدح العارى من الحقيقة التى لا صلة للممدوح بها.. فقد يكون من أفسق الفساق الذين لا خلاق لهم..

** (ولهذا) فإن النبى ﷺ يعلمنا أمرا هاما — وهو المشار إليه فى الحديث الثالث— الذى جاء فيه أننا إذا أردنا أن نمدح إنسانا يرى منه الخير.. فلنقل أو فليقل أحدنا: «**أحسبه كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله، ولا يزكّى على الله أحدًا**».

(وذلك) حتى نكون قد احتطنا لأنفسنا من مثل هذا النفاق الذى ينبغى علينا أن نتزه أنفسنا عنه.. سواء كنا من المادحين أو من الممدوحين الذين كثيرا ما يُضحك عليهم بمثل هذا القول المعسول الذى لا صلة له بالواقع المشاهد عن قرب من جانب هؤلاء الممدوحين المخدوعين.

(وكان) ينبغى عليهم أن يعلموا أنهم من التراب وإلى التراب سيعودون إن عاجلا وإن آجلا.. (وأن) كل واحد منهم قد مر بمخرج البول مرتين — من الأب عند لقائه بالأم، ومن الأم عند الولادة — (وأنهم) لولا تكريم الله تعالى لهم بالعقل لكانوا كالأنعام بل أضل..

(هذا) بالإضافة إلى إكرام الله تعالى لهم بالإسلام الذى لولاه لكانوا من أحط الأمم.. ﴿**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

** (وحسبي) أن أذكرهم ونفسى بكلام طيب قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان قد سمع قوما يمدحونه: (اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون، ولا تؤاخذنى بما يقولون) .

* (وهذا) معناه: أن الإنسان منا لابد أن يفهم جيدا أن الله تعالى وحده هو الذى يعلم حقيقتة.. فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النجم: ٣٢].

* (وقد) قرأت أن الأصمعي – الشاعر – سمع شابا يناجى ربه فيقول:

ألا أيها المقصــود فى كــل وجهــة	**شكوت إليك الضُّر فارحم شـكايتى**
ألا يا رجائى أنت تكشــف كُــربتى	**فهب لى ذنوبى كُلَّها واقض حــاجتى**
أتيــتُ بأعمــال قبــاح رديئــة	**وما فى الورى عبد جــنى كجنــايتى**
أتحــرقنى بالنــار يــا غايــة المــنى	**فــأين رجــائى ثم أيــن مخــافتى**

(يقول) الأصمعى: ثم سقط مغشيا عليه فدنوت منه فإذا هو زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أجمعين، فرفعت رأســه فى حجــرى وبكيــت فقطرت دمعة على خده، فقال: من هذا الذى يهجــم علينــا ؟ فقلــت: عُبَيْــدُك الأصمعى: سيدى ما هذا البكاء والنحيب، وأنت من أهل بيت الحبيب.. والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[الأحزاب: ٣٣]؟

فقال: هيهات هيهات إن الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كــان عبــدًا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان شريفا قُرشيا.. أليس الله تعالى يقــول: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠١، ١٠٢].

أنسيتَ يا هذا أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «**إنى لأخوفكم من الله وأشدكم لــه خشية**» (وأنه) صلوات الله وسلامه عليه قال لابنته الزهراء رضى الله عنها: «**اعملي فإني لا أُغنى عنك من الله شيئا**» ؟

أنسيتَ يا هذا (أن) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ– وهو الذى أعزَّ الله به الإسلام – كان دائم البكاء لدرجة أنك كنتَ ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع، وأنك كنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى مــن شــدة الخوف من الله تبارك وتعالى، (وكان) يقول: ليت أُمىِّ لم تلدنى ليتَ أم عمر لم تلد عمر.. (بل) كان يقول: ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر – حتى يدخل الجنة معــه – (مع) أن أبا بكر الصديق ﷺ– الذى تمنى عمر أن يكون شعرة فى صدره – كان يقول: (لو كانت إحدى رِجْلَىَّ فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله – أى من عذابه– ؟

وظل يذكره بكل هذا ونحوه إلى أن أبكاه، ثم قال له ناصحا، فـــ:

يـــا أيهـــا المغـــرور قـــم وانتبـــه ... قد فاتك المطلـــوب والركـــب ســـار

إن كنـــت أذنبـــت فقـــم واعتـــذر ... إلى كـــــريم يقبـــــل الاعتـــــذار

وانهـــض إلى مـــولى عظـــيم الرجـــا ... يغفـــر بالليـــل ذنـــوب النـــهار

* (وقرأت) كذلك (أن) خامس الخلفاء الراشدين — عمر بن عبد العزيز ﷺ — بعد أن أصبح أميرا للمؤمنين، دخل عليه أحد الشعراء المداحين لكى يلقـــى أمامـــه قصيدة كان قد أعدها خصيصا له.. لكى يفوز بصُرَّة من الدنانير.. (فلمـــا) وقـــف يمدح بكلام معسول.. قال له عمر ﷺ : لا تسترسل فى حديثك. فوالله لو رأيـــتنى بعد ثلاثة أيام من دفنى فى القبر لفررتَ منى.

(نعم) حسب الإنسان منا أن يزور المقابر لكى ينظر فيها، أو لكـــى يـــوارى فى داخل قبر منها فلانا من الناس كان فى يوم ما يرى أنه كذا وكذا..

(ثم) حسبه أن ينظر من خلال هذا إلى تلك العظام النخرة المبعثرة فى القبر، والتى كانت قبل هذا تشكل جسدا مغرورا مغمورا فى شهواته وملذاته..(وأن) يتذكر من خلال هذا ، قول ثابت البنانى رحمه الله: دخلت المقابر لأزور القبور وأعتبر بالموتى، وأتفكر فى البعث والنشور، وأعظ نفسى لعلها ترجع عن الغى والغرور، فوجـــدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون، وفُرادى لا يتزاورون، فأيست من مقالهم، واعتبرت بأحوالهم، فلما أردت الخروج، إذ أبْصرتُ من يقول لى: يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها، فكم فيها من نَفْسٍ معذبة أو مُتَعَّة.

*(ويروى) أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فوقف عند رأســـه وأنشد يقول:

مالى مررت علـــى القبـــور مُسَـــلِّمًا ... قـــبر الحبيـــب فلـــم يَـــرُدَّ جـــوابى

أحبيـــب مالـــك لا تجيـــب مناديـــا ... أَمَلَلْـــت بعـــدى خلـــة الأصـــحاب

قال فهتف بى هاتف من جانب القبر يقول:

قال الحبيـــب وكيـــف لى بجـــوابكم ... وأنـــا رهـــين جنـــادل وتـــراب

أَكَـــل التـــراب محاســـنى فنســـيتكم ... وحجبت عن أهلى وعـــن أصـــحابى

وتمزقت تلك الجلود صفائحا ... يا طالما لبست رفيع ثياب
وتساقطت تلك الأنامل من يدى ... ما كان أحسنها لخط كتاب
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا ... ما كان أحسنها لرد جواب
وتساقطت تلك العيون على الثرى [1] ... يا طالما نَظَرتْ بهم أحبابى

* (وقيل): مر داود الطائى بامرأة تبكى عند قبر وهى تنشد وتقول:

عُدمْت الحياة فلا نلتُها ... إذا أنت فى القبر قد أوْ سَدُوكا
وكيف ألذ بطعم الكَرَى [2] ... وها أنت فى القبر قد أفردوكا

ثم قالت: يا أبتاه، بأى خد بدأ الدود أولا.. فخر داود مغشيا عليه من كلامها.

* (وقال) مالك بن دينار رحمه الله: أتيت القبور على سبيل الله والتذكار والتفكر فى الموت والاعتبار، فتمنيت من يخبرنى عنهم خبرا، أو يقص لى من آثارهم أثرا، فقلت شعرًا:

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانه ... وأين العزيز إذا ما افتخر

(قال): فنوديت من بين القبور:

تفانوا جميعا فلا مُخبْرٌ ... وماتوا جميعا وأضحوا عبَر
وساروا إلى ملك عادل ... عزيز مطاع إذا ما أمر
فيا سائلى عن أناس مضوا ... أما لَكَ فيمن مضى معتبر

(قال) مالك: فرجعت أبكى بالدموع الغزار، وأعتبر بذلك أىَّ اعتبار.

** (نحن) كذلك نريد أن نعتبر بكل هذا أى اعتبار.. حتى لا نغتر بمدح المداحين.. أو حتى لا نكون من الممدوحين المخدوعين.. الذين ينبغى عليهم أن يعرفوا حدودهم..

(وعلى) المداحين كذلك أن يثوبوا إلى رشدهم حتى لا يكونوا سببا فى ضياع الممدوحين بسبب انخداعهم بأقوالهم التى نبرأ إلى الله تعالى منها..

---

(١) أى: التراب.
(٢) أى: النعاس.

** (وحسبى) بعد ذلك أن أعود بالأخ المسلم إلى توضيح بعض الكلمات الواردة فى نص الوصية والروايتين اللتين جاءتا بعدها:

* (فمعنى) قول الرسول ﷺ: **((فاحثوا التراب فى وجوههم))** أى: خيبوهم فلا تعطوهم شيئا.. وحمل بعضهم الحديث على ظاهره.. وهذا بالنسبة لقوم اتخذوا المدح عادة وبضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتنونه.. (أما) من يمدح على فعل حَسَن وخُلُق كريم فلا يسمى مَدَّاحا.

* (ومعنى): **((يطريه فى المدحة))** أى: يبالغ فى مدحه.

* (ومعنى): **((أو قطعتم ظهر الرجل))**: أن كثرة المدح ربما تغريه.

* (ومعنى): **((يقول مرارا))**: أى كرر قوله مرارا.

* (ومعنى): **((إن كان أحدكم مادحا..))** أى: إن كان لابد من المدح، فليقل: إنى أظنه كذا وكذا لما يراه منه، ولا يزكى على الله أحدا، أى: لا يقطع على عاقبته، ولا على ما فى ضميره، فإنه لا يعلم ذلك إلا الله تعالى.

** (فعلى المداحين والممدوحين): أن يتوبوا إلى الله تبارك وتعالى، وأن يكونوا من الصادقين لا من الكذابين.. أى المنافقين الذين لا هَمَّ لهم إلا أن يفسدوا فى الأرض..

* ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ [البقرة:١٦]: نسأل الله تعالى أن ينقذنا منهم، ومن ضلالهم وخداعهم، وأن يجعلنا إن شاء الله من المتواضعين الراشدين.. الناصحين..

اللهم آمين

** (وكان الانتهاء — بتوفيق من الله تبارك وتعالى — من شرح المائة الثانية، من (وصايا الرسول ﷺ) بعد أذان فجر يوم الثلاثاء — الثانى من شهر صفر عام ١٤٢٠ هـ الموافق ١٨ من شهر مايو ١٩٩٩م .

** (وإذا) كان لى أن أعلق بكلمة موجزة على كل هذا الخير الذى أكرمنى الله تبارك وتعالى بالتعليق به على المائة الثانية من الوصايا..

* (فإنى) أذكر الأخ المسلم..بأنه سيجد فيها ضالته المنشودة.. من العلم والحكمة..(بل) ومن الأحكام الفقهية.. التى كما سيرى كان لزاما عليه.. أن يقف عليها.. حتى يكون من المشار إليهم فى الحديث الصحيح — الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه: **((من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين))** (١)

* (ولسوف) يرى الأخ المسلم كذلك.. أنه سيجد بين يديه موسوعة علمية.. دينية.. ستغنيه عن كثير من المراجع الدينية التى قد لا يستطيع الحصول عليها.. أو العثور عليها.. أو ربما لا يستطيع شراءها لارتفاع أسعارها فى هذا الزمان.

* (وعلى) الأخ الواعظ بصفة خاصة أن ينتفع بها فى خطبه ودروسه.. كما انتفع بالمائة الأولى من (وصايا الرسول ﷺ) تلك التى ذاعت وشاعت وملأت البقاع..

حتى أصبح الآن — بتوفيق من الله — أهم مرجع يرجع إليه الأخوة الوعاظ على جميع المستويات...(بل) وفى جميع أنحاء العالم..(وهذا) من فضل الله على... وكل ما أرجوه من الإخوة المسلمين القارئين للوصايا — الأولى والثانية(٢) — أن يدعوا لى ولجميع مرضى المسلمين بالشفاء.. وبالرحمة والمغفرة بعد ذلك إلى يوم الدين.. (وأن) يدعوا كذلك لأبنائى وبناتى.. وجميع أحفادى من الذكور والإناث بأن يجعلهم الله تعالى من الصالحين الناشرين لعلمى والمحافظين عليه ما دامت هناك حياة لهم على وجه

(١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه ورواه أبو يعلى وزاد فيه: **((ومن لم يفقهه لم يبال به))**. ورواه الطبرانى فى الكبير...

(٢) بل ولجميع مؤلفاتى التى منها (الحقوق الإسلامية) وغيرها التى وصلت إلى حوالى الثمانين كتابا.. والحمد لله رب العالمين.

الأرض.. (وأنا) كذلك بدورى أدعو لهم، ولجميع قرائى من المسلمين والمسلمات بأن يوفقنا الله تعالى ويوفقهم لطاعته وطاعة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.. وأن يميتنا وإياهم على التوحيد الخالص لله رب العالمين.. اللهم آمين.

** (ثم) إذا كان لى مرة أخرى أن أقول شيئا، فإننى أبشرهم بـــأننى — إن شـــاء الله_ قد رأيت أن أزود الأخوة الوعاظ بصفة خاصة بزاد.. أرجـــو أن يكـــون — بالإضافة إلى شرح الوصايا — نافعا لهم.. ولغيرهم.. فإليهم جميعا.

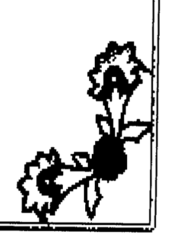


زاد للدعاة إلى الله

تبارك وتعالى

تأليف

طه عبد الله العفيفى

زاد للدعاة إلى الله تبارك وتعالى مع القرآن الكريم

* وأول ما أوصيك به هو أن تحرص على أن تكون مع القرآن الكريم.. قولا وعملا.. وتدبرا فى فهم معانيه.. ومحاولة الوقوف على أهم أسراره.. لأن:

القرآن الكريم

هو كلام الله الذى تكلم به ثم أنزله وحيا بواسطة الروح الأمين على قلب عبده ورسوله محمد ﷺ لينذر به من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، فلن يتقرب مُتقرِّب إلى الله بشيء بأحب إليه من تلاوة القرآن وتدبره، ومدارسته، ثم تعليم ذلك لغيره[1]:

* (فعن) عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**خَيْرُكُم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه**» رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى، والنسائى وابن ماجه وغيرهم

** (وقد) قرأت فى (حاشية الصاوى على الجلالين) ج١ ص٣:

* (أن) القرآن نزل — به جبريل عليه السلام — جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى مكان يقال له: (بيت العزة) على هذا الترتيب الذى نقرؤه فإنه توقيفى، ثم نزل — به بعد ذلك — على النبى ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع، لقوله تعالى: ﴿**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾ [الفرقان: ٣٣]، لكن لا على هذا الترتيب، فإنه نزلَ عليه: ثلاث وثمانون سورة بمكة أى قبل الهجرة، وبالمدينة إحدى وثلاثون على التحقيق..(فأول) ما نزل بمكة: (إقرأ)، وآخر ما نزل بها: قيل: (العنكبوت)، وقيل: (المؤمنون)، وقيل: (ويل للمطففين). (وأول) سورة نزلت بالمدينة (البقرة)، وآخر سورة نزلت بها (المائدة)،

(وهناك) بعض سور اختلف فيها، منها (الفاتحة)، ويمكن تكرار نزولها، (وأما) أول آية نزلت على الإطلاق ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾، (وآخر) آية نزلت على الإطلاق: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨١].

---

(١) انظر: هامش (الترغيب والترهيب) جـ ص٥٧٥.

ثم يقول: واعلم أيضا:

* (أن) القرآن ينقسم أربعة أقسام: (قسم) فيه الناسخ والمنسوخ وهو: خمسة وعشرون سورة، (وقسم) فيه المنسوخ فقط، وهو: أربعون سورة، (وقسم) فيه الناسخ فقط، وهو: ست سور، (وقسم) لا ناسخ فيه ولا منسوخ، وهو: ثلاث وأربعون سورة، وأغلبها من الربع الأخير..

* (وعدة) حروف القرآن: ألف ألف وخمس وعشرون ألفا، ودرج الجنة على قدر ذلك، وبين الدرجتين خمسمائة عام.

* (وعدة) آياته: ستة آلاف وستمائة وستة وستون. [1]

(ونصفه) بحسب الآيات، قوله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿**فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾ [الشعراء: ٤٥].

* (ونصفه) بحسب الحروف، قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً**﴾ [الكهف: ٧٤]، فالنون من الصف الأول والكاف من الثانى.

* (ونصفه) بحسب السور: الحديد،والمجادلة من النصف الثانى.

* (وعدة) كلماته:سبعة وسبعون ألفا وأربعمائة وخمسون كلمة (وكل) كلمة لها أربعة علوم: (علم) بحسب ظاهرها، (وعلم) بحسب باطنها، (وعلم) بحسب حدها، (وعلم) بحسب مقطعها (وإن) نظرت إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيرا.

* (وترتيب) السور هكذا توقيفى. (وأما) وضع أسمائها فى المصاحف، وتقسيمها إلى أعشار وأرباع وأثلاث وأجزاء. وأحزاب: (فمن) الحجاج الثقفى بأخذ عن الصحابة فى وضع أسماء السور، وباجتهاد منه فى تقسيمه إلى ما ذكر، ولذلك نجد الربع وسط قصة. ا. هـ .

** (وقد) قرأت: أن خلاصة القرآن فى سورة الفاتحة، وأن خلاصة سورة الفاتحة فى البسملة التى فى أولها، وأن خلاصة البسملة فى الباء التى فى أولها لأن معناها بى كان ما كان وبى يكون ما يكون، وأن خلاصة الباء فى النقطة التى تحتها لأنها تدل على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى.

---

(١) وقرأت فى كتاب (كيف تتأدب مع المصحف) أن عدد آياته: ٦٢٣٦.

** (وقد) وصف أمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٦٩ هـ القرآن فقال [١]:

(فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول، وظاهر غير خفي يشهد بذلك عجز المتعاطين، ووهن [٢] المتكلفين،وهو المُبلِّغ الذى لا يمل، والجديد الذى لا يخلَق [٣]، والحق الصادع، والنور الساطع، والماحى لظلم الضلال، ولسان الصدق النافى للكذب، ومفتاح الخير، ودليل الجنة، إن أوجز كان كافيا، وإن أكثر كان مُذكِّرا، وإن أمر فناصحاً وإن حكم فعادلا، وإن أخبر فصادقا، سراج تستضيء به القلوب، وبحر العلوم، وديوان الحكم، وجوهر الكلم. ا.هـ.

** (ومن) أجمل ما قرأت كذلك تحت عنوان:

المرآة المتكلمة بالقرآن الكريم

(يقول) عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا فى بعض الطريق إذا أنا بسواد، فتميزت ذاك، فإذا هى عجوز عليها درع من صوف، وخمار من صوف، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقالت: ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾ [يس: ٥٨] فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان ؟ فقالت ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[الزمر: ٢٣]، فعلمت أنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين ؟ قالت: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** ﴾ [الإسراء: ١]، فعلمت أنها قد قضت حجتها وهى تريد بيت المقدس.

فقلت لها: أنت منذ كم فى هذا الموضع؟ فقالت: ﴿.. **ثلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً**﴾ [مريم: ١٧]، فقلت: ما أرى معك طعاما تأكلين؟ قالت: ﴿..**هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**﴾ [الشعراء: ٧٩].

فقلت لها: فبأى شيء تتوضئين؟ قالت: ﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**﴾ [المائدة: ٦]، فقلت لها: إن معى طعاما، فهل لك فى الأكل ؟ قالت: ﴿..**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ..**﴾ [البقرة: ١٨٧].

فقلت: ليس هذا شهر رمضان؟ قالت: ﴿.. **وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ**

---

(١) كما فى جواهر الأدب ج١ص ٣٥٧ وما بعدها.
(٢) الوهن: أى الضعف.
(٣) كما جاء فى جواهر الأدب ج١ص ٤٠٤ وما بعدها..

عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فقلت: قد أبيح لنا الإفطار فى السفر؟ قالت: **﴿.. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٨٤].

فقلت: لم لا تكلميني مثل ما أكلمك؟ قالت: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** [ق: ١٨]، فقلت: فمن أى الناس أنت؟ قالت: **﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** [الإسراء: ٣٦]، فقلت: قد أخطأت فاجعليني فى حلٍّ. قالت: **﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ..﴾** [يوسف: ٩٢].

فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركى القافلة ؟ فقالت: **﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾** [البقرة: ١٩٧].

قال: فأنخت لها ناقتي، فقالت: **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾** [النور: ٣٠] فغضضت بصرى عنها، وقلت: اركبي. فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيابها، فقالت: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ..﴾** [الشورى: ٣٠].

فقلت لها: اصبرى حتى أعقلها، قالت: **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ..﴾** [الأنبياء: ٧٩]، فعقلت الناقة وقلت لها: اركبي. فلما ركبت قالت: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾** [الزخرف: ١٣، ١٤].

قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح، فقالت: **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾** [لقمان: ١٩]، فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر، فقالت: **﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾** [المزمل: ٢٠]،

فقلت لها: لقد أُوتيت خيرا كثيرا، قالت: **﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [البقرة: ٢٦٩].

فلما مشيت بها قليلا قلت: ألك زوج ؟ قالت: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** [المائدة: ١٠١]، فسكتُّ ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة، فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت: **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [الكهف: ٤٦]، فعلمت أن لها أولادا.

فقلت: وما شأنهم فى الحج ؟ قالت: **﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾** [النحل:١٦] ، فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها والعمارات، فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: **﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾** [النساء:١٢٥]،**﴿..وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾** [النساء: ١٦٤]، **﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾** [مريم: ١٢].

فناديت: يا إبراهيم يا موسى يا يحيى، فإذا أنا بشباب كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس، قالت: ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ**﴾ [الكهف: ١٩]، فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدىّ، وقالت: ﴿ **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية** ﴾ [الحاقة: ٢٤]، فقلت: الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها.

فقالوا: هذه أمنا منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن، مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء، فقلت: ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: ٢١]. ا.هـ.

** (وحتى) تكون مرتبطا بالقرآن إليك كذلك هذه الأقوال التى نقلت عن الأجانب الذين عرفوا فضل القرآن [1]:

* (فقد) قالت الدكتور (موريس) الفرنسى فى وصف القرآن: (إنه بمثابة ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة للغويين، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عروض لمحب الشعر وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتاب سماوى جاء قبله لا يساوى أدنى سورة من سوره فى حُسن المعانى وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الإسلامية يزدادون تمسكا بهذا الكتاب واقتباسا لآياته يزينون بها كلامهم، ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة فى القدر ونباهة فى الفكر).

* (ويقول) القس (لوازون): (ليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة، ولا فى المسائل التى انتهى حلُّها، والتى تحت الحل ما يغاير الحقائق الإسلامية الوضاءة والسهلة المأخذ، ولهذا فإن التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين هو سابق موجود فى الديانة الإسلامية). وواضح أنه يعنى ما هو ثابت فى القرآن من براهين.

* (ويقول) المؤرخ الانجليزى الشهير (ولزان): (إن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أَنَّى سارت هى الديانة الإسلامية، وإذا أراد إنسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظريات علمية،وقوانين وأنظمة لربط المجتمع، فهو كتاب

---

(١) والفضل ما شهدت به الأعداء.

علمي، ديني، عملي، اجتماعي، تهذيبي، خُلُقي، تاريخي، أكثـر أنظمتـه وقوانينـه تستعمل في وقتنا الحالي، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة): فـ:

هذا هـو القـرآن نـبراس الهـدى ... دسـتورك الأسمـى المـنير المشـرقُ

آياتـه نبُـع العلـوم جميعهـا ... من قال:لا فهـو الغـبي الأخـرُق[1]

علم الطبيعة والحياة وحكمـة الـ ... إيجـاد مـن تبيانـه تتـدفقُ

وسياسـه الـدنيا بـأقوم شـرعة ... بـين الـورى بسـواه لا تتحقَّـقُ

فيـه القضـاء لحـلِّ كُـلِّ قضـية ... عن حلها أهل السياسـة أخفقـوا[2]

ومن أجل ذلك، فـ:

نحن نبغـى القـرآن علمـا وفهمـا ... يخلقـان الكمـال في الشُّـبان

نحن نبغـى القـرآن لفظـا ومعـنى ... فهو صقل الحجا[3] وصقل اللسـان

نحـن نبغـى القـرآن دنيـا ودينـا ... يتجلـى في هديـه الُحسْـنَيان

نحن نبغى القـرآن في معهـد الـدر ... س وفي كـل مـنزل ومكـان

* (نعم): إنه القرآن الذى قال الله تعالى عنه ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٩].

** (فلنكن) إن شاء الله تعالى من أهل هذا القرآن العظيم الذى:

شهد الأنـام بفضـله حـتى العـدا ... والفضل ما شـهدت بـه الأعـداء

والله ولى التوفيق

---

(١) الأخرق: وهو ضد الرفيق (مختار الصحاح) ص١٧٤.

(٢) خفقت الراية: أى اضطربت وكذا القلب والسراب (مختار الصحاح) ص١٨٣.

(٣) أى: العقل.

ومع السنة المحمدية

** وثانيا أوصيك كذلك بأن تحرص كل الحرص على أن تكون من أهـــل الســـنة المحمدية.. التي هي أقوال، وأفعال، وتقريرات الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذي يقول في حديث ورد (عن) أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قـــال رســـول الله ﷺ: **((من أكل طيبا** [1]**،وعَمِل في سُنة** [2]**، وأمِنَ الناسُ بوائقه**[3]**: دخل الجنة))**. قالوا: يا رسول الله إن هذا في أمتك كثير. قال: **((وسيكون في قوم بعدي** [4]**))**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وغيره، والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد.

* (وعن) ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **((من تمسك بسنتي** [5] **عند فســـاد أمتي فله أجر مائة شهيد))** رواه البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به إلا أنه قال: **((فله أجر شهيد))**

** (كما) ورد الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء:

* (فعن) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))** رواه البخاري ومسلم وأبو داود ولفظه: **((من صنع أمـــرا على غير أمرنا فهو رد))**. وابن ماجه.

(ومعنى): **((فهو رد))**: أى مردود على صاحبه لا يقبل الله منه شيئا، لأنه شرع ما لم يأذن به الله، والله عز وجل لا يُعْبَد إلا بما شرع، ولا يُعْبد بالأهواء والبِدَع، فكل عبادة لم يأمر بها الله ولا رسوله، فهى بدعةُ ضلالة لا يثاب عليها فاعلها، بل يعاقب على ابتداعها [6].

---

(١) أى: حلالا لا شبهة فيه.
(٢) أى: كان عمله موافقا لسنة رسول الله ﷺ بعيدا عن البدع والمحدثات.
(٣) أى: شروره.
(٤) وهذا إخبار منه ﷺ بأن هذا الخير سيظل موصولا في أمته.
(٥) أى: حرص عليها والتزم العمل على وفقها.
(٦) كما جاء في هامش (الترغيب والترهيب) ج١ص٧٩.

** (وأحب) أن أسجل هنا حديثا صحيحا [1] أرجو أن يحفظه الأخ الواعظ بصفة خاصة – حتى يذكر به المبتدعين عسى أن يرتدعوا:

(فعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، أتى المقبرة فقال: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون، وددت لو أنا قد رأينا إخواننا»** قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: **«أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»**. قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال: **«أرأيت لو أن رجلا له خيل غُرُّ مُحجَّلة [2] بين ظهرى خيل دُهْمٍ [3] بُهْم ألا يعرف خيله»** ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«فإنهم يأتون غُرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض [4]، ألا ليزادن رجال عن حوضى كما يزاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: سُحْقًا سحقا[5]»** رواه مسلم.

** (ثم) إليك أخا الإسلام أهم:

المصطلحات الفقهية فى المذاهب

التي أحب كذلك أن تكون على علم بها [6]،

** (فقد) قال الشافعية:

* **(الواجب)** والفرض: بمعنى واحد، وهو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه، كالصلاة المفروضة فإن فاعلها يثاب وتاركها يعذب بالنار.(وكذا) كل الفرائض، (وقد) يختلف معنى الفرض والواجب، وذلك فى باب الحج، فإن الفرض معناه ما يبطل بتركه الحج، والواجب ما يجبر بذبح الفداء.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الغُرَّة: عبارة عن علامة جبين الفرس: والتحجيل: عبارة عن بياض فى يدى الفرس ورجليه.

(٣) والدهم البهم: أى السوداء التي لا علامة فيها.

(٤) وفرطهم على الحوض: أى أتقدمهم عليه.

(٥) أى: بعدًا لهم.

(٦) كما جاء فى (الفقه على المذاهب الأربعة) قسم العبادات الطبعة السادسة – طبعة وزارة الأوقاف والإدارة العامة للدعوة.

*(**والحرام**): هو ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه، فإذا فعله المكلَّف يُعذَّب عليه بالنار.

*(**والمكروه**): هو المطلوب تركه طلبًا غير جازم، فإذا فعله المكلف لا يعذب، وإذا تركه يثاب.

*(**والسنة والمندوب والمستحب والتطوع**): ألفاظ مترادفة بمعنى واحد وهو المطلوب فعله طلبا غير جازم، فإذا فعله المكلف يثاب على فعله، وإذا تركه لا يعاقب.

*(**وتنقسم السنة إلى قسمين**):

(سنة عين) وهى ما يسن فعله بعينه لكل واحد من المكلفين كسنن الفرائض الراتبة.

(وسنة كفاية): وهى التى إذا أتى بها البعض سقطت عن الباقين، وذلك كبدء السلام من واحد مع جماعة، والتسمية على الأكل من واحد إذا تعدد الآكلون، وتشميت العاطس بحضرة جماعة ؛ ففى كل هذا إذا أتى به واحد من الجماعة رفع عنهم المطالبة بالسنة، لكنه يختص وحده بالثواب.

(وكذلك):

* (**الواجب ينقسم إلى قسمين**):

(**واجب عينى**): وهو ما يتعين على كل فرد أن يأتى به كما تقدم.

(**وواجب كفاية**): وهو ما إذا فعله البعض سقط عن الآخرين كصلاة الجنازة ورد السلام.

** (**والمالكية**) قالوا:

(**الواجب**): ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه، ويسمى فرضا ولازما كالصلاة المفروضة. (وقد) يختلف معنى الواجب والفرض، وذلك فى باب الحج، فإن الفرض ما يبطل بتركه الحج رأسا، والواجب ما يجبر بذبح الفداء.

* (**وينقسم الفرض إلى قسمين**):

(**فرض عين**): وهو ما يطالب من كل مكلف.

(**وفرض كفاية**): وهو ما إذا فعله البعض سقط عن الباقين، كصلاة الجنازة وتجهيز الميت، وغير ذلك.

* (**والمحرم**): هو ما يعاقب على فعله ولا يذم على تركه، ويسمى محظورا ومعصية وذنبا وحراما، وذلك كشرب الخمر.

*(**والسنة**): هى ما طلبه الشارع وأكَّد أمره، وعظَّم قدره، ولم يدل دليل على وجوبه،وإذا فعلها المكلف يثاب، وإذا تركها لا يعاقب،وذلك كالوتر وصلاة العيدين.
*(**والمندوب**): هو ما طلبه الشارع طلبا غير جازم وخفف أمره، وإذا فعله المكلف يثاب، وإذا تركه لا يعاقب، وذلك كصلاة أربع ركعات قبل الظهر.
*(**والمكروه**): هو ما نهى عنه الشارع نهيا غير جازم، فإذا فعله لا يعاقب على فعله، ويسمى خلاف الأولى، وذلك كترك إفشاء السلام، والتنفل بعد صلاة العصر وقبل الغروب.
*(**والمباح**): هو ما لم يطلبه الشارع ولم ينه عنه، ففاعله مخير بين فعله وتركه.
**(والحنابلة) قالوا:

*(**الفرض**): ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه، وهو فى الصلاة ووسائلها – كالوضوء والغسل – ما لا يسقط عمدا أو سهوا، ويسمى ركنا أيضا.

*(**والواجب**): هو كالفرض إلا فى الحج، فإن الفرض ما يبطل الحج بتركه، والواجب ما يجبر بذبح فدية. وكذلك يختلف الواجب مع الفرض فى بعض أعمال الصلاة، فإنهم عدوا للصلاة واجبات، وقالوا: إن الصلاة تبطل بتركها عمدًا، أما تركها جهلا أو نسيانا فإنه لا يبطل الصلاة، بل يجبر بسجود السهو، بخلاف الفرض فإن تركه يبطل الصلاة مطلقا.

*(**وينقسم الفرض**) إلى عينى وكفاية كما هو مقرر عند غيرهم.

*(**وتنقسم السنة**) إلى مؤكدة وغير مؤكدة: فالمؤكدة كالوتر وركعتى الفجر والتراويح،وتركها مكروه.

*(**والحرام**): ما يثاب على تركه امتثالا، ويعاقب على فعله.

*(**والحلال**): ضد الحرام، ويشمل الواجب والمندوب والمكروه، فيأثم بترك الواجب ويعاقب عليه. أما غيره فلا يأثم بفعله ولا تركه كما تقدم.

*(**والباطل**): مالا تبرأ به الذمة، فإذا نقص ركن من أركان الصلاة مثلا بطلت، وبقيت عالقة فى الذمة إلى أن يعيدها.

*(**والصحيح**): هو ما تبرأ به الذمة.

** **(والحنفية)** قالوا:

(الفرض): ما يثبت بدليل قطعى لا شبهة فيه، كالصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج، والإيمان بالله تعالى (وحكم) الفرض أنه لازم اعتقادا وعملا، فإذا أنكره أحد كفر، وإذا تركه و لم يعمله كان فاسقا.

* **(أما الواجب)**: فهو عندهم غير الفرض،وهو ما ثبت بدليل فيه شبهة، (وحكمه) أنه لازم عملا لا اعتقادا، فمنكره لا يكفر لقيام الشبهة،وتاركه يأثم إثما أقل من إثم تارك الفرض لأن من ترك الفرض يعاقب بالنار. (أما) من ترك الواجب فالتحقيق أنه لا يعذب بالنار، بل يحرم من شفاعة المصطفى ﷺ.

* **(أما السنة)**:

(فتنقسم إلى قسمين):

الأول: (سنة مؤكدة) وهى بمعنى الواجب تماما، فتاركها يأثم إثما أقل من إثم تارك الفرض، وإذا تركت فى الصلاة سهوا يخير بالسجود كالواجب. وبعض الواجبات آكد من بعض، فوجوب سجدة التلاوة، آكد من وجوب صدقة الفطر، ووجوبها آكد من وجوب الأضحية.

الثانى: سنة غير مؤكدة وهو المندوب والمستحب.

* **(أما الحرام)**: فهو ما يقابل الفرض، فيعذب فاعله بالنار، ويثاب تاركه امتثالا.

* **(والمكروه تحريما)**: ما كان إلى الحرام أقرب، ويقابل الواجب والسنة المؤكدة.

* **(والمكروه تتريها)**: هو ما لا يعاقب على فعله، ويثاب على تركه أدنى ثواب، ويقابل السنة غير المؤكدة. والله أعلم.ا. هـ.

ومع مصطلح الحديث

** **وثالثا**: أوصيك كذلك أخا الإسلام بأن تحرص على دراسة مصطلح الحديث الشريف حتى لا تكون من هؤلاء الذين لا يعرفون الفرق بين الحديث الصحيح وغيره..[1]

(١) كما جاء فى (سبل السلام) ج٤ص١٦٤٣-١٦٤٩.

* (فلقد) ذكر فى (سبل السلام) ج٤، تحت عنوان:

متن نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر

مع بعض تعليقات عليه من الشرح [١]

(فلقد) قال: (أما بعد) فإن التصانيف فى اصطلاح أهل الحديث قد كثرت، وبسطت واختصرت.. فسألنى بعض الإخوان أن ألخص له المهم من ذلك.. فأجبته إلى سؤاله رجاء الاندراج فى تلك المسائل فأقول:

الخبر (الحديث) إما أن يكون له طرق (أسانيد) بلا عدد معين أو مع حصر بما فوق الإثنين أو بهما أو بواحد.

* (**فالأول**): (**المتواتر**) المفيد للعلم اليقينى بشروطه (وهى عدد كثير أحالت العادة تواطأهم على الكذب، رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء، وكان مستند انتهائهم الحسُّ وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه).

* (**والثانى**): (**المشهور**) وهو المستفيض على رأى (ويطلق المشهور على ما اشتهر على الألسنة).

* (**والثالث**): (**العزيز**) وليس شرطا للصحيح خلافا لمن زعمه.

* (**والرابع**): (**الغريب**) وسوى الأول آحاد.

*(وفيها): المقبول (وهو ما يجب العمل به عند الجمهور)، (وفيها): المردود لتوقف الاستدلال بها على البحث عن أحوال رواتها دون الأول.

*(وقد) يقع فيها ما يفيد العلم النظرى بالقرائن على المختار (كأن يخرج الخبر الشيخان [٢] فى صحيحيهما أو يكون مشهورا له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل، أو يكون مسلسلا بالأئمة الحفاظ المتقنين حيث لا يكون غريبا).

ثم الغرابة إما أن تكون فى أصل السند (طرفه الذى فيه الصحابى من أول التابعى) أو لا، فالأول: (**الفرد المطلق**)

---

(١) وكلاهما للحافظ ابن حجر المتوفى ٨٥٢هـ. وما كان داخل القوسين فهو من الشرح وما عداه المتن.

(٢) أى: البخارى ومسلم.

والثانى: (**الفرد النسبى**) ويقل إطلاق الفردية عليه (كما أن أكثر مــا يطلقــون الغريب على الفرد النسبى)

وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل مسند غير معلَّلٍ ولا شاذّ هو (**الصحيح لذاته**) والمراد بالعدل من له مَلَكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة.

والمراد (بالتقوى) اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة (**والضــبط**) ضبط صدر وهو أن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء، وضــبط كتاب وهو صيانته لديه منذ سمع فيه وصحَّح إلى أن يؤدى منه وقيد بالتام إشارة إلى المرتبة العليا فى ذلك.

(**والمتصل**): ما سلم إسناده من سقوط فيه بحيث يكون كل من رجاله سمع ذلك المروى من شيخه.

(**والمعلل**): ما فيه علة خفية قادحة (**والشاذ**): ما يخالف فيه الراوى مَنْ هو أرجح منه.

(وتفاوت رتبه بسبب تفاوت هذه الأوصاف) ومن ثَمَّ قُدِّم صحيح البخــارى ثم مسلم ثم شرطهما (المراد به رواهما مع باقى شروط الصحيح) فإن خف الضبط (مع بقية المتقدمة فى الصحيح).

(**فالحسن لذاته**) وبكثرة الطرق يصحح (فيسمى الصحيح لغيره) فإن جُمِعا (كقول الترمذى: حديث حسن صحيح) فللتردد فى الناقل حيث التفرد، وإلا فباعتبار إسنادين.

وزيادة راويهما (أى: الصحيح والحسن) مقبولة ما لم تقع منافية لــ (رواية) مَنِ هو أوثق، فإن خولف بأرجح فالراجح (**المحفوظ**) ومقابله (**الشــاذ**) و(إن وقعــت المخالفة له) مع الضعف، فالراجح (**المعروف**) ومقابلة (**المنكر**).

والفرد النسبى إن وافقه غيره، فهو (**المتابع**)، (والمتابعة مختصة بكونها من روايــة ذلك الصحابى) وإن وجد متن (يروى من حديث صحابى آخــر) يشــبهه، فهــو (**الشاهد**) وتتبع الطرق (من الجوامع والمسانيد والأجزاء) لذلك (الحديث الذى يظن أنه فرد) هو (الاعتبار).

* ثم المقبول إن سلم من المعارضة فهو (**المُحْكَم**) وإن عورض بمثله فإن أمكن الجمع (بغير تعسف) فهو (**مُختلَف الحديث**)، (وإن لم يمكن الجمع) وثبت المتأخر (عرف بالتاريخ)، (**فهو الناسخ**) والآخر المنسوخ، وإلا فالترجيح، ثم التوقف.

ثم المردود إما أن يكون لسقط (من إسناد) أو طعن (فى راوٍ).

* فالسقط إما أن يكون من مبادى السند من (تصرف) مصنف، أو من آخره بعد التابعى أو غير ذلك. فالأول (المعلق)، قال ابن الصلاح: إن وقع الحذف فى كتاب التزمت صحته كالبخارى، فما أتى فيه بالجزم دل على أنه ثبت إسناده عنده، وإنما حذف لغرض من الأغراض، وما أتى فيه بغير الجزم ففيه مقال.؟

(**والثانى**): (**المرسل**)، (**والثالث**): إن كان باثنين فصاعدا مع التوالى، فهو (**المفصل**) وإلا (**فالمنقطع**).

ثم (إن السقط من الإسناد قد يكون واضحا أو خفيا، فالأول يدرك بعدم التلاقى، ومن ثم احتيج إلى التاريخ، والثانى: (**المدلَّس**): (سمى بذلك لكون الراوى لم يُسَمِّ مَنْ حدَّثه وأوهم سماعه للحديث ممن لم يحدثه به) ويَرِدُ بصيغة (تحتمل وقوع) اللقى كعن، وقال: (فإن وقع بصيغة صريحة لا تجوُّز فيها كان كاذبا) وكذلك (المرسل الخفى) من معاصر لم يلق (فالفرق بين المدلس والمرسل الخفى أن التدليس يختص بمن روى عمن عُرِف لقاؤه إياه، فأما إن عاصره و لم يعرف أنه لقيه فهو المرسل الخفى).

* ثم الطعن إما أن يكون (لكذب) الراوى أو (لتهمته) بذلك، أو (فحش) غلطه، أو (غفلته)، (عن الاتقان) أو (فسقه) أو (وهمه)، (بأن يروى على سبيل التوهم) أو (مخالفته) (للثقات) أو (جهالته) أو (بدعته) أو (سوء) حفظه (بأن يكون ليس غلطه أقل من إصابته) فالأول (الموضوع) والثانى (المتروك) والثالث (المنكر) على رأى (من لا يشترط فى المنكر قيد المخالفة) وكذا الرابع والخامس: ثم الوهم إن طلع عليه بالقرائن وجمع الطرف، فهو (المعلل) .

ثم المخالفة إن كانت بتغير السياق (سياق الإسناد)، (فمدرج الإسناد) أو بدمج موقوف بمرفوع (فمدرج المتن) أو بتقديم وتأخير (فى الأسماء كمرة بن كعب وكعب

ابن مرة)، (فالمقلوب) أو بزيادة راوٍ (فالمزيد فى تصل الأسانيد) أو بإبداله ولا مرجح (فالمضطرب) وقد يقع الإبدال عمداً امتحانا أو بتغيير حروف مع بقاء (صورة الخط فى) السياق (فالمصحَّف)، (وفى النقط)، (والمحرف)، (فى الشكل).

ولا يجوز تعمد تغيير المتن بالنقص والمرادف إلا لعالمٍ بما يحيل المعانى، ومــن ثَــمَّ احتيج إلى شرح الغريب وبيان المشكل منها، ثم الجهالة وسببها أن الراوى قد تكثــر نعوته (من اسم أو كنية أو لقب أو حرفة إلخ)، (فيذكر بغير ما اشتهر به لغــرض — وصنفوا فيه (الموضح) وقد يكون مُقلا فلا يكثر الأخذ عنه وصنفوا فيه (الوحدان)، (وهو من لم يرو عنه إلا واحد) أولا يسمى اختصارا وصنفوا فيه (المبــهمات). ولا يقبل (حديث) المبهم ولو أبهم بلفظ التعديل على الأصح.

فإن سمى والفرد واحد عنه (فمجهول العين) أو اثنــان فصــاعدا أو لم يوثــق فمجهول الحال وهو (المستور).

ثم (**البدعة**) إما بمكَفِّر أو بمفسق، فالأول يقبل صاحبها الجمهور (والتحقيق انه لا يُرَدُّ كل مكفّر ببدعته لأن كل طائفة تدعى أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفر مخالفتــها، فالمعتمد أن الذى ترد روايته: من أنكر أثرا متواترا من الشــرع معلومــا مــن الــدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه) والثانى: يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته فى الأصح إلا إن روى ما يقوى بدعته فيرد على المختار، وبه صرح الجوزجانى شيخ النسائى.

* ثم سوء الحفظ إن كان لازما (للراوى فى جميع حالاته)، (فالشاذ) على رأى، أو طارئا (فالمختلط) ومتى توبع السيئ الحفظ بمعتبر (كأن يكون فوقه أو مثله لا دونــه) وكذا المستور والمرسل والمدلس صار حديثهم (حسنا لذاته) بل باعتبار المجموع (من المتابِع والمتابَع).

* ثم الإسناد (وهو الطريق الموصلة إلى المتن، والمتن هو غاية ما ينتهى إليه الإسناد من الكلام) إما أن ينتهى إلى النبى ﷺ تصريحا أو حكما من قوله أو فعله أو تقريره، أو إلى (الصحابى) كذلك وهو من لقى النبى ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، ولو تخللت رِدَّة فى الأصح (لا خفاء فى رجحان رتبة من لازمه ﷺ وقاتل معه أو قُتــل تحت رايته عَلَى مَنْ لم يلزمه، أو لم يحضر معه مشهدا، أو على مَنْ كلمه يســيرا، أو

ماشاه قليلا، أو رآه على بُعد، أو فى حال الطفولية، وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع ومن ليس له منهم سماع، فحديثٌ مرسل من حيث الرواية.

ويعرف كون الشخص صحابيا بالتواتر، أو الاستفاضة، أو الشهرة، أوبإخبار بعض الصحابة، أو بعض ثقات التابعين، أو بإخباره عن نفسه بأنه صحابى إذا كان دعواه ذلك تدخل تحت الإمكان) أو إلى التابعى وهو من لقى الصحابى كذلك، فالأول (المرفوع)، ومَنْ دون التابعى فيه مثله، ويقال للأخرين (الأثر).

* (والمسند) مرفوع صحابى بسند ظاهره الاتصال، فإن قلَّ عَدُّه (عدد رجال السند)، فإما أن ينتهى إلى النبى ﷺ أو إلى إمام ذى صفة علية (كالحفظ والفقه والضبط والتصنيف) كشعبة (ومالك والشافعى والثورى والبخارى ومسلم ونحوهم) فالأول (العُلو المطلق) والثانى (النسبى) وفيه (فى العلو النسبى)، (والموافقة) وهى الوصول إلى شيخ المصنفين من غير طريقه، وفيه (البدل) وهو الوصول إلى شيخ شيخه كذلك وفيه (المساواة) وهى استواء عدد الإسناد من الراوى إلى آخره (آخر الإسناد) مع إسناد أحد المصنفين، وفيه (المصافحة) وهى الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف على الوجه المشروع فى المساواة) ويقابل العلو بأقسامه (النزول).

* فإن تشارك الراوى ومن روى عنه فى السِّن واللقى (الأخذ من المشايخ) فهو (رواية)، (الأقران) وإن روى كل منهما عن الآخر فهو (المدبج) وإن روى عمن دونه (فى السن أو فى اللقى أو فى المقدار)، (الأكابر عن الصغائر) ومنه رواية الآباء عن الأبناء (والصحابة عن التابعين والشيخ عن تلميذه) وفى عكسه كثرة، ومنه من روى عن أبيه عن جده، وإن اشترك اثنان عن شيخ وتقدم موت أحدهما فهو السابق واللاحق، وإن روى عن اثنين متفقى الاسم (أو مع اسم الأب أو مع الجد أو مع النسبة) و لم يتميز فباختصاصه بأحدهما يتبين المهمل، وإن جحد الشيخ مروية جزما رد، أو احتالا قُبِلَ فى الأصح، وفيه (مَنْ حدَّث ونسى) وإن اتفق الرواة فى صيغ الأداء (كسمعت فلانا قال سمعت فلانا الخ) فهو (المسلسل).

* **وصيغ الأداء**: سمعت وحدثنى، ثم أخبرنى، وقرأت عليه، ثم قرئ عليه وأنا أسمع، ثم أنبأنى، ثم ناولنى، ثم شافهنى، ثم كتب إلى (المشافهة والكتابة بالإجازة) ثم عن

ونحوها (من الصيغ المحتملة للسماع والإجازة ولعدم السماع أيضا، وذلك مثل: قال وذكر وروى) فالأولان: (سمعت وحدثنى) لمن سمع وحده من لفظ الشيخ، فإن الجمع فمع غيره (وقد تكون النون للعظمة لكن بقلّة) وأولهما أصرحهما وأرفعهما (مقدرا ما يقع) فى الإملاء، والثالث: (أخبرنى) والرابع: (قرأت) لمن قرأ بنفسه، فإن جمع فهو كالخامس والإنباء بمعنى الإخبار إلا فى عرف المتأخرين،فهو للإجازة، كعن.

(وعنعنة المعاصر) محمولة على السماع إلا من مدلس، وقيل يشترط ثبوت لقائهما ولو مرة وهو المختار، وأطلقوا المشافهة فى الإجازة المتلفظ بها، وكذا المكاتبة فى الإجازة المكتوب بها.

(واشترطوا) فى صحة المناولة اقترانها بالإذن بالرواية وهى أرفع أنواع الإجازة، وكذا اشترطوا الإذن فى الوجادة والوصية بالكتاب، وفى الإعلام (أن يُعلم الشيخُ أحد الطلبة بأننى أروى الكتاب الفلانى عن فلان) وإلا فلا عبرة بذلك كالإجازة العامة وللمجهول وللمعدوم على الأصح فى جميع ذلك.

* ثم الرواة إن اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم فصاعدا واختلف أشخاصهم فهو (المتفق والمفترق) وإن اتفقت الأسماء خطا واختلف نطقا، فهو (المؤتلف والمختلف) وإن اتفقت الأسماء (خطا ونطقا) واختلف الآباء (نطقا مع اختلافهما خطا) أو بالعكس (كأن تختلف الأسماء نطقا وتأتلف خطا وتتفق الآباء خطا ونطقا) فهو (المتشابه) وكذا إن وقع بقية الاتفاق فى الاسم واسم الأب والاختلاف فى النسبة ويتركب منه ومما قبله أنواع منها أن يحصل الاتفاق أو الاشتباه إلا فى حرف أو حرفين (كمحمد بن سنان ومحمد بن سيار، وعبد الله بن زيد، وعبد الله بن يزيد) أو يحصل الاتفاق فى الخط والنطق لكن يحصل الاختلاف أو الاشتباه بالتقديم والتأخير ونحو ذلك (كالأسود بن يزيد ويزيد بن الأسود، وأيوب بن سيار وأيوب بن يسار).

* (ثم يقول): خاتمة: من المهم معرفة (طبقات الرواة)، (الطبقة فى اصطلاحهم عبارة عن جماعة اشتركوا فى السن ولقاء المشايخ) ومواليدهم ووفياتهم، وبلدانهم، وأحوالهم تعديلا وتجريحا وجهالة.

(ومراتب الجرح) وأسوأها الوصف بأفعل كأكذب الناس، ثم دجال، أو وضاع، أو كذاب، وأسهلها ليِّن، أو سيِّء الحفظ أو فيه مقال.

(ومراتب التعديل) وأرفعها الوصف بأفعل كأوثق الناس، ثم ما تأكد بصفة أو صفتين، كثقة ثقة أو ثقة حافظ، وأدناها ما اشتهر بالقرب من أسهل التجريح كشيخ.

*(تقبل التزكية) من عارف بأسبابها ولو من واحد على الأصح (والجرح) مقدم على التعديل إن صدر مبينا من عارفٍ بأسبابه، فإن خلا من تعديل قُبل مجملا على المختار.

*(فصل) و (من المهم) معرفة كُنى المسلمين (المشهورين بأسمائهم) وأسماء المكنيين، ومن اسمه كنيته، ومن اختلف فى كنيته، ومن كثرت كُناه أو نعوته، ومن وافقت كنيته اسم أبيه (كأبى إسحاق إبراهيم بن إسحاق) أو بالعكس (كإسحاق بن أبى إسحاق) أو كنيته زوجته (كأبى أيوب وأم أيوب) ومن نسب إلى غير أبيه أو إلى غير ما يسبق إلى الفهم (كالحداد نسبه إلى الحدادة لأنه كان يجالس الحدادين) ومن اتفق اسمه واسم أبيه وجده أو (اسمه) واسم شيخه وشيخ شيخه، ومن اتفق اسم شيخه والراوى عنه (كالبخارى روى عن مسلم بن إبراهيم وروى عنه مسلم بن الحجاج) ومعرفة الأسماء المجردة والمفردة (التى لم يسم بها إلا واحد) والكنى (المجردة) والألقاب والأنساب وتقع إلى القبائل وإلى الأوطان بلدا، أو ضياع أو سكنًا أو مجاورة وإلى الصنائع والحرف، ويقع فيها الاتفاق والاشتباه كالأسماء، وقد تقع ألقابا (كخالد بن محمد القطوانى كان كوفيا ويلقب القطوانى وكان يغضب منها) ومعرفة أسباب ذلك، ومعرفة الموالى من أعلى ومن أسفل بالرق أو بالحلف (أو بالإسلام) ومعرفة الإخوة والأخوات، ومعرفة أدب الشيخ والطالب وسن التحمل والأداء (الأصح اعتبار سن التحمل بالتمييز، وسن الأداء بقدر الاحتجاج والتأهل لذلك) وكتابة الحديث وعرضه وسماعه وإسماعه والرحلة فيه (وتصنيفه) على المسانيد أو الأبواب أو العلل (فيذكر المتن وطرقه وبيان اختلاف نقلته) أو الأطراف (فيذكر طرف الحديث الدال على بقيته ويجمع أسانيده إما مستوعبًا وإما مقيدًا بكتب مخصوصة) ومعرفة سبب الحديث وقد صنف فيه بعض شيوخ القاضى أبى يعلى من القراء.

وصنفوا فى غالب هذه الأنواع، وهى نقل محض ظاهرة التفريق، مستغنية عن التمثيل فلتراجع مبسوطاتها ا.هـ. من نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر لابن حجر مع بعض تعليقات عليه فى الشرح تخيرها.

** (والآن) إليك أيها الأخ الواعظ بصفة خاصة — ما قرأته فى كتاب منهاج الصالحين [1]- تحت عنوان:

درجات الحديث: صحيح، حسن، ضعيف

** (**فالصحيح**): هو ما اتصل سنده بروايه العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه، وسلم من الشذوذ والعلة. (ويسمى الصحيح لذاته).

(وثمة) نوع آخر منه (ويسمى الصحيح لغيره) وهو الذى جاء بإسناد حسن، وآخر ضعيف، لم يشتد ضعفه فيرتقى الحديث بمجموعهما إلى درجة الصحيح لغيره. أى بسبب مساندة الإسناد الضعيف للإسناد الحسن.

* (ثم) قال: ولم يستوعب الصحيح من الحديث فى كتاب واحد مطلقا، وإنما جمعت الكتب الستة جملة كبيرة منها: - صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبى داود، والنسائى، وجامع الترمذى، وسنن ابن ماجه — وفاتها غير قليل منه، ويوجد مثبوتا فى كتب المسانيد والفوائد والأجزاء الحديثية وكتب الحديث الكثيرة الأخرى.

** (**والحسن**): تعريفه تعريف الصحيح لذاته.. إلا أن أحد رواته خف حفظه عن حفظ العدل الضابط..(وهذا يسمى الحسن لذاته)، (وثمة) آخر منه (ويسمى بالحسن لغيره).وهو الذى يأتى من طرق متعددة، وفى مفرداتها ضعف يسير: فيرتقى الحديث بها لدرجة الحسن لغيره، بل و إلى درجة الصحيح لغيره أحيانا وذلك إذا كثرت أسانيده.

* (وهو): حجة عند أهل العلم، كالصحيح، إلا أنه يصبح مرجوحا عند التعارض مع الصحيح، ويرجح الصحيح عليه.

** (**والضعيف**): هو الذى لم تتوفر فيه شروط الصحيح ولا الحسن. (وأنواعه) ثلاثة: ضعيف، وضعيف جدا ، وموضوع.

(١) للأستاذ / عز الدين بليق — دار الفتح — للطباعة والنشر — بيروت.

** (ثم) يقول تحت عنوان:

ألقاب تشمل الصحيح والحسن

** (الجيد، والقوى، والمقبول): ألفاظ يراد بها تارة الحسن، وتارة الصحيح، وإنما تستعمل هذه التعبيرات لتردد نظر الناظر فى الحديث بين كونه حسنا أو صحيحا.

** (**والمعروف**): هو ما يقابل المنكر.

** (**والمحفوظ**): هو ما يقابل الشاذ.

** (**والمتواتر**): هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب، من أول السند إلى منتهاه... على أن لا يختل هذا الجمع فى طبقة من طبقات السند[1].

** (ثم) يقول، تحت عنوان:

ملاحظة

إذا أردت رواية حديث لا تعرف صحته من ضعفه فلا تقل: قال رسول الله ﷺ كذا (بصيغة الجزم) ولكن قل: (روى كذا) أو (بلغنا كذا).. وعليك عندما لا تتذكر اللفظ بعينه وتروى معناه أن تقول: (معنى الحديث) (أو): (كما قال ﷺ)... إلخ.

** (ثم) بعد ذلك، وبعد أن ذكر ما قرأناه إجمالا قبل ذلك — لابن حجر — يقول كلاما هاما لابد أن يقف عليه العامة والخاصة...

وهو: (وبهذه) الهمم العالية والمناهج الدقيقة حفظ الله سنة نبيه ﷺ، وقد ورثنا نحن من ذلك ثروة هائلة لا يقل ما دون منها فى اللغة العربية وحدها عن خمسمائة مجلد.. وصار علم الحديث علما قائما بذاته، له فى كل عصر قوم متخصصون، فسقطت بذلك حجة القائلين بأن الحديث النبوى قد اختلط — إنما هو الانعزال عن دراسة السنة، أو الكسل عن تناول مراجعها — وصدق الله إذ يقول: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [البقرة: ١٤٧].

---

(١) انظر: كتاب تدريب الراوى للسيوطى .

* (فالذى) ينكر الحديث النبوى الصحيح ينكر القرآن الكريم (والذى) لا يشهد بأن السنة الصحيحة من الله لم يشهد بأن محمدا رسول الله (والذى) يظن أنه يستطيع أن يكتفى بالقرآن عن السنة مستكبرًا أو منحرفًا [1]، لأن الصحابة وهم أقرب الناس عهدا برسول الله وأشدهم له حبا..

(وهم) الذين: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه﴾ [البينة: ٨] كانوا يلتمسون السنة ويحتكمون إليها فى حياتهم اليومية..

(وقد) دعانا الله إلى الأخذ عن الرسول وأكد عليه بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

** (فعلى) الأخ المسلم ضرورة التعرف على السنة الصحيحة التى هى أقوال النبى صلى وأفعاله وموافقته أو رفضه لعمل ما، وهى المنهاج الذى لا غنى عنه لأى مسلم فى فهم أحكام الإسلام.. والحديث أساس السنة..

** (وعلى) الأخ المسلم أن يكون دائما وأبدا على صلة بالسنة الصحيحة عن طريق مجالس العلم النافع.. التى يلتقى فيها بأهل السنة والعلماء العاملين الذى هم مصابيح الهدى.. والذين هم ورثة الأنبياء الذين لم يورثوا درهما ولا دينارًا وإنما ورثوا علما ينتفع به..

والله ولى التوفيق

(١) بل إن أصر على هذا الظن الخاطئ.. فإنه قد يكفر.. والعياذ بالله..

ومع خطبة حجة الوداع

** **ورابعا:** أوصيك كذلك أخا الإسلام وأنت أيها الأخ الواعظ بصفة خاصة.. (أن) تدرس:

خطبة حجة الوداع..وهى:

((الحمد له نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله..(أوصيكم) عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته،وأستفتح بالذى هو خير.

** **(أما بعد) أيها الناس: اسمعوا منى أبين لكم، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا،**

* **أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد.**

* **(فمن) كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.**

* **(وإن) ربا الجاهلية موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن أول ربا أبدأ به، ربا عمى العباس بن عبد المطلب.**

* **(وإن) دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به، دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.**

* **(وإن) مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية (والعَمْد) قَوَد، وشِبْه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد.**

** **(أما بعد) أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن، يُعبد فى أرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك، مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.**

* **(أيها الناس):** ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً

وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾[التوبة: ٣٧]. ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ..﴾[التوبة: ٣٦] (١)، ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر، الذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد.

** (أما بعد) أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا،ولكم عليهن حق: لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن أو تهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، إنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا. ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد.

* (أيها الناس): إنما المؤمنون إخوة،ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه.ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد. (فلا) ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. فإنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه.ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد.

* (أيها الناس): إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم،وآدم من تراب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

*(أيها الناس): إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر.

من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم)).

(١) بدون الواو فى أول الآية.

** (يقول) الشيخ (محمد الغزالى) عليه رحمة الله معلقا على هذه الخطبة العظيمة[1] (كان) الرسول يريد – بعد بلاء طويل فى إبلاغ الرسالة – أن يفرغ فى آذان الناس وقلوبهم آخر ما لديه من نصح أن، كان يحس أن، هذا الركب سينطلق فى بيداء الحياة وحده، فهو يصرخ به كما يصرخ الوالد بابنه الذى انطلق به القطار يوصيه الرشد ويذكره بما ينفعه أبدا..(وكان) هذا النبى الطيب كلما أوجس خيفة من مكر الشيطان بالناس عاود صيحات الإنذار، واستثار أقصى ما فى الأعماق من انتباه.ثم ساق الهدى والعلم... وقطع المعاذير المنتحلة، وانتزع بعد ذلك شهادة من الناس – على أنفسهم وعليه – أنهم قد سمعوا، وأنه قد بلغ...

(إلى) أن يقول: (وفى) يوم عرفه من هذه الحجة العظيمة نزل قول الله عز وجل: ﴿..**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**..﴾ [المائدة: ٣]. (وعندما) سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان. وكأنه استشعر وفاة النبى ﷺ.

** (ولهذا)، فقد رأيت كذلك بعد أن وقف الأخ المسلم معى على خطبة حجة الوداع، أن أقف معه كذلك على:

خطبته صلوات الله وسلامه عليه فى مرض موته

* (فعن) الفضل بن العباس قال: جاءنى رسول الله ﷺ فخرجت إليه فوجدته موعوكا قد عصب رأسه، فقال: «**خذ بيدى يا فضل**» فأخذت بيده حتى جلس على المنبر، ثم قال: «**ناد فى الناس**»، فاجتمعوا إليه، فقال: «**أما بعد، أيها الناس فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وإنه قد دنا منى خفوق [2] من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا، فهذا ظهرى فليستقد [3] منه، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضى فليستقد منه، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قِبلى، فإنها ليست من شأنى، ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى**

(١) فى كتابه (فقه السيرة) ص ٣٤٦، ٣٤٧. باختصار وتصرف.

(٢) خفق النجم يخفق خفوقا، أى: غاب.

(٣) أى: فليقتص منى. من (القود) وهو القصاص.

حقا، إن كان له، أو حَلَّلَنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس، وقد أرى أن هذا غــير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا)).

* ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته الأولى، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم [1]، فأعطاه عوضها، ثم قال: ((**أيها الناس، من كان عنده شــىء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخــرة**))، ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال: ((**إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده**))، فبكى أبو بكر، وقال: فــديناك بأنفسنا وآبائنا).

(تاريخ الطبرى ٢:١٩٢ والكامل لابن الأثير ٢:٢٥٤).

** (وينتقل) الرسول ﷺ إلى جوار ربه.. بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانــة، وهدى الأمة، وكشف الغمة، (وبعد) أن ترك الإسلام أمانة فى أعناقنا..(فلنكن) أهلا لتحمل هذه الأمانة والمحافظة عليها..إلى يوم الدين.. ونحن نسأله ســبحانه وتعــالى التثبيت.. اللهم آمين،

مع بعض وصايا الخلفاء الراشدين وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين...[2]

وخامسا: أوصيك أخا الإسلام بوصية أبى بكر الصديق ﷺ إلى عمر بن الخطاب ﷺ.

* (فقد) ورد أنه لما مرض أبو بكر ﷺ مرضه الذى توفى فيه عَهد إلى عمر بــن الخطاب ﷺ وقال: (إنى) مستخلفك من بعدى، وموصيك بتقوى الله، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا تقبل نافلة حتى تــؤتى الفريضة، فإنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإن خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا.

---

(١) وقد ورد فى رواية أخرى أنه كان قد مر سائل على رسول الله ﷺ فأمر القائل هذا أن يعطيه ثلاثة دراهم..(ذكره ابن كثير فى البداية).

(٢) كما جاء فى كتاب (الوصايا الخالدة).

إن الله عز وجل ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف أن لا أكون مع هؤلاء، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني أرجو أن لا أكون من هؤلاء، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون المؤمن راغبًا راهبًا، ولا يتمنى على الله غير الحق، ولا يُلقى بيده إلى التهلكة.

فإذا حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإذا ضيعتَ وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت، ولستَ بمعجز الله. يا عمر، أبغضك مبغض وأحبك مُحب، وقد مَا يُبغض الخير ويحب الشر.

فقال عمر: (لا حاجة لى فيها) ويعنى الخلافة فقال له:

(ولكن لها بك حاجة يا بن الخطاب، إنى إنما استخلفك نظرا لما خلفت ورائى. قد رأيتَ رسول الله ﷺ وصَحْبَتَه، ورأيتَ أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنا لنهدى لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتَنى وصحبتنى، وإنما اتبعت أثر من كان قبلى، والله ما نمت فحملت،ولا توهمت فسهوت، وإنى لعلى السبيل ما زِغتُ.

إن أول ما أحذرك يا عمر نفسك، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت فى غيرها، واحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله، فإنهم قد طمحت أبصارهم، وانتفخت أجوافهم، وأحب كل امرئ منهم نفسه،وإن لهم لحيرة عند زلة واحد منهم، فإياك أن تكونه، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقين [1] منك ما زلت خائفا لله وفَرِقتَه، ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك).

وهذه وصيتى واقرأ السلام عليك

** (ثم) إليك:

كتاب عمر إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما – فى القضاء.

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن قيس [2]: سلام عليك أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا

(١) الَفرَق: أى الخوف.
(٢) وهذا هو اسم أبى موسى الأشعرى الحقيقى أما الأول فكنيته

أدلى[1] إليك، وانفُذ إذا تبين لك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس[2] بين النـــاس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك[3] ولا ييـــأس ضـــعيف مـــن عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل.

الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب الله ولا سنة النبى ﷺ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك بنظائرها،واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى إليه، فإن احضر بينته أخذت له بحقـــه، و إلا استحللت عليه القضية، فإن ذلك أنفى للشك، وأجلى للعمى، وأبلغ فى العذر.

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا فى حد، أو مجربًا عليه شهادة زور، أو ظنينًا [4] فى ولاء أو نسب فإن الله قد تولى منكم السرائر، ودر [5] درأ بالبينـــات والأيمان، وإياك والغلق [6] والضجر والتأذى بالخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذُخر، فمن صحت نيته، وأقبل على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، من تخلق [7] للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفســـه، شانه الله، فما ظنك بثواب عند الله عز وجل، وخزائن رحمته. والسلام. ا.هـــ.

** (وأقول): ليت جميع العاملين فى سلك القضاء ومن على شاكلتهم.. يدرسون هذه الرسالة العمرية — التى قد تكون هى الوحيدة فى هذا الشأن — إنهم إن حفظوها ودرسوها ونفذوها تنفيذا عمليًا — فإنه لن يكون هناك ظلم إن شاء الله.. إنما سيكون هناك العدل الذى هو أساس الملك..

والله ولى التوفيق

---

(١) أى: إذا أدلى إليك بالحجة .
(٢) أى: سو بينهم واجعل بعضهم أسوة لبعض.
(٣) الحيف: أى الجور والظلم.
(٤) أى: متهمًا.
(٥) أى: دفع. ففى الحديث: **((ادرءوا الحدود بالشبهات))**.
(٦) الغلق بفتح اللام: أى: ضيق الصدر.
(٧) تخلق: أى تكلف.

** (وأيضا) إليك كذلك.

كتاب عمر إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فى سياسة الدولة

(أما بعد.. فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة، وأهواء متبعة، ودنيا مؤثرة [1]، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار، وإذا عرض لك أمران: أحدهما لله، والآخر للدنيا، فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى، وكن من خشية الله على وَجَلٍ، وأَخِف الفساق واجعلهم يدا يدا، ورجلا رجلا [2]، وإذا كانت بين القبائل ثائرة [3] وتداعوا: يا لفلان، فإنما تلك نجوى [4] الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا [5] إلى أمر الله، وتكون دعوتهم إلى الله والإسلام،واستدم النعمة بالشكر، والطاعة بالتألف، والمقدرة والنصرة بالتواضع والمحبة للناس.

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضَبَّة تدعوا بالضبة وإنى والله ما أعلم أن ضَبَّة ساق الله بها خيرا قط،ولا منع بها من سوء قط، فإذا جاءك كتابى هذا فانتهكهم [6] عقوبة حتى يتفرقوا إن لم يفقهوا، وألصق بغيلان بن خرشة من بينهم، وعُدْ مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وافتح بابك لهم، وباشر أمرهم بنفسك، فإنما أنت امرؤ منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا.

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه قد فشت لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها. فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصب، فلم يكن لها همّة إلا السمن، وإنما حتفها فى السمن.

---

(١) أى: مفضلة.

(٢) أى: كبل أيديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود.

(٣) أى: عداوة وشحناء .

(٤) فى صيغة أخرى: نخوة من الشيطان وهى الكبر والعظمة.

(٥) أى: يعودوا.

(٦) أى: اشتد فى عقوبتهم.

واعلم أن للعامل مَردًّا إلى الله، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته،وأنّ أشقى الناس من شقيت به رعيته، والسلام).

(وإذا) كان للعبد الفقير أن يعلق تعليقا موجزا على هذا الكتاب -العُمَرى- الذى رسم فيه عليه رضوان الله الأسس العامة.. فى سياسة الدولة الحكيمة.. التى ستظل منتصرة على أعدائها. بتأييد الله ونصره..(فإننى) أقول لجميع حكام المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: اقرأوا رسالة عمر ابن الخطاب ﷺ .. ونفذوها. على أنفسكم أولا، ثم على الرعية ثانيا.. حتى تكونوا فعلا أهلا لتلك الرئاسة التى وصلتم إليها، والتى أرجو أن تكون لكم لا عليكم...

والله ولى التوفيق

** (ثم) إليك أخا الإسلام:

صفة الإمام العادل للحسن البصرى- عليه رضوان الله

(فقد) كتب عمر بن عبد العزيز -ﷺ- لما ولى الخلافة إلى الحسن ابن أبى الحسن البصرى، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله:[1]

(اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كُلِّ مائل، وقَصْدَ كلِّ حائر،وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذى يرتاد لها أطيب المراعى، ويزودها عن مراتع الهلكة، ويحميها عن السباع، ويكنها من أذى الحر والقرّ.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالأب الحانى على ولده، يسعى لهم صغارا، ويعلمهم كبارا، يكسب لهم فى حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالأم الشفيقة البرة، الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعته كرها، وربته طفلا تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: وصى اليتامى، وخازن المساكين، يربى صغيرهم، ويمون كبيرهم.

(١) كما جاء فى كتاب (الوصايا الخالدة) للأستاذين: عبد البديع صقر، مصطفى جبر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلي الله ويريهم،وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيِّدُه، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال. فأفقر أهله، وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين: أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها ! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده، من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين: أن لك مترلا غير مترلك الذى أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك فى قعره فريدا وحيدا، فتزود له ما يصحبك: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**﴾ [عبس: ٣٤،٣٦].

واذكر يا أمير المؤمنين: ﴿**إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [العاديات: ٩، ١٠]، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين أنت فى مَهَل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل. لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمَة، فتبوء بأوزارك، وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات فى دنياهم: بإذهاب طيباتك فى آخرتك. ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت، وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحى القيوم.

إنى يا أمير المؤمنين،وإن لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولوا النهى من قبلى، فلم آلك شفقة ونصحا، فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

** (وهكذا) كان الوعظ والإرشاد، والنصـح الأمـين. للأمـراء المـؤمنين، المتواضعين.. الذين لابد وأن يكونوا قدوة صالحة لجميع الأمراء والـولاة إلى يـوم الدين..(بل) ولابد كذلك وأن ينتفعوا بهذا الوعظ الصادق.. حتى لا ينسـوا أنهـم سيسألون عن رعيتهم:﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]،﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].
مع الدعاء لهم بالتوفيق والسداد، اللهم آمين.

** (ثم) إليك أخا الإسلام هذه الوصية العظيمة الجامعة التى أَوْصَى بها الإمام عَلِيّ كرم الله وجهه ولده: محمد بن الحنفيةرضي الله عنه .

وفيها يقول له كلامًا جامعا أرجو أن ننتفع به جميعًا:

* (يا بنى: أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب، والقصد فى الفقر والغنى، والعدل على الصديق والعدو، والعمل فى النشاط والكسل، والرضا عن الله عز وجل فى الشدة والرخاء.

يا بنى: ما شر بعده الجنة شَرٌّ، ولا خيرٌ بعده النار خير، وكلُّ نعيمٍ دون الجنـة حقير، وكُلُّ بلاءٍ دون النار عافية.

واعلم يا بنى: أن من أبصر عيب نفسه شغُل عن عيب غيره، ومن رضى بَقْسم الله لم يحزن على ما فاته، ومَنْ سَلَّ سيف البغى قُتل به، ومن حفر لأخيه بئرا وقـع فيها، ومن هتك حجابَ أخيه انكشفت عورات بيته، ومن نسى خطيئته اسـتعظم خطيئة غيره، ومن كابر الأمور عطب، ومن اقتحم البحر غرق، ومن أعجب برأيـه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زَل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن سفه عليهم شُتم، ومن سلك مسالك السوء اتُّهم، ومن خالط الأنذال حُقِّر، ومن جالس العلماء وُقِّر، ومـن أكثر من شيءٍ عُرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حيـاؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

يا بنى: من نظر فى عيوب الناس ثم رضيها لنفسه فذاك هو الأحمق بعينه، ومن تفكر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سَلِمَ، ومن ترك الشهوات كان حُرًّا، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.

يا بنى: عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قَلَّ كلامه إلا فيما يعنيه، العجب ممن خاف العقاب فلم يَكُفّ، ورجا الثواب فلم يعمل، الفكر نور، والغفلة ظُلمة، والجهالة ضلالة، والسعيد من وُعِظ بغيره، الأدب خير ميراث، وحُسن الخلق خير قرين.

يا بنى: ليس مع القطعية نما، ولا مع الفجور غنى .

يا بنى: العافية عشرة أجزاء: تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله تعالى، وواحد فى ترك مجالسة السفهاء، ومن تزين بمعاصى الله فى المجالس أورثه الله ذلا، ومن طلب العلم عَلِم.

يا بنى: رأس العلم الرفق، وآفته الخِذْق [1]، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب، العفاف زينة الفقراء، والشكر زينة الأغنياء.

يا بنى: أغنى الغنى العقل، وأفقر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العُجْب، وأكرم الحسب حسن الخلق. إياك ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه يقرب إليك البعيد ويبعد عنك القريب، وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه [2].

يا بنى: كثرة الزيارة تورث الملال، والطمأنينة قَبْل الخِبرة ضِدّ الحزم، وإعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

يا بنى: كم نظرة جلبت حسرة، وكم كلمة سلبت نعمة. لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من الزهد، ولا معقل [3] أحرز من الورع، ولا لباس أجمل من العافية، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت، ومن اقتصر على بلغة الكفاف [4] تعجل الراحة.

---

(١) يقال لتحذلق الرجل بزيادة اللام: إذا ادعى أكثر مما عنده.

(٢) التافه: أى الشيء الحقير.

(٣) معقل بوزن مسجد: أى ملجأ.

(٤) على بلغة الكفاف: أى ما يتبلغ به من العيش.

يا بنى: الحرص مفتاح التعب ومَطِيَّة النَّصَب، وداع إلى اقتحام الذنوب، والشَّرَه جامع لمساوى العيوب، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك، لأخيك عليك مثل الذى لك عليه، ومَنْ تورط فى الأمور من غير تبصير فى الصواب فقد تعرض لفدحات النوائب. التدبير قبل العمل يؤمنك الندم. من استقبل وجوه الآراء عرف مواقف الخطأ.

يا بنى: البخل جلباب المسكنة، والحرص علامة الفقر. وَصُولٌ مُعْدِمٌ خير من جافٍ مُكْثِر، لكل شىء قوت، وابن آدم قوت الموت.

يا بنى: لا تُؤيسَنَّ مذنبا على ذنبه، فكم عاكف على ذنب ختم له بالخير، وكم مقبل على عمله أفسده فى آخر عمره فصار إلى النار.

يا بنى: فى خلاف النفس رشدها، الساعات تنقص الأعمار. ا.هـ.

(ويروى) أنه ﷺ وكرم الله وجهه كان يترنم بهذه الأبيات:

إن المكارم أخلاق مُطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعُرف سَادِيها

والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللّين عاشيها

والعين تعلم من عَيْنَىْ محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

والنفس تعلم أنى لا أصدقها ... ولست أَرْشُد [1] إلا حين أعصيها

ومع بعض الأقوال المأثورة التى أرجو أن تكون زادًا لنا دائما وأبدا فى سفرنا إلى الله..

فإليك: سادسا هذه الأقوال المأثورة:

قال بعض الحكماء: المروءة باب مفتوح، وخير ممنوح، وستر مرفوع، وطعام موضوع، ونائل مبذول، وكلام معسول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

وقال بعضهم: المروءة ست خصال: ثلاثة فى الحضَر، وثلاثة فى السفر:

فأما التى فى السفر: فبذل الزاد، وحُسن الخلق، ومداعبة الرفيق.

وأما التى فى الحضَر: فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد، وعفاف الفرج.

---

(١) من الرشد وهو الصلاح.. والاسم الرشاد.

(وقيل) لعبد الملك بن مروان: أكان مصعب بن الزبير يشـــرب الطـــلاء [1]؟ فقال: لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه.

(وقالوا): من أخذ من الديك ثلاثة أشياء، ومن الغراب ثلاثة أشياء، تَمَّ بها أدبه ومروءته: (من) أخذ من الديك: سخاءه، وشجاعته، وغيرته. (ومن) الغراب: بكوره لطلب الرزق، وشدة حذره، وستر سفاده [2].

(وقال) بعضهم: مروءة الرجل: صدق لسانه، واحتمال عثرات إخوانه، وبذل المعروف لأهل زمانه، وكف الأذى عن جيرانه، (وقد) جُمعَت فى محكم القـــرآن فى قوله تعالى﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]

(قال) الإمام البيضاوى فى تفسير هـــذه الآيـــة:﴿إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ﴾ : أى التوسط فى الأمور كالجود المتوسط بين البخل والتبذير﴿والإحسان﴾ : أى إحســـان الطاعات، وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل، وإما بحسب الكيفية، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تـــراه فإنـــه يراك**»﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَـى﴾ أى: إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه، وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة.﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ : أى الإفراط فى مشايعة [3] القوه الشهوية[4]: كالزنا فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ : أى ما ينكر على متعاطيـــه فى إثارة [5] القوة الغضبية﴿وَالْبَغْـيِ﴾ : أى الاستعلاء والاستيلاء على النـــاس والتجـــبر عليهم، فإنها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية، ولا يوجد من الإنسان شـــر إلا وهو مندرج فى هذه الأقسام صادر بتوسط إحدى هذه القوى الثلاث (ولذلك) قال ابن مسعودﷺ : هى أجمع آية فى القرآن للخير والشر، وصارت سبب إسلام عثمان ابن مظعون رضى الله تعالى عنه، ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه

---

(١) اسم للخمرة.

(٢) سفاده: أى جماعه.

(٣) مشايعة: أى متابعة.

(٤) الشهوية: نسبة إلى الشهوة.

(٥) أى فى تحريك وتهييج النفس.

تبيان لكل شيء وهدى ورحمة.. (ولعل) إيرادهـا عقيـب قولـه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾للتنبيه عليه ﴿يَعِظُكُم : بالأمر والنهى والمَيْز بين الخـير والشـر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ : أى تتعظون. ا.هـ باختصار [1].

(ثم) يقول: (وَاعْلَمْ): أن أسباب السُؤْدد [2] سبعة: العقل، والحلم، والصيانة، والصدق، والعلم، والسخاء، وأداء الأمانة، (وأضيف) إلى ذلك الصبر، والتواضـع، والعفاف: تلك عشرة كاملة، هى لمحاسن الشِّيَم شاملة.

(وحكى) أن الرشيد قال للأصمعي: هل تعرف كلمات جامعـات لمكـارم الأخلاق يقل لفظها، ويسهل حفظها ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين: (دخل) أكثم بن صيفي حكيم العرب على بعض ملوكها، فقال له ـ أى الملك ـ: أريد أن أسـألك عن أشياء لا تزال بصدرى مختلجة [3]، والشكوك عليها والجة [4].. فقال: سـألت خبيرًا، واستنبات بصيرا، والجواب يشفعه الصواب [5]، فاسأل عما بدا لك.

(فقال): ما السؤدد ؟

قال: اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف.

(قال): فما الشرف ؟

قال: كف الأذى، وبذل الندى [6].

(قال): فما المجد ؟

قال: حمل المغارم، وابتناء المكارم.

(قال): فما الكرم؟

قال: صدق الإخاء فى الشدة والرخاء.

(قال): فما العز ؟

---

(١) كما جاء فى كتاب (تحفة العصر الجديد ...) للشرنوبى الأزهرى عليه رحمة الله.

(٢) السؤدد: أى السيادة.

(٣) مختلجة: أى مضطربة.

(٤) والجة: أى داخلة.

(٥) بشفعه أى يكون مقارنا له فيصير به شفعاء عما بدا أى ظهر لك.

(٦) الندى: أى الفضل من المال؛ وأصله المطر.

قال: شدة القصْد، وثروة [١] العدِّ.

(قال): فما السماحة ؟

قال: بذل النائل، وإجابة السائل.

(قال): فما الغنى ؟

قال: الرضا بما يكفى، وقلة التمنى.

(قال): فما الرأى ؟

قال: كل فكر أنتجته تجربة [٢].

(فقال) له الرشيد: قد أجبت وأجدت، فاحتكم..

(قال) لكل كلمة هجمة [٣].

قال: هى لك.

(قال) الأصمعى: فقال لى الرشيد: ولك بكل كلمة بدرة [٤]، فانصرفت بثمانين ألفا.

(وقيل) لحُمَمَة بن رافع: من أكرم الناس ؟ قال: من إذا قَرُبَ مَنحَ، وإذا بَعَد مَدَح، وإذا ظُلِمَ صفح، وإذا ضُويق سمح.

(وقال) الأحنف بن قيس لبنيه: ألا أدلكم على المحمدة: الخلق السَّجيح[٥]، والكف عن القبيح، وعدم المن بالعطاء، ومداومة الستر والغطاء.

(وقيل) له يوما: ممن تعلمت الحلم ؟

فقال: من قيس بن عاصم المنفرى، رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا[٦] بحمائل سيفه، ويحدث قومه حتى أُتى برَجُلٍ مكتوف، ورَجُلٍ مقتول.

(فقيل) له: هذا ابن أخيك قتل ابنك.. فو الله ما حَلَّ حبْوته ، ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له يا ابن أخى أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك،

---

(١) وثروة العد: أى كثرة المال.

(٢) أى: اختبار.

(٣) قال أبو عبيدة: الهجمة من الإبل أولها أربعون إلى مازاد

(٤) وبدرة: هى عشرة.

(٥) السجيح: أى كثير الخير.

(٦) محتبيا: أى جامعا ظهره وساقيه والإسم الحبوة بالكسر.

وقتلت ابن عمك.. (ثم) قال لابن له آخر: قم يا بنى فحُلَّ كتاف ابن عمــك، ووار أخاك، وسُق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إنى امـــرؤ لا يطَّـــبى [1] حســـبى دنـــس يُهَجِّنُـــه [2] ولا أَفَـــنُ [3]

مـــن منفـــر فى بيـــت مَكْرُمـــة والغصـــن ينبـــت حولـــه الغُصُـــنُ

خطبـــاء حـــين يقـــول قائلـــهمْ بـــيض الوجـــوه أعفّـــةٌ لُسُـــنُ

لا يفطنـــون لعيـــب جـــارهمُ وهـــم لحفـــظ جـــواره فُطُـــنُ

(وقال) هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ ؟

قال: إن شئت أخبرتك بخلة [4] واحدة، وإن شئت بخلتين، وإن شئت ثلاث ؟

قال: فما الخلة ؟

قال: كان أقوى الناس على نفسه.

قال: وما الخلتان ؟

قال: كان مُوقَّى الشر [5] مُلَقَّى الخير [6].

قال: فما الثلاث ؟

قال: كان لا يجهل، ولا يبخل، ولا يبغى.

قضـــى الله أن البغـــى يقتـــل أهلـــه وأن على البـــاغى تـــدور الـــدوائر

ومـــن يحتفـــر بئـــرا ليوقـــع غـــيره سيُدفع فى البئر الـــذى هـــو حـــافر

(وقال) أبو بكر الصديق ﷺ: ثلاث من كن فيه كن عليه: البغى، والنكث[7]، والمكر، لأن الله تعالى يقول: **إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُم** [يونس: ٢٣] **فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** [الفتح: ١٠]، **وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** [فاطر: ٤٣].

---

(١) لا يَطَّبى دنس: أى لا يدعوه الدنس إليه.

(٢) يهجنه: أى يجعله كالهجين، وهو ما أبوه عربى وأمه أمة.

(٣) والأفن بالتحريك: أى ضعف الرأى.

(٤) خلة بفتح الخاء: أى خصلة.

(٥) موقى الشر: أى يقيه الله من الشر فلا يفعله.

(٦) أى: لا يقابله إلا الخير فيفعله.

(٧) نكث العهد أى نقضه.

* (وقال) بعض الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيرًا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقَّهه [1] في الدين، وعَضَّده [2] باليقين: فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد بعبد شرًّا: حبَّب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه، ووَكله إلى هواه: فركب الفساد، وظلم العباد.

(وقيل) لبعض الأدباء: متى يبلغ الرجل ذروة الكمال ؟ فقال: إذا اتقى من خلَقه، وجاد بما رزقه، واختار من القول أصدقه، وحَسَّن في كل الأحوال خُلُقه، فذاك الذى أنهج إلى الكمال طرقه.

وما اكتسب المحامد طالبوها ... **بمثل البشْر والوجه الطليق**

(وذكر) أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم ثم جلس، فلم يلبث أن قام..

فقال معاوية: ما أكمل مروءة هذا الفتى..

فقال عمرو: إنه أخذ بأخلاق أربعة، وترك أخلاقًا أربعة: (أخذ) بأحسن البِشْر إذا لقى، وبأحسن الحديث إذا حدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤُنة إذا خُولف[3].

(وترك) مزاح من لا يثق بعقله، ومجالسة من لا يرجع إلى دينه، ومخالطة لئام الناس، وترك من الكلام كلَّ ما يُعتذر منه.

(وقيل) للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ فقال: هو أكبر مني، وأنا أسن منه.

(وسئل) ديحاسٌ: أى الخصال أحمد عاقبة ؟

فقال: الإيمان بالله عز وجل، وبر الوالدين، ومحبة العلماء، وقبول الأدب.

(ويقال) المكارم موصولة بالمكاره، فمن أراد مَكْرُمة احتمل مكروها..

(وقد) قال بعضهم:

---

(١) وفقهه: أى فهمه.

(٢) وعضده: أى قواه.

(٣) أى: أنه لا يكلف حليفه أى صاحبه ما يشق عليه.

عَشق المكارمَ فهْــو مُعْتَمــدٌ لهــا [1] والمكرمـــات قليلـــة العشـــاق
وأقــام ســوقا للثنــاء [2] ولم يكــن سُــوقُ الثنــاء يُعــد فى الأســواق
بثَّ الصــنائعَ فى الــبلاد فأصــبحت تُجْبَــى إليــه [3] مكــارمُ الأخــلاق

(وقال) لقمان الحكيم: ثلاثة لا تعرف إلا فى ثلاثة: لا يعرف الحلِيم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

(ولذا) قيل:

ليســت الأحــلام فى حــين الرضــا إنمــا الأحــلام فى حــين الغضــب

(وكان) الإمام الشافعى ﷺ يقول:

جــزى الله الشــدائد كــل خــير عرفت بهــا عــدوى مــن صــديقى

(ولما) أتى بسبايا طيئ للنبى ﷺ قالت له شابة من السَّبى: يا محمد: هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تَمُنَّ علىّ وتُخَلِّىَ عنى، ولا تُشَمِّت بى أحياء العرب، فإنى ابنة سيد قومها، إن أبى كان يحمى الذمار [4] ويفك العانى [5]، ويشبع الجائع، ويكسو العارى، ويفشى السلام، ولا يرد طالب حاجة أبدا فقال عليه الصلاة والسلام: **((من أبوها))** ؟ قالوا حاتم طيء: فقال ﷺ: **((لو كان أبوها مسلما لترحَّمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق))**.

فخرجت إلى أخيها عدى وكان بدومة الجندل [6]، فقالت: ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله، فإنى رأيت هديًا ورأيًا ستُغلب به أهل الغلب، رأيت خصالا أعجبتنى، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف حق الكبير، وما رأيت أحدًا أجود منه ولا أكرم.

---

(١) معتمد: يقال أنت عمدتنا فى الشدائد.
(٢) أى: الذكر بخير.
(٣) تُجبَى إليه: أى تُجمع.
(٤) الذمار: هو ما وراء الرجل مما يحق له أن يحميه ...
(٥) العانى: أى الأسير.
(٦) دومة الجندل هو حصن بين المدينة والشام.

(وقد) قرأت أنها قبل أن تنصرف عائدة إلى أهلها طلبت من النبى ﷺ بأن يأذن لها بأن تدعو له بثلاث دعوات.. فلما أذن لها، قالت: لا مَلَكَتْكَ يد افتقرت بعد غِنَي، ولا ملكَتْك يد غنيت بعد فقر، ولا جعل الله لك إلى لئيم حاجة (ثم) عادت بعد ذلك إلى أخيها عدى..

وقالت له: جئتك من عند خير الناس..

(وورد) بعد ذلك أنها عادت معه بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ وأسلَمَا.

(وقال) عمر بن عبد العزيز ﷺ: ما قرن الله شيئا إلى شيء أفضل من علمٍ إلى حِلم، ومن عفوٍ إلى قدرة.

(وقال) أيضا ﷺ: استدعوا العفو من الله بالعفو عن الناس، والرحمة بهم، والشفقة عليهم.

(ويقال) ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم، إن تكلم تكلم بحلم، وإن سكت سكت بحلم.. (يقول) الشيطان: سكوته أشد علي من كلامه.

(وروى) أن عيسي عليه السلام قال: ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك، إنما ذلك مكافأة، وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك.

(ويقال): الكريم أوسع ما يكون مغفرة، إذا ضاقت بالمسيء المعذرة:

إذا اعتذر المسيء إليك يوما ... من التقصير عُذر فَتىً مُقرِّ

فصُنه عن عتابك واعف عنه ... فإن العفو شيمة كل حُرِّ

(ورُمى) عند المنصور رجل بذنب، فقال: يا أمير المؤمنين)**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**(فإن أخذتَ فى غيرى بالعدل، فخذنى بالإحسان.. فعفا عنه. (وغضب) يوما على بعض الكُتَّاب، فأمر بضرب عنقه، فقال:

وإنا الكاتبون، وإن أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه..

(وكان) يقول: لذة العفو أطيب من لذة التشفِّي، لأن لذة العفو يلحقها حمد العافية، ولذة التشفى يلحقها ذم الندم.

(وفى هذا) المعنى يقول أحدهم:

لذة العفو إن نظرتَ بعين الـ عدل أشهى من لذة الانتقام
هذه تُكسب المحامد والمجـ د وهذى تجىء بالآثام

(وكان) أبو بكر رضي الله عنه كثير العلم شديد الحلم.

(قال له) رجل يوما: والله لأسبنك سبًّا يدخل القبر معك.. (فقال له): معك يدخل لا معى.

(وأسمع) رجل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعض ما يكره، فقال: لا عليك، إنما أردتَ أن يستفزَّنى الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا.. انصرف إذا شئت.

(ولله در القائل):

إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنا أصبتَ حليما أو أصابك جاهل

(وقال) معاوية رضي الله عنه: لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يبلغ حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم.

(وله) رضي الله عنه فى الحلم أخبار مشهورة.

(منها) أنه كتب إلى عقيل بن أبى طالب رضي الله عنه يعتذر إليه من شيء جرى بينهما، يقول: من معاوية بن أبى سفيان إلى عقيل بن أبى طالب..

أما بعد،

يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قُصَىّ، ولُبابُ عبد مناف، وصفوة هاشم، فأين أخلاقكم الراسية، وعقولكم الكاسية، ولقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى، ولن يعود لمثله إلى أن يغيب فى الثرى [1].

(فكتب) إليه عقيل:

صدقتَ وقلتَ حقا غير أنى أرى أن لا أراك ولا ترانى

(فركب) إليه معاوية رضي الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع.

(ومنها): أنه كان له أرض وعبيد بجوار أرض عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فدخل فيها عبيده..

(١) الثرى: أى التراب.. يعنى بعد الموت.

فكتب إليه يقول:

أما بعد،

يا معاوية إن عبيدك دخلوا أرضى فانههم عن ذلك، وإلا كان لى ولك شأن.

والسلام.

(فلما) وقف على الكتاب دفعه لولده يزيد، وقال له: ما ترى ؟

قال: أرى أن تبعث إليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه..

(فقال) له: غير هذا خير، (ثم) كتب كتابا يقول فيه:

أما بعد،

فقد وقفتُ على كتاب ولد حوارىِّ رسول الله ﷺ، وساءنى ما ساءه، والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه، وقد نزلتُ عن أرضى لك فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال.

والسلام..

(فلما) وقف ابن الزبير عليه، كتب إليه:

قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل.

والسلام.

(فلما) وقف معاوية عليه رمى به إلى ابنه، فلما رآه تهلل وجهه وأسفر [1].

(فقال له): يا بنى، من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب، فإذا ابتليتَ بشيء من هذه الأمور فداوه بمثل هذا الدواء.

(وما أحسن) قول بعضهم:

إذا ما طاش حلمك عن عدو ... وهان عليك هجران الصديق

فلست إذًا أخا عفو وصفح ... ولاَ لأَخ على عهد وثيق

إذا زلَّ الرفيق وأنت ممن ... بلا رُفق بقيتَ بلا رفيق

(١) أسفر: أى أضاء من السرور.

وإن أنـت اتخـذت أخـا جديـد — لمـا أنكـرت مـن خُلُـق عتيـق
فمـا تـدرى لعلـك مسـتجير — من الرمضـاء [1] فَـرَّ إلى الحريـق
فكـم مـن سـالك لطريـق أمْـن — أتـاه مـا يحـاذر فى الطريـق

(ومن الأقوال المأثورة) التى قرأتها فى كتاب (مع الله) للشيخ محمد الغزالى ـ عليه رحمة الله ـ تحت عنوان:

بعض الصور للثبات على الحق والمجاهرة به

(أنه) قام أعرابى بين يدى (سليمان بن عبد الملك) فقال: إنى مكلمك ـ يا أمـير المؤمنين ـ بكلام فيه بعض الغلظة فاحتمله ـ إن كرهتَه ـ فإن وراءه ما تحبه إن قبلتَه.

(قال): هات يا أعربى.

(قال): فإنى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن من عظمتك، تأدية لحـق الله وحق إمامتك: (إنه) قد اكتنفك رجال أساءوا لأنفسهم فابتاعوا دنيـاك بدينـهم، ورضاك بسخط ربهم !!! خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حرب للآخـرة، سِلْم للدنيا. !! فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه.. فإنهم لـن يـألوا الأمانـة تَضييعا، والأمة عَسْفا وخَسْفا. (وأنت) مسئول عما اجترحوا، وليسوا مسـئولين عما اجترحت. فلا تُصلِحُ دنياهم بفساد آخرتك.. فأعظم الناس غُبناً من بـاع آخرته بدنيا غيره.

(قال) سليمان: أما أنت يا أعرابى، فقد سللت لسانك، وهو أقطـع سـيفيك.

(فقال): أجل، لك ـ يا أمير المؤمنين ـ لا عليك.

(وقام) أعرابى بين يدى (هشام بن عبد الملك)

فقال: أتت على الناس سنون.

(أما الأولى): فلحت ـ أى أزالت ـ اللحم.

(وأما الثانية): فأكلت الشحم.

(وأما الثالثة): فهاضت العظم، وعندكم فضول أموال، فإن كانت لله فقسـموها بين عباده. (وإن) كانت لهم ففيم تحظر عنهم ؟

---

(١) الرمضاء: من الرمض بفتحتين؛ شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، والأرض رمضاء بوزن حمراء.

(وإن) كانت لكم فتصدقوا عليهم بها، فإن الله يجزى المتصدقين (فأمر) هشام بمال فقسم بين الناس، وأمر للأعرابي بمال (فقال): أَكُلُّ المسلمين له مثل هذا ؟ (قالوا): لا، ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين.!!! (قال): لا حاجة لى فى ما يبعث لائِمةَ الناس على أمير المؤمنين.

(وقال) أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أضحكنى ثلاثة، وأبكانى ثلاثة:

(أضحكنى) مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدرى، أراضٍ الله عنه أم ساخط عليه ؟

(وأبكانى) فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدى الله يـــوم تبدو السرائر، ثم لا أدرى أأصير إلى الجنة أو إلى النار ؟

(وقال): (سليمان بن عبد الملك) لأبى حازم: مالنا نكره الموت ؟

قال: لأنكم عمرتم الدنيا، وخربتم الآخرة، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

(وحكى) عن (العز بن عبد السلام) أنه أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه أخطأ.

(فنادى) فى مصر على نفسه: من أفتى له (ابن عبد السلام) بكذا فلا يعمل به، فإنه أخطأ فيه.

(وعدَّد) معاوية على الأحنف ذنوبًا.

فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين: لِم ترد الأمور على أعقابها ؟ أما والله، إن القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا، وإن السيوف التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا. (ولـــئن) مددت لنا بشبر من غدر، لنمدن إليك باعا من ختر[1]. (ولئن) شـــئت لنستصـــفين كدر قلوبنا بصفو حلمك ... (قال معاوية): فإنى فاعل.

(وقال) على كرم الله وجهه: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحى إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

(وقال) أبو سعيد الحسن البصري رحمه الله: لا يزال الرجل كريماً على النـــاس حتى يطمع فى دنياهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به، وكرهوا حديثه، وأبغضوه.

(١) الختر: أى الغور (مختار الصحاح) ص ١٦٩.

(وروى) أن أعرابيا سأل أهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا: الحسن. قال: وبم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دينارهم. فقال: ما أحسن هذا.

(وقال) على بن عبد العزيز القاضى ــ رحمه الله:

يقولون لى: فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومَنْ أكرمته عزةُ النفس أُكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيرته لى سُلَّما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ... ولا كل من لاقيت أرضاه مَنْعَما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحر تحتمل الظَّما
أُنهنهها عن بعض ما لا يشينها ... مخافة أقوال العدا: فيمَ أو لما ؟ (1)
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى ... لأخدم من لاقيتُ لكن لأُخْدَما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلةً ؟ ... إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظُما
ولكن أهانوه فهان، ودَنَّسوا ... مُحَيَّاه بالأطماع حتى تجهَّمَا

(وقال) أعربى: ألله يخلف ما أتلف الناس، والدهر يتلف ما جمعوا. وكم من ميتة علتها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت.

(وكان) خالد بن الوليد ــ ﷺ ــ يسير فى الصفوف يُذَمِّر الناس ويقول: يا أهل الإسلام، إن الصبر عز، والفشل عجز، وإن النصر مع الصبر.

(وقال) أبو العلاء ــ يصف مقترفى الرذائل الذين يدعون الناس إلى الله:

دَعَوْا وما فيهموا زاك ولا أحدٌ ... يخشى الإله، فكانوا أكْلُباً نُبحَا
وليس عندهموا دين ولا نُسُكٌ ... فلا تغرك أيد تحمل السُّبُحا
وكم شيوخ غدوا بيضا مفارقهم ... يسبحون، وباتوا فى الخنا سُبُحا !!
لو تعقل الأرض ودَّت أنها صَفِرت ... منهم فلم ير فيها ناظرٌ شَبَحا

(وقال) فى تدين البُلْه من العامة وأشباههم:

وقد فتشتُ عن أصحاب دين ... لهم نُسك وليس لهم رياءُ

(1) أى: فيم فعلت كذا، أو لم فعلت كذا.. ؟

فألفيـــتُ البـــهائم لا عقـــولٌ تقـــيم لهـــا الـــدليل ولا الضـــياءُ
وإخـــوان الفطانـــة فى اختيـــال كـــأنهم لقـــوم أنبيـــاءُ
فأمـــا هـــؤلاء فأهـــل مَكْـــر وأمـــا الأولـــون فأغبيـــاءُ
فإن كـــان التُّقَـــى بَلَهـــاً [1] وعَيَّـــاً فأعيـــار المذلـــة أتقيـــاءُ

(وقال) فى الواعظ الذى يطلب الدنيا وينفر الناس منها:

بخيفـــة الله تَعَبَّـــدتنا وأنـــت عـــين الظـــالم اللاهـــى
تأمرنـــا بالزهـــد فى هـــذه الـــد نيـــا، ومـــا همـــك إلا هـــى

(ومن) الأقوال المأثورة عن الإمام على كرم الله وجهه فى شأن النساء: أيهـــا الناس: لا تطيعوا النساء فى أمر، ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش، فإنهن إن تركن ومـــا دبرن أفسدن الملك، وعصين المالك، وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن، ولا ورع لهن عند شهواتهن، اللذة بهن يسيرة، والحيرة بهن كثيرة، فأما صوالحهن: ففاجرات، وأما طوالحهن: فعاهرات، وأما المعصومات: فهن المعدومات.

(فيهن) ثلاث خصال من خصال اليهود: يتظلمن وهن الظالمات، ويحلفن وهـــن الكاذبات، ويتمنعن وهن الراغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حـــذر من خيارهن، والسلام.ا.هـــ.

(وهذا) باعتبار الغالب، وإلا ففيهن نسوة لهن أحوال وزهد وصلاح، كأكـــابر الرجال، مثل رابعة العدوية رضى الله عنها (فلقد) ورد أنها كانت إذا صلّت العشاء، قامت إلى سطح لها، وشدَّت عليها درعها وخمارها (ثم) تقول: إلهى غابت النجوم، ونامت العيون، وغلّقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقـــامى بـــين يديك، ثم تقبل على صلاتها، فإذا كان وقت السحر، وطلع الفجر، قالت: هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعرى، أَقَبلتَ منى ليلتى فأُهَنَّى، أم رددتَها على فأُعَزَّى، وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحتُ عنه لما وقع فى قلبى من محبتـــك، ثم تنشد وتقول:

يـــا ســـرورى ومُنـــيتى وعمـــادى وأنيســـى وغـــايتى ومـــرادى
أنـــت روح الفـــؤاد أنـــت رجـــائى أنـــت لى مـــؤنس وشـــوقك زادى

(١) البله البلاهة: هو الذى غلبت عليه سلامة الصدر.. (مختار الصحاح) ٦٥ (والعى: ضد البيان ...)

أنت لــولاك يــا حيــاتى وأُنســى ‏ ‏ مــا تشــتَّتُ فى فســيح الــبلاد
لك كم منّــه لــك وكــم فضــل ‏ ‏ مــن عطــاء ونعمــة وأيــادى
حبــك الآن بغــيتى ونعيمــى ‏ ‏ وجــلاء لعــين قلــبى الصَّــادى
إن تكــن راضــيًا علــىَّ فــإنى ‏ ‏ يا منى القلــب قــد بــدا إســعادى

(ولقد) تحدث أحدهم عنها كثيرا.. ثم قال _ بعد أن ذكر زهدها وتقواها_:

ولو كــان النســاء كمثــل هــذى ‏ ‏ لفُضِّــلت النســاء علــى الرجــال

(وذلك) لأن العبرة ليست بالذكورة ولا بالأنوثة.. وإنما بالصــلاح والتقــوى. (ولهذا) فإن الإسلام لم يفرق بين الذكر والأنثى فى نتائج الأعمال الصــالحة _ بــل والطالحة _ فقال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٣٥].

وقال: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً[١] وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[٢]﴾** . [النحل: ٩٧].

(فعلى) الأخت المسلمة أن تلاحظ هذا بصرف النظر عن كلام سيدنا علــى كرم الله وجهه _ عسى أن تكون من المعصومات المحفوظات إن شاء الله: (وليكن) ما قاله سيدنا على ﷺ بالنسبة لها على سبيل الترهيب.. حــتى لا تتــرك نفســها للشيطان يلعب بها..

(فقد) قرأت أن اللعين إبليس يقول للمرأة: أنت نصف جنــدى. (فلتحــذر) أن تكون أداة فتنه فى جند اللعين إبليس _ أعاذنا الله منه ومن جنوده _ اللهم آمين.

(ومن) أجمل ما قرأت كذلك (أنه) قد ورد فى الحديث: «**ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها: استعدى فقد قرب الموت**» وما أحسن ما قيل فى ذلك:

---

(١) أى: فى الدنيا.
(٢) أى: فى الأخرة.

ذهبــت لــذة الصِّــبا فى المعاصــى   وبقــى بعــد ذاك أخــذ القصــاص
ومعــنى الحســن والجمــال ومــا لى   عمــل أرتجيــه يــوم الخَــلاص
غــير ظــنى فى الله فهــو جميــل   فيــه أخلصــتُ غايــة الإخــلاص

(وقد) روى عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((ما من مُعَمَّر يُعمِّر فى الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء: الجنون، والجــذام، والبرص، فإذا بلغ الخمسين: سهل الله له الحسنات، فإذا بلغ الستين: رزقه الله الإنابة بما يحب، فإذا بلغ السبعين: أحبه الله تعالى وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين: تقبل الله حسناته، وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين: غفر الله له ما تقدم من ذنبــه ومــا تأخر وسُمِّى أسيرُ الله فى الأرض، وشفع فى أهل بيته، فإذا بلغ مائة سنة: سُمى جيش الله فى الأرض، وحق على الله أن لا يعذب جيشه فى الأرض))**.

(وللشيخ) الإمام صالح ابن أبى شريف الأندلسى:

ابــنُ عشــر مــن الســنين غُــلام   رفعــت عــن نظــيره الأقــلام
وابــن عشــرين للصِّــبا والتصــابى   لــيس يثنيــه عــن هــواه مَــلامُ
والثلاثــون قــوة وشــباب   وهُيــام ولوعَــة وغــرامُ
فــإذا زاد بعــد ذلــك عشــرا   فكمــال وشــدة وتمــامُ
وابــن خمســين مــر عنــه صــباه   فــيراه كأنــه أحــلامُ
وابــن ســتين صــيرته الليــالى   هــدفا للمنُــون [1] وَهْــىَ ســهامُ
وابــن ســبعين لا تســلنى عنــه   فــابن ســبعين مــا عليــه كــلامُ
فــإذا زاد بعــد ذلــك عشــرا   بلــغ الغايــة الــتى لا تُــرامُ
وابن تسعين عــاش مــا قــد كفــاه   واعترتــه وســاوس وســقامُ
فــإذا زاد بعــد ذلــك عشــرا   فهــو حَــىٌّ كميِّــت والســلامُ

(وعن) أبي بكر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله: أيُّ الناس خير ؟ قال: **((من طال عمره وحسن عمله))** قال: فأيُّ الناس شر ؟ قال: **((من طال عمــره وســاء عمله))**. رواه الترمذى وقال: حديث صحيح.

---

(١) المنون: أى الموت.

(وقد) ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**إن إبليس ــ (عليه لعنة الله) ــ لما نزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيما، فاجعل لي بيتا ؟ قال: (الحمام)** [1] **قال اجعل لي مجلسا ؟ قال: (الأسواق ومجامع الطرق) قال: فاجعل لي طعاما ؟ قال: (ما لم يذكر اسم الله عليه) قال فاجعل لي قرآنا ؟ قال: (الشعر**[2]**) قال: فاجعل لي مؤذنا ؟ قال: (المزمار**[3]**) قال: فاجعل لي حديثا ؟ قال: (الكذب) فاجعل لي رسلا ؟ قال: (النساء).**))، رواه ابن أبي الدنيا.

(هذا) وإذا كان قد جاء في الحديث السابق ذكر الشعر ... (فإنني) أحب أن أشير بعد ذلك إلى ما كتبه الإمام الشيخ عبد اللطيف المشتهري ــ عليه رحمة الله في شرحه لقصيدة (التذكير بالله) حيث يقول: (وكم) كان ﷺ يتأثر بالشعر الحسن ويستنشده مِنْ مُجيدٍ به، كالخنساء رضي الله عنها حتى كان يقول لها كلما سكتت هيه يا خنساء، وكحسان بن ثابت رضي الله عنه الذي كان ينافح بشعره المؤمن عن الإسلام وعن رسوله الأكرم ﷺ، وكان ﷺ يشجعه ويقول: (اهجهم وجبريل معك)، وقال له: (إن شعرك أنكى فيهم من وقع السهام، وإن روح القدس يؤيدك) وهذا: الشعر الحسن هو المستثنى من ذم الله للشعراء الذين يتبعهم الغاوون، وهم في كل واد يهيمون، ويقولون مالا يفعلون ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٧].
وكان ﷺ يتمثل بقول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

ويقول: إنها أصدق كلمة قالها شاعر، ولكن الله عصم ــ الرسول ﷺ ــ أن يكون شاعراً... وقال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ...**﴾ [يس: ٦٩] حتى كان إذا حكى شعراً ربما قدم فيه أو أخر كقوله يحكي:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً   ويأتيك من لم تزود بالأخبار

وصحتها: (ويأتيك بالأخبار من لم تزود)

(١) أي: الحمام العام الذي يجتمع فيه الرجال عرايا.. أو النساء كذلك عرايا.
(٢) أي: الشعر الرخيص.. أما الشعر الهادف والذي يتفق مع القرآن والسنة فلا كراهة فيه..
(٣) وكذلك جميع آلات الموسيقى. المحركة للشهوات

حتى قالت عائشة لما سمعته، صدق الله العظيم﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].
وقال الشافعي: الشعر كأى كلام، حسنه حسن وقبيحه قبيح. ا.هـ بتصرف.

* (وأما) قول الشافعيرضي الله عنه :

فلولا الشعر بالعلماء يُزْرى ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

* (فالجواب) عنه: أن أهل العصر الأول خصوصاً الإمام الشافعيرضي الله عنه ، كانوا لا يشتغلون بالشعر لاشتغالهم بما هو أهم منه، كالاجتهاد وتقرير الأصول، وتدوين الكتب، ونحو ذلك، ومن عادة الناس أنهم يقدمون الأهم، وكانوا يرون أن الاشتغال بالشعر بالنسبة إلى ما هم فيه انتقاصْ.

** (ومن) أجمل ما قرأت فى طلب العلم الذى لابد منه وهو العلم الشرعى كالفقه والحديث والتفسير والآلات الموصلة إلى فهم ذلك:

تعلم فإن العلم زين لأهله ... وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيداً كل يوم زيادة ... من العلم واسبح فى بحور الفوائد
تفقه فإن الفقه أفضل قائد ... إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادى إلى سُنَن الهدى ... هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فإن فقيهاً واحداً متورعاً ... أشد على الشيطان من ألف عابد

* (وذكر) فى الجامع الصغير أنهصلى الله عليه وسلم قال: ((**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**)).

* وقد قال بعضهم:

سهرى لتنقيح العلوم ألَذُّ لى ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلى طربًا لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مُدامة ساق
وصرير أقلامى على أوراقها ... أحلى من الدوكاة والعُشَّاق
وألذ من نقر الفتاة لدفّها ... نقرى لأُلْقى الرمل عن أوراقى
أأبيت سهران الدجى وتبيتُه ... نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

* (وقال) الإمام الشافعيرضي الله عنه :

تصبر على مر الجفا من معلم ... فإن رسوب العلم فى نفراته

ومــن لم يــذق ذل الــتعلم ســاعة تجــرع ذل الجهــل طــول حياتــه
ومن فاتــه التعلــيم وقــت شــبابه فكــبر عليــه أربعــا لوفاتــه
حيــاة الفــتى والله بــالعلم والتقــى إذا لم يكونــا لا عتبــار لذاتــه

* (وقال) أيضا رضي الله عنه:

رأيــت العلــم صــاحبه كــريم ولــو ولدتــه آبــاء لئــام
ولــيس يــزال برفعــه إلى أن نعظــم أمــره القــوم الكــرام
ويتبعونــه فى كــل حــال كراعى الضــأن تتبعــه الســوام [1]
فلولا العلــم مــا ســعدت رجــال ولا عُــرفَ الحــلالُ مــن الحــرام

* (وقال) بعضهم:

العلم مغرس كــل فضــل فاجتهــد أن لا يفوتــك فضــل ذاك المغــرس
واعلــم بــأن العلــم لــيس ينالــه مــن همــه فى مطعــم أو ملــبس
إلا أخــو العلــم الــذى يعنوبــه فى حالتَيْــه عاريــا أو مكتســى
واحرص لتبلــغ فيــه حظــا وافــرا واهجر لــه طيــب المنــام وغَلّــس
لتعــز حــتى إن حضــرت بمجلــس أُكرمت فيه وكنتَ صــدر المجلــس
إن الخلــيَّ مــن العلــوم مقامــه عند النعال لــه صُــموت الأخــرس

* (وقد) قرأت: أنه ينبغى للعالم أن يعرف نعمة الله عليه الــتى لا تحصــى، وأن يتخلق بالمحاسن الشريفة التى ورد الشرع بها، من الزهد فى الدنيا، وعدم المبالاة بهــا وبأهلها، والسخاء والجود والكرم، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة، والتواضع واجتناب الضحك، والإكثار مــن المــدح، وملازمــة الوظائف الشرعية كالتلطف بإزالة الأوساخ والشعور التى ورد الشرع بإزالتها كقص الشارب، وتقليم الأظافر وتسريح اللحية، ونتف الإبط، وحلق العانة وإزالة الروائح الكريهة، والملابس المكروهة، وأن يطهر باطنه من الأنجاس المعنوية كالحسد والكــبر والرياء والعُجب، واحتقار غيره وإن كان دونه، وينبغى أن يترفق بمن يقرأ عليه ويعظه ويحسن إليه بحسب حاله...

(١) الخيل المسومة: أى المرعية. وسامت الماشية: أى رعت.

والله الموفق للصواب

** ومن أجمل ما قرأت كذلك تحت عنوان:

فصل فى ذكر مواقف القيامه وما به تحصل السلامة

وهو طرف من حديث شريف رواه الامام ابن العربى بالسند المنيف فى كتابه محاضرة الأبرار، ومسامرة الأخيار، ونقله الإمام الشعرانى فى كتابه (كشف الغمة عن جميع الأمة) فقال: كان على ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((إن فى القيامة لخمسين موقفا كل موقف منها ألف سنة** [(١)]**))** (فأول) موقف: إذا خرج الناس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنه عراة حفاة جياعا عطاشا، (فمن) خرج من قبره مؤمنا بربه، مؤمنا بنبيه، مؤمنا بجنته وناره، مؤمنا بالبعث والقيامة، مؤمنا بالقضاء والقدر خيره وشره من الله، مصدقا بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه: نجا وفاز وغنم وسعد (ومن) شك فى شيء من هذا بقى فى جوعه وعطشه وغمه وكربه ألف سنة حتى يقضى الله فيه بما يشاء.

* (ثم) يساقون من ذلك المقام إلى المحشر، فيقفون على أرجلهم ألف عام فى سرادقات النيران[(٢)] فى حر الشمس والنار من بين أيديهم ومن خلفهم، والشمس من فوق رؤوسهم ولا ظل إلا ظل العرش (فمن) لقى الله تبارك وتعالى شاهدا له بالإخلاص مقرا بنبيه ﷺ بريئًا من الشرك ومن السِّحر، وبريئًا من إهراق دم حرام، ناصحا لله ورسوله، محبا لمن أطاع الله ورسوله، مبغضا لمن عصى الله ورسوله: استظل تحت ظل عرش الرحمن عز وجل ونجا من غمه (ومن) حاد عن ذلك، ووقع فى شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة، أو تغير قلبه، أو شكّ فى شيء من دينه: يقضى فيه الله بما يشاء.

(ثم) تساق الخلق من النور إلى الظلمة، فيقومون فى تلك الظلمة ألف عام، (فمن) لقى الله تبارك وتعالى لم يشرك به شيئًا، ولم يدخل فى قلبه شيء من النفاق، ولم

---

(١) كما يشير الله تعالى الى هذا فى قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

(٢) وقد يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] والسائق: ملك يسوقها إلى المحشر، والشهيد: يشهد عليها. قاله عثمان بن عفان.

يشك فى شيء من أمر دينه، وأعطى الحق من نفسه، وقال الحق، وأنصف الناس من نفسه، وأطاع الله عز وجل فى السر والعلانية، ورضى بقضاء الله، وقنع بما أعطاه الله: خرج من الظلمة إلى النور فى مقدار طرفة عين مبيضا وجهه، وقد نجا من الغموم كلها، (ومن) خالف فى شيء منها بقى فى الغم والعذاب ألف سنة، ثم خرج منها مسودا وجهه، وهو فى مشيئة الله يفعل به ما يشاء.

* ثم يساق الخلق إلى سرادقات الحساب، وهى عشر سرادقات يقفون فى كل سرادق منها ألف سنة (فيُسأل) ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم؟ فإن لم يكن وقع فى شيء منها جاز إلى السرادق الثانى، (فيُسأل) عن الأهواء ؟ فإن كان نجا منها جاز إلى السرادق الثالث (فيُسأل) عن عقوق الوالدين ؟ فإن لم يكن عاقا جاز إلى السرادق الرابع (فيُسأل) عن حقوق من فوّض الله أمرهم إليه، وعن تعليمهم القرآن، وعن أمر دينهم وتأديبهم؟ (فإن) لم يكن قد فعل جاز إلى السرادق الخامس، (فيُسأل) عما ملكت يمينه؟ فإن كان محسنا إليهم جاز إلى السرادق السادس، (فيُسأل) عن حق قرابته؟ فإن كان قد أدى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع، (فيُسأل) عن صلة الرحم ؟ فإن كان وصولا لرحمه، جاز إلى السرادق الثامن (فيُسأل) عن الحسد؟ فإن كان لم يكن حاسدا جاز إلى السرادق التاسع (فيُسأل) عن المكر؟ فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السرادق العاشر (فيُسأل) عن الخديعة؟ فإن لم يكن خدع أحدًا: نجا ونزل فى ظل عرش الله عز وجل، قارَّةً عينُه، فرحا قلبه، ضاحكا فُوه (وإن) كان قد وقع فى شيء من هذه الخصال بقى فى كل موقف منها ألف عام جائعا عطشانا باكيا حزينا مهموما مغموما لا تنفعه شفاعة شافع.

* (ثم) يحشرون إلى أخذ كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، (فيُحبَسون) عند ذلك فى خمسة عشر موقفًا كلّ موقف منها ألف سنة: (فيُسألون) فى أول موقف منها عن الصدقات وما فرض الله عليهم فى أموالهم ؟ فمن أدّاها كاملة: جاز إلى الموقف الثانى (فيُسأل) عن قول الحق، والعفو عن الناس؟ (فمن) عفا: عفى عنه وجاز إلى الموقف الثالث، (فيسأل) عن الأمر بالمعروف؟ (فإن) كان آمراً بالمعروف: جاز إلى الموقف الرابع، (فيسأل) عن النهى عن المنكر؟ (فإن) كان ناهياً عن المنكر: جاز إلى الموقف الخامس،

(فيسأل) عن حسن الخلق؟ (فإن) كان حسن الخلق: جاز إلى الموقف السادس (فيسأل) عن الحب فى الله والبغض فى الله ؟ (فإن) كان محبًّا فى الله مبغضاً فى الله عز وجل: جاز إلى الموقف السابع، (فيسأل) عن المال الحرام؟ فإن لم يكن أخذ شيئاً: جاز إلى الموقف الثامن، (فيسأل) عن شرب الخمر؟ فإن لم يكن شرب من الخمور شيئاً: جاز إلى الموقف التاسع، (فيسأل) عن الفروج الحرام ؟ (فإن) لم يكن أتاها: جاز إلى الموقف العاشر، (فيسأل) عن قول الزور؟ (فإن) لم يكن قاله: جاز إلى الموقف الحادى عشر، (فيسأل) عن الأيمان الكاذبة[1]؟ (فإن) لم يكن حلفها: جاز إلى الموقف الثانى عشر، (فيسأل) عن أكل الربا؟ (فإن) لم يكن أكله جاز إلى الموقف الثالث عشر، (فيسأل) عن قذف المحصنات[2]؟ (فإن) لم يكن قذف المحصنات: جاز إلى الموقف الرابع عشر، (فيسأل) عن شهادة الزور؟ (فإن) لم يكن شهدها: جاز إلى الموقف الخامس عشر، (فيسأل) عن البهتان[3]؟ (فإن) لم يكن بهت مسلماً: نزل تحت لواء الحمد[4] وأعطى كتابه بيمينه، ونجا من هَمِّ الكتاب وهَوله وحُوسب حساباً يسيراً، وإن كان قد وقع فى شيء من هذه الذنوب الكبائر، ثم خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقى فى كل موقف من هذه الخمسة عشر موقفاً ألف سنة فى الهم والغم والهول والحزن والجوع والعطش حتى يقضى الله عز وجل فيه بما يشاء (ثم) يقام الناس فى قراءة كتبهم ألف عام.

(فمن) كان سخياً قدم ماله ليوم فقره وحاجته وفاقته: قرأ كتابه، وهون عليه قراءته، وكسى من ثياب الجنة، وتوج من تيجان الجنة، وأقعد تحت ظل عرش الرحمن عز وجل آمناً مطمئناً (وإن) كان بخيلاً لم يقدم ماله ليوم فقره وفاقته: أعطى كتابه بشماله، ويقطع له من مقطعات النيران، ويقام على رءوس الخلائق ألف عام فى الجوع والعطش والعرى والهم والغم والحزن والفضيحة حتى يقضى الله عز وجل فيه

(١) جمع يمين بمعنى الحلف وسميت بذلك لوضع الحالف يمينه فى يمين صاحبه عند الحلف.
(٢) أى: رميهم بالفحشاء.
(٣) بهت مسلما..أى كذب عليه والإسم البهتان..
(٤) وهو دون الراية والجمع ألوية ولواؤه ﷺ يشمل جميع الأنبياء...

بما يشاء (ثم) يحشر الناس إلى الميزان، فيقومون عند الميزان ألف عام (فمن) رجح ميزانه بحسناته: فاز ونجا فى طرفة عين، (ومن) خف ميزانه من حسناته وثقلت سيئاته: حبس عند الميزان ألف عام فى الهم والغم والحزن والعذاب والجوع والعطش حتى يقضى الله فيه بما يشاء (ثم) يدعى بالخلق إلى موقف بين يدى الله تبارك وتعالى فى اثنى عشر موقفاً كل موقف منها مقدار ألف عام (فيسأل) فى أول موقف عن عتق الرقاب؟ (فإن) كان أعتق رقبة: أعتق الله رقبته من النار وجاز إلى الموقف الثانى (فيسأل) عن القرآن وحقه وقراءته؟ (فإن) أتى بذلك تاماً جاز إلى الموقف الثالث (فيسأل) عن الجهاد؟ (فإن) كان جاهد فى سبيل الله محتسباً: جاز، إلى الموقف الرابع (فيسأل) عن الغيبة؟ (فإن) لم يكن اغتاب: جاز إلى الموقف الخامس (فيسأل) عن النميمة؟ (فإن) يكن نماماً: جاز إلى الموقف السادس (فيسأل) عن الكذب؟ (فإن) يكن كذاباً: جاز إلى الموقف السابع (فيسأل) عن طلب العلم؟ (فإن) طلب العلم وعمل به: جاز إلى الموقف الثامن (فيسأل) عن العُجب؟ فإن لم يكن مُعجباً بنفسه فى دينه أو دنياه أو فى شىء من عمله: جاز إلى الموقف التاسع (فيسأل) عن الكبر؟ (فإن) يكن تكبر على أحد: جاز إلى الموقف العاشر (فيسأل) عن القُنوط من رحمة الله عز وجل ؟ (فإن) لم يكن قنط من رحمة الله عز وجل: جاز إلى الموقف الحادى عشر (فيسأل) عن الأمن من مكر الله[1] ؟ (فإن) لم يكن أمن من مكر الله عز وجل: جاز إلى الموقف الثانى عشر (فيسأل) عن حق جاره؟ (فإن) كان أدى حق جاره: أقيم بين يدى الله عز وجل قريرة عينه فرحاً قلبه، مبيضاً وجهه، كاسياً ضاحكاً مستبشراً: فيرحب به تبارك وتعالى ويبشره برضاه عنه، فيفرح عند ذلك فرحاً لا يعلمه إلا الله عز وجل (فإن) لم يأت واحدة منهن تامة ومات غير تائب: حبس عند كل موقف ألف عام حتى يقضى الله فيه بما يشاء (ثم) يؤمر بالخلائق إلى الصراط فينتهون إلى الصراط وقد ضربت عليه الجسور على جهنم أرق من الشعرة وأحَدُّ من السيف، (وقد) غابت الجسور فى جهنم مقدار أربعين ألف عام، ولهب جهنم بجانبها يلتهب، وعليها حسك[2] وكلاليب وخطاطيف، (وهى) سبعة جسور يحشر العباد كلهم

(١) أى: من عذاب الله تعالى .

(٢) الحسك: شوك السعدان وما يعمل من الحديد مثاله.(وكلاليب) أى: خطاطيف.

عليها، وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام، ألف عام صعود، وألـــف عام استواء، وألف عام هبوط، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (١) يعنى تلك الجسور، وملائكة يرصدون الخلق عليها، لتسأل العبد عن الإيمان بالله عـــز وجل ؟ (فإن) جاء به مؤمناً مخلصاً لا شك فيه ولا زيغ: جاز إلى الجسر الثانى (فيسأل) عن الصلاة؟ (فإن) جاء بها تامة: جاز إلى الجسر الثالث (فيسأل) عن الزكاة؟ (فـــإن) جاء بها تامة: جاز إلى الجسر الرابع (فيسأل) عن الصيام؟ (فإن) جاء به تاماً: جـــاز إلى الجسر الخامس (فيسأل) عن حجة الإسلام؟ (فإن) جاء بها تامة: جـــاز إلى الجســـر السادس (فيسأل) عن الطُّهر؟ (فإن) جاء به تاماً: جاز إلى الجسر السابع (فيسأل) عـــن المظالم؟ (فإن) لم يكن ظلم أحداً: جاز إلى الجنة (وإن) كان قصر فى واحدة منـــهن: حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضى الله فيه بما يشاء ا.هـــ المقصود منـــه بلفظه، والله أعلم: وبالعد وجدنا المواقف التى فيه تسعة وأربعين.. (ثم) يقول:

فـــــاتعظ منـــــه وأنـــــذر إنـــــه فى الــــوعظ غابـــــة
واتخـــذ مـــا فيـــه ذكـــرى إن فى هـــــذا كفايـــــة

(وهذا) هو المطلوب منا نحن المؤمنين بصفة خاصة.. (وهو) أن نتعظ بمثـــل هـــذا التذكير (حتى) نعمل ليوم الحساب ألف حساب قبل أن نندم ولات ساعة مندم..(بل) وقبل أن يقول أحدنا: ﴿ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠: ١١].

(إننا) فى يوم القيامة سنكون فى أشد الحاجة إلى رحمة الله التى لن نكون من أهلـــها إلا إذا كنا من المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى: وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) ولبالمرصاد: فى المصباح: الرصد الطريق والجمع أرصاد أى معدت له على الطريق.

وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ[1] أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف: ١٥٦: ١٥٧].

(هذا) مع ملاحظة أنه ينبغى علينا أن لا نتكل على أعمالنا الصالحة.. لأنه ليس بفرض على الله أن يدخلنا الجنة.. (إن) أدخلنا الجنة فبفضله (وإن) أدخلنا النار فبعد له (فقد) ورد عن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال لأصحابه ذات يوم: «**لا يدخل أحكم الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**».روى مسلم نحوه.[2].

(وحتى) تتضح الصورة لنا..إليك أخا الإسلام هذا النص الذى قرأته فى كتاب (مع الله) لفضيلة الشيخ محمد الغزالى عليه رحمة الله تحت عنوان:

من رسالة تضمنت وعظ ملك

أما بعد..فالنصيحة هى هدية العلماء ...

وإنه لن يهدى-أحد- إلىّ هدية أكرم من قبوله لها، وإصغائه بقلب فارغ من ظلمات الدنيا إليها..

(وقد) قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ فقال: «**أتقاهم**»...(فقيل): من أكيس الناس؟ فقال: «**أكثرهم للموت ذكراً، وأشدهم له استعداداً..**» (وقال) ﷺ: «**الكيس من ذات نفسه وعمل لما بعد الموت..والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى...**».

(وأشد) الناس غباوة وجهلاً، من تهمه أمور الدنيا التى تُختطف منه عند الموت، ولا يعرف أهو من أهل الجنة أو من أهل النار، وقد عرفه الله تعالى هذا حيث قال: **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** [الانفطار: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: **فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾** [النازعات: ٣٧، ٤١].

(وإنى) أوصيه أن يصرف إلى هذا المهم همته.. وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.. وأن يراقب سريرته وعلانيته وأقواله وأفعاله.. أهى مقصورة على ما يُعَمِّر دنياه

(١) أى: القرآن.

(٢) انظر الوصية ٥٨ من وصايا الرسول ﷺ.

بالمكدِّرات والهموم، ثم يختمها والعياذ بالله بالشقاوة؟ فليفتح عن بصيرته **وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** [الحشر: ١٨]. (وليعلم) أنه لا مشفق عليها ولا ناظر فى أمرها سواه.. (وليتدبر) ما هو بصدده.. (فإن)كان مشغولاً بعمارة ضيعة[1] فلينظر (كم) من قرية أهلكها الله وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها بعد عمالها...؟ (وإن) كان مقبلاً على استخراج ماء أو عمارة نهر فلينظر: كم من بئر معطلة بعد عمارها ؟ (وإن) كان مهتما بتأسيس بناء فلينظر: كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها..؟ (وإن) كان مشغولاً بخدمة سلطان فليتذكر ما ورد فى الخبر: أنه ينادى مناد يوم القيامة: أين الظلمة وأعوانهم؟ (فلا يبقى) أحد مد لهم دواة، أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك إلا أُحضر..(فيجمعون) فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم..).

(وإن) كان فى طلب المال وجمعه.. فليتأمل قول عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين.. مسرة فى الدنيا: مضرة فى الآخرة.. بحق أقول لكم: لا تدخل الأغنياء ملكوت السماء..

(وقد) قال نبينا محمد ﷺ: «**يحشر الأغنياء أربع فرق: رجل جمع مالاً من حرام وأنفقه فى حرام.. فيقال: اذهبوا به إلى النار (ورجل) جمع مالاً من حرام وأنفقه فى حلال.. فيقال: اذهبوا به إلى النار (ورجل) جمع مالاً من حلال وأنفقه فى حرام.. فيقال: اذهبوا به إلى النار (ورجل) جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال.. فيقال: قفوا هذا وسلوه.. لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه.. أو قصَّر فى الصلاة، أو فى وضوئها، أو فى ركوعها، أو فى سجودها، أو فى خشوعها..؟ أو ضيع شيئاً من فرض الزكاة والحج.. (فيقول) الرجل: جمعتُ مالى من حلال.. وأنفقتُه فى حلال، وما ضيعتُ شيئاً من حدود الفرائض، بل أتيتُ بتمامها..**

(فيقال): لعلك باهيتَ بمالك.. واختلتَ فى شئ من ثيابك؟ (فيقول): يارب.. ما باهيت بمالى..ولا اختلتُ فى شئ من ثيابى.. (فيقال): لعلك فرطتَ فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين.. وقصَّرتَ فى التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل..

(١) الضيعة: عند الحاضرة: النخل والكرم والأرض، والعرب لا تعرف الضيعة إلا فى الحرفة والصناعة.

(ويحيط) به هؤلاء فيقولون: ربنا... أغنيتَه بين أظهُرنا وأحوجتَنا إليه فقصَّر فى حقنا..(فإن) ظهر تقصيره ذُهبَ به إلى النار..

(وإلا) قيل له: قف..! هات الآن شكر كل نعمة..وكل شربة..وكل آكلة..وكل لذة..فلا يزال يسأل ويسأل..)).

(فهذه) حال الصالحين القائمين بحقوق الله.. فكيف حال المفرطين المنهمكين فى الحرام والشبهات...؟

(ثم) يقول الإمام الغزالى فى نص الرسالة: (هذه) المطالب الفاسدة هى التى استدلت على قلوب الخلق تسخرها للشيطان وتجعلها ضحكة له..

(فعليه) وعلى كل مستمر فى عداوة نفسه أن يتعلم علاج هذا المرض الذى حل بالقلوب..

(فعلاج) مرض القلوب أهم من علاج مرض الأبدان. ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم..

(وله) دواءان: أحدهما: ملازمة ذكر الموت وطول التأمل فيه..

والدواء الثانى: تدبر كتاب الله تعالى.ففيه شفاء ورحمة للعالمين.. (وقد) أوصى رسول الله ﷺ بملازمة هذين الواعظين، فقال: **((تركت فيكم واعظين.. صامتاً... وناطقاً.. الصامت: الموت.. والناطق: القرآن)).**

(وقد) أصبح أكثر الناس أمواتاً عن كتاب الله تعالى، وإن كانوا أحياء فى معايشهم..وبكما عن كتاب الله وإن كانوا يتلونه بألسنتهم..وصُمًّا عن سماعه وإن كانوا يسمعونه بآذانهم، وعُمْيًا عن عجائبه وإن كانوا ينظرون إليه فى مصاحفهم..وأُمِّيين فى أسراره وإن كانوا يشرحونه فى تفاسيرهم..(فاحذر) أن تكون منهم..وتدبر أمرك، وأمر من لم يتدبر، كيف ندم وتحسَّر..؟

وانظر أمرك، وأمر من لم ينظر فى أمر نفسه، كيف خاب عند الموت وخَسِر..؟

واتعظ بآية واحدة من كتاب الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** [المنافقون: ٩].

(وإياك) إياك أن تشتغل بجمع المال (فإن) فرحك به ينسيك أمر الآخرة، ويـــنزع حلاوة الإيمان من قلبك.. قال عيسى عليه السلام: (لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا، فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم).

(ثم) يختم الإمام الغزالى عليه رحمة الله رسالته بقوله:

وأسأل الله أن يصغر عنده الدنيا التى هى صغيرة عند الله، وأن يعظم فى عينيه الذى هو عظيم عنده، وأن يوفقنا وإياه لمرضاته، ويحله فى الفردوس الأعلى مـــن جناتـــه، بفضله، وكرمه، آمين، ا.هـــ.

(فسل الله) سبحانه وتعالى أيها الأخ المسلم أن يستجيب لنا جميعاً هذا الدعاء الذى دعا لنا به الإمام الغزالى عليه رحمة الله فى ختام رسالته.. عسى أن يخرج من قلوبنا حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة[1]. كما ورد عن الحبيب المصـــطفى صلوات الله وسلامه عليه .. (وهى)[2] أيضـــاً: مـــيراث المغـــرورين، وميـــدان الفاسقين، وسُوق الراغبين، ومَسكن الباطلين، وسِجْن المؤمنين، ومَذبلة المـــتقين، ومزرعة العاملين.

ومن يحمـــد الـــدنيا لعـــيش يســـره	فسوف لعمرى عـــن قليـــل يلومهـــا
إذا أدبرت كانت على المرء حســـرة	وإن أقبلت كانـــت كـــثيراً همومهـــا

(ولله) در من قال[3] :

أنظر إلى الأطلال[4] كيـــف تغـــيرت	من بعد ســـاكنها وكيـــف تنكـــرت
ســـحب الـــبلا أذيالـــه برســـومها	فتســـاقطت أحجارهـــا وتكســـرت
ومضـــت جماعـــة أهلـــها لســـبيلهم	وتغيبـــت أخبـــارهم وتنكـــرت
لـــا نظـــرت تفكُـــرًا لـــديارهم	سَحَّت[5] جفـــونى عَـــبرة وتحـــدرت
لو كنت أعقل ما أفقت مـــن البكـــا	حسبى هناك ومقلـــتى مـــا أبصـــرت

---

(١) أعنى حب الدنيا..فما بالك بالدنيا نفسها!

(٢) أى: الدنيا.

(٣) كما جاء فى كتاب (بستان العارفين) للإمام الحافظ أبى زكريا محيى الدين النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـــ.

(٤) واحدها طلل وهو ما شخص من آثار الدار وما تبقى من معالمها.

(٥) من باب رد بمعنى سال.

نصبت لنا الدنيا زخـارف حُسـنها	مكراً[1] بنـا وخديعـة مـا فتَّـرت
وهـي الـتى لم تحـل قـط لـذائق	إلا تغـير طعمهـا وتمـررت
خَدَّاعـة بجمالهـا إن أقبلـت	فجَّاعـة بزوالهـا إن أدْبـرت
وهَّابـة سَـلاَّبة لهباقـا	طَلاَّبـة لخـراب مـا قـد عمـرت
وإذا بنـت أمـراً لصـاحب ثـروة	نصـبت مجانقُهَـا عليـه فـدمَّرت

(ولهذا) فإننى أرجو من الأخ المسلم أن يُخرج حب الدنيا من قلبه.. قبل أن يخرج منها.. وقبل أن يكون بسببها من الخاسرين الذين شغلوا بحبها عن الآخرة التى هـى دار القرار..مع الأخيار والأبرار..

(وحسب) الأخ المسلم أن يجهز نفسه للخطة الرحيل إلى الله تبارك وتعالى..قبل أن يقول **رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً** [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] وذلك بتجهيـز الـزاد الحقيقى الذى سيحتاجه هناك: **يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** [النبأ: من الآية٤٠]، **يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** [سورة الانفطار: ١٩].

(ولتكن) الوصيةُ الشرعية أساساً فى هذا التجهيز..حتى يعلن براءته فيها من كل ما يخالف الشرع القويم فى يوم وفاته.

(وحسبى) أن أذكره ونفسى بوصية شرعية كتبها صاحبها شعراً..

وفيها يقول:

وإذا أتـانى المـوت تلـك وصـيتى	بـالله لا تبغـوا لهـا تبـديلاً
أرجـو حضـور الصـالحين فـإنهم	يرجـون يومـاً للحسـاب ثقـيلاً
يسـتغفرون لى الإلـه لعلـنى	يـوم الـوداع أفـوتكم مقبـولاً
وشـهادة التوحيـد دومـاً لقنـوا	فقد اطمـأن بها الفـؤاد طـويلا
يس فاتلوهـا[2] فقـد جـاء الـذى	سـكراته يجعلـنى مـذهولا
بصرى يُغمض تلك روحى قد سمـت	فـادعوا إلهـاً غـافراً مـأمولا
الآن غطـونى بثـوب آخـر	وسلوا الإلـه اللطـف والتسـهيلا
دفـنى يُعجِّـل لا تخلُـوا جـيفتى	من بيـنكم روحـى تـروم رحـيلا

---

(١) أى: أنها كثيراً ما تخدعنا بشهواتها وملذاتها..

(٢) عند الإحتضار..فقد ورد أنها تسهل خروج الروح.إن شاء الله تعالى..

لا تلطموا لا تصرخوا لا تكفروا   سأكون عن أخطائكم مسئولا
وقضاء دينى فاحذروا إهماله   مما تركت فقد أردت قبولا
أثواب تكفينى أردت ثلاثة   بيضاء هذى فضلت تفضيلاً
ودعوا الحرير فإن ذاك محرم   ولم الغلو فلن يدوم طويلا
وأيا نساء محارمى وقرابتى   أحْبِبْنَ ربكم أطعْن رسولا
فى البيت قَرنْ ولا تزرن مقابراً   لا تلتمسن لقولة تأويلا[1]
صلوا على وأكثروا أعدادكم   ولتخلصوا فلَذاك أقوم قيلا
ثم اكشفوا نعشى وأحيوا سُنة   وتَبَتَّلوا لإلهكم تبتيلا
وإذا خرجتم تتبعون جنازتى   بالصَّمت حينئذ، يكون جميلا
ولتسرعوا بجنازتى يا إخوتى   رب العباد غداً لنا مأمولا
بسم الإله وبسم دين رسولنا   ضعوا الرفات ولا أريد عويلا
استغفروا لأخيكم وكذا اطلبوا   تثبيته فعسى يحوز قبولا
مالى يقسم قسمة شرعية   يا وارثى فنفذوا ما قيلا
والثلث للفقراء حق لازم   إن تفعلوا كان الثواب جزيلا
لا تفعلوا من بعدى موتى مأتماً   إن المآتم أصبحت تمثيلا
يا من أقمتم للسرادق محفلاً   من أجلكم كان العذاب وبيلا
لا تفعلوا ذكرى لعام وانتهوا   من أربعين فهل ترون دليلا[2] ؟
وكذا الولائم فاتركوها واجعلوا   حبل الصلاة بربكم موصولا
وبرئت من شر ابتداع يُبْتَغى   عن سُنة لا تبتغوا تحويلا

(وبعد) وإتماماً للفائدة. فإننى أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة الواردة فى شأن الوصية الشرعية [3].

(أولا): أوصى بتلقين الشهادة أثناء الاحتضار:

---

(١) أى: لا تلتمسن تأويلا لآية قولة تجيز لكن هذا..لأنه من الأفضل أن لا تخرجن إلى المقابر..
(٢) أى: فهل عندكم دليل من القرآن أو السنة يبيح لكم فعل هذا..لا دليل.
(٣) التى سأذكرها على لسانى.

(لقوله) ﷺ: **((من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة))**. رواه أبو داود بسند صحيح.

(وثانياً): أوصى من حضر احتضارى أن يقول خيراً: (لقوله) ﷺ: **((إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون))**.رواه مسلم

(وثالثاً): وأوصى من حضر وفاتى، إذا فاضت روحى إلى بارئها: بأن يغمضوا عينى، مع الدعاء لى بالمغفرة ورفع الدرجات.

(لقوله) ﷺ حين دخل على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه، وقال: **((إن الروح إذا قبض تبعه البصر))** قالت أم سلمة: فضج الناس من أهلى، فقال: **((لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون))**.

ثم قال: **((اللهم اغفر لأبى سلمة، وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له فى قبره، ونور له فيه))**.رواه مسلم.

(ورابعاً): أوصى من حضر وفاتى بتغطيتى بثوب يستر جميع بدنى:

(لحديث) عائشة رضى الله عنها، قالت: (إن رسول الله ﷺ حين تُوفِّ سجى[1] ببرد حبرة). متفق عليه.

(وخامساً): وأوصى بعدم النياحة على، فمن فعل ذلك فإنى برئ منه، ومن كل ما يغضب الله عز وجل:

(لقوله) ﷺ: **((إن الميت ليُعَذب ببكاء أهله عليه))**. متفق عليه.

(وسادسًا): أوصى بعدم ضرب الخدود، وشقِّ الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية:

(لقوله) ﷺ: **((ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب[2]، ودعا بدعوى الجاهلية))**. رواه مسلم.

(وسابعًا): وأوصى أهلى بأن ينعونى نعياً شرعياً – وذلك بإبلاغ قرابتى، وجيرانى، وأهلى، واصحابى، وذوى– وأن يجتنبوا نعى الجاهلية:

(فإن النبى ﷺ نهى عن النعى). أخرجه الترمذى بسند حسن.

---

(١) أى: غطى.

(٢) الجيب هو: الفتحة التى يلبس منها الثوب.. والمراد النهى عن شق الفتحة التى فوق الصدر.. إلى أسفل.

(وقد) كانوا فى الجاهلية إذا مات لهم ميت يصيحون على أبـــواب البيـــوت وفى الأسواق.. كما يحدث الآن من الجهلة المبتدعين الذين ينعون الميت الآن فى النوادى، وفى المذياع، ومكبرات الصوت، وبالطبول، وعلى صفحات الجرائد..وغير ذلـــك.. وأخيراً فى المساجد!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(وثامنًا): وأوصى بعدم تقبيلى ممن لا يجوز لها ذلك فى حياتى، (وإن) وقع ذلك. ممن يجوز لها هذا من المحارم جاز.. (وأما) الرجال فيباح لهم الكشف عـــن وجهـــى وتقبيلى إن أرادوا ذلك، وقد فعله أبو بكر الصديقﷺ مع النبىﷺ حين مات.

(وتاسعاً): وأوصى بقضاء دينى من مالى قبل دفنى، وأن يرد أهلى إلى كل ذى حق حقه:

(الحديث) أبى هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: **((نفس المؤمن معلقة بدينه، حـــتى يُقضى عنه))**. أخرجه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، والدارمى بســـند صـــحيح. (مـــع) ملاحظة أنه إذا لم يكن عندى مال: قضى أحد أقاربى، أو تطوع به بعض الناس (الحديث) سلمة بن الأكوعﷺ أن النبىﷺ: أُتِيَ بجنازة ليصلى عليها، فقال: **((هل عليه ديـــن؟))** قالوا: ثلاثة دنانير. قال: **((هل ترك شيئاً؟))** قالوا: لا. قال: **((صلوا على صاحبكم))**.

قال أبو قتادة: (صَلِّ عليه يا رسول الله وعَلى دينه، فصلَّى عليه)، وحتى الشهيد فى القتال: لابد من قضاء الدين عنه. قالﷺ: **((يغفر للشهيد كل ذنب إلا الـــدين))**. أخرجه مسلم.

(وعاشراً): وأوصى بتغسيلى ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو أكثر-وتراً- إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وأن تقرنوا مع آخر غسلة كافوراً أو شيئاً آخر من الطيب، وأن يسرح شعرى بدءاً باليمين ومواضع الوضوء منى، وإن كانت امرأة يضـــفر شـــعرها ثلاث ضفائر، ويلقى خلفها:

(الحديث) أم عطية رضى الله عنها قالت: (دخل علينا النبىﷺ ونحن نغسل ابنته زينب-رضى الله عنها- فقال: اغسلتها ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو أكثر من ذلـــك إن رأيتن ذلك، فقلنا: وتراً؟ قال: نعم، واجعلن فى الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتن فآذننى، فلما فرغنا أذناه، فألقى إلينا حقوه-إزاره-فقال: أشعرنها إياه-أى

اجعلنه شعارها – (وهو الثوب الذى يلى الجسد)– قالت: ومشطناها ثلاثة قـرون– قرنيها وناصيتها – وألقيناها خلفها.

قالت: وقال لنا رسول الله ﷺ: **«إبدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»** متفق عليه.

(ويستثنى) من وضع الطيب: المُحرِم، لقوله ﷺ: **«لا تحنطـوه»**وفى روايـة: **«لا تطيبوه، فإنه يبعث يوم القيامة مُلبيًا»**متفق عليه.

(والحادى عشر): وأوصى بأن الذى يغسلنى: أن يكون أعـرف النـاس بسـنة الغسل، مع اشتراط الصلاح والتقوى، ولا سيما إن كان من أهلى وأقاربى.

(فيجب) أن يكون ثقة أميناً، ينشر مايراه من الخير، ويستر ما قد يراه من المكروه.

(قال) على بن أبى طالب رضي الله عنه – (غسَّلتُ رسول الله ﷺ فجعلت أنظـر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً ﷺ) رواه ابن ماجه بسند حسن.

(فإن) لم يوجد من ذكرتُ فزوجتى تتولى غسلى: (لحديث) عائشـة رضـى الله عنها– الذى قالت فيه– (لو استقبلت من أمرى ما استدبرتُ ما غسله إلا نساؤه).

(وكذا) المرأة إن لم يوجد لها من ذكرنا من الصالحات: فليتول غسلها زوجها:

(لحديث) عائشة أيضاً قالت: (رجع إلى رسول الله ﷺ من جنازة بالبقيع، وأنـا أجد صداعاً فى رأسى، وأقول: وارأساه، فقال: **«بل أنا وارأساه، ما ضرك لو مِـتِّ قبلى وكفنتُك، ثم صليتُ عليك ودفنتُك»**أخرجه أحمد بسند صحيح.

(والثانى عشر): وأوصيكم بعد الفراغ من غسلى، بتكفينى، على أن يكون الكفن أو ثمنه من مالى الخاص ولو لم أخلف غيره:

(لحديث): خباب بن الأرث، قال: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ فى سبيل الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء –وفى رواية: ولم يترك–إلا نمرة[1]، فكنا إذا وضعناها على رأسـه خرجـت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: **«ضعوها ممـا**

---

(1) وهى كساء من صوف مخطط.

يلى رأسه – وفى رواية– **غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجليه الإذخر**» متفق عليه.

والإذخر: حشيش طيب الرائحة.

(**والثالث عشر**): وأوصيكم أن لا تزيدوا فى كفنى على ثلاثة أثواب، وإن كـــان من الثلاثة جاز للضرورة، والنساء فى ذلك كالرجال سواء.

(قالت) عائشة رضى الله عنها: (إن رسول الله ﷺ كفن فى ثلاثة أثواب يمانية بـــيض سحولية من كرسف – أى قطن– وليس فيها قميص، ولا عمامة، أدرج فيها إدراجاً).

(فإن) لم يتيسر ثلاثة أكفان فاثنان أو واحد، فإذا قلّت الأكفان وكُثرت المـــوتى، جاز تكفين الجماعة منهم بالثوب الواحد، فيكفن كل واحد منهم ببعضه للضرورة، وإن لم يستر إلا بعض بدنه، قدم أكثرهم قرآناً إلى القبلة:

(الحديث) أنس بن مالك ﷺ قال: «**لما كان يوم أحد مر رسول الله ﷺ بحمزة ابن عبد المطلب وقد جدع ومثل به، فقال: لولا أن تجد– أى تحزن– صـــفية فى نفسها لتركته حتى تأكله العافية – أى السباع والطير– حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع**»، فكفنه فى نمرة، وكانت إذا خمرت رأسه بدت رجلاه، وإذا خمرت رجلاه بدت رأسه، فخمر رأسه..) الحديث رواه أبو داود والترمذى بسند حسن.

(وأما) الشهيد فى القتال، والمُحرِم: فيكفن كل واحد منهما فى ثيابه التى مات فيها (لقوله) ﷺ فى الأول: «**زملوهم فى ثيابهم**» وقوله فى الثانى: «..**وكفنـــوه فى ثوبيـــه اللذين أحْرم فيهما**».

(والرابع عشر): وأوصيكم أن تجعلوا كفنى من البياض، وطيبوه ثلاثاً:

(لقوله) ﷺ: «**البسوا من ثيابكم البياض، فإنها خير ثيـــابكم، وكفنـــوا فيهـــا موتاكم**»رواه أبوداود والترمذى بسند صحيح.

وقوله ﷺ: «**إذا أجمرتم الميت**–أى بخرتموه بالطيب–**فجمروه ثلاثاً**».رواه أحمـــد بسند صحيح.

(**والخامس عشر**): وأوصيكم أن تحملوا جنازتى لتصلوا على، ثم تتبعونى إلى قبرى:

(لقوله) ﷺ: «**حق المسلم على المسلم خمس**» فذكر منها:«**واتباع الجنائز**» متفق عليه.

(والسادس عشر): وأوصيكم أن تصلوا على فى مصلى الجنائز- وهو المكان الواسع المعد لذلك كمصلى العيد- فإن تعذر ففى مسجد جامع.

(لحديث) ابن عمر رضى الله عنهما: (إن اليهود جاءو إلى النبىﷺ برجل منهم وامرأة زَنَيَا، فأمر بهما فرجما قريباً من موضع الجنائز عند المسجد). رواه البخارى.

(وحديث) عائشة رضى الله عنها قالت: (والله ما صلى رسول اللهﷺ على سهيل ابن بيضاء وأخيه إلا فى جوف المسجد) رواه مسلم.

(والسابع عشر): وأوصيكم أن لا تصلوا على بين القبور، ولا فى مسجد به ضريح:

(فقد) جاء النهى عن ذلك فى حديث أنس رضي الله عنه قال: (نهى رسول اللهﷺ أن يصلى على الجنائز بين القبور) رواه الطبرانى بسند صحيح.

(وحديث) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول اللهﷺ: **((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))**. قالت عائشة: يحذر ما صنعوا. متفق عليه.

(والثامن عشر): وأوصيكم إذا اجتمعت مع جنازتى جنائز أخرى، فلا بأس بالصلاة علينا جميعاً صلاة واحدة، على أن يجعل الذكور مما يلى الإمام- ولو كانوا صغاراً والإناث مما يلى القبلة:

(لما) ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما: (أنه صلى على تسع جنائز جميعاً، فجعل الرجال يلون الإمام، والنساء يلين القبلة، فصفهن صفاً واحداً، ووضعت جنازة، أم كلثوم بنت على امرأة عمر بن الخطاب وابنها – يقال له: زيد- وضعا جميعاً، والإمام –يعنى الأمير- يومئذ سعيد بن العاص، وفى الناس ابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وأبو قتادة، فوضع الغلام مما يلى الإمام، فقال رجل: فأنكرت ذلك، فنظرت إلى ابن عباس، وأبى هريرة، وأبى سعيد، وابى قتادة، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هى السنة). أخرجه النسائى بسند صحيح.

(ويجوز) إفراد كل جنازة بصلاة: لحديث ابن عباس –رضى الله عنهما- قال: (ولما وقف رسول اللهﷺ على حمزة أمر به فهيئ إلى القبلة، ثم كبر عليه تسعاً، ثم جمع إليه الشهداء كلما أتى بشهيد وضع إلى حمزة، فصلى عليه وعلى الشهداء معه، حتى صلى عليه وعلى الشهداء اثنين وسبعين صلاة). رواه الطبرانى بسند صحيح.

(**والتاسع عشر**): وأوصيكم أن تجتهدوا فى تكثير سواد المصلين الموحدين علـــى جنازتى، لعلى أن أنال بدعائهم شفاعة بإذن الله تعالى:

(الحديث) ابن عباس- رضى الله عنهما-مرفوعاً: ((**ما من رجل مســلم يمــوت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**)).

(وحديث) عائشة- رضى الله عنها- مرفوعاً: (ما من ميت تصلى عليه أمة مـــن المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه) رواه مسلم.

(**والعشرون**): وأوصيكم أن تجعلوا الصفوف على جنازتى (وتراً)، ثلاثة صفوف، أو أكثر ؛ لقوله ﷺ: ((**ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب**)) وفى لفظ: ((**إلا غفر له**)).رواه أبو داود بسند حسن.

(**والحادى والعشرون**): وأوصى أن يصلى على جنازتى كل من فلان أو فلان... من الأقرباء أو الصالحين.. فإن لم يكن، فأقرأ الناس لكتاب الله، فإن تساوى الناس فى ذلك فأعلمهم بالسنة:

(لقوله) ﷺ: ((**يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا فى القــراءة ســواء، فأعلمهم بالسنة..**)) الحديث.رواه مسلم.

(**والثانى والعشرون**): وأوصى الإمام أن يقف عند رأسى، وإذا كان الميت امــرأة فيقف عند وسطها:

(الحديث): أبى غائب الخياط، قال: (شهدت أنس بن مالك صلى علـــى جنــازة رجل، فقام عند رأسه، فلما دفع أتى بجنازة امرأة من قريش -أو من الأنصار-فقيـــل له: يا أبا حمزة، هذه جنازة فلانة ابنة فلان فصل عليها، فقام وسطها، وفينا العلاء بن زياد العدوى، فلما رأى اختلاف قيامه على الرجل والمرأة قال: يا أبا حمزة، هكـــذا كان رسول الله ﷺ يقوم من الرجل حيث قمت؟ ومن المرأة حيث قمت؟ قال: نعم، فالتفت إلينا العلاء، ثم قال: احفظوا). رواه أبو داود بسند صحيح.

(**والثالث والعشرون**): وأوصيكم بأداء الصلاة على جنازتى كما كان النبى ﷺ يصلى على أصحابه دون زيادة أو نقصان، وهى:

التكبير عليها أربعاً أو خمساً...إلى تسع تكبيرات، وكل ذلك ثبــت عنــه ﷺ، وأصحها الأربع.

فيرفع الإمام والمأمومون أيديهم بالتكبيرة الأولى-يجهر فيها الإمام، ويسـر فيهـا المأموم-ثم يصفون ميامنهم على شمائلهم على الصدور كما فى سـائر الصـلوات، ويقرءون سراً بعد التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب وسورة، وبعد التكبيرة الثانية يصلون على النبى ﷺ بإحدى صيغ الصلاة الواردة فى التشهد، ثم يخلصون فى الدعاء لى بعد بقية التكبيرات.

(لحديث) أبى هريرة مرفوعاً: **«إذا صليتم على الميت، فاخلصوا لـه الـدعاء»** أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان بسند صحيح.

(ويستحب) أن يكون الدعاء بما ورد- صحيحاً- فى السنة مثل: (اللهم اغفر لـه وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نُزُله، ووسع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد،، ونقه من خطاياه كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً مـن داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب النار).

(ثم) يدعو المصلى للميت بما شاء من الدعاء.

(والرابع والعشرون): وأوصيكم أن لا تصلوا على ولا تدفنونى فى الأوقات التى ورد النهى عن الصلاة والدفن فيها:

(قال) عقبة بن عامر-رضى الله عنه- (ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلى فيهن، أو أن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى يميل[1]، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب). رواه مسلم.

(وكذا) لا تدفنونى ليلاً، إلا إذا اضطررتم إلى ذلك، ولو مع اسـتعمال المصـباح والنزول به فى القبر. (فقد زجر النبى ﷺ أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك) رواه مسلم.

(وفى) حديث ابن عباس-رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ: **«أدخل رجـلاً قبره ليلاً، وأسرج فى قبره »**.رواه ابن ماجه بسند صحيح.

(والخامس والعشرون): وأوصيكم أن لا تحد على أى امرأة، قريبة أو غريبة أكثر

(١) أى: فى وقت الزوال.

من ثلاثة أيام، إن أذن لها زوجها أو وليها، فإن منعها فلا تحد على مطلقاً، ولا يجوز لها ذلك، إلا أن تكون زوجتى فيجب عليها أن تحد على أربعة أشهر وعشراً.

(الحديث) أم عطية الأنصارية-رضى الله عنها- مرفوعاً: (لا يحد على ميت فوق ثلاث، إلا امرأة تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب غصب-وهو نوع من البرود- ولا تكتحل، ولا تطيب إلا عند أدنى طهرها، نبذة من قسط أو أظفار _ هما ضربان من الطيب _ وزاد أبو داود: (ولا تختصب) متفق عليه.

_ (ومعنى) الحداد هو: أن تترك المرأة التزين بالحلى والمجوهرات، ووضع الكحل والطيب والحناء، ولبس الحرير وما شابه ذلك، وليس الحداد لبس السواد، فإن لبسه بهذه النية بدعة ضلالة.

(ولا يجوز) أن تخطب المرأة فى هذه الفترة، فإن انقضت عدتها فلها ما تشاء.

** (**والسادس والعشرون**): أوصيكم بعدم مخالفة شرع الله فى اتباع جنازتى برفع الصوت، ولو بالذكر أو البكاء، ولا تتبعوها بنار ولا يجوز:

* (لقوله) ﷺ: (**(لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار)**). رواه أبو داود، وأحمد بسند صحيح.

* (وقول) قيس بن عباد: (كان أصحاب النبى ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز): (وذلك) لما فيه من التشبه بالنصارى، فإنهم يفعلون ذلك بين يدى جنائزهم تماماً كما يفعله بعض الجهال اليوم بقولهم: وحدوووه.....الله يا دايم هو الدايم ولا دايم غير الله. صلوا على النبى...إلخ.

** (**والسابع والعشرون**): أوصيكم بالإسراع فى السير بجنازتى سيراً دون الرمل[1].

(لقوله) ﷺ: (**(أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدموها عليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)**) متفق عليه.

(واتفق) العلماء على استحباب الإسراع بالجنازة، إلا أن يخاف من الاسراع انفجار الميت أو تغيره فيتأنَّى [2].

---

(١) أى: دون الهرولة...لأن الرمل هو الهرولة.

(٢) كما جاء فى زاد المعاد لابن القيم عليه رحمة الله.

** **(والثامن والعشرون)**: وأوصيكم بأن لا يمشى أمام جنازتى راكب، بل يمشى خلفها، وأما الماشى ففى أى مكان على أن يكون قريباً منها:

* (لقوله) ﷺ: **«الراكب يسير خلف الجنازة، والماشى حيث شاء منها، خلفها وأمامها، وعن يمينها وعن يسارها قريباً منها، والطفل»** ـ وفى رواية ـ: **«السقط[1] يصلى عليه ويُدعَى لوالديه بالمغفرة والرحمة»** رواه أبو داود والترمذى بسند صحيح.

* (وقال) أنس ـ رضي الله عنه ـ: (إن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنازة وخلفها).

** **(والتاسع والعشرون)**: أوصيكم بأن تجعلوا قبرى لحداً عميقاً، غير مشرف، فلا يرتفع عن الأرض غير شبر، ولا تكتبوا عليه، ولا تجصِّصُوه ـ يعنى: لا تبيضـوه ولا تزخرفوه كما يفعله كثير من الناس اليوم فتشعر بأنك بين القصور والفيلات، فلا تثمر زيارة القبور حينئذ ثمارها وهى: تذكرة الآخرة ـ ولكن علموه بحجر لتدفنوا إلى من مات من أهلى.

* (لحديث) جابر مرفوعاً: **« اللحد لنا والشق لغيرنا من أهل الكتـاب »**. رواه أحمد بسند صحيح، وبه عن ابن عباس مرفوعاً دون قوله: **«من أهل الكتاب»**. رواه أصحاب السنن بسند صحيح أيضاً.

* (وحديث) أبى هياج الأسدى قال: قال على ابن أبى طالب رضي الله عنه ألا أبعثـك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سـويته، ولا تمثـالاً إلا طمسته. رواه مسلم.

* (وقوله) ﷺ: **«احفروا، وأعمقوا، وأو سعوا، وادفنوا الإثنين والثلاثة فى قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآنا»** رواه أحمد وأصحاب السنن بسند صحيح.

* (وحديث) جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: (أُلْحِد لرسول الله ﷺ لحد، ونصب عليه اللَّبن[2] نصبا، ورفع قبره من الأرض نحوا من شبر) رواه ابن حبان فى صحيحه.

---

(١) قال فى (فقه السنة) السقط إذا لم يأت عليه أربعة عشر فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه، ويلف فى خرقة ويدفن من غير خلاف بين جمهور الفقهاء... إرجع إلى الجزء الثانى ص١٠٠.

(٢) أى: بالطوب اللبن الذى لم يدخل النار.

* (وحديث) المطلب بن أبي وداعة له لما مات عثمان بن مظعون وضع النبي ﷺ حجرًا عند رأسه وقال: (**(أتعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي)**) رواه أبوا داود بسند صحيح.

* (ونهى النبي ﷺ أن يجصص ــ يبيض ويزخرف ــ القبر). رواه مسلم.

** **(والثلاثون)**: وأوصيكم ــ إن ضاقت القبور وكثر الموتى ــ أن أدفن مع غيري في قبر واحد على أن يقدم أكثرنا أخذًا للقرآن تجاه القبلة:

* (الحديث) جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قال: (كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين والثلاثة من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: (**(أيهم أكثر أخذا للقرآن ؟)**) فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد قبل صاحبه، وقال: ((**أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة..**)) الحديث رواه البخاري.

قال جابر: (فدفن أبي وعمي في قبر واحد). قال الشافعي ــ رحمه الله ــ في (الأم) (١/٢٥٤): (ولا أحب أن تدفن المرأة مع الرجل على كل حال، وإن كان ضرورة لا سبيل إلى غيرها، كان الرجل أمامها وهي خلفه، ويجعل بين الرجال والمرأة في القبر حاجز من تراب). ا.هـ.

** **(والحادي والثلاثون)**: وأوصي أن الذي يتولى دفني وإنزالي في قبري هو.. أوهم.. فلان، وفلان،.. الخ. (فإن) تعذر، فأهل التقى والصلاح من أهل وأقاربي وأوليائي:

* (الحديث) علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ قال: (غَسَّلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئا، وكان طيبا حيًّا وميتًا، وولي دفنه وإجنانه ــ أي مواراته ــ دون الناس أربعة: علي، والعباس، والفضل، وصالح مولى رسول الله ﷺ) أخرجه الحاكم، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

** **(والثاني والثلاثون)**: وأوصيكم أن تجعلوني على جنبي الأيمن ووجهي تجاه القبلة، وعلى هذا جرى عمل أهل الإسلام.

** (**والثالث والثلاثون**): وأوصى من يضعني فى لحدى أن لا يزيد فى تلقيني عن قول: (بسم الله، وبالله، وعلى ملة [1] رسول الله ﷺ) رواه أبو داود بسند صحيح. (وما عدا هذا) فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلاله فى النار...

** (**والرابعة والثلاثون**): وأوصى من حضر دفنى من المسلمين أن يحثو كل واحد منهم عليَّ _ ما استطاع _ ثلاث حثيات من التراب من قبل رأسي، بعد الفراغ من سدِّ اللحد، وأن يكثروا الاستغفار لى والدعاء لى بالتثبيت:

* (الحديث) أبى هريرة ﷺ: (أن رسول الله ﷺ صلى على جنازة، ثم أتى بالميت فحثا عليه من قبل رأسه ثلاثا) رواه ابن ماجه بسند صحيح.

* (وحديث) عثمان بن عفان _ﷺ_ قال: كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: ((**استغفروا لأخيكم، وسلوا الله له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**)).

** (**والخامسة والثلاثون**): وأوصيكم بأن تدفنونى فى البلد الذى مِتُّ فيه، وأن لا تنقلونى إلى غيره، حيث يكره نقل الميت من بلد آخر لأجل الدفن.

* (وعلى) هذا جرى عمل سلف هذه الأمة، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _ فى (الاختيارات العلمية): (ولا يستحب للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت، فإن النبى ﷺ لم يفعل ذلك هو ولا أصحابه، والعبد لا يدرى أين يموت[2]، وإذا كان مقصود الرجل الاستعداد للموت، فهذا يكون بالعمل الصالح).

* (وقال) الإمام النووى _رحمه الله_ فى (الأذكار): (وهذا _الدفن فى البلد الذى مات فيه وعدم نقله_ هو المذهب المختار الذى قال به الأكثرون، وصرح به المحققون).

** (**والسادس والثلاثون**): وأوصى أهلى ومن تبع جنازتى إلى المقابر أن يخلعوا نعالهم بين القبور، وأن يجتنبوا المشى على القبور، أو القعود، أو الوقوف عليها، أو الذبح عندها، أو عند خروج الجنازة:

* (الحديث): بشير بن الخصاصية. قال بينما أماشى رسول الله ﷺ: ((**ما أنقم على الله شيئا، كل خير فعل بى الله**)) فأتى على قبور المشركين، فقال: ((**لقد سُبِق هؤلاء**

(١) أى: سنة رسول الله ﷺ.
(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

بخير كثير » ثلاث مرات، ثم أتى على قبور المسلمين، فقال: «**لقد أدرك هؤلاء خيرا كثيرا**»، ثلاث مرات. ثم يقول بشير: (.. فبينما هو يمشى إذ حانت منه نظرة، فـإذا هو برجل يمشى بين القبور عليه نعلان، فقال: « **يا صاحب السبتيتين ويحك، ألـق سبتيتيك** »، فنظر، فلما عرف الرجل رسول الله ﷺ خلع نعليه فرمى بهما) أخرجه أصحاب السنن بسند صحيح.

* (وحديث) جابر مرفوعا: (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القـبر، وأن يُقعـد عليه، وأن يبنى عليه). رواه مسلم.

* (وعند) غيره بزيادة: (... أو يُزاد عليه، أو يُكتب عليه).

* (وحديث): « **لا عقر فى الإسلام** » رواه أبو داود بسند صحيح.

** (**والسابع والثلاثون**): ويشرع لكم أن تقبلوا العزاء بعد دفنى ــ عند القبر ــ ولكن لا تجتمعوا للتعزية فى مكان مخصص لذلك يأتيكم فيه مـن أراد التعزيـة، ولا تصنعوا لأحد طعاما، بل يصنع لكم أقاربى أو جيرانى، فإن ذلك من السـنة ولـيس العكس، كما هو الشأن فى زماننا.

* (والدليل) حديث بن أبى طالب مرفوعا: « **اصنعوا لآل جعفر طعامـا، فقـد أتاهم ما يُشغلهم** » رواه أبوا داود بسند صحيح.

** (وأوصيكم) أيضا بتجنب عمل السرادقات، وإحضار القراء فى هذه الليلة وما بعدها من ليال نحو الخميسين، و الجمعة، و الأربعينات، و السنويات وغير ذلـك، فكل ذلك من البدع، و كل بدعة ضلالة، و من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منـه فهو رد، و أنا أبرأ إلى الله من ذلك (وفى) حديث جدير بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ قال: (كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة) رواه أحمـد بسند صحيح.

(بل) ينبغى أن ينصرف الجميع بعد الدفن فى حوائجهم، فمن صادفهم عزاهم دون إحداث أى بدع أو مخالفات. (مع) ملاحظة أن مدة العزاء ثلاثة أيام.. اللهم إلا إذا كان المعزَّى مسافرًا.. أو مريضا.. أو ما شابه هذا.. (فإنه) لا مانع شرعا من تعزيته بعد ذلك.. (بأن) يقول له [1]: عظم الله أجرك وألهمك الله الصبر..

---

(١) أى: للمعزِّى.

** **(والثامن والثلاثون)**: وأوصيكم بقضاء صيام النذر عنى الذى لم أتمكن من قضائه.

* (الحديث) عائشة ـ رضى الله عنها ـ مرفوعا: «**من مات وعليه صيام، صام عنه وليه**» متفق عليه.

** **(والتاسع والثلاثون)**: وأوصى أولادى خاصة بأن يكثروا من الأعمال الصالحة، فإن ذلك مما ينفعنى بإذن الله تعالى:

* (وذلك) لحديث: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له**». أخرجه مسلم.

** **(والأربعون)**: وأوصيكم أن تتصدقوا من مالى قبل توزيع الميراث فى حدود الثلث: (فعن) سعد بن أبى وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، فمرضتُ مرضا أشفيت منه على الموت، فعادنى رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله إن لى مالا كثيرا وليس يرثنى إلا ابنة، أفأوصى بثلثى مالى ؟ قال: «**لا**». قلت: بشَطر مالى[1] ؟ قال: «**الثلث، والثلث كثير، إنك يا سعد إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكفَّفُون الناس**». متفق عليه.

** (وأخيرا) أوصى أولادى و أهلى، وأقاربى وجميع المسلمين بتقوى الله ـ عز وجل ـ فى السر والعلن، والصبر، والرضا، والاحتساب، والإقبال على العمل الصالح، وفعل الطاعات، وترك المنكرات، فإن فعلتم كانت العاقبة كما أخبرنا ربنا.. ـ تبارك وتعالى ـ بالجنة والنعيم المقيم، وإن كانت الأخرى والعياذ بالله.. فإنى أسأل الله تعالى أن يعافينى منها.. ومن جميع الأسباب الموصلة إليها..

(وإنى) أبرأ إلى الله تعالى من فعل كل مسلم ـ قريبا أو بعيدا ـ يخالف شرع الله تبارك وتعالى.. (وصلِّ) اللهم على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.. (و سبحانك) اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

** (ثم) إذا كنت قد لخصت للأخ المسلم بصفة عامة، والأخ الواعظ بصفة خاصة (أهم) ما يتعلق بالوصية الشرعية ـ من أحاديث ـ كما جاء فى (الوصية

(١) أى: بنصف مالى.

الشرعية) تصنيف: أبى الأشبال الزهيرى.. عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين.. وجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.. (فإننى) أرجو من كل من قرأ هذا أن يسارع بتنفيذه.. وذلك بإعداد هذه الوصية وتوقيع الأهل عليها.. مع أهل الشهادة عليها بالتوقيع كذلك [1]:

* (فعن) ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **((ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت فيه ليلتين))**. (وفى) رواية: **((ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عنده))**. قال نافع: سمعت عبد الله ابن عمر يقول: (ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندى وصيتى مكتوبة). رواه مالك، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه.

(قال) الإمام النووى: (ويستفاد من الحديث الحث على الوصية وجواز الإعتماد على الكتابة والخط ولو لم يقترن ذلك بالشهادة والندب إلى التأهب للموت والاحتراز قبل الفوت، لأن الإنسان لا يدرى متى يفجأه الموت).

** (ولهذا) فإننى أوصيه كذلك بالمسارعة إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة الصادقة قبل أن تطلع الشمس من مغربها:

* (فعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه))** رواه مسلم. (يعنى) أن من أحدث توبة من ذنبه قبل مجيء هذا الوقت وهو طلوع الشمس من مغربها وكانت توبة نصوحا غير مغشوشة: فإن الله بفضله يقبلها منه، ويعفو عنه [2].

* (وعن) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **((إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر))**. رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن.

* (يعنى) أن الله عز وجل يظل فاتحا باب توبته للعبد حتى يصل إلى حد الغرغرة وتبلغ روحه الحلقوم، فحينئذ لا تقبل منه، كما قال الله تعالى: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** [النساء:١٨]، ولهذا لما آمن فرعون فى تلك الحالة حين

(١) ولا مانع أن تبدأ بها شفويًا مع أهلك قبل أن تجهز الوصية الشرعية المكتوبة إن شاء الله...
(٢) كما جاء فى (الترغيب والترهيب) ج ٤ ص ١٥٥ مع الهامن.

أدركه الغرق وأيقن الهلكة لم ينفعه إيمانه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩٠: ٩١].

** (ولهذا) مرة أخرى، فإننى أذكرك ونفسى، بما جاء فى كتاب (تحفة العصر الجديد) تحت عنوان:

خاتمة فى التوبة

(فلقد) كتب يقول: اعلم أن التوبة تُكَفِّر الآثام، وتُدخل دار السلام بفضل السلام.. ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وأقلعوا عن ذنوبكم لعلكم بعفو ربكم تفوزون، فإن الله يقبل توبة عبده ويرفعه أعلى الدرجات، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

** ومن النصائح:

بادر إلى التوبة فى وقتها ... فالمرء مرهون بما قد جَناه

وانتهز الفرصة إن أمكنت ... ما فاز بالكَرْم [1] سوى من جناه

** وقال الحريرى من أبيات:

لَعَمْرُك ما تُغنى المغانى ولا الغنَىَ ... إذا سكن المُثْرى [2] الثرَّى وثوى [3] به

فحافظ على تقوى الإله وخوفه ... لتنجو مما يُتَّقَى من عقابهْ

ولا تَلْه [4] عن تَذكار ذنبك وابكه ... بدمع يُضاهى [5] الوبْل [6] حال مُصَابهْ [7]

وَمَثِّل لعينيك الحمام [8] ووقعه ... وروعة [9] ملقاه ومطعم صابهْ [10]

---

(١) الكرم هو : العنب.

(٢) المثرى: أى الكثير المال، والثرى أى التراب النَّدِى.

(٣) وثوى به أى أقام.

(٤) أى: تشتغل.

(٥) أى: يشابه.

(٦) أى :المطر الغزير.

(٧) أى: حال انصبابه.

(٨) الحمام بكسر الحاء: أى الموت.

(٩) وروعة ملقاه: أى فزع صاحبه حين يلقاه.

(١٠) أى: مره، والصاب شجر مر.

وإن قُصَارَى مـنزلُ الحـيِّ حفـرةٌ ... سـيترلها مسـترلاً عـن قبابـهْ
فواهاً [1] لعبد سـاءه سـوء فعلـه ... وأبدى التلافى قبل إغـلاق بابـهْ [2]

** وقال بعضهم:

قـدم لنفسـك خـيراً ... وأنـت مالـكُ مالـكْ
مـن قبـل تصـبح فـرداً ... ولـون حالـكَ حالـكْ [3]
ولسـت والله تـدرى ... أىُّ المسـالك سـالكْ
إمـا لجنـة عـدن ... أو فى المهالـك هالـكْ

فتوبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ويذهب عنكم رجز الشيطان ويصلح بتوفيقه حالكم ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ [النساء:١١٠] يدنيه لديه ويوليه إحسانه عند قدومه عليه وكان الله غنياً كريماً.

** (وفى) الحديث القدسى: « **يا ابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

قال الإمام النووى فى شرح الحديث ـ هذا ـ فى الأربعين النووية عن قوله تعالى فى نص الحديث: قوله تعالى: «**ثم استغفرتنى غفرت لك** »: هو نظير قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ [النساء:١١٠]، ثم يقول: والاستغفار لا بد أن يكون مقروناً بالتوبة، قال تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾[هود: ٣]، وقال تعالى : ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١]، واعلم: أن الاستغفار معناه طلب المغفرة وهو استغفار المذنبين، وقد يكون عن تقصير فى أداء الشكر، وهو استغفار الأولياء والصالحين، وقد يكون لا

---

(١) فواها: أى عجباً.
(٢) إغلاق بابه: أى موته.
(٣) حالك: أى مظلم.

عن واحد منهما، بل يكون شكراً، وهو استغفاره ﷺ واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال ﷺ ـ في الحديث الصحيح ـ: « **سيد الاستغفار، أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك [1] بنعمتك على، وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**

من قالها فى النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » رواه البخارى.

* (وقال) ﷺ لأبى بكر رضي الله عنه: « **وقل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا**، -وفى رواية – **كبيرا**– **ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم**» . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما أراد الله أن يتوب على آدم صلى ركعتين وقال : (اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى : فأعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى: فاغفر لى ذنوبى ، اللهم أسألك إيمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته لى، ورضنى بما قسمت لى) فأوحى الله إليه : (**يا آدم : غفرت لك ذنبك ، ولن يأتينى أحد من ذريتك يدعونى بمثل ما دعوتنى إلا غفرت له ذنوبه، وكشفت غمومه، ونزعت الفقر من بين عينيه، وجاءته الدنيا وهو لايريدها**)».

* (وقال) ﷺ : « **ما من شىء أحب إلى الله من شاب تائب، وما من شىء أبغض إلى الله من شيخ [2] مُصرٍّ على معاصيه** ».

* (وورد) فى حديث قدسى عن رب العزة سبحانه وتعالى أنه قال: « **أحب ثلاثاً وحبى لثلاث أشد: أحب أهل السخاء: وحبى للفقير السخى أشد، وأحب المتواضعين: وحبى للغنى المتواضع أشد، وأُحب التائبين: وحبى للشاب التائب أشد. وأبغض ثلاثاً وبغضى لثلاث أشد: أُبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد، وأبغض المتكبرين: وبغضى للفقير المتكبر أشد، وأبغض الفساق: وبغضى للشيخ الفاسق أشد** ».

---

(١) أبوء لك: أى أعترف.

(٢) أى: الرجل المسن: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ .

* ولا بن حجر رضي الله عنه:

خليليَّ ولّى العُمْـرُ منـا ولم نَتُـبْ ... وننـوى فعـال الصـالحين ولكنَّـا

فحـتى مـتى نـبنى بيوتًـا مشـيدةً ... وأعمارنـا منـا تُهَـدُّ ومـا تُبْنَـا

* ومن توسلاته رضي الله عنه:

يا رب أعضـاء السـجود عتقتـها ... من فضلك الـوافى وأنـت الـواقى

والعتق يسرى فى الغنى يـا ذا الغـنى ... فامنن علـى الفـانى بعتـق البـاقى

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب**)).

* (وقال) ﷺ: ((**إذا تاب العبد وحسنت توبته أوقدت الملائكة بينه وبين سماء الدنيا سبعين قنديلاً من نور، وينادى المنادى: ألا إن فلان بن فلان قد اصطلح الليلة مع سيِّده فإذا سمع إبليس ذلك ذاب كما يذوب الملح فى الماء**))

فالعاقل من تاب إلى الله وأناب، وتذكر العرض ومناقشة الحساب، فإن الله تعالى يقول فيمن تاب ورجع بعد أن بغى واعتدى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [طـه:٨٢].

(وقد قيل): أوحى الله إلى داود عليه السلام: (يا داود: لو يعلم المدبرون[1] عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم، وشوقى إلى ترك معاصيهم، لماتوا شوقاً إلى وتقطعت أوصالهم من محبتى، يا داود إذا كانت هذه إرادتى فى المدبرين عنى، فكيف إرادتى فى المقبلين علىَّ).

* ولقد أحسن من قال:

أسىء فيجـزى بالإسـاءة إحسـانا ... وأعصى فيولينى من الحلـم إمهـالا

فحـتى مـتى أجفـوه وهـو يـبرنى ... وأبعد عنـه وهـو يـبذل إيصـالا

وكم مرة قدزُرغت عن نهـج طاعتـه ... ولا حال عن سـتر القبـيح ولا زالا

* قال الأصمعى سمعت شابًا يقول هذه الأبيات:

ألا أيها المقصـود فى كـل وجهـة ... شكوت إليك الضر فارحم شـكايتى

ألا يا رجائى أنت تكشـف كُـربتى ... فهب لى ذنوبى كلها وأقض حـاجتى

(١) المدبرون: أى المبتعدون.

أتيـــت بأعمـــال قبـــاح رديئـــة ... وما فى الورى عبد جـــنى كجنـــايتى

أتحـــرقنى بالنـــار يـــا غايـــة المُـــنى ... فـــأين رجـــائى ثم أيـــن مخـــافتى

(ثم) سقط مغشيا عليه.. فدنوت منه فإذا هو زين العابدين بن على بن الحسين بـــن على رضى الله عنهم أجمعين، فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة على خده، فقال: من هذا الذى يهجم علينا؟ فقلت عُبَيْدك الأصمعى.. سيدى مـــا هـــذا البكـــاء والنحيب، وأنت من أهل بيت الحبيب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**(1) **أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [الأحزاب:٣٣]. فقال: هيهات هيهات.. إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا.. أليس الله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المؤمنون:١٠١: ١٠٢].

(وفى) الحديث عنه ﷺ قال: ((**إنى لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**)).

(وقال) الصديق الأكبر ﷺ: (لو كانت إحدى رجلَىَّ فى الجنة والأخرى علـــى بابها ما أمنتُ من مكر الله).

ومن النصائح:

يـــا أيهـــا المغـــرور قـــم وانتبـــه ... قد فاتك المطلـــوب والركـــب ســـارْ

إن كنـــت أذنبـــت فقـــم واعتـــذر ... إلى كـــريم يقبـــل الإعتـــذارْ

وانهـــض إلى مـــولىً عظـــيم الرجـــا ... يغفـــر بالليـــل ذنـــوب النـــهار

(ورأى) بعضهم أبا نواس بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفرلى بأربعة أبيات وفقنى الله بها قبل الموت، وها هى تحت الوسادة، فَبُحث عنها، فإذا هى:

يـــارب إن عظمـــت ذنـــوبى كثْـــرة ... فلقد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــمُ

إن كـــان لا يرجـــوك إلا محســـن ... فمن الذى يـــدعو ويرجـــو المجـــرمُ

أدعوك ربِّ كمـــا أمـــرت تضـــرعا ... فلئن رددت يـــدى فمـــن ذا يـــرحمُ

مـــالى إليـــك وســـيلة إلا الرجـــا ... وجميـــل عفـــوك ثم إنى مســـلمُ

(فطوبى) لعبد تخلص من أوحاله، وسعى فى تحسين أحواله، وأقبل على باب مولاه

(١) الرجس: أى الذنب المدنّس لعرضكم.

الكريم، و لم يعرض عن جنابه العظيم، وفهم الإرشادات من هذه الأبيات:

قُلْ للذى ألِفَ الذنوب وأجرما ... وغدا على زلاَّته متندِّما
لا تيأس من الجميل فعندنا ... فضلُ يُنيل التائبين تَكَرُّما
يا معشر العاصين جودى واسع ... توبوا ودونكم المُنَى و المغنما
لا تقنطوا فالذنب مغفورٌ لكم ... إنى الجدير بأن أجود وأرحما

*وما ألطف ما قاله بعضهم:

لا تُفكِّر فالربُّ فضلا وجودا ... عَوَّد العبدَ باصطناع الجميل
حاش لله أن تضام بنقص ... وتمام الإحسان بالتكميل

*(جعلنا) الله ممن اصطفاه وستر بفضله ذنوبه وملأ من فيض إحسانه ذَنُوبَه [1]:

فهو الذى أوجد الأشيا وقدَّرها ... وهو الذى يرحم العاصى ويسْتُرَهُ
يخفى القبيح ويبدى كُلَّ صالحة ... ويغمر العبد إحسانا ويشكُرَهُ
ومن يلوذُ به فى دفع نائبة ... يعطيه من فضله عزًّا وينصرهُ
فنسأل الله جمعا حسن خاتمة ... عند الممات وصفوًا لا يكدِّرهُ

*(ثم) إليك أخا الإسلام: قصيدة التذكير بالله تعالى من البداية إلى النهاية:

التى كان الإمام الشيخ عبد اللطيف مُشتهرى يذكر بها كثيرا أهل السنة فى أكثر المساجد الشرعية التى كان يتردد عليها للوعظ والإرشاد ـ فعليه منا رحمة الله ـ وها هى القصيدة الإيمانية، فى أقسامها العشر:

القسم الأول فى (الله)

تفرَّد عزُّ وجهى بالبقاء ... فما أعددت لى يوم اللقاء
عبيدى إننى مولى الموالى ... أما آن الدخول إلى حمائى؟
إلى كم أنت تُعرض عن جنابى ... وليس لديك من مولى سوائى
أنا للعبد أرحم من أخيه ... ومن أبويه أبسط للعطاء
أنا الله المدبر كل وقت ... وتدبير الخلائق فى هَبَاء
أنا الأزلى قبل الخلق طُرًّا [2] ... وأظهرتُ الورى بعد اختفاء

(١) الذنوب بفتح الذال: هو فى الأصل الدلو العظيم.
(٢) طرا: أى جمعا.

القسم الثانى (خلقكم أطوارا)

فمـن أنشـاك مـن مـاء مَهـين ... وأنـت بظلمـة الأحشـاء نـائى ؟
ومـن سـواك فى شـكل بـديع ... علـى كـل الخلائـق باسـتواء
أتـذكر مضـغة أُنشـئتَ منـها ... بـأطوار القـذارة والقـذاء ؟
وقلتُ لها علـى التخصـيص كـونى ... فكانـت طـوع أمـرى بالنـداء
أتـذكر حـين كنـت بـبطن أُم ... أمـا غـذاك رزقـى فى الحشـاء ؟
وهل أحسست من حـرج وضـيق ... كما أحسست فى وسـع الفضـاء ؟
ومن أبدى لجسمك مـن مضـيق [1] ... ومـن بـالأم يلطـف فى القضـاء ؟
ومـن أجـرى اللبـان بهـا غـذاء ... ومـن والاك أنـواع الغـذاء ؟
وألهمـك الرضـاع وأنـت طفـل ... وحَنَّنْـتَ الشـفوقة مـن إبـاء
تزيـل أذاك وهـى بطيـب نفـس ... وإن تبكـى تسـارع بالبكـاء
وإن تـدنو لـك الأمـراض يومـا ... سمعـت أنينـها مـن ذا العنـاء
وتمنـع أحسـن المـأكول عنـها ... لتأكلـه وترجـو للشّـفاء
وفيـك أبـوك يصـبح فى اجتـهاد ... ويمسـى فى همـوم مـع شـقاء
ويطلـب أن تصـح لـه دوامًـا ... ويرجـو أن تخلـد بالبقـاء
وقـد أُنبـتَّ كـالزرع ابتـداء ... ومـا تـدرى لطعـم أو سـقاء
وأحسنت القُوى من محـض فضـلى ... وصـرت مـن الرجـال الأقويـاء

القسم الثالث (جحود النعمة)

فغـرك ثوبـك الزاهـى بجسـم ... ولم تـذكر لشـيب وانحنـاء
وتهْتَ من الشـباب علـى جنـابى ... تنـازعنى الـرِّدا مـن كبريـائى
بوجـه لا يَمـلُّ مـن المعاصـى ... وعـين طرفُهـا فى الإثم رائـى
وآذان تُصَـمُّ لـدى كلامـى [2] ... وتسـمع للملاهـى والغنـاء
وأنـف يـأنف الفُقَـرا دوامـا ... ويُرضـى للغنـى والأغنيـاء

---

(١) وهو مخرج فرج الأم الضيق.. عند الولادة...
(٢) أى: عند الاستماع إلى كلام الله.. وهو القرآن.

لسانك لا يواليني بذكر ... وفى خلقي بمدح أو هجاء
وأيد لا تُمَدُّ إلى حلال ... وأما للحرام فبالنماء
وقلب ليس يذكرني بخير ... وفى شكوى وسخط ذو اجتراء
وأقدام إلى الأهواء تسعى ... وفى خير تقصِّرُ بانطواء
وأعضاء نشيطات قيام ... لشيطان وللمولى بداء
وهمتك العلية فى دنىء ... وفى شرف تُحطُّ عن ارتقاء

القسم الرابع (نعم الله لا تحصى)

وماذا تشتكى منى وإنى ... أُوَاليكَ الكثير من العطاء
وكل دقيقة يأتيك رزقى ... وتشكو للعبيد أو الإماء [1]
وتعصينى وأستر ما أراه ... وتنسانى وأذكر بالوفاء [2]
وأرضى أن تكون العبد عطفا ... ولا ترضى لنفسك بالولاء
إذا أذنبتَ أمهل من جميلى ... وأستر ما يراه كل راء
وأنسيها ملائكةً كرامًا ... لكى لا يشهدوا يوم الجزاء [3]
وفضلى لا يزال إليك يجرى ... وذنبك لا يزال على الولاء
وتعصينى بليل أو نهار ... ووجهك لا يرد من الحياء

القسم الخامس (إهمال أركان الإسلام)

وتأتى للعبادة فى فتور ... كأنك قد دعيت إلى البلاء
وإن أديتها جاءت بنقص ... لما قد كان من شرك الرِّياء
وإن تخلو عن الإشراك فيها ... تدبر للأمور بالارتقاء
ويا ليت التدبر فى مباح ... ولكن فى المشقة والشقاء
ونعجل خوف تأخير لشغل ... كأن الشغل أولى من لقائى

---

(١) العبيد أى الذكور.. والإماء: أى الإناث.

(٢) أى: بالحفظ..

(٣) أى: أن الله تعالى من فضله وكرمه ينسى ذنوب هذا العبد التائب.. حتى لا يشهدوا عليه يوم القيامة...

وإن كنــت المصــلّى بــين خلقــى — أطلــت ركوعهــا بالإنحنــاء [1]
وإن كنــت المُجــالس يومًــا انثــى — قطعت الوقتَ من غــير اكتفــاء [2]
أعبــدى لا أســاوى معــك أنثــى — تنــاجينى بحــب أو صــفاء
وإن صمت المحتم [3] كنــت تهــذى — بكــل الفُحــش والقــول الهــراء
وتبصــر للحــرام بــلا نكــير — وللمخلــوق تنظــر بــازدراء
وتقضــى طــول يومــك فى منــام — وتقطــع جُــلّ[4] ليلــك فى غــذاء
تعــوض كــل مــا يمضــى بفطــر — إلى أن ينتــهى وقــت العشــاء
لفــرض الحــج لم تســمح بســعى — وآثــرت القعــود علــى الأداء
وأيــن الطــائف الســاعى لبــيتى — كحــج الأنبيــا والأوليــاء
وإن حججت كم لك مــن ضــياع — لفــرض وارتكــاب لــلأداء
وإن عاهــدتنى فى البيــت يومــا — نقضــت العهــد بعــد الانقضــاء

القسم السادس (سوء المعاملة)

وإن يــأت الفقــير إليــك يلقَــى — شــحيح الــنفس يبخــل بالعطــاء
وإن عاشــرت أى النــاس تلقــى — بســوء المكــر أو غــش الــدهاء
وإن تــأت الغــنى تقــول أرجــو — قبــولى عنــده بالإحتفــاء
وإن يهــذى توافقــه ابتســاما — وإن يُخطــى فتســبل للغطــاء [5]
وإن يقــدم إليــك يــرى قبــولا — وذو الفاقــات[6] مقطــوع الرجــاء
وإن يظلــم فــلا تمنعــه يومــا — وتتركــه يغــالط للقضــاء
وللأرحــام تقطعهــا دوامًــا — وللقرنــا تواصــل للإخــاء
وللآبــاء بخــل وامتنــاع — وللأعــداء بــذل مــع وفــاء

---

(١) أى: أنه إذا صلى يوما أمام الناس يحسن فى الصلاة.. طلبا للمحمدة.. والعياذ بالله..
(٢) أى: أنه إذا جالس أنثى.. يَمُرُّ وقته معه وهو لا يدرى... بل وهو يتمنى الإطالة...
(٣) الصوم المحتَّم: هو صوم رمضان المفروض علينا..
(٤) جل ليلك: أى معظم ليلك.. الذى تقضيه فى تناول الطعام..
(٥) أى: تحاول ستر عيوبه.
(٦) أى: ذوى الفقر.

وللجيران تضييق وظلم ... ومن ضيقى تقابل بانزواء
وإن عدت المريض بأى وقت ... فترجو للمحبة والثناء

القسم السابع (عظة الموت)

وإن تمشى أمام الميت تسعى ... فبالخيلا [1] تصاحب للعزاء
كأنك للخلود تعيش دهرا ... وأنت أحق منه بالارتقاء
وقبل الدفن تقعد فى ادكار ... لميراث الضياع [2] أو البناء
ولم يرشدك من أمسوا يتامى ... بصيحات العويل أو البكاء
وذات الخدر [3] تمشى مع رجال ... وتصبح فى الأرامل والرثاء
وما ينبيك من يرقى سريرا ... ستلقاه غدا أوفى المساء [4]
وتدفن ثم تنسى مثل هذا ... كأنك لم تكن ضمن الإخاء
فمن يكفى عيالك غير فضلى ... ومن يكفل لأيتام سوائى ؟
ومن ترجوا إذا أدخلت قبرا ... وغادرك الرجال مع النساء ؟
ولاقيتَ القبيحَ قرينَ سوء ... وألفيتَ الجميل بلا ثناء
ووافاك المبشِّر أو نكيرٌ ... لتُسْأل عن عذابى أو رضائى
ومن يجعلْهُ روضًا من نعيم ... ومن يشعله من نار الشقاء ؟
ومن يجعله فى ضمٍّ شفوقاً ... كضمَّ الأمَ فى حال الهناء ؟
ومن يجعله يلوى فى ضلوع ... فتختلف الضلوع مع التواء ؟
ومن يجمعك معْ جار سعيد ... ومن يحميك من جار البلاء ؟
وكيف تكون يوماً فى تراب ... إذا وطئتك أقدام الفناء !
ومنْ معنا يقيك من المُعادى ... ويكرم فضل [5] جسم فى هباء؟

(١) أى: بالخيلاء والكبر.. والتعالى..

(٢) أى: الأرض التى كان يملكها..

(٣) أى: الزوجة التى كانت فى حياة زوجها مغيبة فى خدرها..

(٤) أى: أنه ينبغى عليه أن يذكر أنه فى لحظة ما سيحمل فوق هذا السرير الذى هو النعش...

(٥) أى: ما بقى من عظام نخرة قد تكون مبعثرة كالهباء المنثور...

القسم الثامن (الحشر)

ومــن معنــا لــدى حشــر ونشــر ... ويجمــعُ مــا تشــتَّت فى الهــواء ؟
ومن يَكْــسُ العبــاد وهــم حفــاةٌ ... عــراةٌ مــن قمــيص أو رداء ؟
ومن عــرق يصــيح النــاس صَــرْفاً ... ولــو للنــار مــن جَهْــد الــبلاء

القسم التاسع (الشفاعة)

وكــل يســتغيث فلــم يغــثهم ... ســوَى المختــار فى فصــل القضــاء
حبــيبى أحمــد ياســين طــه ... شــفيع المــذنبين ومصــطفائى
وأَفْضَــلُ مَــنْ تُشَــقُّ الأرض عنــه ... ويحشــر بالمواكــب والبــهاء
ويحشــر آدم والرســل طــراً ... وكــل الأنبيــا تحــت اللــواء
وكــل الأنبيــا تقــول نفســى ... وأحمــدنا ينــادى مَــنْ ورائــى ؟
وتكــرم أمــة تبعتــه فينــا ... ولــو بالــذنب تمــلأ للفضــاء
ينــادى: ربِّ لا أرجــوك أُمَّــى ... ولكــن أُمتَّــى أقصــى مُنَــائى
أناديــه: فســل تُعْــطَ ابتــهاجًا ... فهــذى رحمــتى ســبقت شــقائى
فأمتــك الكريمــة خــير نــاس ... لأجلك قــد أَبَحْــتُ لهــم رضــائى
جعلتــهم علــى خَلْقــى شُــهُوداً ... لأنهــمَ أتــوا فى الانتــهاء [1]
وأحمــدنا سأُشْــهِدُهُ علــيهم ... وذلــك حســبهم شــرف انتمــاء
وناهيــك الشــهادة مــن حبيــب ... وعنــد حبيبــه فصــل القضــاء
وكل الخلــق رهــن الأمــر قطعــاً ... وإنى حيث شــئت جــرى قضــائى

القسم العاشر (النعيم والرضوان)

وهاك الحوض خُصِّــصَ مــن قــديم ... فمــن يشــرب غــدًا بــالارتواء ؟
وهــا خُلْــدى تمتــع يــا حبــيبى ... فهــذى الــدار دارٌ للبقــاء
وهــاك ضــيافتى فــاسمع كلامــى ... وقــرِّب مَــنْ أشــاءُ بــلا مــراء
ورؤيــة وجهنــا أعلــى نعــيم ... فمــن ينظــر تَجَمَّــلَ بالســناء
فهــذى غايــةٌ فى الخــير قُصْــوى ... فســبحانى أُجــلُّ عــن انتــهاء ؟

(١) أى: هم آخر الأمم.

** (فإذا) كان المسلم قد فهم المراد من هذه القصيدة الجامعة.

(فإننى) أنصحه بضرورة أن يصطلح مع الله سبحانه وتعالى الذى يقول فى الحديث القدسى:

* (إنى والجن والإنس فى نبإ عظيم، أخلق ويُعْبَدُ غيرى، وأرزق ويشكر سواى، خيرى إلى العباد نازل، وشرهم إلىَّ صاعد، أتقرب إليهم بنعمى وأنا الغنى عنهم، ويتبغضون إلىَّ بالمعاصى وهم أفقر شىء إلىَّ... من أقبل إلىَّ تلقيته من بعيد، ومن أعرض عنى ناديته من قريب... فإنى أحب التوابين وأحب المتطهرين...

أهل ذكرى أهل مجالستى، وأهل طاعتى أهل مغفرتى، وأهل معصيتى لا أُقنطهم من رحمتى.. فإن تابوا إلىَّ فأنا حبيبهم، وإن أعرضوا وأبوا فأنا طبيبهم... أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب... الحسنة عندى بعشرة أمثالها، والسيئة عندى بواحدة، ومن استغفرها غفرتها له، وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها).

* ويقول سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى الذى يذكر ابن آدم فيه برعايته له ابتداء وجوده فى بطن أمه.. إلى أن خرج.. وإلى أن أصبح رجلاً مشدود العضلات...الخ.

(يا ابن آدم: جعلت لك قرار فى بطن أمك، وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفر من الرحم [1]، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك متكئاً عن يمينك ومتكئاً عن شمالك... فأما الذى عن يمينك فالكبد، وأما الذى عن شمالك فالطحال... وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك.. فهل يقدر على ذلك غيرى، فلما أن تمت مدتك فى بطن أمك.. أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك... فأخرجك على ريشة من جناحه...لا لك سن يقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى بها، وأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك... يجريان لبناً خالصاً حاراً فى الشتاء... بارداً فى الصيف... وألقيت محبتك فى قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع، ولا يرقدان حتى ترقد.... فلما قوى ظهرك واشتد أزرك بارزتنى بالمعاصى واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد علىَّ وتسترت ممن يراك

(١) أى: وغطيت وجهك بغطاء....

وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك ولم تستح منى (ومع) هذا، فإن دعوتنى أجبتك، وإن سالتنى أعطيتك، وإن تبت إلىَّ قبلتك).

** (ثم) إليك:

هذه الرسالة الإلهية

التى وردت فى صحف إبراهيم ـ عليه السلام ـ والتى يقول الله تبارك وتعالى فيها مخاطباً عباده الآبقين... أى الهاربين من ميدان طاعته:

* (من العزيز الحميد إلى من أبق من العبيد...سلام عليكم... هذه رسالتى إليكم بما اختصصتكم به من نور العلم وذكاء الفهم. فأول ذلك أنى أخرجتكم من العدم إلى الوجود، واخترعت لكم الجود، وأنشأت لكم الأسماع فسمعتم، والأبصار فأبصرتم، والألسنة فنطقتم، والقلوب فعلمتم، والعقول ففهمتم، وأشهدتكم على أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم، وعند الإقبال أدبرتم، وبعد الإقرار أنكرتم، ونقضتم عهودنا، فلا يوحشنكم ذلك منا. فإن عدتم عدنا، وزدنا فى الكرم وجُدْنا، فمن عثر أقلنا، ومن تاب قبلنا، ومن عمل قليلاً شكرنا، نعطى ونمنح، ونجود ونسمح، ونعفو ونصفح. كرمنا مبذول، وسترنا مسبول. عبدى...

انظر إلى السماء وارتفاعها، والشمس وشعاعها، والأرض وأقطارها، والبحار وأمواجها، والفصول وأزمانها، والأوقات، وإتيانها، وما هو ظاهر وكامن، ومتحرك وساكن، ومستيقظ وراقد، وراكع وساجد، وما غاب وما حضر، وما خفى وما ظهر، الكل يشهد بجلالى، ويقرُّ بكمالى، ويعلن عن ذكرى، ولا يغفل عن شكرى.

* عبدى.. أَذْكُرُكَ وتنسانى، وأسترك ولا ترعانى، لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها، أو البحار لأغرقتك فى معينها..

* ولكن أحميك بقدرتى، وأمدك بقوتى، وأؤجلك الى أجل أجلته، ووقت وَقَّتَهُ.. فو عزتى وجلالى..لابد لك من الورود علىَّ، والوقوف بين يدى، أعدد عليك أعمالك، وأُذَكِّرُك أفعالك.. حتى إذا أيقنت بالبوار، وقلت لا محالة أنك من أهل النار.. واليتك غفرانى، ومنحتك رضوانى، وغفرت لك الأوزار، وقلت لك لا تحزن، فمن أجلك سَميتُ نفسيَ الغفار).

*** فلتكن أخا الإسلام**

مع الله الذى وقفت من خلال رسالته سبحانه وتعالى على فضله وكرمه، وعفوه وصفحه، وذلك بالتضرع إليه.. بمثل هذا الدعاء الذى قرأته، تحت هذا العنوان الذى قرأته فى مجلة الوعى الاسلامى_ العدد ٥٤ _ للأستاذ الشيخ الفاضل الموحد: إبراهيم البدوى، والذى يقول فيه مناجيا ربه بأسلوب العلماء العارفين الموحدين:

بك أستجير ومن يجير سواكا ... فأجر ضعيفا يحتمى بحماكا

إنى ضعيف أستعين على قوى ... ذنبى ومعصيتى ببعض قواكا

أذنبت يا ربى وآذتنى ذنو ... ب ما لها من غافر إلاكا

دنياى غرتنى وعفوك غرنى ... ما حيلتى فى هذه أو ذاكا ؟

لو أن قلبى شك لم يك مؤمنا ... بكريم عفوك ما غوى وعصاكا

يامدرك الأبصار، والأبصار لا ... تدرى له ولكنهه إدراكا

أتراك عين والعيون لها مدى ... ما جاوزته، ولامدى لمداكا

إن لم تكن عينى تراك فإننى ... فى كل شىء أستبين عُلاكا

* ** ** **

يا منبت الأزهار عاطرة الشذا ... هذا الشذا الفواح نفح شذاكا

يا مجرى الأنهار: ما جريانها ... إلا انفعاله قطره لنداكا

رباه، هأنذا خلصت من الهوى ... واستقبل القلب الخلى هواكا

وتركت أنسى بالحياة ولهوها ... ولقيت كل الأنس فى نجواكا

ونسيت حبى وأعتزلت أحبتى ... ونسيت نفسى خوف أن أنساكا

ذقت الهوى مرا ولم أذق الهوى ... يارب حلوا قبل أن أهواكا

أنا كنت يا ربى أسير غشاوتى ... وبدأت بالقلب البصير أراكا

يا غافر الذنب العظيم وقابلا ... للتوب قلب تائب ناجاكا

أترده وترد صادق توبتى ؟ ... حاشاك ترفض تائبا حاشاكا

يارب، جئتك نادما أبكى على ... ما قدمته يداى لا أتباكى

أنا لست أخشى من لقاء جهنم ... وعذابها، لكننى أخشاكا

أخشى من العرض الرهيب عليك يا ... ربى، وأخشى منك إذ ألقاكا

* ** ** **

يــا رب عــدت إلى رحابــك تائبــا　　مستســلما مستمســكا بعراكــا

مــا لى ومــا للأغنيــاء وأنــت يــا　　رب الغــنى ولا يحــد غناكــا ؟

مــا لى ومــا للأقويــاء وأنــت يــا　　ربى ورب النــاس ؟ مــا أقواكــا ؟

إنى أويــت لكــل مــأوى فى الحيــا　　ة فمــا رأيــت أعــز مــن مأواكــا

وتلمست نفسى الســبيل إلى النجــا　　ة فلم تجد منجــى ســوى منجاكــا

وبحثت عن ســر الســعادة جاهــدا　　فوجــدت هــذا الســر فى تقواكــا

فليرض عــنى النــاس أو فليســخطو　　فلســوف لا أســعى لغــير رضــاكا

أدعوك يــا ربى لتغفــر حــوبتى [1]　　وتعيــننى وتمــدنى بهــداكا

فاقبل دعــائى واســتجب لرجــاوتى　　ما خاب يوما مــن دعــا ورجاكــا

يا رب هذا العصــر ألحــد عنــدما　　ســخرت يــا ربى لــه دنياكــا

علمته من علمــك (النــووى) مــا　　علمتــه فــإذا بــه عاداكــا

ما كــاد يطلــق للعــلا صــاروخه　　حــتى أشــاح بوجهــه وقلاكــا

واغتــر حــتى ظــن أن الكــون فى　　يمــنى بــنى الإنســان لا يمناكــا

أو ما درى الإنســان أن جميــع مــا　　وصلت إليه يــداه مــن نعماكــا ؟

أو ما درى الإنســان أنــك لــو أرد　　ت لظلــت الــذرات فى مخباكــا ؟

لو شئت يــا ربى هــوى صــاروخه　　أو لو أردت لمــا اســتطاع حراكــا

يــا أيهــا الإنســان، مهــلا واتئــد　　واشكر لربــك فضــل مــا أولاكــا

واســجد لمــولاك القــدير فإنمــا　　مســتحدثات العلــم مــن مولاكــا

أفــإن هــداك بعلمــه لعجيبــة　　تــزور عنــه وينــثنى عطفاكــا

إن النــواة ولكتــر ونــات الــتى　　تجــرى يراهــا الله حــين يراكــا

مــا كنــت تقــوى أن تفتــت ذرة　　منــهن لــولا الله قــد قواكــا

** ** ** **

كل العجائب صــنعة العقــل الــذى　　هــو صــنعة الله الــذى ســواكا

---

(1) الحوبة: أى: الإثم.

والعقــل لــيس بمــدرك شــيئا إذا ... مــا الله لم يكتــب لــه الإدراكــا
لله فى الآفـــاق آيـــات لعـــــ ... ـــل أقلها هـــو مـــا إليــه هــداكا
ولعـــل مـــا فى الـــنفس مـــن آياتـــه ... عجب عجــاب لــو تــرى عيناكــا
والكـــون مشـــحون بأســـرار إذا ... حاولـــت تفســـيرا لهـــا أعياكـــا
قل للطبيب تخطفته يـــد الـــردى [1]: ... يا شافى الأمـــراض مـــن أرداكـــا ؟
قل للمريض نجا وعـــوفى بعـــد مـــا ... عجزت فنون الطب: مـــن عافاكـــا ؟
قل للصحيح يمـــوت لا مـــن علـــة ... من بالمنايـــا يـــا صـــحيح دهاكـــا ؟
قل للبصـــير وكـــان يحـــذر حفـــرة ... فهوى بها: من ذا الـــذى أهواكـــا ؟
بل سائل الأعمى خطا بـــين الزحـــا ... م بلا اصطدام: من يقـــود خطاكـــا ؟
قل للجـــنين يعـــيش معـــذولا بـــلا ... راع ومرعى: مـــا الـــذى يرعاكـــا؟
قل للوليد بكـــى وأجهـــش بالبكـــا ... ء لدى الولادة: ما الـــذى أبكاكـــا؟
وإذا تـــرى الثعبـــان ينفـــث سمـــه ... فاسأله: من ذا بالســـموم حشـــاكا؟
واسأله يا ثعبـــان كيـــف تعـــيش أو ... تحيـــا، وهـــذا السُّـــم يمـــلأ فاكـــا؟
واسأل بطون النحل: كيف تقـــاطرت ... شهدا، وقل للشهد: مـــن حلاكـــا؟
بل سائل اللبن المصـــفى كـــان بيـــــ ... ـــن دم وفرث: ما الـــذى صـــفاكا؟
وإذا رأيتَ الحي: يخـــرج مـــن حنـــا ... يا ميـــت فاســـأله: مـــن أحياكـــا؟
قل للهواء تحســـه الأيـــدى ويخـــــ ... ـــفى عن عيون الناس: من أخفاكـــا؟
قـــل للنبـــات يجـــف بعـــد تعهـــد ... ورعاية: مـــن ذا بالجفـــاف رماكـــا؟
وإذا رأيت النبت فى الصـــحراء يـــر ... بو وحـــده فاســـأله: مـــن أرباكـــا؟

* ** ** **

وإذا رأيت البـــدر يســـرى ناشـــرا ... أنـــواره فاســـأله: مـــن أســـراكا؟
واسأل شعاع الشمس يدنوا وهى أبـــ ... ـــعد كل شيء: ما الـــذى أدناكـــا؟
قل للمرير من الثمـــار، مـــن الـــذى ... بـــالمر مـــن دون الثمـــار غـــذاكا؟
وإذا رأيت النخل مشـــقوق النـــوى ... فاسأله: من يا نخـــل شـــق نواكـــا؟

(١) الردى. أى الهلاك.. والمراد به الموت.

وإذا رأيــت النــار شــب لهيبــها فاسأل لهيب النـار: مـن أوراكـا؟
وإذا ترى الجبـل الأشـم مناطحـا قمم السحاب فسله: مـن أرسـاكا؟
وإذا تـرى صـخرًا تفجـر بالميـا ه، فسله: من بالمـاء شـق صـفاكا؟
وإذا رأيت النـهر بالعـذب الـزلا ل جرى فسله: من الـذى أجراكـا؟
وإذا رأيـت البحـر بـالملح الأجـا ج طغى، فسله: من الذى أطغاكـا؟
وإذا رأيـت الليـل يغشـى داجيـا فاسأله: من يا ليـل حـاك دجاكـا؟

* ** ** **

وإذا رأيت الصـبح يسـفر ضـاحيا فاسأله: من يا صبح صاغ ضـحاكا؟
هذه عجائـب طالمـا أخـذت بهـا عينـاك وانفتحـت بهـا أذناكـا
والله فى كـل العجائـب ماثـل إن لم تكـن لتـراه فهـو يراكـا
يا أيها الإنسان: مهـلا، مـا الـذى بـالله جـل جلالـه أغراكـا
حـاذر إذا تغـزو الفضـاء فربمـا ثـأر الفضـاء لنفسـه فغزاكـا
أغز الفضـاء، ولا تكـن مسـتعمرا أو مسـتغلا باغيـا سـفاكا
سخر نشاط العلم فى حقـل الرخـا ء يضخ من الذهب النّضـار ثراكـا
سـخره يمـلأ بالسـلام وبالتعـا ون عالمـا متنـاحرا سـفاكا
وادفع بـه شـر الحيـاة وسـوءها وامسـح بنعمـى نـوره بؤسـاكا
العلـم إحيـاء وإنشـاء، وليـ ـس العلـم تـدميرا ولا إهلاكـا
فـإذا أردت العلـم منحرفـا فمـا أشقى الحيـاة بـه ومـا أشـقاكا

** (فهكذا) أيها الأخ المسلم نستطيع من خلال قراءتنا لهذه القصـيدة ومثلـها التعرف على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وأسراره المتعددة فى هذا الوجود الذى فيه ما فيه من الأسرار الأخرى التى أشار إليها أحدهم وهو الأستاذ أحمد عبد الهـادى، كما جاء فى مجلة الوعى الإسلامى ـ العدد ١٤٠ سنة ١٩٨٦ ص ٨١، تحت عنوان:

هو الله الذى لا إله إلا هو

فيقول:

مـن علـم الإنسـان مـا لم يعلـم وهدى المسافر فى الـدجى بـالأنجم ؟
وأعـد للطفـل الضـعيف غـذاءه لبنا خفيف الهضـم حلـو المطعـم ؟
الله علـم عبـده وأعـزه وهدى الغريب وأطعم الطفل العمـى

من أيقظ الأطيار إبان السحر — تشدوا وتسعى للغذاء بلا حذر
وتعود للأعشاش مالئة الحشا — لتزق أفراخا صغارا تنتظر؟
الله أيقظها وأطلق شدوها — وأطارها للعيش من فوق الشجر

* **

من أخرج الشجر العظيم من النواة — وأقله الثمر الجميل كما تراه ؟
وأعده للناس حلوا طيبا — شتى المذاق وقد سقى نفس المياه ؟
الله أخرجه وحمله الجنى — وسقاه ماء واحدًا يجرى الحياة

* **

من ذا الذى رفع السماء بلا عمد ؟ — ومن الذى يعطيك إن ترج المدد؟
ومن الذى يدرى بسرك إن خفا — ويقيك سيئ ما بصدرك من كمد؟
الله رافع ذى السماء، وعالم — بالسر، وهو البارئ الفرد الصمد

* **

من ذا الذى ناداه من قلب البحار — قوم على الفلك الذى لقى الدمار؟
ريح وأمواج ترامت فوقهم — فأتى بهم للبر ثم إلى الديار ؟
الله نجاهم وأذهب روعهم — ووقاهم الله الهلاك والاندثار

* **

من ذا الذى نظم الكواكب فى الفلك — وترى النهار إذا مضى يأتى الحلك [1]
بأدق ما كان النظام ودونما — خلل، ولا تلقى الكواكب تشتبك ؟
الله ناظمها بغير مساعد — وهو المليك، أجل، ومالك من ملك
من أخرج الإنسان من ماء مهين — ونشاه أطورًا على مر السنين
وأجاد صورته وأبدع خلقه — وهداه بالتفكير للحق المبين ؟
الله أبدعه وأكمل خلقه — وحباه عقلا يستضىء به اليقين

(ومن) أجمل ما قرأت كذلك [2]، تحت عنوان:

من دلائل قدرة الله

(١) أى: الظلام الحالك.

(٢) فى كتاب (مع الله) نظرات فى الكون والحياة، للأستاذ عبد الجواد رجب. طبعة دار الاعتصام.

لفضيلة الشيخ الصاوى شعلان ــ رحمه الله تعالى ــ:

نشر الصبح على الدنيا سناه وسقى الروض رحيقا من نداه

واكتسى الروض من النور علاه

الندى من فيض من ؟ ! والضحى من نور من ؟ !

أقبلت فى بسمة الفجر الطيور تسكب الألحان عطرا فى الزهور

تصنع العش وتسعى فى البكور

عيشها فى رزق من ؟ ! وهى أيضا صنع من ؟ !

حَوت الأرض أفانين الشجر بين ألوان وطول وقصَرْ ؟ !

وغصون مورقات وثمر

مُنبتُ الأشجار من ؟ ! راسم الألوان من ؟ !

داعب النحل من الزهر شذاه وأحال الورد شهدا فى رباه !!

وبنت هندسة النمل قراه

مرشد النحلة من ؟ ! ملهم النملة من ؟ !

الجنين استقبل الرزق الجديد ؟ ! وتوالى وهو فى المهد السعيد !

قبل أن تنبت أسنان الوليد

أطعمته يد من ؟ ! صورته يد من ؟ !

لم يا مخلوق آثرت الجحود كنت معدوما فمن أين الوجود ؟ !

أهى الصدفة أم رب ودود

قبله فى الكون من ؟ ! بعده فى الملك من [1] ؟ !

لو تناهيتم إلى سر الحياة وصنعتم كائنا حيا نراه !!

لم نزد إلا يقينا بالإله

(فليكن) هذا التوحيد الخالص من أسباب التعرف على عظمة الخالق سبحانه وتعالى فى أنفسنا، وفى هذا الوجود.. (ليكن) كذلك سببا فى الإكثار من:

---

(١) وليس له سبحانه وتعالى قبل ولا بعد.. (هو الأول والآخر والظاهر والباطن..) وهذا المعنى لا بد وأن يكون هو المراد من قول الشاعر..

ذكر الله تبارك وتعالى

لأن ذكر الله تبارك وتعالى هو طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها.. به تطمئن القلوب، وتتفرج الكروب، وتغفر الخطايا والذنوب.. (ولهذا) فقد أمر الله تعالى به، ورغب فيه، ومدح أهله.. فقال تعالى:

* ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٨]، وقال: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ**[1] **عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف:٣٦]، وقال: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة:١٠].

* (وعن) معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: « **يا معاذ والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ: لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك، و شكرك، و حسن عبادتك** » رواه أبو داود باسناد صحيح.

* (وعن) أبي موسى الأشعرى ﷺ عن النبى ﷺ قال: « **مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره: مثل الحى و الميت** » رواه البخارى، ومسلم فقال: « **مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر فيه: مثل الحى والميت** ».

* (وعن) جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أفضل الذكر: لا إله إلا الله** » رواه الترمذى وقال حديث حسن.

* (وعن) عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: « **لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله** » رواه الترمذى وقال حديث حسن.

* (وعن) أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم ؟** » قالوا: بلى يا رسول الله، قال: « **ذكر الله تعالى** » رواه الترمذى، قال الحاكم: أبو عبد الله إسناده صحيح.

---

(١) ويعش أى: يغفل.

(وعن) أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فمن عنده** » رواه مسلم.

** (وفى) الختام: أوصيك ونفسى وجميع المسلمين والمسلمات: بالإكثار من الصلاة والسلام على:

صاحب الوصايا صلوات الله وسلامه عليه

** (ففى) القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى. ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:٥٦].

* (وعن) عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **من صَلَّى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا** » رواه مسلم.

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة** » رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(وعن) أبى حميد الساعدى رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ قال: « **قولوا: اللهم صلِّ على محمد و على أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد** » متفق عليه.

** ولله در من قال:

إن شئت من بعد الضلالة تهتدى ... صلّى على الهادى البشير محمد
يا فوز من صلَّى عليه فإنه ... يحوى الأمانى بالنعيم السرمدى[1]
يا قومنا صلوا عليه فتظفروا ... بالبشر و العيش الهنى الأرغد
صلوا عليه و ارفعوا أصواتكم ... يغفر لكم فى يومكم قبل الغد
و يخصكم رب الأنام بفضله ... بأفاضل الجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله ... ما لاح فى الآفاق نجم الفرقد

(١) أى: الدائم.

** (ويستطيع) الآخ المسلم أن يصلى على رسول الله صلى الله عليه... بمثل هذه القصيدة التى نظمها والدي: (السيد/ عبد الله العفيفى) عليه رحمة الله..

والتي فيها يقول [1]:

اللــــهم صـــلِّ وســـلم علـــى	أحمـــد محمـــد طـــه الرســـول
وعلـــى الآل كـــذاك علـــى	كـــل نصـــير لطـــه الرســـول
وامـــنن علينـــا وجـــد برضـــا	لكـــل محـــب لطـــه الرســـول
وأيِّـــده توابـــع مـــن ســـنته	أحيـــا وأفـــرح طـــه الرســـول
واجعـــل إلهـــى نصـــيراً لهـــم	منـــك يجـــود يُحـــب الرســـول
يكـــون عليـــاً علـــى نجـــدة	وحـــزم قـــوىٍّ كصـــحب الرســـول
واحفـــظ دوامـــاً جميـــع الألى	تـــابوا إليـــك وتبعـــوا الرســـول
هجروا الفـــواحش مـــا قـــد ظهـــر	وما قـــد بَطَـــن وأحبُّـــوا الرســـول
أمـــروا اقتـــداء بمـــن قـــد ســـلف	بمـــا قـــد كـــان عليـــه الرســـول
وأحيـــوا الســـنن وقـــد عمهـــا	مـــوت أضـــاع جهـــاد الرســـول
حقـــا أغـــاث بهـــم ربنـــا	أمـــة أحمـــد طـــه الرســـول
حفـــظ الإلـــه بهـــم دينـــه	وأنجـــز وعـــداً لطـــه الرســـول
فـــيهم ومنـــهم بهـــم شـــرعنا	يُعـــرف ويُعلـــم خلُـــقُ الرســـول
جـــاءوا شـــفاءً هُـــدى رحمـــة	لكُـــلِّ مـــؤامن بطـــه الرســـول
فبـــادر أُخَـــيَّ بقفـــو الألى	عَلمُوا وعَملـــوا بشـــرع الرســـول
واتبـــع محبًّـــا الهـــم كـــى تفـــز	وتلحـــق ســـعيداً بطـــه الرســـول
قـــومٌ كـــرام همـــوا لم نجـــد	حزبـــا ســـواهم يحـــب الرســـول
قـــوم كـــرام علـــيهم بـــداً	نـــور ولاح ضـــياء الرســـول
قـــوم كـــرام علـــيهم يُـــرَى	أثـــرُ الرســـول سمـــاتُ الرســـول
حُسْـــنٌ جمـــالٌ جـــلالٌ بهـــا	حلـــم تواضـــع علـــم الرســـول

(١) كما فى جاء كتابه (العصب المتين)... (مع) ملاحظة أن يصلى الأخ المسلم على رسول الله ﷺ كلما سمع اسمه أو قرأه.. صلوات الله وسلامه عليه.

أرخُــوا العمــائم مثــل الــنبى خلــف الظهــور فسَــرُوا الرســول
لم يجهلنــهم ســوى مــن عَمــى قلبــاً وجهــل بشــرع الرســول
لم يجهلنــهم ســوى مــن شَــقى أزلاً وأبغــض طــه الرســول
أحيــوا الزهــادة أرضــوا الغــنى صــاموا وصــلوا صــلاة الرســول
جعلــوا التــراحم وصــفا لهــم فــيهم تعالــت شــيم الرســول
قــوم هُــدُوا وبهــم قــد هُــدى عبــد ســعيد ومــعْ ذا الرســول
قــولاً وفعــلاً وَقصْــداً فــلا يَــروْن نظــيرًا الهــدى الرســول
قــوم شمــوس بهــم قــد غــدا حقــاً غريبــاً ديــن الرســول
وكــان عزيــزاً بقــوم مضــوا نصروا الرســول وديــن الرســول
ملكــوا الــبلاد بتقــوى الغــنى ســادوا العبــاد بقفــوا الرســول
كــانوا الرجــال أولى نجــدة يحــزم أبــادوا عــدًا ذَا الرســول
أفنــوا جميعــاً لأعمــارهم حربــاً جهــاداً لنصْــر الرســول
كنــا كبــارًا نَعَــزُّ بهــم كنــا هُــداة وراء الرســول
فهــو الــنبى وكــل الهــدى وراء الــنبى الشــفيع الرســول
محمّــدْ محمّــدْ مَــنْ أرســلا بكــل الســعادة هــل فى الرســول
نقــص، لمــاذا أُهَيْــل الشــقا تــركتم لهــدى الهــادى الرســول
محمــد محمــد مــن قــد ولــد شــريفاً نظيفــاً، ســجَد الرســول
إزاء الوضــع مشــيراً إلى هــدى الســماء، يشــير الرســول
لرفــع مقــام الألى آمنــوا بمــا قــد جــاء وتبعــوا الرســول
وقــد أرضــعته حليمــة مــن رأت آيــات لطَــه الرســول
وخُصــت بفضــل فيــا ســعدها بمــا قــد ضَــمَّت طــه الرســول
كــذاك ثويبــة مــن بشَّــرت بوضــع محمــد عــمَّ [1] الرســول
فأعتقهــا إذ هــى أخــبرت بمولــد طــه المــنير الرســول
كــذا أم أيمــن بركــةٌ مــن علــى البكــاء لمــوت الرســول

---

(١) وهو أبو لهب عليه لعنة الله... وكانت ثويبة من جواريه....

قد هُيَّجَتْ إذ قيل لها ... لماذا البكاء وطه الرسول
نال مناه وسكن العلا ... فقالت: أليس بموت الرسول
انقطع الوحى وخبر السما ... فبكى العُمران[1] وذكرا الرسول
ولكن أبشر أُخَىّ ولا ... تحزن فبركة وحْى الرسول
تدوم لقوم على هديه ... عكفوا وذاك بنص الرسول
هم العلماء الألى يصلحُنّ ... فسَاد أناس ليس الرسول
يشفع لهم بل فسُحْقاً لهم ... فسحقاً فسحقاً يقول الرسول
يعنى فبعداً بما أحدثوا ... بدعاً تُغيِّر شرعَ الرسول
وذاك إذا هو قد يشفعَنْ ... لأهل السنن فنعم الرسول
فأهل السنن لهم جنة ... تدوم لحشر مع ذا الرسول
وأهل البدع كلابٌ لظن ... لا يهتدون بهدى الرسول
لنسعد سعادة لا تنقضى ... ونسكن جنانا [2] بجار الرسول
وفى الفردوس نكون معه ... بما أحيينا هَدْىَ الرسول.
وأنجز لنا كُلَّ وعد وعدت ... فأنت الرحيم بحزْب الرسول
وأصلح إلهى لنا نسلنا ... وشفع إلهى طه الرسول
فينا وفيهم وكن عوننا ... وهبَنا جميعاً حُبَّ الرسول
وصل وسلم إلهى على ... أحمد محمد طه الرسول
وعلى الآل كذاك على ... كُلِّ نصير لطه الرسول

** (وتستطيع) كذلك أن تتضرع معه عليه رحمة الله _ بهذا الاستغفار الجامع الذى كان الله تعالى قد أفاض عليه به، وهو: (استغفر الله العظيم لى ولوالداتى ووالدِى [3]، والمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات من مَيْت وحَىّ، والصلاة والسلَام على خير نبى وكل نبىْ، وعلى آله وآلهم وصحبه وصحبهم وكل تقى وولى، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق الله وما يخلق من شىء).

---

(١) المراد بهما أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.
(٢) أى: أعلى درجات الجنة بجوار الرسول ﷺ.
(٣) والداتى: أى أمهاتى إلى حواء عليها السلام، ووالدِى بكسر الدال: أى آبائى إلى آدم عليه السلام.

** (وإذا) أردتَ أن تصلى على رسول الله ﷺ صلاة المحبين الصادقين (فإنـه) حسبك أن تقول مع الإمام الشيخ محمود خطاب السبكى عليه رحمة الله [1]:

طـه الـذى عـم الأنـام بفضـله ... سـاد النبـيين الأُلى مـن قبلـه
هو صـفوة البـارى وخـاتم رُسْـله ... يـا أيهـا المستمسـكون بحبلـه
إن تبتغـوا أجـرًا يكـون جـزيلاً ... صـلوا عليـه بكـرة وأصـيلا

اللهم صـل وسـلم وبـارك عليـه

الله أدنـاه إليـه وقربـا ... فعـلا مقامـاً لم ينلـه أولـو النَّبَـا
وله يقـولُ أبشـر فأنـت المجـتبى ... أهـلاً وسـهلاً بالحبيـب ومرحبـا
أنت الـذى تسـتوجب التفضـيلا ... صـلوا عليـه بكـرة وأصـيلا

اللهم صل وسلم وبارك عليه

مَـلأتْ نُبُوَّتُـه الوجـودَ وأظهـرا ... بحسامه الـدينَ الصـحيحَ فأسـفرا
واستبشرت فرحـاً ببعثتـه الـورى ... ومحا الضـلالَ كمـا بـذلك خَبَّـرا
نـصُّ الكتـاب مُفصَّـلاً تفصـيلا ... صـلوا عليـه بُكْـرةً وأصـيلا

اللهم صل وسلم وبارك عليه

والسُحُب لا تحكـى عطايـاه فمـا ... أنـداه بحـراً بالسـخاء وأكرمـا
أنعم بمن أَسْنَى الكمـال لـه انتمـى ... مـولاه قـد صـلى عليـه وسـلما
مـن لم يصـل عليـه كـان بخـيلا ... صـلوا عليـه بكـرة وأصـيلا

اللهم صل وسلم وبارك عليه

** (وتستطيع) كذلك أن تدعو بقوله:

يـا رب وسِّـع رزقنـا وأكثـر ... يـا رب أَعْـل قـدرنا وأظهـر
(اغفـر لنـا ذنوبنـا وكَفِّـر [2]) ... وصَـفِّ منَّـا قلبنـا وطهِّـر
يـا ربنـا وارفـق بنـا واجبرنـا ... يـا ربنـا ومُـنَّ واعـف عنـا
يا ربنا (واغفـر لنـا وارحمنـا [3]) ... يـا ربنـا وقوِّنـا وانصـرنا

---

(١) كما جاء فى كتابه (المقامات العلية) ص٢٥،٢٤.
(٢) آل عمران: من الآية ١٩٣.
(٣) البقرة: من الآية ٢٨٦.

وامــنن بسَــتْر يــا جميــل الســتر

يــا ربنــا واشــرح إلينــا صــدرا　　يــا ربنــا أجــزل إلينــا الأجــرا

يا(ربنا أفــرغ علينــا صــبرا [1])　　يــا ربنــا ســهِّل علينــا الأمــرا

يــا ربنــا واخــتم لنــا بــالخير

** (بل) وتستطيع أن تدعو معى بهذا الدعاء الذى قلت فيه تحت عنوان [2]:

دعــاء ورجــاء

يا رب صــل علــى الــنبىِّ الهــادى　　والآل والأصــحاب والأحفــاد

واكرم بفضلك كل من عرف الهــدى　　وانصــر إلهــى شــرعتى وبــلادى

يــا رب إنى قــد عرفــتُ محمــداً　　وتعلقــت روحــى بــه وفــؤادى

يا رب فــاجعلنى بحــب المصــطفى　　من خير أهــل النصــح والإرشــاد

يــا رب إنى فى حمــاك ولــيس لى　　إلاك فاســترنى وصُــن أولادى

من كل أســباب الــبلاء ورضِّــهم　　واجعلــهموا مــن خــيرة العُبَّــاد

يــا رب وارحمــنى برحمتــك الــتى　　وســعت جميــع الخلــق دون نَفَــاد

وارحم كذلك والــدَىَّ وزكهــم[3]　　واحشرهما مــع صــالحى الأجــداد

يــا رب واذكــرنى بحبــك دائمــاً　　واقبــل إلهــى طــاعتى وجهــادى

واجعل لسانى بــل وكلــى ذاكــراً　　ذكــراً بعطــر ســيرتى ورمــادى

يا رب واحفظــنى بلطفــك واحمــنى　　من عــين أهــل الفســق والحســاد

وافتح أمامى باب خــيرك واكفــنى　　شــر العبــاد وفتنــة النقــاد

يا رب واجعل كــل وقــتى زاخــراً　　بالصــالحات وصُــحبة الأجــواد

واملأ إلهــى قلــب عبــدك بــالتقى　　واشرح صــدور القلــب لــلأوراد

يا رب وانفعــنى بعلمــك واســقنى　　كأس الشريعة كــى يزيــد عتــادى

وامــنن علــى بحكمــة وفصــاحة　　أبدى بهــا نصــحى بكــل ســداد

---

(١) البقرة: من الآية ٢٥٠.

(٢) وهى قصيدة للمؤلف / طه عبد الله العفيفى ـ غفر الله له...

(٣) وهذا من باب التعظيم... ونستطيع أن نقول: (والدى) بكسر الدال أى آبائى إلى آدم.. ثم نقول فى البيت الثانى: (واحشرهموا..).

يا رب وارض عن الصحابة كلهم	**والتابعين وكل عبد هادى**
وعن الأئمة والمشايخ واجزهم	**خير الجزاء وزدْ بفضلك زادى**
يا رب ها أنذا أذكر إخوتى	**والكل يسمع فى خشوع بادى**
ويقول: يا الله وفِّق جمعنا	**واحفظ عبادك من بنى الإلحاد**
وأنا أقول مع الجميع مُردداً	**وجميع أعضائى كذاك تنادى**
وتقول يا غفار يا هادى الورى	**اغفر لكل عُصاة هذا الوادى**
يا رب إنى قد دعوتك فاستجب	**لدعاء عبد للحرام يُعادى**
ويقول معْ كل العباد مُردداً	**مولاى صل على الحبيب الهادى**
يا رب صل على النبى الهادى	**والآل والأصحاب والأحفاد**
أزكى صلاة معْ سلام عاطر	**ينموا به يوم الحصاد حصادى**

** (هذا)، وإذا كان لى بعد هذا الخير الذى أكرمنى الله تعالى بشرحه _ وهو المائة الثانية من وصايا الرسول ﷺ، وبعد هذا الزاد الذى أردت أن أزوِّد به الدعاة بصفة خاصة _

* (فإننى) أريد أن أقول كلمة هامة لله وفى الله، وهى أن العلم النافع هذا أمانة فى أعناقنا، وهو أيضا مسئولية كبيرة.. (لابد) وأن نعمل به وننفذ المراد منه.. وإلا كان حجة علينا لا لنا.

(ولابد) كذلك وأن نكون أهلا لتحمل هذه المسئولية.. بمعنى أن نعمل إن شاء الله على نشره وتبليغه لغيرنا من المسترشدين على المستوى الخاص والعام..

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « **إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علَّمه ونشره** [(١)]**، وولدا صالحا تركه، أو مصحفا وَرَّثَه، أو مسجدا بناه، أو بيتًا لابن السبيل** [(٢)] **بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته** ». رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقى، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه.

---

(١) بأى وسيلة من وسائل النشر من خطب أو دروس أو تأليف.. أو توزيع فى مكتبة.. مثلا..
(٢) وهو المسافر المنقطع عن ماله وبلده فيأوى إلى ذلك البيت للمبيت فيه.

* (وعن) قتادة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « **خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجرى يبلغه أجرها، وعلم يُعمل به من بعده** » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، (وعن) أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له** ». رواه مسلم.

* (وعن) زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضرَّ الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه غيره، فَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه..** » الحديث رواه ابن حبان فى صحيحه، والبيهقى بتقديم وتأخير، وروى صدره، إلى قوله: « **ليس بفقيه** » أبو داود والترمذى وحَسَّنهُ، والنسائى وابن ماجه بزيادة عليها.

قصيدة الختام

للمؤلف الفقير / طه عبد الله العفيفى

فاذكر أخا الإسلام كُلَّ كلامى ... واذكر كذلك نعمة الإسلام
تلك التى سنظل نذكر فضلها ... ونقول للدنيا مدى الأيام
إن الرسول محمدا خير الورى ... هو منقذ الدنيا بخير كلام
أعنى بنور الله، والخير الذى ... سيظل قرآنا، وعِلْمًا سامى
وكذاك بالهَدْى المنير كلامه ... مَنْ سوف نحفظه مِنَ الأوهام [1]
ليظلُ نورا يُهْتَدَى ببيانه ... فى كل مستور عن الأفهام
حتى نكون بإذن ربى دائما ... من خير خلق الله والأَعْلام
فى كل وقت بل وكل دقيقة ... حتى نغادر دار كل حطام
وكذاك فى دار الخلود مع الهدى ... خير البرية مَنْ إليه سلامى
وكذا الصلاة عليه دون تقطع ... فى هذه الدنيا مع الأقوام
من عزروه وأخلصوا فى حبه ... فتحققت فيهم ذُرَى الإنعام
وتحققت فيهم دواما أنهم ... أهل الشريعة والمقام السامى
فاجعل إلهى كل إكرام لهم ... فى جنة الفردوس خير مُقَام
مع سيدى المختار مبعوث الهدى ... من أنقد الدنيا من الأسقام [2]
والكفر والإلحاد والشرك الذى ... سنظل نسحقه بكل سهام
حتى نكون لفضل ربى دائما ... أهلا، وحُفاظا لخير كلاَم [3]

---

(١) أو إن شئت فقل: من الأقزام.. (أعنى) الذين يحاربون السنة و أهلها.. (نسأل الله لهم الهداية) اللهم آمين.

(٢) أى: جميع الأمراض الحسية والمعنوية بنور القرآن، ونور هديه صلوات الله وسلامه عليه..

(٣) وهو القرآن الكريم الذى ينبغى علينا نحن المؤمنين أن نكثر من تلاوته وحفظ آياته ونحن نحرص على تنفيذ ما فيه من الأوامر واجتناب ما فيه من المنهيات.

وكـــذاك أهـــلا للوصـــايا كلـــها   حـــتى ننفـــذها، مـــع الأحكـــام [1]
فنكـــون للإســـلام حصْـــنا دائمـــا   ونطهـــر الـــدنيا مـــن الإجـــرام
وتكـــون دنيانـــا بهـــدى نبينـــا   سِـــلْمًا وإسْـــلاما بغـــير حـــرام
أعـــنى بغـــير نقيصـــة ودسيســـة   مـــن جانـــب البلـــهاء والأقـــزام
من ســوف نقــنعهم بــأن ســبيلنا   هو خــير عنــوان لخــير مــرام [2]
فى هـــذه الـــدنيا وفى دار التقـــى   مـــع خـــير خلـــق الله بالإتمـــام
مـــن عَلَّـــم الأبـــرار أن ســـبيلهم   هـــو منـــهج القـــرآن والأفهـــام
هو منـــهج الأحـــرار دون منـــازع   حـــتى يظـــل الخـــير دون حُسَـــام
فيســـود بـــين النـــاس أن نبـــيهم   هـــو رحمـــة الله الســـلام السَّـــامى
هو رحمة الله الـــذى نرجـــو بـــه [3]   فى جنـــة الفـــردوس خـــير مُقـــام
وكـــذاك نســـأله تعـــالى دائمًـــا   لجميع أهل الخــير كــل سَــلام [4]

(١) أى: من الأحكام الفقهية الواردة فى شرح الوصايا إن شاء الله.

(٢) أى: لخير مراد من الخير.

(٣) أى: بحبه والعمل بسنته صلوات الله وسلامه عليه.

(٤) (هذه) القصيدة من تأليف الفقير إلى الله الغنى بالله _ خادم القرآن والسنة _ طه عبد الله العفيفى.. (المقيم) فى جمهورية مصر العربية _ المعادى شارع / ١٠ منزل رقم ٨٤ _ القاهرة.. تليفون: ٣٥٨٠٩١٢. والذى يرجو دوام الدعاء له بالتوفيق والسداد وحسن الختام.

(والله) أسأل أن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع الذى أسأله سبحانه وتعالى أن: يجعله فى صحيفة حسناتى _ وصحيفة حسنات والدى السيد عبد الله العفيفى الذى غرس فى قلبى منذ نعومة أظافرى حب السنة وأهلها _ وأن ينفع بها جميع أبنائى وأحفادى بصفة خاصة وجميع المسلمين والمسلمات بصفة عامة.. وأن يجعل هذا العمل المبارك خالصا لوجهه الكريم، إلى يوم الدين.. اللهم آمين، (والحمد لله) رب العالمين...

خادم الوصايا الفقير

طه عبد الله العفيفى

* (وكان) الانتهاء من إتمام هذا الخير فى فجر الجمعة السادس والعشرين من شهر صفر ١٤٢٠ هـ الموافق ١٠ / ٦ / ١٩٩٩ م.

وصلّى الله تبارك وتعالى على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه فى مبدأ الأمر ومنتهاه عدد ما خلق الله وما يخلق من شىء إلى يوم الدين

اللهم آمين



من تراجم رواة

المائة الأولى والثانية

مـــن

وصايا الرسول ﷺ

جمعها وقدم لها وعلق عليها

طه عبد الله العفيفى

مقدمة هامة

أخي المسلم أختي المسلمة

إن الصحابة عليهم رضوان الله هم نجوم هذه الأمة التي هي خير الأمم:

ويكفي الصحابة تكريماً قول النبي ﷺ عنهم:

«الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأخرجه أيضاً الترمذي ٢ — ٩، وبشرح ابن العربي ١٣ — ٢٤٤ عن عبد الله بن مغفل.

وقوله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»** أخرجه مسلم عن أبي هريرة ٤ — ١٩٦٧ وأخرجه ابن ماجه.

وقد يسأل الأخ المسلم بعد هذا:

ومن الذي يطلق عليه اسم الصحبة؟

فأجيبه بما جاء تحت هذا العنوان في المجلد الأول من أُسْد الغابة.. ص١٩،١٨، وهو: قال الإمام أبو بكر أحمد بن علي الحافظ بإسناده عن سعيد بن المسيب أنه قال: الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سَنَة أو سَنَتين وغزا معه غزوة أو غزوتين .

وقال الواقدي: ورأينا أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ، وقد أدرك الحكم فأسلم، وعقل أمر الدين ورضيه، فهو عندنا ممن صحب رسول الله ﷺ ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه علي طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام.

وقال أحمد بن حنبل : أصحاب رسول الله ﷺ كل من صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري: من صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

وقال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب [1]: لا خلاف بين أهل اللغة فى أن الصحابى مشتق من الصُّحبة، وأنه ليس مشتقا على قدر مخصوص منها، بل هو جار

---

(١) وهو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب، المعروف بالباقلانى، المتكلم المشهور. توفى سنة ٤٠٣ هـ.

على كل من صحب قليلا كان أو كثيرا، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال ولذلك يقال: صحبت فلانا حَوْلا [1] وشهرا ويوما وساعة، فيوقع اسم الصحبة لقليل ما يقع عليه منها وكثيره، قال: ومع هذا فقد تقرر للأمة عُرف، أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن، كثرت صحبته، ولا يجيزونه ذلك إلا فيمن كثرت صحبته، لا على من لقيه ساعة أو مشى معه خطأ، أو سمع منه حديثا، فوجب لذلك أن لا يجزى هذا الاسم إلا على من هذه حاله، ومع هذا فإن خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به. وإن لم تطل صحبته ولا سمع منه إلا حديثا واحدا، ولو رُدَّ قوله أنه صحابى لرد خبره عن الرسول.

وقال الإمام أبو حامد الغزالى: لا يطلق اسم الصحبة إلا على من صحبه، ثم يكفى فى الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، ولكن العُرف يخصصه بمن كثرت صحبته.

ومع كل هذه الأقوال التى منها قول الإمام أحمد.. والإمام البخارى.. بالإضافة إلى أقوال غيرهما.. والتى تفيد بأن كل من صحبه شهرا أو يوما أو ساعة، أو رآه.. يعتبر من أصحاب الرسول ﷺ:.. الخ: فقد قرأت فى: (الإصابة فى تمييز الصحابة) الجزء السابع ٦١٤٤ ص ١٩١، ١٩٢ لابن حجر عليه رحمة الله:

أن سيدنا عيسى، وهو المسيح بن مريم الصِّديقة بنت عمران، بن ماهان، بن الغار، رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم.. ذكره الذهبى فى التجريد على من قبله[2] فقال: عيسى بن مريم رسول الله، رأى النبى صلى الله عليه، وآله وسلم ليلة الإسراء، وسلم عليه، فهو نبى وصحابى، وهو آخر من يموت من الصحابة، وألغزه القاضى تاج الدين السبكى فى قصيدته، التى فى آخر القواعد، له، فقال:

مَنْ باتفاق جميع الخلق أفضلُ من ... خير الصحاب أبى بكر ومن عمر
ومن على، ومن عثمانَ، وهو فتى ... من أمة المصطفى المختار من مُضَر

إلى أن يقول بعد ذلك ابن حجر فى الإصابة: ويتجه ذكر عيسى خاصة لأمور

(١) أى: عامًا.
(٢) وهو عيسى بن لقيم العبسى / ٦١٤٣.

اقتضت ذلك: أولها أنه رُفع حيًّا، وهو على أحد القولين، الثاني: أنه اجتمع مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ببيت المقدس على قولٍ ولا يكفى اجتماعه به فى السماء لأن حكمه من حكم الظاهر. الثالث: أنه ينزل إلى الأرض — على المنارة البيضاء، شرقى دمشق، وفيها عنه: ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، وقال الإمام النووى فى ترجمته، فى تهذيب الأسماء إذا نزل عيسى كان مقرا للشريعة المحمدية [1] لا رسولاً إلى هذه الأمة، ويصلى وراء إمام هذه الأمة تكرمة من الله لها من أجل نبيها، وفى الصحيح: «**كيف بكم إذا نزل عيسى بن مريم وإمامكم منكم؟**» قال: وقد جاء أنه يتزوج بعد نزوله، ويولد له، ويدفن عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم انتهى.

ثم يقول: واختلف فى إقامته بالأرض، بعد أن ينزل آخر الزمان، فقيل: سبع سنين، وقيل: أربعين، وقيل غير ذلك. وقد وقع عند أحمد من حديث أبى هريرة بسند صحيح، رفعه: **أنه يلبث فى الأرض أربعين سنة**.

واختلف فى عمره فى الدنيا، منذ ولد إلى أن رُفِع، فقيل: ثلاث وثمانون سنة، وهذا أشهر، وقيل: أربع وثمانون وفى مرسل سعيد بن المسيب: أنه عاش ثمانين، ذكره من رواية على بن زيد، عنه، وهو ضعيف، وفى مستدرك الحاكم عن فاطمة، رضى الله عنها: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخبرها: **أن عيسى عاش مائة وعشرين سنة**، فى حديث ذكره، وأخرجه النسائى وابن ماجه من طريق الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى، خرج على أصحابه، وفى البيت اثنا عشر رجلا، فقال: «**إن منكم من يكفر بى، بعد أن آمن، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى، فيكون رفيقى فى الجنة؟**» فقام شاب أحدثهم سنا، فقال: أنا. قال: (اجلس)، ثم عاد، فقال: (اجلس)، ثم عاد فعاد الثالثة، فقال: (أنت هو)، فألقى عليه شبهه، وأخذ الشاب فصلب، بعد أن رفع عيسى إلى السماء، من البيت، وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشاب، وهذا أصح مما حكاه الفراء أن رأس الجالوت، وهو كبير اليهود هجم البيت الذى فيه عيسى،

(١) كما جاء بعد ذلك فى نفس المرجع ص ١٩٤.. بتصرف فى العرض..

فألقى الله شبه عيسى عليه، ورفع عيسى، فخرج [1] على اليهود، والسيف فى يده مشهور، فقال: لم أجد عيسى، فرأوا شبهه عليه، فقالوا: أنت عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه.

هذا، وإذا كان لى أن أعود بعد ذلك إلى (أُسْد الغابة..) ص ١٩.. فلقد قال مؤلفه.. ابن الأثير بعد ذلك قلت: وأصحاب رسول الله ﷺ على ما شرطوه كثيرون، فإن رسول الله ﷺ شهد حُنينا ومعه اثنا عشر ألفا سوى الأتباع والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناسا، وكذلك المدينة أيضا، وكل من اجتاز به قبائل العرب كانوا مسلمين، فهؤلاء كلهم لهم صحبة، وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير مالا يحصيهم ديوان، وكذلك حجة الوداع، وكلهم له صحبة ولم يذكروا إلا هذا القدر، مع أن كثيرا منهم ليست له صحبة، وقد ذكر الشخص الواحد فى عدة تراجم، ولكنهم مفدورون، فإن من لم يُرَ ولا يأتى ذكره فى رواية كيف السبيل إلى معرفته !

ثم بعد ذلك يقول: وهذا حين فراغنا من الفصول المقدمة على الكتاب، ثم نخوض غمرته فنقول: نبدأ بذكر سيدنا رسول الله ﷺ تبركًا باسمه، وتشريفا للكتاب بذكره المبارك، ولأن معرفة المصحوب ينبغى أن تقدم على معرفة الصاحب، وإن كان أظهر من أن يعرف:

لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا

لكن الأكثر يعرفونه جملة فارغة عن معرفة شىء من أحوال، ونحن نذكر جملا من تفاصيل أموره على سبيل الاختصار، فنقول وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ولكن قبل أن نقف على قوله ﷺ عن رسول الله ﷺ وأهم أحواله وتفاصيل أموره ثم نواصل بعد ذلك تراجم الذين هم بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين رووْا المائة الأولى والثانية من وصايا الرسول ﷺ . وعليهم رضوان الله: فإننى أحب أن أقدم لكل هذا بقصيدة شعرية أقول فيها بتوفيق من الله تبارك وتعالى:

(١) أى: كبير اليهود عليه اللعنة.

هذى التراجم للرواة جمعتُها ... من أمهات الكتب للإخوان

لتكون نبراسا مضيئا للورى ... فى هذه الدنيا مدى الأزمان

وكذاك تذكيرا بأعلام الهدى ... أصحاب سيدنا العظيم الشان

أصحاب سيدنا الحبيب المصطفى ... من طهَّر الدنيا من الأوثان

وأعاد للدين الحنيف كيانه ... بالسُّنة الغراء والقرآن

ولسوف نسعد كلنا يا إخوتى ... فى كل ترجمة بطيب جنان

من جنة الفردوس من دار العلى ... من ساحة الأصحاب والغفران

ولسوف نسعد فى التراجم كلها ... بالعلم والتذكير والعرفان

لجميع كل الصَّحب بالخير الذى ... ذكروه عن خير الورى العدنان

ولسوف نذكر دائما فى ذكرهم ... أن الأساس هو اتباع البان

لأساس كل الخير مبعوث الهدى ... خير البرية منحة المنَّان

فهو المرغب فى المكارم كلها ... حتى يكون الكل فى إحسان

وهو الذى نادى بكل فصاحة ... بلسان أهل الصدق والتبيان

أن نفذوا قولى وأحيوا سنتى ... حتى تكونوا بعدُ فى رضوان

فى صحبتى مع كل عبد مصطفى ... فى جنة الفردوس خير مكان

فاقرأ أخا الإسلام كل كلامهم ... واحرص على التنفيذ دون توان

واذكر دواما أن أعلام الهدى ... قد فارقوا الدنيا على الإيمان

فاعمل كذاك ككل نجم منهموا ... حتى تكون كذاك فى إتقان

وتكون أيضا يا صديقى دائما ... فى حفظ رب العرش والرحمن

فى هذه الدنيا إلى يوم اللقا ... عند الإله مُظَلَّلاً بأمان

ولسوف أبدأُ فى التراجم يا أخى ... بالمصطفى المختار والإنسان

حتى يكون البدء من بركاته ... فهو الذى قد جاء بالبرهان

وهو الدليل بأن خالق كوننا ... رب البرايا ماله من ثان

وهو الذى لولاه ما كان الهدى ... ولكانت الدنيا بلا عُنوان

ولكانت الدنيا خرابا دائما ... ولكان كل الخلق فى خسران

فعليـــه منَّـــا يـــا إلــــهُ صـــلاتنا وســـــلامنا لنهايـــة الأزمــــان [1]

والآن إليك يا أخى كما وعدتك فى مقدمتى عن حبيبنا وشفيعنا ومصطفانا:

محمد رسول الله ﷺ

فهو[2]: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بـــن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان: أبو القاسم سيد ولد آدم ﷺ.

فأما ما بعد عدنان من آبائه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل صلى الله عليهما وسلم، ففيه اختلاف فى العدد والأسماء، لا ينضبط ولا يحصل منه غرض فتركنـــاه لـــذلك، ومضر والبيعة هم صريح ولد إسماعيل باتفاق جميع أهل النسب، وما سوى ذلك فقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا.

وأم رسول الله ﷺ: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرة القرشية الزهرية، تجتمع هى وعبد الله فى كلاب.

خرج عبد المطلب بابنه عبد الله إلى وهب بن عبد مناف، فزوجه ابنته آمنـــة، وقيل: كانت آمنة فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف، فأتاه عبد المطلب، فخطب إليه ابنته هالة بنت وهيب لنفسه، وخطب على ابنه عبد الله ابنه أخيه آمنـــة بنـــت وهب، فتزوجا فى مجلس واحد فولدت هالة لعبد المطلب حمزة.

أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن على بن جعفر بإسناده عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: **وكانت آمنة بنت وهب تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة فسميه محمدا** [3].

فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب تقول: **قد ولدت لك ولدا فـــانظر إليه، فلما جاءها أخبرته بالذى رأت.**

وكان أبوه عبد الله قد توفى وأمه حامل به، وقيل: تـــوفى وللـــنبى ﷺ ثمانيـــة

---

(١) ١٠ / ٢ / ٢٠٠٠ / ٤ من ذى القعدة ١٤٢٠ هـــ (للمؤلف)

(٢) كما جاء فى (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. المجلد الأول ص ٢٠ ــ ٤٢. بتصرف وإضافات توضيحية ...

(٣) فى سيرة ابن هشام بعد ١٥ ــ ١٥٨: (فإذا رفع إلى الأرض فقولى: أعيذه بالواحد من شر كـــل حاسد، ثم سميه محمدا).

وعشرون شهرا، وقيل: كان له سبعة أشهر، والأول أثبت، وكانت وفاته بالمدينة عند أخوال بنى عدى بن النجار، وكان أبوه عبد المطلب بعثه إلى المدينة يمتار [1] تمرا، فمات، وقيل: بل أرسله إلى الشام فى تجارة فعاد من غزة مريضا فتوفى بالمدينة، وكان عمره خمسا وعشرين سنة، ويقال: كان عمره ثمانيا وعشرين سنة.

وإنما قيل لبنى عدى أخواله لأن أم عبد المطلب سلمى بنت زيد، وقيل: بنت عمرو بن زيد، من بنى عدى بن النجار.

وكان عبد المطلب قد أرسل ابنه الزبير بن عبد المطلب إلى أخيه عبد الله بالمدينة فشهد وفاته ودفن فى دار النابغة.

وكان عبد الله والزبير وأبو طالب إخوة لأب وأم، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. وورث النبى ﷺ من أبيه أم أيمن وخمسة أجمال وقطيع غنم، وسيفا مأثورا وورقا [2]، وكانت أم أيمن تحضنه.

قال: أخبرنا ابن إسحاق قال: حدثنى المطلب بن عبد الله ين قيس عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة قال، ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل كنا لدتين قيل: وكان مولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول ويقال لليلتين خلتا منه، وقيل لثمان خلون منه عام الفيل وذلك لأربعين سنة مضت من ملك كسرى أنوشروان بن قباد، وكان ملك أنوشروان سبعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر.

* ولما ولد ختنه جده عبد المطلب فى اليوم السابع، وقيل ولد مختوناً مسروراً، وقد استقصينا ذكر آبائه وأسمائهم وأحوالهم فى الكامل فى التاريخ [3] فلا نطول بذكره هنا، فإننا نقصد ذكر الجمل لا التفصيل.

* ولما ولد رسول الله ﷺ التمسوا له الرضعاء، فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر ابن هوازن بن منصور، يقال لها: حليمة بنت أبى ذؤيب واسمه الحارث، فليطلب خبرها من ترجمتها.

** قال ابن إسحاق: قالت حليمة: فلم نزل يرينا الله البركة ونتعرفها تعنى

---

(١) أى: يجلب.

(٢) أى: فضّة.

(٣) أى: فى تاريخ الكامل لابن الأثير...فارجع إليه.

برسول الله ﷺ حتى بلغ سنتين، فَقَدِمْنَا به على أمه ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة، فلما رأته قلنا لها: دعينا نرجع به هذه السنة الأخرى فإنا نَخشى عليه وباء مكة، فسرحته معنا، فأقمنا به شهرين أو ثلاثة، فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ لــه إذ جاء أخوه يشتد [1]، فقال: أخى القرشى قد جاء رجلان فأضجعاه وشــقا بطنــه، فخرجت أنا وأبوه [2] نشتد نحوه، فنجده قائماً ممتقعاً لونه، فاعتنقه أبوه وقــال: أى بنى، ما شأنك فقال: جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فشقا بطنى فاستخرجا منــه شيئاً ثم رداه فقال أبوه: لقد خشيت أن يكون قد أُصيب، فلترده إلى أهله قبــل أن يظهر به ما نتخوف قالت: فاحتملناه، فقالت أمه: ما ردكما به فقد كنتمــا عليــه حريصين ؟ فقلنا إن الله قد أدى عنا وقضينا الذى علينا، وإنا نخشى عليه الأحــداث فقالت، أصدقانى شأنكما، فأخبرها خبره، فقالت: أخشيتما عليه الشيطان ؟ كــلا، والله إنى رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشــام، فــدعاه عنكما وأرضعته أيضاً ثويبة مولاة أبى لهب أياماً قبل حليمة بلبن ابن لها يقــال لــه مسروح، وأرضعت قبله حمزة عمه، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد، ولمــا هاجر رسول الله ﷺ كان يبعث إلى ثويبة بصلة وكسوة حتى توفيت منصرفة مــن خيبر سنة سبع، فسأل عن ابنها مسروح فقيل: توفى قبلها، فقال: هل ترك من قرابة ؟ فقيل: لم يبق له أحد.

وفاة أمه وجده وكفالة عمه أبى طالب له

* وبالإسناد عن ابن إسحاق قال: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، قال: قدمت آمنة بنت وهب- أم رسول الله ﷺ برســول الله ﷺ علــى أخواله بنى عدى بن النجار- المدينة، ثم رجعت فماتت بالأبواء[3] ورســول الله ﷺ ابن ست سنين، وقيل: ماتت بمكة ودفنت فى شعب أبى دُب، والأول أصح.

** قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب قال: فحــدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله قال: كان يوضع لعبد المطلب فــراش فى

---

(١) اشتد فى العدو: أسرع.

(٢) تعنى زوجها المسمى بأبى كبشة.

(٣) الأبواء: قرية، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

ظل الكعبة، وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتى حتى يجلس عليه، فيذهب أعمامه يؤخرونه، فيقول عبد المطلب: دعوا ابنى، ويمسح على ظهره، ويقول: إن لابنى هذا لشأنًا، فتوفى عبد المطلب، والنبى بن ثمان سنين، وكان قد كُفَّ بصره [1] قبل موته.

* وكان عبد المطلب أول من خضب بالوسمة، ولما حضره الموت جمع بنيه وأوصاهم برسول الله ﷺ، فاقترع الزبير وأبو طالب أيهما يكفل رسول الله ﷺ، فأصابت القرعة أبا طالب فأخذه إليه، وقيل: بل اختاره رسول الله ﷺ على الزبير، وكان ألطف عميه به، وقيل: أوصى عبد المطلب أبا طالب به، وقيل: بل كفله الزبير حتى مات، ثم كفله أبو طالب بعده، وهذا غلط، لأن الزبير شهد حلف الفضول بعد موت عبد المطلب، ولرسول الله ﷺ يومئذ نيف وعشرون سنة.

وأجمع العلماء أن رسول الله ﷺ شخص مع عمه أبى طالب إلى الشام بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين، فهذا يدل على أن أبا طالب كفله، ثم إن أبا طالب سار إلى الشام وأخذ معه رسول الله ﷺ وكان عمره اثنتى عشرة سنة وقيل: تسع سنين والأول أكثر، فرآه بُحيرا [2] الراهب، ورأى علائم النبوة، وكانوا يتوقعون ظهور نبى من قريش، فقال لعمه: ما هذا منك ؟ قال: ابنى. قال: لا ينبغى أن يكون أبوه حياً، قال لا هو ابن أخى. قال: إنى لأحسبه الذى بشر به عيسى، فإن زمانه قد قرب فاحتفظ به، فرده إلى مكة.

ثم إن رسول الله ﷺ شهد مع عمومته حرب الفجار [3] يوم نخلة، وهو من أعظم أيام الفجار. والفجار حرب كانت بين قريش ومعها كنانة، وبين قيس، وهو من أعظم أيام العرب، وكان ﷺ يناولهم النبل ويحفظ متاعهم، وكان عمره يومئذ نحو عشرين سنة أو ما يقاربها.

* وقيل: أنه شهد يوم شمطة أيضاً وهو من أعظم أيام الفجار وكانت الهزيمة فيه على قريش وكنانة، قال الزهرى: لم يشهد رسول الله ﷺ هذا اليوم، ولو شهده لم

---

(١) أى: عمى.

(٢) فى الروض الأنف ١ ـ ١٨٨: (وقع فى سير الزهرى أن بحيرا كان حبراً من يهود تيماء، وفى المسعودى أنه كان من عبد القيس، واسمه سرجس)

(٣) الفجار بالكسر بمعنى المفاجرة، كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالاً فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً (فسمى الفجار وكانت للعرب فجارات أربع، ذكرها المسعودى).

تهزم قريش، وهذا ليس بشىء، فإن رسول الله ﷺ قد انهزم أصحابه عنه يوم أُحُـــد، وكثر القتل فيهم.

زواج النبى ﷺ من خديجة وذكر أولاده

* قال: وأخبرنا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت خديجة بنت خويلد امـــرأة ذات شرف ومال، تستأجر له الرجال، أو تضاربهم بشىء تجعله لهم منه، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثـــت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها إلى الشام مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبلـــه منها رسول الله ﷺ وخرج فى مالها إلى الشام، فرآه راهب اسمه ((نسطورا)) فـــأخبر ميسرة أنه نبى هذه الأمة، ثم باع رسول الله ﷺ واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلاً، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعته فأضعف أو قريباً، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ أنى قد رغبت فيك، لقرابتك منى، وشرفك وأمانتـــك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، وعرضت عليه نفسها، فخطبها وتزوجهـــا علـــى اثنتى عشرة أوقية ونش[1] والأوقية أربعون درهماً.

** وولدت له من الولد بناته كلهن، وأولاده الذكور كلـــهم مـــن خديجـــة إلا إبراهيم[2]، فأما البنات فزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، رضى الله عنـــهن، وأمـــا الذكور فالقاسم وبه كان رسول الله ﷺ يكنى، والطاهر والطيب وقيـــل: القاســـم والطاهر، وعبد الله وهو الطيب، لأنه ولد فى الإسلام، وقيل: القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيب، فمات القاسم بمكة وهو أول من مات من ولده، ثم عبد الله قالـــه الزبير بن بكار.

ولما تزوج ﷺ من خديجة كان عمره عندئذ خمساً وعشرين سنة، وكانت هى ابنة أربعين سنة، وقيل غير ذلك **ذكر بناء الكعبة ووضع رسول الله ﷺ**

---

(١) النش هو نصف الأوقية.

(٢) فإنه من مارية القبطية ــ أى المصرية

الحجر الأسود..

قال ابن إسحاق: كانت الكعبة رضماً [1] فوق القامة، فأرادت قريش أن يهدموها ويرفعوها ويسقفوها، وكانوا يهابون هدمها، فاتفق أن نفراً من قريش سرقوا كنز الكعبة، وكان[2] يكون فى جوف الكعبة، وكان البحر قد ألقى سفينة إلى جدة لرجل من الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها، فاجتمعت قريش على هدمها، وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة، وكان رسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة فلما أجمعوا على هدمها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم، وهو جد سعيد[3] بن المسيب بن حزن بن وهب، فتناول حجراً من الكعبة فوثب من يده فرجع إلى موضعه، فقال يا معشر قريش، لا تدخلن فى بنيانها من كسبكم إلا طيباً، ولا تدخلوا فيها مهر بغى [4] ولا ربا [5] ولا مظلمة.

وقيل: إن الوليد بن المغيرة قال هذا. فهدموها واقتسمت قريش عمارة البيت، فكان الباب لبنى عبد مناف وبنى زهرة، وكان مابين الركن الأسود واليمانى لبنى مخزوم وتيم وقبائل من قريش، وكان ظهورها لهم وجمع، وكان شق الحجر لبنى عبد الدار وبنى أسد، وبنى عدى بن كعب، فبنوا حتى بلغ البناء موضع الركن[6]، فكانت كل قبيلة تريد أن ترفعه حتى تحازبوا وتحالفوا وأعدوا للقتال، فبقوا أربع ليال أو خمس ليال، فقال أبو أمية المخزومى: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك ورضوا به، دخل رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين

---

(١) الرضم: أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط.

(٢) عبارة ابن إسحاق فى السيرة ١ـ١٩٣:

(٣) كان من أعلام التابعين، قال على بن المديني: (لا أعلم فى التابعين أوسع علماً منه، وهو عندى أجل التابعين وتوفى سنة ٩٣، أو ٩٤) ينظر العبر للذهبى ١ـ١١٠.

(٤) البغى: الزانية.

(٥) عبارة السير: ١ـ١٩٤: (ولا بيع ربا) قال السهيل فى الروض ١ـ١٣١: (يدل على أن الربا كان محرماً عليهم فى الجاهلية كما كان الظلم والبغاء وهو الزنا محرم عليهم، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع إبراهيم عليه السلام).

(٦) يعنى بالركن الحجر الأسود، سمى بذلك لأنه مبنى فى الركن.

قد رضينا به، فلما إنتهى إليهم أخبروه الخبر، فقال: هلموا ثوباً، فأتوه بــه، فوضــع رسول الله ﷺ الركن فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم بنى عليه.

وكان رسول الله ﷺ وسلم يسمى فى الجاهلية: الأمين قبل أن يوحى إليه.

*وقيل: كان سبب بنائها أن السيل ملأ الوادى، ودخل الكعبة فتصدعت، فبنتها قريش.

** وقيل: إن الذى أشار بأول من يدخل أبوحذيفة بن المغيرة، وكانت هذه فضيلة لرسول الله ﷺ على سائر قريش، ومما قدمه الله قبل المبعث من الكرامة.

ذكر المبعث

* قالوا بعث رسول الله ﷺ، وله أربعون سنة، وذلك فى ملك أبرويز بن هرمــز ابن كسرى أنوشروان ملك الفرس.

* وقال ابن المسيب: بعثه الله، عز وجل، وله ثلاث وأربعون سنة، فأقــام بمكــة عشراً وبالمدينة عشراً.

* وقال ابن إسحاق: بعثه الله وله أربعون سنة، فأقام بمكة ثلاث عشــرة ســنة، وبالمدينة عشراً. وقيل: إنه كتم أمره ثلاث سنين، فكان يدعوا مستخفياً إلى أن أنزل الله تعالى ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء:٢١٤] فأظهر الدعوة.

قال أبو عمر: بعثه الله عز وجل، نبياً يوم الإثنين لثمان من ربيــع الأول إحــدى وأربعين من عام الفيل.

* أخبرنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس عن ابن إسحاق، حدثنى عبد الملك بن عبد الله[١] بن أبى سفيان بن جارية الثقفى ــ وكان واعيه ــ عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته [٢] وابتدأه بالنبوة، فكان لا يمــر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه، وعن يمينــه وشماله، فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة، وهى تقول: السلام عليــك يــا رسول الله.

---

(١) فى شرح السيرة ١ـ٢٣٤، عبيد الله.

(٢) فى شرح السيرة: (أراده الله بكرامته).

** وأخبرنا غير واحد بإسنادهم عن محمد بن إسماعيل، أخبرنا يحيى بن بكير، حديثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، وعن عائشة أنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه [1] الليالى ذوات العدد، حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى [2] الثالثة، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١، ٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة، وذكر الحديث فى ذهابها إلى ورقة بن نوفل.

وروى عن جابر بإسناد صحيح: أن أول ما نزل من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١].

* أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس، عن ابن إسحاق قال: فابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل يوم الجمعة فى رمضان بقول الله، عز وجل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] إلى آخر الآية. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان. وقال يونس عن بشر بن أبى حفص الكندى الدمشقى قال: حدثنى مكحول أن رسول الله ﷺ قال لبلال: **((لا يغادرنك صيام يوم الإثنين، فإنى ولدت يوم الإثنين، وأوحى إلى يوم الإثنين، وهاجرت يوم الإثنين))**.

ثم إن جبريل عليه السلام علَّم رسول الله ﷺ الوضوء، والصلاة ركعتين فأتى خديجة فاخبرها، فتوضأت وصلت ركعتين معه وقيل: كانت الصلاة الضحى والعصر.

ثم دعا الناس إلى الإسلام، وقد ذكرنا أول من أسلم أبو بكر، وعلى، وزيد بن حارثة، واستجاب له نفر من الناس سراً حتى كثروا فظهر أمرهم، والوجوه من كفار

---

(١) أى: يتعبد فيه.

(٢) الغَطُّ: هو العصر الشديد.

قريش غير منكرين لما يقول، وكان إذا مرهم يقولون: **((إن محمداً يُكلّم من السماء))** فلم يزالوا كذلك، حتى أظهر عيب آلهتهم، وأخبروه أن آباءهم ماتوا على الكفر والضلال، وأنهم فى النار فعادوه وأبغضوه، وآذوه، وكان أصحابه إذا صلوا انطلقوا إلى الأودية وصلوا سراً، ولما أظهرت قريش عدواته حدب عليه أبو طالب عمه ونصره ومنعه ثم إن رسول الله ﷺ لما خاف كفار قريش، اختفى هو ومن معه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى إلى أن أسلم عمر فخرجوا، ووثبت قريش على من فيها من المستضعفين فعذبوهم. وذكرنا ذلك فى أسمائهم[1] مثل: بلال، وعمار، وصهيب وغيرهم، ثم إن المسلمين هاجروا إلى الحبشة هجرتين على ما نذكره، إن شاء الله تعالى، وأرادت قريش قتل رسول الله ﷺ وأن يترك أبو طالب بينهم وبينه، فلم يفعل، فكتبوا صحيفة. على أن يقاطعوا بنى هاشم وبنى المطلب ومن أسلم معهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجلسوا إليهم.

وفاة خديجة وأبى طالب وذهاب رسول الله ﷺ إلى الطائف وعوده

* قال رسول الله ﷺ: **((ما زالت قريش كاعة [2] عنى حتى مات عمى أبو طالب)).**

وفى السنة العاشرة أول ذى القعدة وقيل: النصف من شوال توفى أبو طالب وكان عمره بضعاً وثمانين سنة، ثم توفيت بعده خديجة بثلاثة أيام، وقيل بشهر، وقيل: كان بينهما شهر وخمسة أيام، وقيل: خمسون يوماً ودفنها رسول الله ﷺ بالحجون [3]، ولم تكن الصلاة على الجنائز يومئذ، وقيل: أنها ماتت قبل أبى طالب وكان عمرها خمساً وستين سنة، وكان مقامها مع رسول الله ﷺ بعد ما تزوجها أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر، وكان موتها قبل الهجرة بسنة، والله أعلم.

قال عروة ما ماتت خديجة إلا بعد الإسراء، وبعد أن صلت الفريضة مع رسول الله ﷺ ولما اشتدَّ بأبى طالب مرضه دعا بنى عبد المطلب فقال: إنكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم أمره، فاتبعوه وصدقوه ترشدوا.

(١) كما جاء فى (أسد الغابة) طبعة دار الشعب.
(٢) كع: جبن.
(٣) جبل بمعلاة مكة.

* أخبرنا عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس بن كبير عن ابن إسحاق قال: ثم إن خديجة وأبا طالب ماتا فى عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، وكانت خديجة وزير صدق على الإسلام، وكان يسكن إليها [1] ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ حتى ماتت. ولما توفيا خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف لثلاث بقين من شوال سنة عشر من المبعث، ومعه مولاه زيد بن حارثة، يدعوهم إلى الإسلام، فآذته ثقيف وسمع منهم ما يكره، وأغروا به سفهاءهم، ولما عاد من الطائف أرسل إلى المطعم بن عدى يطلب منه أن يجيره، فأجاره فدخل المسجد معه، وكان رسول الله ﷺ يشكرها له، وكان دخوله من الطائف لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذى القعدة.

الإسراء

أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الأقصى، وقد اختلفوا فى المكان الذى أسرى به منه فقيل: المسجد.

وقيل: كان فى بيته.

وقيل: كان فى بيت أم هانئ ومن قال هذين قال: المدينة كلها مسجد. واختلفوا فى الوقت الذى أسرى به فيه، فروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه أسرى به ليلة سبع من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وقال ابن عباس وأنس: أسرى به قبل الهجرة بسنة.

وقال الواقدى: أسرى به لسبع عشرة من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، وقيل: أسرى به فى رجب.

* أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبى العز الواسطى، والحسين بن صالح بن فناخسرو التكريتى وغيرهما، قالوا بإسنادهم عن محمد بن إسماعيل قال: حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحى، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال: «**بينما أنا فى الحطيم** ـ وربما قال فى الحجر ـ **مضطجعاً إذ أتانى آت فَقَدَّ، وقال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه**

(1) فى شرح السيرة ١ ـ ٤١٦ ! (وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها).

إلى هذه» فقلت للجارود ــ وهو إلى جنبى ــ ما يعنى؟ قال من ثغرة نحره إلى شعرته **«فاستخرج قلبى،ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فَغَسل قلبى، ثم حُشِــى ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض»** فقال له الجارود: هو البراق يــا أباحمزة؟ قال: نعم، **«يضع خطوه عند أقصى طرفه[1]، فحملت عليــه، فــانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيــل: ومــن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً، فنعم المجئ جاء»**.

* وذكر الحديث فى صعوده إلى السماء السابعة وإلى ســدرة المنتــهى، قــال: **«فمررت على موسى فقال لى: بم أُمرتَ ؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يــوم. قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، قد جربتُ بنى إسرائيل من قبلــك، فــارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عنى عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشراً، فرجعت إلى موسى فاخبرته، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك. فلم أزل بين ربى وموسى حتى جعلها خمساً، فقال موسى: إن أمتــك لا تطيق ذلك فسله التخفيف، قال: قلت قد سألت ربى حتى اســتحييت، فلمــا جاوزت نادى مناد: قد أمضيتُ فريضتى، وخففت عن عبادى»**.

* قال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى قالوا: فرض علــى رســول الله الصــلاة ركعتين ثم أُتِمَّت صلاة المقيم أربعاً، وبقيت صلاة المسافر على حالها، وذلــك قبــل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة مُهاجرًا بشهر.

الهجرة إلى المدينة

لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ على ما نذكره إن شاء الله تعالى، أمر أصــحابه فهاجروا إلى المدينة، وبقى هو وأبو بكر وعلى، فخرج هو وأبو بكر مستخفين مــن قريش فقصدا غارًا بجبل ثور، فأقاما به ثلاثة، وقيل أكثر من ذلك، ثم سارا إلى المدينة ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر، ودليلهم عبد الله بن أريقط، وكان مقامة بمكة عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة، والأكثر ثلاث عشر سنة.

---

(١) أى: بصره.

* وكان قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة فى قول ابن إسحاق يوم الإثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول، وقال الكلبى: خرج من الغار أول ربيع الأول، وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت منه يوم الجمعة، والله تعالى أعلم.

ذكر الحوادث بعد الهجرة

أخبرنا أبو الفرج بن أبى الرجاء الأصبهانى، أخبرنا الأديب، أبو الطيب طلحة بن أبى منصور الحسين ابن أبى ذر الصالحانى، أخبرنا جدى أبوذر محمد بن إبراهيم سبط الصالحانى، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا ابن أبى حاتم، حدثنا الفضل بن شاذان، حدثنا محمد بن عمر زنيج، حدثنا أبو زهير، حدثنا الحجاج بن أبى عثمان الصواف عن أبى الزبير عن جابر قال: **(غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، شهدت منها تسع عشرة غزوة وغبت عن اثنتين)**.

* أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن على بإسناده، عن يونس عن ابن إسحاق: قال: **(فجميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه ست وعشرون غزوة)**.

* وأول غزوة غزاها (ودان) [1] وهى الأبواء، قال ابن إسحاق: وكان آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ حتى قبضه الله تعالى تبوك، وبالإسناد عن ابن إسحاق قال: **(وكانت سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه فيما بين أن قدم المدينة إلى أن قبضه الله خمسة وثلاثين من بعث وسرية)**.

* وفى السنه الأولى من الهجرة بعد شهر من مقدمه المدينة، جعلت الصلاة أربع ركعات، وكانت ركعتين.

* وفيها صَلَّى رسول الله ﷺ الجمعة لما ارتحل من قباء إلى المدينة، صلاها فى طريقه فى بنى سالم وهى أول جمعة صليت، وخطبهم، وهى أول خطبة فى الإسلام.

* وفيها بنى رسول الله ﷺ مسجده ومساكنه ومسجده قباء.

* وفيها أرى عبد الله بن زيد الأذان، فعلمه بلالاً المؤذن.

* وفيها آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار. بعد ثمانية أشهر.

---

(١) هى أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ، سنة اثنتين من الهجرة، و لم يلق فيها حربا.

* وفى السنة الثانية كانت غزوة بدر العظمى فى شهر رمضان.

* وفيها، فى شعبان، فرض صوم رمضان، وأمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر.

* وفيها، فى شعبان، أيضا صرفت القبلة عن البيت المقدس إلى الكعبة، وقيل فى رجب.

* وفيها فرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين.

* وفيها ضحى رسول الله ﷺ بالمدينة، وخرج بالناس إلى المصلى، وذبح بيده شاتين، وقيل شاة.

* وفى السنة الثالثة كانت غزوة أحد فى شوال، وفيها، وقيل سنة أربع، حرمت الخمر فى ربيع الأول.

* وفى السنة الرابعة صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع، وقيل: إن فيها قصرت الصلاة.

* وفيها رجم رسول الله ﷺ اليهود واليهودية والقصة معروفة [1]

* وفى سنة خمس نزلت آية الحجاب [2] فى ذى القعدة.

* وفيها زلزلت المدينة، فقال رسول الله ﷺ: **((إن الله عز وجل يستعتبكم فأعتبوه))**[3]، وفيها كانت غزوة الخندق.

* وفى سنة ست قال أهل الإفك ما قالوا ـ عن عائشة رضى الله عنها ـ فى غزوة بنى المصطلق ـ فبرأها الله تعالى من فوق سبع سماوات بقرآن يتلى.. أى بالآيات من رقم ١١ ـ ٢٢ من سورة النور ـ

* وفيها قال عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ** ﴾ [المنافقون: ٨].

* وفيها كسفت الشمس، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وهى أول ما صليت.

* وفيها فى ذى القعدة اعتمر رسول الله ﷺ عمرة الحديبية، وبايع بيعة الرضوان تحت الشجرة.

---

(١) وهى فى سيرة ابن هاشم: ١ ـ ٥٦٥، والروض الأنف: ٢ ـ ٤٢. فارجع إليها إن شئت.

(٢) وهى الآية رقم ٧ من سورة الأحزاب.

(٣) استعتبه: طلب أن يرض عنه، وأعتبه رضى الله عنه، كما يقال استرضيته فأرضانى.

* وفيها قحط الناس فاستسقى رسول الله ﷺ فأتاهم المطر ودام فقال له رجل: يا رسول الله انقطعت الطرق وتهدمت المنازل، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» فانقشعت السحاب عن المدينة.

* وفيها سابق رسول الله ﷺ بين الرواحل، فسبق قعود لرجل من العرب القصواء ناقة رسول الله ﷺ ولم تكن تسبق قبلها، فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «**حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه**» _ قال في (مختار الصحاح): (القعود) بالفتح: البعير من الإبل، وهو البكر حين يركب أى يمكن ظهره من الركوب، وأقله سنتان إلى أن يثنى فإذا أثنى سمى جملا، ولا تكون البكرة (قعودا) بل قلوصا.

وقال أبو عبيد: القعود من الإبل هو الذى (يقتعده) الراعى فى كل حاجة.

* وفيها أيضا سابق بين الخيل، فسبق فرس لأبى بكر فأخذ السبق، وهذان أول مسابقة كانت فى الإسلام.

* وفى سنة سبع اعتمر رسول الله _ﷺ_ عمرة القضاء، قضاء عن عمرة الحديبية، حيث صده المشركون، فاضطبع [1] فيها رسول الله ﷺ ورملوا وهو أول اضطباع ورمل كان فى الإسلام.

* وفيها كانت غزوة خيبر.

* وفيها سُمَّ رسول الله ﷺ ، سمته امرأة اسمها زينب امرأة سَلام بن مشكم[2] أهدت له شاة مسمومة فأكل منها _ ولكن الله تعالى نجاه.. وقد ورد أن الذراع التى كان يأكل منها رسول الله ﷺ.. أنطقها الله تعالى فقالت له، لا تأكلنى فإنى مسمومة.. وهذه معجزه من معجزات رسول الله ﷺ.

* وفيها بعث رسول الله ﷺ الرسل إلى الملوك: كسرى، وقيصر، والنجاشى، وملك غسان، وهوذة بن على، واتخذ رسول الله ﷺ الخاتم وختم به الكتب التى سيرها إلى الملوك.

---

(١) اضطباع المحرم: هو إدخال الرداء من تحت الإبط الأيمن، ورد طرفه على يساره، وإظهار منكبه الأيمن، وتغطية الأيسر.

(٢) وقد كان مشكم هذا: خمارا فى الجاهلية كما ذكر ابن إسحاق فى السيرة: ١ _ ٥١٤، ٥٤٧، ٥٧٠.

* وفيها حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية، ومتعة النساء يوم خيبر.

وفى سنة ثمان عُمِل منبر رسول الله ﷺ فخطب عليه، وكان يخطب إلى جذع، فحنَّ الجذع حتى سمع الناس صوته، فنزل إليه فوضع يده عليه فسكن. وهو أول منبر عمل فى الإسلام.

* وفيها أقاد رسول الله ﷺ من هذيل برجل من بنى ليث، وهو أول قود كان فى الإسلام _ قال فى (مختار الصحاح): أقاد القاتل بالقتيل قتله به، يقال أقاده السلطان من أخيه، (واستقاد) الحاكم سأله أن يقيد القاتل بالقتيل.

* وفيها فتح رسول الله ﷺ مكة، وحصر الطائف، ونصب عليه المنجنيق، وهو أول منجنيق نصب فى الإسلام.

* وفى سنة تسع آلى رسول الله ﷺ من نسائه، وأقسم أن لا يدخل عليهن شهراً[1]...

* * وفيها هدم رسول الله ﷺ مسجد الضرار بالمدينة، وكان المنافقون بنوه، وكان هدمه بعد عود رسول الله ﷺ من تبوك.

* وفيها قدمت الوفود على رسول الله ﷺ من كل النواحى وكانت تسمى سنة الوفود.

* وفيها لاعَنَ [2] رسول الله ﷺ بين عويمر العجلانى، وبين امرأته فى مسجده بعد العصر فى شعبان، وكان عويمر قدم من تبوك فوجدها حُبْلى.

* وفيها فى شوال مات عبد الله بن أبى بن سلول المنافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ و لم يصل بعدها على منافق، لأن الله أنزل: ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً** ﴾ [التوبة: ٨٤].

* وفيها أَمَّرَ رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج، فحج بالناس، وأَمَّرَ على بن أبى طالب أن يقرأ سورة براءة على المشركين وينبذ إليهم عهدهم، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وهى آخر حجة حجها المشركون.

---

(١) الإيلاء فى اللغة: الحلف، وفى الشرع: أو أكثر من أربعة أشهر. وكان طلاقا فى الجاهلية فغير الشارع حكمه...

(٢) اللعان لغة مشتق من اللعن وهو الإبعاد، وسمى بذلك لأن أحد المتلاعنين كاذب فيكون ملعونا،ولأن كل واحد منهما يبعد عن صاحبه بتأبيد التحريم...

* وفى سنة عشر نزلت: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ** ﴾ [النور: ٥٨] وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك.

* وفيها حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وقيل: إنه اعتمر معها، ولم يحج رسول الله ﷺ بعد الهجرة غيرها.

ذكر صفته وشىء من أخلاقه ﷺ

أخبرنا الحسين بن توحن بن أبوية بن النعمان الباورى، وأحمد بن عثمان بن أبى على، قالا: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن محمد النيلى الأصفهانى، أخبرنا أبو القاسم أحمد بن منصور الخليلى البلخى، وأخبرنا أبوالقاسم على بن أحمد بن محمد الخزاعى، وأخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى، حدثنا محمد بن عيسى بن مصورة الترمذى، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا جميع ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى، حدثنى رجل من ولد أبى هالة زوج خديجة، يكنى: أبا عبد الله، عن أبى هالة، عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال:

سألت خالى هند بن أبى هالة، وكان وصافاً، عن حلية رسول الله ﷺ وأنا اشتهى أن يصف لى منها شيئًا أتعلق به، فقال: (**كان رسول الله فخماً** [1] **مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجيل الشعر، إن انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أبشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلج الأسنان، دقيق الخدين، ضليع المسربة، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول مابين السرة واللبة بشعرى يجرى كالخط، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، ينبو عنهما**

(١) أى: مهاباً.

الماء إذا زال، قلعاً يخطو تكفياً، ويمشى هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا ألتفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، بسوق أصحابه، يبدأ من لقى بالسلام).

* قال: وحدثنا محمد بن عيسى، أحمد بن عبدة الضبى، وعلى بن حجـــر، وأبـــو جعفر محمد بن الحسين وهو ابن أبي حليمة، المعنى واحد، قالوا: وحدثنا عيسى بـــن يونس، عن عمر بن عبد الله مولى غفرة، حدثنا إبراهيم بن محمد من ولد على بن أبى طالب، قال: كان على ﷺ إذا وصف رسول الله ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغط، ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط، كـــان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، كان فى وجهه تدوير أبيض مشـــرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد ذو مسربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب، إذا التفت معاً، بين كتفيـــه خـــاتم النبوة، وهو خاتم النبيين ، أجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعتـــه: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

* أخبرنا: يحيى بن محمود بن سعد الأصفهانى، أخبرنا أبو الطيب طلحة بـــن أبى منصور الحسين بن أبى الصالحانى، أخبرنا جدى أبو ذر محمد بـــن إبـــراهيم ســـبط الصالحانى الواعظ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ، حـــدثنا محمد بن العباس بن أيوب، حدثنا عبيد بن إسماعيل الهبارى من كتابه (ح) قال أبو الشيخ: وحدثنا إسحاق بن جميل، حدثنا سفيان بن وكيع قالا: حدثنا جميع بن عمر العجلى، حدثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة عن أبى هالة عـــن الحسن بن على قال: سألت خالى عن دخول [1] النبى ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأذون له فى ذلك، فكان إذا أوى إلى منـــزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله عز وجل وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم يجعل جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك علـــى

(١) أى: عن دخوله منـــزله.

العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً. فكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل على قدر فضائلهم فى الدين، فمنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة عن مسألتهم وإخبارهم بالذى ينبغى لهم، ويقول: **«ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغونى فى حاجة من لا يقدر على إبلاغى حاجته، فإنه من أبلغ سلطانه حاجة من لايستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة»** لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون الجنة رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق [١] ويخرجون أدلة.[٢]

* قال: فسألته عن مخرجه: كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه أو يعنيهم، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل عما فى الناس، يحسِّن الحسَن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يميل مخافة أن يغفلوا ويميلوا، لا يقصر عن الحق ولا يتجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

* فسألته عن مجلسه ؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله عز وجل، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها [٣]، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبه، لا يحسب أحدٌ من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أوقاومه لحاجة سايره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم ينصرف إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس خلقه فصار لهم أبا، وصاروا عنده فى الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وصدق لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحُرُم [٤]، ولا تنثى فلتاته[٥]،

---

(١) أى: لا ينصرفون عنه إلا بعد أن يتذوقوا العلم والأدب.

(٢) هو جمع دليل، أى: بما قد علموه فيدلون عليه الناس، يعنى يخرجون من عنده فقهاء.

(٣) أى: لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به.

(٤) أى لا يذكرن بقبيح، كان يصان مجلسه عن رفث القول.

(٥) الفلتات جمع فلتة وهى الزلة..

معتدلين يتواصون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

* قلت: كيف كانت سيرته فى جلسائه ؟ قال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب [1] فى الأسواق، ولا فاحش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى، ولا يؤيس من ثلاث: المراء، والإكثار، ومالا يعينه: وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث. من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته، حتى كان أصحابه يستجلبونهم فيقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ [2]، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى أو قيام.

* قال: فسألته كيف كان سكوته ؟ فقال: كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير، فأما تقديره فى تسويته النظر والاستماع من الناس، وأما تفكيره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شىء ولا يستفزه، وجمع له الحذر فى أربعة: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأى، فيما أصلح أمته، والقيام فيما هو خير لهم، وفيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة.

تفسير غريبه

* كان فخما مفخمًا: أى كان جميلا مهيبا، مع تمام كل ما فى الوجه، من غير ضخامة ولا نقصان.

---

(١) أى: صيَّاح.

(٢) أى: لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه، أو لا يقبل الثناء إلا من مقارب فى مدحه غير مجاوز الحد.

* والمشذب: أى المفرط فى الطول ولا عرض له، وأصله النخلة إذا جردت عن سعفها كانت أفحش فى الطول، يعنى أن طوله يناسب عرضه.

* وقوله: عظيم الهامة: أى تام الرأس فى تدويره.

* والرجل بين القطط والسبط. والعقيصة: فعيلة بمعنى مفعولة، وهى الشعر المجموع فى القفا من الرأس، يريد: إن تَفَرَّقَ شعره بعد ما جمعه وعقصه فرق ـ بتخفيف الراء ـ وترك كل شيء فى منبته، وقال ابن قتيبة: كان هذا أول الإسلام ثم فرق شعره بعد.

* والأزهر: هو الأنور الأبيض المشرق، وجاء فى الحديث الآخر: أبيض مشربا حمرة، ولا تناقض يعنى ما ظهر منه للشمس مشرب حمرة، وما لم يظهر فهو أزهر.

* وقوله: أزج الحواجب فى غير قرن: يعنى أن حاجبيه طويلة سابغة غير مقترنة، أى ملتصقة فى وسط أعلى الأنف، بل هو أبلج: والبلج بياض بين الحاجبين، وإنما جمع الحواجب لأن كل اثنين فما فوقهما جمع، قال الله تعالى: ﴿**وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ**﴾ [الانبياء: ٧٨]. يعنى داود وسليمان، وأمثاله كثير.

* وقوله: بينهما عرق يدره الغضب: أى إذا غضب النبى ـ ﷺ ـ امتلأ العرق دما فيرتفع.

* وقوله: أقنى العرنين، فالعرنين: الأنف، والقنا: طول فى الأنف مع دقة الأرنبة، والأشم: الدقيق الأنف المرتفعة، يعنى: أن القنا الذى فيه ليس بمفرط.

* وقوله: سهل الخدين: يريد: ليس فيهما نتوء وارتفاع، وقال بعضهم: يريد أسيل الخدين.

* والضليع الفم: أى الواسع ، وكانت العرب تستحسنه. والأسنان المفلجة: أى المتفرقة.

* والمسربة: الشعر ما بين اللبة إلى السرة. والجيد. أى العنق والدمية: أى الصورة.

* وقوله: معتدل الخلق: أى كل شيء من بدنه يناسب ما يليه فى الحسن والتمام.

* والبادن: أى التام اللحم، والمتماسك: أى الممتلئ لحما غير مسترخ. وقوله:

سواء البطن وقوله والصدر: أى ليس بطنه مرتفعا ولكنه مساو لصدره.

* والكراديس: أى رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين وغيرهما.

* والمتجرد: أى ما تستره الثياب من البدن فيتجرد عنها فى بعض الأحيان يصفها بشده البياض.

* وقوله: رحب الراحة: يكنون به عن السخاء والكرم. والشثن: أى الغليظ.

* وقوله خمصان الأخمصين: فالأخمص وسط القدم من أسفل، يعنى أن أخمصه مرتفع من الأرض تشبيها بالخمصان، وهو ضامر البطن.

* وقوله: مسيح القدمين: أى ظهر قدميه ممسوح أملس لا يقف عليه الماء.

* وقوله: زال قلعا إن روى بفتح القاف: كان مصدرا بمعنى الفاعل، أى يزول قالعا لرجله من الأرض، وقال بعضهم وهم أهل اللغة: بضم القاف، وحكى أبو عبيد الهروى أنه رأى بخط الأزهرى بفتح القاف وكسر اللام، غير أن المعنى فيه ما ذكرناه، وأنه عليه الصلاة والسلام كان لا يخط الأرض برجليه.

* وقوله: تكفيا، أى: يميد فى مشيته.

* والذريع: أى السريع المشى، وقد كان يتثبت فى مشيته ويتابع الخطو ويسبق غيره، وورد فى حديث آخر: كان يمشى على هينة وأصحابه يسرعون فلا يدركونه. والصيب: الحدود.

* وقوله: يسوق أصحابه: أى يقدمهم بين يديه.

* وقوله: يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، قيل: إنه كان يتشدق فى كلامه، بأن يفتح فاه ويتقعر فى الكلام.

* وأشاح: أى أعرض، وترد بمعنى جد وانكمش.

* وقوله: فيرد ذلك على العامة بالخاصة: يعنى أن الخاصة تصل إليه فتستفيد منه، ثم يردون ذلك إلى العامة، ولهذا كان يقول: **«ليلينى منكم أولوا الأحلام والنهى»**.

* وقوله: يحذر الناس: أكثر الرواة على فتح الياء والذال والتخفيف، يعنى: يحترس منهم، وإن روى بضم الياء وتشديد الذال وكسرها فله معنى، أى: إنه يحذر بعض الناس من بعض.

* وقوله: لا يوطن الأماكن: يعنى لا يتخذ لنفسه مجلسا لا يجلس إلا فيه، وقد فسره ما بعده.

* وقوله: قاومه: أى قام معه.

* وقوله: لا تؤبن فيه الحرم، أى: لا يذكرن بسوء، وقوله: ولا تنثى فلتاته، أى: لا تذكر، والفلتات هو ما يبدر من الرجل، والهاء عائدة إلى المجلس.

* وقوله: لا يتفرقون إلا عن ذواق: الأصل فيه الطعام إلا أن المفسرين حملوه على العلم والخير لأن الذوق قد يستعار. قال الله تعالى: ﴿**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾ [النحل: ١١٢]: أى لا يقومون من عنده إلا وقد استفادوا علما وخيرا.

* والممغط: الذاهب طولا، يقال: تمغط فى نشابته [1]: مدها مدا شديدا، فعلى هذا هو فعل، وقيل: هو انفعل فأدغم، يقال: مغطه فانمغط وامتغط أى امتد.

* والمكلثم: المدور الوجه، وقيل: المكلثم من الوجه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير الوجه، والجمع بين هذا وبين قوله: فى وجهه تدوير، وقوله سهل الخدين: أنه لم يكن بالأسيل جدا، ولا الممدود مع إفراط التدوير،بل كان بينهما، وهو أحسن ما يكون.

ذكر جمل من أخلاقه ومعجزاته ﷺ

* كان رسول الله ﷺ أعبد الناس، قام فى الصلاة حتى تفطرت قدماه [2].

* وكان أزهد الناس، لا يجد فى أكثر الأوقات ما يأكل، وكان فراشه محشوا ليفا، وربما كان كساء من شعر.

* وكان أعلم الناس يحب العفو والستر ويأمر بهما، وكان أجود الناس، قالت عائشة: «**كان عند النبى ﷺ ستة دنانير فأخرج أربعة وبقى ديناران، فامتنع منه النوم، فسألته فأخبرها**»، فقالت: إذا أصبحت فضعها فى مواضعها، فقال: «**ومنه لى بالصبح**»، وما سئل شيئا قط فقال: لا.

* وكان أشجع الناس، قال على: «**كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ فكان أقربنا إلى العدو**».

---

(١) أي: النبل.

(٢) أى: تشققت.

* وكان متواضعا فى شرفه وعلو محله، كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيده فى حاجتها، فلا يفارقها حتى تكون هى التى تنصرف، وما دعاه أحد إلا قال: لبيك.

* وكان طويل الصمت، ضحكه التبسم، وكان: يخوض مع أصحابه إذا تحدثوا، فيذكرون الدنيا فيذكرها معهم، ويذكرون الآخرة فيذكرها معهم.

* ولم يكن فاحشا ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، قالت عائشة: **«ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما ضرب امرأة قط، ولا ضرب خادما، ولا ضرب شيئا قط إلا أن يجاهد»**.

* وقال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما سبنى قط، ولا ضربنى، ولا انتهرنى، ولا عبس فى وجهى، ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى، فإن عتب أحد من أهله قال: دعوه فلو قدر لكان.

* وكان أشد الناس لطفا، وقالت عائشة رضى الله عنها: **«كان يرقع الثوب ويقم البيت، ويخصف النعل، ويطحن عن خادمه إذا أعيا»**.

هذا القدر كاف، وتركنا أسانيدها اختصارًا.

وأما معجزاته ﷺ فهى أكثر من أن تحصى

* فمنها: إخباره عن عير قريش ليلة أسرى به أنها تقدم وقت كذا فكان كما قال.
* ومنها: ما أخبر به من قتل كفار قريش ببدر، وموضع كل واحد منهم فكان كذلك.
* ولما اتخذ المنبر حن الجذع الذى كان يخطب عنده حتى التزمه فسكن.
* ومنها: أن الماء نبع من بين أصابعه غير مرة.
* وبورك فى الطعام القليل حتى كان يأكل منه الكثير من الناس، فعل ذلك كثيرا.
* وأمر شجرة بالمجئ إليه فجاءت، وأمرها بالعود فعادت، وسبح الحصى بيده.
* ومنها: ما أخبر به من العيوب، فوقع بعده كما قال: مثل إخباره عن انتشار دعوته، وفتح الشام ومصر وبلاد الفرس، وعدد الخلفاء، وأن بعدهم يكون ملك، وإخباره أن بعده أبا بكر وعمر.

* وقوله: عن عثمان: يدخل الجنة على بلوى تصيبه، وقوله: ((**إن الله مقمصك قميصا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم**)) يعنى الخلافة، وقوله: ((**لعلك تضرب على هذه فتختضب**)) يعنى جانب رأسه.

* وقوله عن ابنه الحسن: ((**يصلح الله بك بين فئتين عظيمتين**)).

* وقوله عن عمار: ((**تقتلك الفئة الباغية**)).

* وإشارته بالوصف إلى المختار والحجاج، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

* وما ظهر بمولده من المعجزات منها: الفيل وهو الأمر المجمع عليه وارتجاس[1] إيوان كسرى، وإخبار أهل الكتاب بنبوته قبل ظهوره، إلى غير ذلك مما لا نطول به، ففى هذا كفاية. ا. هـ[2].

* * ومن أجمل ما قرأت حول معجزات الرسول ﷺ وبركاته ما جاء فى كتاب:

المقامات العلية

للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى عليه رحمة الله.. قوله:

الله زاد المصطفى تعظيماَ ... وقضى له التفضيلَ والتقديما
وأنالَهُ شرفا لديه جسيما ... فهو المتمم فخره تتميما

صلُّوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خُصَّ بالإنباء ... وأبوه ما بين الثَّرى والماء
ثم استمر النور فى الآباء ... فتوارثوه كريمة وكريما

صلُّوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على بدر ثَوى فى يثرب ... فأضاء بالأنوار أقصى المغرب
وجلا عن الدنيا دياجى الغيهب ... فبدا لنا نهجُ الرشاد قويما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالشرائع قد أتى ... وأباد أحزاب الطغاة وشتتا

---

(١) أى: اهتزازه.

(٢) من أسد الغابة.. باختصار.. ولسوف أعود إليه مرة أخرى بعد هذا التعليق الذى كان من الخير أن نقف عليه.

وأبـــان أســـباب النجـــاة وَوَقَّتَـــا   للأُمَّـــة التحليـــلَ والتَّحريمـــا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مـــن بـــالغيوب يُحـــدث   وبروحـــه الـــروح المقـــدس ينفـــث
محبوبنـــا وشـــفيعنا إذ نُبعـــثُ   فى يـــوم لا يـــدرى الحمـــيم حميمـــا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على صُـبح الهـدى المتـبلج   صلوا علـى بحـر النـدى المتمـوِّج
صلوا علـى روض الجمـال الأبهـج   كيمـا تنـالوا الفـوز والتنعيمـا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مـن عهـده لا يفسـخ   صلوا على مـن شـرعه لا ينسـخ
صلوا على مـن حزبـه لا يُمسـخ   نبـأ يفهـم فضـله تفهيمـا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا علـى مـن فخـره لا ينفـد   صلوا على مـن فضـله لا يُجحـد
أىْ وَكُتْـبُ الرسـل طـرا تشـهد   تُـنبى اليهـود بفضـله والرومـا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صـلوا علـى مـن كلمتـه ذراعُ   وبفضـله كفـت المـئينَ الصـاع
والجذع حَـنَّ لـه ومـا الأجـذاع   بـأرق منـا أنفسـا وفُهومـا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مـن مدحـه لا يُقـرعُ   مـاذا عسـى مُدَّاحُـه أن يبلُغـوا
فإلهنـا يـثنى عليـه ويبلـغ   فـاقرأ تجـده مُحكَّمـا تحكيمـا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قـد شـفى بـالريق   عـين الضـرير ولَدَغـة الصِّـدِّيق
وأعـاد طعـم المـاء مثـل رحيـق   إذ مَـجَّ فيـه العنـبر المختومـا
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا علـى مـن شـأوه لا يُـدرك   صلوا علـى مـن شـأنه لا يُشـركُ
موسى وعيسـى والخليـل تبركـوا   بلقائـه وغنـوا لـه تسـليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خلفه صـــلى الرســـل ... شرف علـــى تمكـــين عزتـــه يـــدل

فإذن فقـــل هـــو ســـيدٌ لهـــم وذُلْ ... لا تخـــشَ توبيخـــا ولا تغشـــيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد سرى نحو الســـما ... لـــيلاً وعـــاد ومـــا بَرحَنـــا نُوَّمـــا

بالروح والجسم المطهـــر قـــد سمـــا ... قلـــه وعلّـــم مـــن أبى تعليمـــا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مـــن قـــد رأى الرحمانـــا ... بالقلـــب بـــل بـــالعين منـــه عيانـــا

مـــن قـــاب أو أدنى قريبـــا كانـــا ... فخذ الفوائـــدَ واحـــذر التجســـيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا علـــى مـــن قـــد حبـــاه إلهُـــهُ ... بـــالكوثر المـــروى لنـــا أمواهُـــهُ

في يوم حشر الخلـــق يظهـــر جاهـــه ... إذ يقـــدمُ الرســـل الكـــرام زعيمـــا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليـــه الله مـــا قُطـــعَ الفَـــلا ... صلى عليـــه الله مـــا اجتمـــع المـــلا

صلى عليه الله ما انتُجـــعَ الكـــلا [1] ... أبدا وما رعت السَّـــوام هشـــيما[2]

صلوا عليه وسلموا تسليما

لله ســـــيدنا الـــــنبى الأكمـــــلُ ... لله بـــــرق جبينـــــه المتـــــهلّلُ

لله جـــــود يمينـــــه المتـــــهطّلُ ... أحيـــا وأغـــنى بـــالنوال عـــديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

لله منـــــه ذاتـــــه وحقيقتـــــه ... لله منـــــه خلقـــــه وخليقتـــــه

لله منـــــه شـــــرعه وطريقتـــــه ... فلقـــد جلـــت بشموســـها التغّييمـــا

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا أمـــة الهـــادى الـــنبى المصـــطفى ... والله لـــو كنـــا نُعامـــل بالوفـــا

---

(١) انتجع الكلا ــ أى العشب ــ أى: طلبه القوم فى مضجعه.

(٢) السوام: جمع سائمة وهى الماشية ترعى الكلأ المباح (والهشيم): النبات اليابس المتكسر.

متنـــا عليـــه حســـرة وتلـــهُّفا — حـــتى نـــؤدِّى حقَّـــه المحتومـــا

صلوا عليه وسلموا تسليما

مـــا كـــان أولانـــا بطـــول نحيبنـــا — ما كان أوجبنـــا بفـــرط وجيبنـــا [1]

أفنســـتطيع الصـــبر عـــن محبوبنـــا — ما الصبر عـــن لقيـــاه ألا لومـــا [2]

صلوا عليه وسلموا تسليما

لم لا نُفيض علـــى الـــدوام دموعنـــا — لم لا نفيض مـــن الغـــرام ضـــلوعنا

لـــم لا نخلـــى أهلنـــا وربوعنـــا — حتى نعـــاين مـــن ذراه رســـوما [3]

أو لم يكـــن يحنـــو علينـــا مشـــفقا — أو لم يكـــن متعطفـــا مترفقـــا

أو لم يعالجنـــا بـــأنواع الرُّقَـــى — حتى اغتدى [4] منا العليـــل ســـليما

من مثلـــه مـــا إن يضـــر وينفـــع [5] — مـــن مثلـــه عنـــا جهـــنم يـــدفع

صلوا عليه وسلموا تسليما

من مثله لذوى الكبـــائر يشـــفع [6] — مـــن مثلـــه بـــالمؤمنين رحيمـــا [7]

صلوا عليه وسلموا تسليما

* * وأما عن

بركاته صلوات الله وسلامه عليه

فقد جاء منها فى الجزء الأول من الدين الخالص:

* عن أنس رضي الله عنه قال: **((رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وســـلم وحانـــت**

---

(١) أى ما كان أحقنا بزيادة رجف قلوبنا لفراقه ﷺ.. يقال: إياك والفرط فى الأمر أى الزيادة فيـــه، ووجب القلب وجبا ووجيبا: أى رجف.

(٢) إلا لوما أى: لؤما.

(٣) ذرا الشئ أعلاه أو أعاليه.. الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها، إنه يعنى بهذا أن نتـــرك الأهـــل والبلاد.. ونشد الرحال لأداء حج أو عمرة.. ثم بعد هذا أو قبل هذا.. نزور قبر الحبيـــب المصـــطفى صلوات الله وسلامه عليه إن شاء الله.. اللهم حقق يا رب العالمين.

(٤) اغتدى: أى أصبح.

(٥) استفهام إنكارى، وبسببه النفع وغيره كما يجرى على يده ﷺ.. وبالطبع لن يكون هذا إلا: بإذن الله ومشيئته.. سبحانه وتعالى..

(٦) وأما حديث: **((لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى))** فموضوع.. أنظرها من ١ ص ١٠١ ج: ١ الدين الخالص.

(٧) كما أشارت الآية رقم ١١٨ من سورة التوبة.

صلاة العصر. فالتمس الناس الوضوء (١) **فلم يجدوه، فأتى صلى الله عليه وآله وسلم بوضوء فوضع يده فيه وأمر الناس أن يتوضئوا، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس عن آخرهم».** أخرجه الشيخان.

* (وعن) زياد بن نعيم الحضرمى قال: سمعت زياد بن الحارث الصدائى قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته على الإسلام (الحديث) وفيه: فلما كان أوان أذان الصبح أمرنى فأذنت. ثم قال: **«هل من ماء يا أخا صداء»** ؟ فقلت: لا إلا شىء قليل لا يكفيك. فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: **«اجعله فى أناء ثم ائتنى به»**، ففعلت، فوضع كفه فى الماء. فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عينا تفور: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«ناد فى أصحابى من له حاجة فى الماء»**، فناديت فيهم فأخذ من أراد منهم. ثم قال الصدائى: قلنا: يا نبى الله، إن لنا بئرا إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا. وإذا كان الصيف قل ماؤها وتفرقنا على مياه حولنا، وقد أسلمنا وكل من حولنا عدو لنا. فادع الله لنا فى بئرنا أن يسعنا ماؤها فنجتمع عليها ولا نتفرق، فدعا بسبع حصيات ففركهن فى يده ودعا فيهن، ثم قال: **«إذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فألقوها واحدة واحدة واذكروا اسم الله تعالى»**. قال الصدائى: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها. أخرجه المزى فى الأطراف.

* (وعن) جابر رضي الله عنه قال: **(عطش الناس يوم الحديبية فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه ركوة** (٢) **وقالوا: ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى ركوتك، فوضع صلى الله عليه وآله وسلم يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضأنا وشربنا. قيل لجابر: كم كنتم يومئذ ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة).** أخرجه الشيخان.

---

(١) الوضوء بفتح الواو: أى الماء الذى يتوضأ به.

(٢) الركوة _ بفتح فسكون: ما يعد للماء. وجمعها: ركوات _ بفتحات.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مسير فنفدت أزواد القوم حتى هموا بنحر حمائلهم [(١)] فقال عمر رضي الله عنه يا رسـول الله لـو جمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها، ففعل. فجاء ذو البر ببُـره، وذوى التمر بتمره، وذوى النواة بنواته. قيل: ما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء. فدعا عليها حتى ملأ القوم مزاودهم [(٢)] فقال عند ذلك: **«أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخـل الجنة»** أخرجه مسلم.

* (وعن) جابر رضي الله عنه قال: كنا فى حفر الخندق فرأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً [(٣)] شديداً فانكفأت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شـىء ؟ فـإنى رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً شديداً، فأخرجت إلى جراباً فيـه صاع من شعير ولنا بُهيمة [(٤)] داجن فذبحتها وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغـى وقطعتها فى برمتها. ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقالـت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه. فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا. فتعال أنت ونفر ومعك، فصاح رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: **«يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً فحيهلاً بكم [(٥)]»** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا تُنـزِلُنَّ برمتكم ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجئ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس حتى**

---

(١) أى: النوق التى يركبونها ويحملون عليها حاجياتهم..

(٢) المزود بكسر فسكون: ويجعل فيه الزاد، وجمعه مزاود.

(٣) الخمص بضم فسكون أو بفتحتين أو بفتح فسكون: الجوع.. (فانكفأت) أى رجعت إلى امرأتى واسمها سهيلة.

(٤) البهيمة: تصغير بهمة، وهى ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى. و(الداجن) الشاة التى تألف البيت وتتـربى فيه (ففرغت) أى فرغت امرأتى من طحن الشعير مع فراغى من ذبح البهيمة. و(البرمة) بضم الباء: القدر (لاتفضحنى برسول الله)، يعنى تحذيره من أن يأتى بمن لايكفيهم الطعام القليل الذى عندها.

(٥) (والسور) بالضم غير مهموز ـ كلمة فارسية ـ معناها الوليمة والطعام الـذى يـدعى إليـه (وحيهلا) أى تعالوا أو عجلوا.

جئت امرأتي فقالت: بك وبك [1]). فقلت: قد فعلت الذى قلت، فأخرجت له العجين فبصق فيه وبارك. ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: «**ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحى من بُرْمتكم ولا تنـــزلوها**». فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغطُّ كما هى[2]، وإن عجيننا ليخبز كما هو. أخرجه الشيخان.

* (وعن) أبى هريرة ﷺ قال: أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتمـرات فقلت: يا رسول الله، ادع الله بالبركه، فضمهن ثم دعا لى فيهن بالبركـه. فقـال: «**خذهن واجعلهن فى مزودك هذا، وكلما أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخـل فيـه يدك فخذ ولا تنثره، ففعلت، فقد حملت منه كذا وكذا من وسق [3] فى سبيل الله، فكنا نأكل منه ونطعم. وكان لا يفارق حقوى حتى كان يوم قتل عثمان ﷺ فإنه انقطع فسقط فحزنت عليه**» أخرجه الترمذى وقال: حديث غريب.

* وكيف لا، وهو أفضل الرسل، لقوله تعـالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الانبياء:١٠٧] ومنهم الأنبياء والمرسلون، وقوله: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ** ﴾ [التوبة: ١٢٨] بفتح الفاء وكسر السين فى قراءة.

* (ولهذا) فقد نهى أصحابه عن خطابه كسائر الناس. قال تعـالى: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُول بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً** ﴾ [النور: ٦٣].

* وكانت الأمم تخاطب أنبياءها بإسمائهم و لم ينهوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا** ﴾ [هود: ٣٢] .

* وقال: ﴿ **يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [الأعراف: ٧٧] وقـال: ﴿ **قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَة** ﴾ [هود: ٥٣].

* وقال: ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً** ﴾ [مريم:٤٦] وقال: ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ [المائدة: ١١٢]؟

---

(١) بك وبك. أى فعل الله بك كذا وكذا _ وهذا كناية عن الكلام الذى عاتبت به زوجها حيث خالف قولها..

(٢) وغطت القدر: أى غلت. وغطيطها: صوتها.

(٣) الوسق: ستون صاعًا بصاع النبى ﷺ و(الحقو) بفتح فسكون: موضع شد الإزار وهو الخاصرة، به الإزار.

(وعن) أبي سعيد الخدرى ﵁ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ: آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأنا أول شافع وأول مشفع**» أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى، وقال حسن صحيح.

(وعن) ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمع ناسا من أصحابه يتذاكرون فى تفاضل الأنبياء فقال: «**قد سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك؛ ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فيفتح الله فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والأخرين ولا فخر**». أخرجه الترمذى وقال حديث غريب.

(وأما) عن الأفضلية التى بعده ـ فى الترتيب ـ صلوات الله وسلامه عليه. فهى على النحو التالى.

(أفضل) الخلق بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: سيدنا إبراهيم، ثم سيدنا موسى، ثم سيدنا عيسى، ثم سيدنا نوح، ثم سيدنا آدم أبو البشر، ثم باقى الرسل على تفاضل بينهم، ثم ثائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رؤساء الملائكة كجبريل وإسرافيل، ثم رؤساء الأمة المحمدية: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على، ثم باقى العشرة المبشرين بالجنة ـ وهم: بالإضافة إلى الخلفاء الأربعة: طلحة، والزبير، وسعد ابن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح ـ عليهم جميعا رضوان الله، ثم أهل بدر، ثم أهل أحُدُ، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم عامة الملائكة.

(مع) ملاحظة أن جميع الصحابة عدول لا يجوز الطعن فى أحدهم. (وما جرى) بينهم من الحروب إنما كان باجتهاد منهم فلا يجوز الخوض فيه (الحديث) ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» أخرجه الطبرانى فى الكبير.

(وعن) عبد الله بن مغفل أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبَّهم ومن أبغضهم**

فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه». أخرجه الترمذى.

* (هذا) وإذا كان لى أن أعود بعد ذلك إلى (أُسْد الغابة[1]) لكى أستكمل معكم ما جاء فيه، تحت عنوان:

ذكر وفاته ومبلغ عمره ﷺ

* أخبرنا الحسن بن توحز بن النعمان الباروى اليمنى، وأحمد بن عثمان قالا: أخبرنا محمد بن عبد الواحد الأصفهانى، أخبرنا أبو القاسم أحمد بن منصور الخليلى البلخى، أخبرنا أبو القاسم على بن أحمد أبو سعيد الشاشى، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى، أخبرنا أبو عمار وقتيبه وغيرهما، قالوا:حدثنا سفيان بن عيينه الحصلانى عن الزهرى عن أنس قال: (**آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ كشفت الستارة يوم الإثنين، فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف والناس خلف أبى بكر، فأشار إلى الناس أن اثبتوا مكانكم، وأبو بكر يؤمهم، وألقى السجف وتوفى آخر ذلك اليوم**).

* قال أبو عمر: ثم بَدَأ برسول الله ﷺ مرضه الذى مات منه يوم الأربعاء، لليلتين بقيتا من صفر سنه إحدى عشرة فى بيت ميمونة، ثم انتقل حين اشتد مرضه إلى بيت عائشة، رضى الله عنها، وقبض يوم الإثنين ضحى فى الوقت الذى دخل فيه المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول[2] ودفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس، وقيل: بل دفن ليلة الأربعاء.

* قالت عائشة: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحى، من جوف الليل ليلة الأربعاء، وصلى على والعباس وأهل بيته، ثم خرجوا، ثم دخل المهاجرون فصلوا عليه صلى الله عليه وسلم، ثم الأنصار، ثم النساء، ثم العبيد يصلون عليه أرسالا _ أى أفواجا وفرقا متقطعة، يتبع بعضهم بعضا [3] _ لم يؤمهم أحد.

* وغسله على، والفضل بن العباس، والعباس، وصالح مولاه وهو شقران، وأوس

---

(١) المجلد الأول، ص ٤١.

(٢) فى الاستيعاب ٤٧: سنة إحدى عشرة من الهجرة.

(٣) الاستيعاب: أفذاذا.

ابن خولى الأنصارى، وفى رواية: أسامة بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وكان على يلى غسله والعباس والفضل وقثم، وأسامة وصالح يصبون عليه.

* قال على: (**فما كنا نريد أن نرفع منه عضوا لنغسله إلا رفع لنا**) و لم ينزعوا عنه ثيابه، وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، ونزل فى قبره على، والعباس، والفضل، و قثم، و شقران، و أسامة، وأوس بن خولى.

* وكان قثم آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله وسلم، ذكر ذلك عن على و ابن عباس، وكان المغيرة يدعى أنه ألقى خاتمه فى قبر رسول الله ﷺ فنزل ليأخذه فكان آخرهم عهدا برسول الله ﷺ ، ولم يصح ذلك، و لم يحضر دفنه فضلا عن أن يكون آخرهم عهدا به، وسئل على عن قول المغيرة، فقال: كذب، آخرنا عهدا به قثم، وحفروا له لحدا، وألقى شقران تحت رسول الله ﷺ قطيفة كان يجلس عليها.

* وقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قبض الله نبيا إلا دفن حيث يقبض، فرفع فراشه، وحفروا تحته، وبنى أبو طلحة فى قبره تسع لبنات، وجعل قبره مسطحا، ورشوا عليه الماء**».

* قال أنس: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء، ولما قبض أظلم منها كل شىء.

* وكان عمره ثلاثا وستين سنة، وقيل: خمسا وستين، وقيل: ستين سنة، والأول أصح. ا.هـ.

فما تعظ منه وأنذر ... إنه فى الوعظ غاية
واتخذ ما فيه ذكرى ... إن فى هذا كفاية

** (ثم) إليك هذه القصيدة التى أكرمنى الله تعالى بها بعد الانتهاء من هذا التذكير مباشرة، وهى:

فاذكر داوما كل هذا يا أخى ... فى كل صبح بل وكل مساء
حتى تكون على اتصال بالهدى ... خير البرية سيد العظماء
من كان نبراسا مضيئا للورى ... فى هذه الدنيا بوحى سماء
حتى يكون الكل فينا طاهرا ... من كل شرك بل وكل هباء

وكذاك أرجو أن تكون أخـا الثـرى ... قـد قلـت مثلـى دون أى بكـاء
عن سـيدى المختـار بعـد وفاتـه ... سـنكون أيضـا بعـد فى عليـاء
مثلى الحبيب كـذاك فى دار الرضـى ... فى جنـة الفـردوس والصـلحاء
مـع خـير خلـق الله بعـد وفاتنـا ... وكـذاك بعـد الحشـر دون عنـاء
فـالله أسـأل أن يحقـق بُغْـيتى ... وأكـون فعـلا بعـدُ كالآبـاء
من شـرفونا طـول كـل حيـاتهم ... بمحاسـن الأعمـال فى سَـرَّاء
مثـل الألى سـبقوا بكـل جـدارة ... نحـو المعـالى فى ذُرى الشـرفاء
مـن هـذه الـدنيا إلى دار اللقـا ... فى حضْـن سـيدنا أبى الزهـراء
صـلى عليـه الله ربى دائمـا ... وكـذاك سـلم دائمـا بشـراء

اللهم آمين

** ثم إليك أخا الإسلام، وأنت أيتها الأخت المسلمة: التلخيص الآتى، تحت عنوان:

من تراجم رواة المائة الأولى والثانية: من: (وصايا الرسول ﷺ)

١- من هو (صاحب الوصايا) صلوات الله وسلامه عليه؟:

** هو أبو القاسم: محمد بن عبد الله: بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

* (وعدنان) من ولد إسماعيل بن إبراهيم بغير شك، غير أن أهل النسب يختلفون فى الأسماء ما بين عدنان وإسماعيل، وربما جرى منهم فى أكثر الأسماء تصحيف أو اختلاف، ومن أثبت ما رأيت فى ذلك [١] ما نقلته من خط أبى محمد بن السمرقندى الحافظ قال: نقلت من خط على بن عبيد الكوفى وهو صاحب تغلب محمد بن عبد الله _ فذكره كما ذكرناه إلى عدنان بن أدد بن زيد بن يقدد بن المقوم [٢]بن اليسع بن بنت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن أرعو بن فالغ بن عابر بن شالخ [٣] بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلح بن أخنوخ بن بره بن مهلاييل بن قينن بن أنوس بن شيس بن آدم.

* (فأما) أمه ﷺ فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

* (وأما) عن:

ذكر أسمائه ﷺ

(فقد) ذكر أبو الحسين بن فارس اللغوى أن للنبى ﷺ ثلاثة وعشرين اسما: محمدا، وأحمد، والماحى، والحاشر، والعاقب، والمقفى[٤]، ونبى الرحمة، ونبى التوبة، ونبى الملاحم، والشاهد، والمبشر، والنذير، والضحوك، والقتَّال، والمتوكل، والفاتح، والأمين، والخاتم، والمصطفى، والرسول، والنبى، والأمى، والقثم.

* **فالماحى**: أى الذى يمحى به الكفر، **والحاشر**: أى الذى يحشر الناس على قدميه

---

(١) كما يقول الإمام عبد الرحمن بن الجوزى فى كتابه: عيون التاريخ والسير.
(٢) المقوم، ومعناه المستقيم.
(٣) وفى اليعقوبى: شالح بالحاء المهملة.
(٤) المقفى أى: الذى ليس بعده نبى.

أى يقدمهم وهم خَلْفَهُ. **والعاقب**: أى أنه آخر الأنبياء _ بعثا _. **والمقفى**: بمعنى العاقب لأنه تبع الأنبياء، وكل شيء تبع شيئا فقد قفاه، والملاحم الحروب. **والضحوك**: صفته فى التوراة. (قال) ابن الفارس: وإنما قيل له الضحوك: لأنه (كان) طيب النفس فكها، وقال: إنى لأمزح _ ولكنه لا يقول إلا حقا _ **والقثم**: من معنيين أحدهما من القسم وهو الإعطاء _ يقال قسم له من العطاء يقثم إذا أعطاه- (وكان) عليه الصلاة والسلام: أجود بالخير من الريح المرسلة. والثانى من القثم وهو الجمع. يقال للرجل الجموع للخير قثوم _ وقثم.

ومن أخلاقه العظيمة صلوات الله وسلامه عليه [1] :

** أنه (كان) بين أصحابه مثلا أعلى للخلق الذى يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامى، بسيرته العاطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكَم وعظات.

* (فعن) عبد الله عمرو رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**خياركم أحاسنكم أخلاقا**». رواه البخارى.

* (وعن) أنس ﷺ قال: (**خدمت النبى ﷺ عشر سنين، والله ما قال لى: أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا ؟ وهلا فعلت كذا ؟**) رواه مسلم.

* (وعنه) ﷺ أنه قال: (**إن كانت الأَمَة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وكان إذا استقبله الرجل فصافحه، لا ينزع يده من يده، حتى يكون الرجل يترع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له**) رواه الترمذى. أى أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يتحفظ مع جلسائه فلا يتكبر عليهم. تواضعا منه صلوات الله وسلامه عليه.

* (وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: (**ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه**.

* (وعن) أنس ﷺ قال: (**كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد غليظ**

(١) كما جاء فى كتاب (خلق المسلم) للشيخ محمد الغزالى عليه رحمة الله.

الحاشية، فأدركه أعرابى فجذبه جذبه شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله وقد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جذبته، ثم قال [1]: **يا محمد مُرْ لى من مـــال الله الذى عندك ! فالتفَتَ إليه رسول الله، وضحك، وأمر له بعطاء**). رواه البخارى.

* (وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله رفيق، يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى علـــى سواه**)). رواه مسلم.

وفى رواية: ((**إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه، ولا يُنـــزع من شئ إلا شانه**)).

* (وعن) جرير أن النبى ﷺ قال: ((**إن الله عز وجل ليعطى على الرفـــق مـــا لا يعطى على الخرق _ أى الحمق _ وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق، ما من أهـــل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير كله**)) رواه الطبرانى.

(وعن) عائشة رضى الله عنها أنها سُئلَت: ما كان رسول الله ﷺ يفعل فى بيته ؟ فقالت: (**كان يكون فى مهنة أهله _ أى فى خدمتهم _ فإذا حضـــرت الصـــلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة**). رواه مسلم.

* (وعن) عبد الله بن الحارث ﷺ أنه قال: (**ما رأيت أحدا أكثر تبسُّـــما مـــن رسول الله ﷺ**)، رواه الترمذى.

* (وعن) أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكـــان لى أخ فطيم، يسمى أبا عمير، لديه عصفور مريض اسمه النغير، فكان رسول الله ﷺ يلاطف الطفل الصغير ويقول له: ((**يا أبا عمير، ما فعل النُّغير !**)) رواه البخارى.

** (والمعروف) فى شمائل الرسول ﷺ أنه كان سَمْحًا لا يبخـــل بشـــىء أبـــدا، شجاعا لا ينكص[2] عن حق أبدا، عدلا لا يجور فى حكم أبدا، صدوقا أمينا فى أطوار حياته كلها.

** (وقد) أمر الله المسلمين أن يقتدوا به فى طيب شمائله وعريق خلالـــه، فقـــال: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) أى: الأعرابى.
(٢) نكص نكوصا: أى رجع إلى الخلف ويقال: نكص على عقبيـــه: أى رجـــع عمـــا كـــان قـــد اعتزمه..وأحجم عنه.

* (قال) القاضى عياض: كان النبىﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشـــجع الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول اللهﷺ راجعا، قد سبقهم إليه واستبرأ الخبر، على فرس لأبى طلحة عُرى والسيف فى عنقه، وهو يقول: ((**لن تُراعوا**)).

* (وقال) علىرضي الله عنه : ـإنا كان إذا حمى البأس واحمرت الحدقـ نتقى برسول اللهﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى عدو منه.

* (وعن) جابر بن عبد اللهرضي الله عنه قال: ما سئل النبىﷺ فقال: لا.

* (وقد) قالت له السيدة خديجة رضى الله عنها: ((**إنك تحمل الكَلّ** [1] **وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق**)).

* (وحمل) إليه سبعون ألف درهم، فوضعت على حصير، ثم قام إليها يقســـمها، فما رد سائلا، حتى فرغ منها.

* (وجاءه) رجل فسأله، فقال له: ما عندى شىءٌ، ولكن ابتعْ عَلَىَّ، فإذا جاءنا شىءٌ قضيناه، فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ! فكره النبىﷺ ذلك فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش إقلالاً، فتبسمﷺ ، وعـــرف البشر فى وجهه وقال: ((**بهذا أُمِرْتُ**)).

* (وكان) رسول اللهﷺ يؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قـــوم ويوليه عليهم.

* (وكان) يحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه.

* (وكان) يتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه.

* (وكان) إذا جالسه أحد أو قاربه لحاجة صابره، حتى يكون هو المنصرف عنه.

---

(١) قال فى المختار الصحاح: (الكل) العيال والثقل قال الله تعالى:﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾ [النحـــل: ٧٦] والكَلّ أيضا: اليتيم.

* (وكان) إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول.

* (وكان) قد وَسِعَ الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده فى الحق سواء.

(وكان) دائم البِشْر، سهل الطبع، ليِّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخَّاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يقنط منه.

* (وعن) عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «**لبيك**».

* (وعن) جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسم.

* (وكان) يمازح أصحابه ويخالطهم ويجاريهم، ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره.

* (وكان) يجيب دعوة الحر والعبد والأَمَة والمسكين، ويعود المرضى فى أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

* (وعن) أنس ﷺ أنه قال ما التقم أحد أذن رسول الله ـ ﷺ ـ وناجاه، فينحنى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر. (وكان) يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة. (و لم) يُرَ قط مادا رجليه بين أصحابه فيضيِّق بهما على أحد.

* (وكان) يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التى تحته، ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى.

* (وكان) يكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد حديثه، حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام.

* (وعن) أنس ﷺ أنه قال: كان النبى ﷺ إذا أتى بهدية قال: «**اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، وإنها كانت تحب خديجة** [1]».

* (وعن) عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما غِرْت على امرأة، ما غرت على خديجة، لما كنت اسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها[2]

---

(١) وقد كان ذلك بعد وفاتها.

(٢) أى: إلى صديقات خديجة رضى الله عنها.

واستأذنت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**».

* (وكان) يصل ذوى رحمه، من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

* (وعن) أبى قتادة ﷺ أنه قال: لما جاء وفد النجاشى قام النبى ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإنى أحب أن أكافئهم.

* (وعن) أبى أمامة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا، فقمنا له، فقال: «**لا تقوموا كما يقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضاً**». وقال: «**إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**». وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيثما انتهى به المجلس جلس.

* (وحج) رسول الله ﷺ على رحل رث عليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم، فقال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة.

* (ولما) فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين، طأطأ رأسه على راحلته حتى كاد يمسُّ قادمته، تواضعاً لله تعالى.

* (وكان) كثير السكوت لا يتكلم. فى غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير جميل.

* (وكان) ضحكه تبسماً، وكلامه فصْلاً، لا فضول [1] فيه ولا تقصير.

* (وكان) ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به.

* (وكان) مجلسه مجلس حلم وخير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تخدش فيه الحُرُم.

* (وكان) إذا مشى مشى مجتمعاً، يعرف فى مشيته أنه غير ضجر ولا كسلان.

* (قال) ابن أبى هالة ﷺ كان سكوته ـ ﷺ ـ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير...

* (وقالت) عائشة رضى الله عنها: كان ـ ﷺ ـ يحدث حديثاً لو عدَّه العاد أحصاه.

* (وكان) ﷺ: يحب الطِّيبَ والرائحة الحسنة ويستعملها كثيراً.

---

(١) أى: لا زيادة فيه.

* (وقد) سيقت إليه الدنيا بحذافيرها، وترادفت عليه فتوحها، فـأعرض عـن زهرتها، ومات ودرعه مرهونة عند يهودى، فى نفقة عياله.

** (هذا) وإذا كنتُ قد ركزت على الجانب الأخلاقى فى حياة صاحب الوصايا صلوات الله وسلامه عليه... (فإن) السبب فى هذا، هو أن الأخلاق الكريمة هى الأساس فى هذا الدين الحنيف..

** (والدليل) على هذا هو أن جميع أركان الإسلام التى بنى الإسلام عليها ما شُرعت إلا من أجل تقويم الأخلاق...

** (ففى) القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى:

* (عن) التوحيد الخالص الذى لابد وأن يكون أساساً فى جميع العبادات: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾** [الكهف: ١١٠]، وذلك تحت شعار:

﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝ لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] لأنه **﴿لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾** [الانبياء: ٢٢].

* وأيضا يقول سبحانه وتعالى عن أهم ثمار الصلاة. **﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾** [العنكبوت:٤٥].

* (وقد) أمر الله تبارك وتعالى رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بـأن يأخذ الزكاة من أغنياء المسلمين لكى يُعطيها لفقرائهم لهدف أسمى أشار إليه سبحانه وتعالى فى قوله: **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾** [التوبة: ١٠٣].

* كما يقول سبحانه وتعالى عن الهدف الأسمى من الصيام فى شهر رمضان: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [البقرة:١٨٣].

(وقد ورد) فى الحديث الشريف عن صيام التطوع وأهم مقاصده قوله ﷺ: «**الصوم جُنَّة** [1]»: أى وقاية من الانفراط فى الشهوات.

* (وأيضاً) يقول سبحانه وتعالى مشيراً إلى أهم الأخلاقيات الكريمة التى لابد وأن نلتزم بها أثناء أدائنا لفريضة الحج: **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا**

(١) من حديث رواه الترمذى وصححه.

رَفَثَ[1] وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفى الحديث الشريف (عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه [2]))**.

** (وهذا) معناه مرة أخرى أننا لابد كمؤمنين صادقين أن نتخلق بأخلاق الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى كان على خُلُق عظيم، والذى أوصانا الله تعالى بالاقتداء به فقال:

* **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [الأحزاب:٢١].

* (وذلك) لأنه مثلنا الأعلى الذى يُصيب ولا يُخطئ.. وأما غيره فإنه يخطئ ويُصيب.

* * (مع) ملاحظة أنه صلوات الله وسلامه عليه ما كان على خلق عظيم إلا لأنه كان متخلقاً بأخلاق القرآن... أى أنه صلوات الله وسلامه عليه كان قرآنا يمشى على قدميه.. كما يقول أحدهم مشيرا إلى هذا المعنى: لقد تقرأن الرسول.. أى أنه كان منفذا لما أمر الله تعالى به فى قرآنه ومجتنبا لكل ما نهى الله تعالى عنه فى قرآنه الكريم.. تنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله:**﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾** [هود: ١١٢]. أى كما أُمرتَ ونُهيتَ.

(وقد) ورد عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عن خلق الرسول ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، ثم قرأت: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم:٤]. (وورد) كذلك أنها سئلت عن خلقه صلوات الله وسلامه عليه فقرأت قوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾** [المؤمنون:٩]. ثم قالت: هكذا كان خُلُق رسول الله ﷺ.

---

(١) كناية عن الجماع...

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(وعن) قتادة عن كعب قال: أوحى الله تعالى إلى أشعياء النبى: (إنى مُبتعث نبيا أمينا، أفتح _ به آذانا صُما، وقلوبا غُلفا وأعينا عُميا، مولده مكـــة، ومهـــاجره طيبة[1]، وملكه الشام[2]. عبدى المتوكل المصطفى المرفوع، الحبيـــب المُتحبِّـــب المختار. لا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، رحيمًا بالمؤمنين، يبكى للبهيمة المثقلة، ويبكى اليتيم فى حجر الأرملَة. ليس بفظ ولا غليظ، ولا صَخاب فى الأسواق، ولا مُتَزَىِّ بالفُحش، ولا قوال بالخنا. أُسدده بكل جميل، وأهب لـــه كل خلق كريم. أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمـــة مقولَه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمغفرة والمعروف خلُقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه. أهدى به بعد الضلالة، وأُعَلم به بعد الجهالة، وأَرْفَع به الخمالة [3] وأُسمى به النكرة [4]، وأُكثر به القلـــة، وأُغنى به بعد العَيلة [5]، وأؤلف به بين قلوب وأهواء مشتة وأمم مختلفة وأجعـــل أمته خير أمة أخرجت للناس، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وتوحيدا لى، وإيمانا بى، وإخلاصا لى، وتصديقا لما جاءت به رُسْلى، وهم رعاة الشـــمس [6]. طـــوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التى أخلصت لى. ألهمتهم التســـبيح والتكـــبير والتحميد والتوحيد فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبـــهم ومثـــواهم. يُصَفُّون فى المساجد كما تُصَفُّ الملائكة حول عرشى، هم ولاتى وأنصارى، أنتقم بهم من أعدائى عبدة الأوثان. يُصَلُّون لى قيامـــا وقعـــودا وركوعـــا وســـجودا، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ألوفا، ويقاتلون فى سبيلى صُـــفُوفا وزُحُوفًا، أختم بكتابهم الكتب، وبشريعتهم الشرائع، وبدينهم الأديـــان. فمـــن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ولم يدخل فى دينهم وشريعتهم فليس منى وهـــو مـــنى

---

(١) أى: المدينة المنورة.

(٢) أى: رسالته ستشتر.

(٣) أى: الكسل.

(٤) أى: أجعلها معرفة.

(٥) أى: بعد الفقر.

(٦) أى: يعملون بالنهار فى تحصيل الأرزاق.

برئ، وأجعلهم أفضل الأمم، وأجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس، إذا غضبوا هلَّلونى، وإذا قُبضوا كبرونى، وإذا تنازعوا سبحونى، يطهــرون الوجــوه والأطراف، ويشدون الثياب إلى الأنصاف [1]، ويكبرون ويهللون على الــتلال والأشراف. قربانهم دماؤهم [2]، وأناجيلهم صــدورهم. رهبانــا بالليــل ليوثــا بالنهار[3].. ينادى مناديهم فى جو السماء [4]، لهم دوى كدوى النحل [5]. طوبى لمن كان منهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم. ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم).

**(فلنتضرع) إلى الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لأن نكون من أهل هذا الفضل العظيم .

* (ولنكثر) من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى أمرنا الله تبارك وتعالى كمؤمنين صادقين بأن نصلى ونسلم عليه بعد أن صلى عليه مع ملائكته فقال:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦].

*(مع) ملاحظة أن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين دعاء.

(فاللهم) صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تــبعهم إلى يوم الدين.

اللهم آمين

٣- من هو الحارث الأشعرى ؓ ؟

* إنه [6] الحارث بن الحارث الأشعرى، أبو مالك، كناه أبونعيم وحده، له صــحبة، عداده فى أهل الشام. روى عنه ربيعة الجرشى، وعبد الرحمن بن غنم الأشــعرى، وأبــو

(١) أى: عندما يلبسون ملابس الإحرام.

(٢) أى: عندما يجاهدون فى سبيل الله بأنفسهم.

(٣) أى: عُبَّادا بالليل، أسودا فى النهار فى طلب الرزق.

(٤) كناية عن الأذان.

(٥) كناية عن تلاوة القرآن.

(٦) كما جاء فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة. المجلد الأول ص ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤.

سلام ممطور الحبشى، وشُرَيْح بن عبيد الحضرمى، وشهر بن حوشب وغيرهم.

أخبرنا أبو المكارم بن منصور بن أحمد بن سعد المؤدب، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن محمد بن صفوان، أخبرنا أبو الحسن على بن إبراهيم السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم ابن أنس، أخبرنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حبان، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عمار، حدثنا المعافى بن عمران، عن موسى بن خلف، عن يحيى بن أبى كثير، عن زيد بن سلام أن جده ممطورا حدثه، حدثنى الحارث الأشعرى أن النبى ﷺ حدثه قال [(١)] **«إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات، يعمل بهن، وأنه كاد أن يبطئ بهن أوكأنه أبطأ فقال له عيسى ﷺ: إن الله عز وجل أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم، قال يحي عليه السلام إن سبقتنى بهن خشيت أن يُخسف بى، قال: فجمعهم فى بيت المقدس حتى امتلأ، وقعدوا على الشُّرف فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن الله تعالى أمرنى بخمس كلمات أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن، أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أوورِق [(٢)]، فقال هذه دارى وهذا عملى، فاعمل وأدِّ إلى، فكان يعمل ويؤدى إلى غير سيده، فأيكم يَسُرُّه أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله عز وجل ينصب وجهه تبارك وتعالى لوجه عبده ما لم يلتفت فى صلاته، وأمركم بالصيام، وإنما مثل ذلك مثل رجل معه صرة فيها مسك فى عصابة [(٣)] كلهم يعجبه أن يجد ريحه وإن خلوف فم الصائم عند ربه أطيب من ريح المسك، وإن الله أمركم بالصدقة، وإنما مثل ذلك مثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: دعونى أفد نفسى**

---

(١) وهذا الحديث هو الوصية الأولى من وصايا الرسول ﷺ.. مع تغيير فى بعض ألفاظه.

(٢) الورق بكسر الراء: أى الدراهم المضروبة من الفضة.

(٣) العصابة: الجماعة من الناس، أو الخيل أو الطير..

منكم، فجعل يعطيهم القليل والكثير حتى يفدى نفسه منهم، وإن الله أمركم بذكر الله كثيرا وإنما مثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا فأتى حصْنا حَصِينا فتحصَّن فيه منهم وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا ذكر الله عز وجل)).

* قال: وقال رسول الله ﷺ وإن الله أمرنى بخمس أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: (**الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد فى سبيل الله عز وجل، فإنه من فارق الجماعة قيد [(١)] شبر فقد خلع ربقة [(٢)] الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا دعوى الجاهلية كان جثّى جهنم، قيل يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، ادعوا بدعوى الله عز وجل الذى سماكم المسلمين عباد الله**).

رواه مروان بن محمد، ومحمد بن شعيب بن شابور، وغير واحد، عن معاوية بن سلام أخرجه ابن منده وأبو نعيم مطولا، واختصر أبو عمر. قلت: ذكر بعض العلماء أن هذا الحارث بن الحارث الأشعرى ليس هو أبا مالك، وأكثر ما يرد هذا غير مكنى، وقال: قاله كثير من العلماء منهم. أبوحاتم الرازى، وابن معين وغيرهم، وأما أبو مالك الأشعرى، فهو كعب بن عاصم على اختلاف فيه.

* وقال: روى أحمد بن حمبل فى مسند الشاميين: الحارث الأشعرى وروى له هذا الحديث الواحد الذى ذكرناه، ولم يكنه، وذكر كعب بن عاصم، وأورد له أحاديث لم يذكرها الحارث الأشعرى، وقد ذكره ابن منده وأبونعيم وأبوعمر فى كعب بن عاصم [(٣)]. ا. هـ.

وتعليقى

على هذا الصحابى الجليل، وهو الحارث الأشعرى ﷺ الذى روى لنا هذا الحديث ــ موضوع الترجمة هو أنه حسبه أنه قد روى لنا هذا الحديث الشريف الذى لابد وأن نكون قد انتفعنا به.. وأخذنا من موضوعه درسا.. وهو ضرورة أن نؤدى رسالتنا التبليغية على أكمل وجه.. دون تكاسل أو خمول.. وإلا فإننا سنسأل عن

(١) قيد شبر: أى مقدار شبر.
(٢) الربق: حبل ذو عرى أو حلقة لربط الدواب.
(٣) ارجع إلى أسد الغابة.. طبعة كتاب الشعب المجلد الأول ص ٣٨٢ ــ ٣٨٤.

هذا _ كعلماء ورثوا العلم النافع _ أمام الله تبارك وتعالى فى يوم المحاسبة، فقد ورد:

* (عن) أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من سئل عن علم فكتمه: ألجم يوم القيامة بلجام من نار))** رواه أبو داود، والترمذى وحسنه، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى، ورواه الحاكم بنحوه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفى رواية لابن ماجه قال: **((ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوما بلجام من نار))**.

* (وقد) قال الله تعالى مشيرا إلى جزاء هذا الكتمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

ففى هذه الآية وعيد شديد للكاتمين ولا سيما إذا كان عنده ما يُحتاج إليه من العلم فى حياة الناس.. وليس هناك من يحمل هذا العلم وغيره.

* (وعن) عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: **((من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار))**. رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال صحيح لا غبار عليه.

** (وعلى) عكس هذا، فقد رغب النبى ﷺ فى ضرورة أن نكون من الدعاة إلى الهدى.

* (فعن) أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا))**. رواه مسلم وغيره.

* (وعن) على ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**﴾ [التحريم:٦]، قال: **((علموا أهليكم الخير))**. [1] رواه الحاكم موقوفا وقال صحيح على شرطهما.

والله ولى التوفيق

٣- ومن هو سويد الأزدي ﷺ؟

** إنه [2]: سويد بن الحارث الأزدى.

أورده أبو نعيم فى غير كتاب المعرفة. أخبرنا أبو موسى كتابه. أخبرنا أبو على،

(١) وهذا التفسير من الإمام على ﷺ للآية الكريمة...

(٢) كما جاء فى: أسد الغابة.. المجلد الثانى.. طبعة دار الشعب ص ٤٨٧، ٤٨٨.

** وهو رواى الوصيه الثانية من الوصايا..

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن سعيد، أخبرنا القاضى عمر بن الحسين الأشانى، حـــدثنا أحمد بن على الحداد، حدثنى أحمد بن أبى الحوارى، سمعت أبا ســـليمان الـــدارانى. حدثنى شيخ بساحل دمشق، يقال له: علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى، حدثنى أبى، عن جدى سويد بن الحارث، قال: وفدتُ على رسول الله ﷺ سابع سبعة مـــن قـــومى، فأعجبه ما رأى من سَمْتنا وزينا، فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رســـول الله ﷺ، وقال: **«إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانكم ؟ قال سويد: قلنا: خمس عشـــرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها فى الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا، فقـــال رسول الله ﷺ : ما الخمس التى أمركم رسلى أن تؤمنوا بها ؟ قلنا: أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت.**

قال: وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تعملوا بها ؟ قلنا: نقول: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، ونقيم الصلاة، ونؤتى الزكاة، ونحج البيت، ونصوم رمضان.

*** قال: وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية [1] ؟ قلنا: الشكر عند الرخـــاء، والصبر عند البلاء، والصبر فى مواطن اللقاء، والرضا بمر القضاء، والصبر عنـــد شماتة الأعداء.**

*** فقال الـــنبى ﷺ : حلمـــاء علمـــاء، كـــادوا مـــن صـــدقهم أن يكونـــوا أنبياء»**.[2].ا.هـــ أخرجه أبو نعيم فى الحلية، والبيهقـــى فى الزهـــد، والخطيـــب فى التاريخ.. بإضافات فى النص..

وتعليقى

على هذا الحديث الشريف: هو أنه حسب سويد الأزدى عليه رضوان الله تعالى.. أنه قد روى لنا هذا الحديث العظيم الذى نستطيع أن نفهم من مضمون موضوعه أن

(١) أى قبل الإسلام..

(٢) وهذه هى الوصية الثانية من وصايا الرسول ﷺ كما جاء فى المجلد الأول من الوصايا بإضافات.

الإيمان لابد وأن يكون عملا وتطبيقا.. لا زعما ولا ادعاء.. (وأعني) بهذا بأنه لابـــد وأن يكون الإيمان الحق مشتملا على صفات المؤمنين التي أشار الله تعـــالى إليهـــا في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:١، ٤].

* (بعكس) الآخرين من المنافقين الذين نفى الله تعالى الإيمان عنهم فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨، ١٠].

* (ثم) لكي يكون الإيمان الحقيقي _ هذا _ قائما ومثمـــرا لابـــد أن يكـــون الإنسان هذا.. بعيدًا عن زخارف الدنيا التي هي رأس كل خطيئة.. كما ورد عـــن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

٣ - ومن هو أبوذر رضي الله عنه ؟

** إنه [1] أبو ذر الغفارى.

اختلف فى اسمه اختلافا كثيرا، فقيل: جندب بن جُنادة، وهو أكثر وأصح ما قيل فيه. وقيل: بُرَيْر بن عبد الله، وبُرير بن جنادة، وبُريرة بن عِشرقة، وقيل: جندب بن سكن، والمشهور جندب بن جُنادة بن سفيان[2] بن عبيد بن حرام بن غفار بن غفار ابن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة الغفارى، وأمه رملة بنت الوقيعة، من بنى غفار أيضا.

* وكان أبو ذر من كبار الصحابة وفضلائهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة وكان خامساً، ثم انصرف إلي بلاد قومه وأقام بها، حتي قدم علي رسول الله ﷺ المدينة.

* أخبرنا غير واحد بإسنادهم إلي محمد بن إسماعيل: حدثنا عمرو بن عباس، أنبأنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا المثني، عن أبي جمره [3]، عن ابن عباس قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلي هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم أتني. فانطلق الأخ حتي قدم وسمع من قوله، ثم رجع إلي أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنته [4] له فيها ماء، حتي قدم مكة، فأتي المسجد، فالتمس النبي ﷺ وهولا يعرفه، وكده أن يسأل عنه حتي أدركه بعض الليل، اضطجع [5] فرآه عَلِيّ، فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن أي شيء حتي أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلي المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتي أمسي، فعاد إلي مضجعه فمر به عَلِيّ فقال:

---

(١) كما جاء فى أُسْد الغابة.. طبعه دار الشعب المجلد السادس ص ٩٩ _ ١٠١.

(٢) وهذا هو الصواب كما جاء فى الإصابة: ٦٣/٤.

(٣) في المطبوعه والمصورة (حمزة) والصواب عن الصحيح...

(٤) الشنه: قربة خلق _ أي قديمة.. وهي أشد تبريداً من الجديدة.

(٥) وفي نسخ أخري: (فاضطجع) أي كي ينام.

ما آن للرجل أن يعلم منـــزله [1]؟ فأقامه فذهب به معه، لا يسأل واحـــد منـــهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه عليٌّ معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت. ففعـــل، فأخبره، قال: أنه حق، وإنه رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي. ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانـــه، فقال له النبى ﷺ: **((ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى))**. قـــال. والـــذى نفسيى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فقام القوم إليـــه فضـــربوه حـــتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم ! أنتم تعلمون أنه من غفار، وأنـــه طريق تجاركم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليـــه، فأكبَّ العباس عليه.

* وروينا فى إسلامه الحديث الطويل المشهور، وتركناه خوف التطويل.

* وتوفى أبوذر بالربذة سنة إحدى وثلاثين، أو اثنتين وثلاثين. وصلى عليه عبـــد الله ابن مسعود، ثم مات بعده فى ذلك العام. وقال النبى ﷺ: **((أبو ذر فى أمتى على زهد عيسى ابن مريم))**.

* وقال على: وعى أبو ذر علمًا عجز الناس عنه، ثم أوكى عليه[2] فلم يخرج منه شيئا.

* أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس، عن ابن إسحاق قال: حدثنى بريده بـــن سفيان، عن محمد بن كعب القرطى، عن ابن مسعود قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فـــلان، فيقـــول: **((دعوه، إن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله**

---

(١) أي: أما حان أن يكون له منـــزل معين يسكنه ؟ أو أراد دعوته إلي منـــزله.

(٢) يقال: أوكى السقاء، إذا شد رأسه بالوكاء أى الخط الذى تشد به الصرة.....

منه». حتى قيل يا رسول تخلف أبو ذر فقال رسول الله ﷺ ما كان تقوله، فتلوَّم[1] أبو ذر على بعيره فلما أبطا عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيا، ونظر ناظر من المسلمين فقال: إن هذا الرجل يمشى على الطريق فقال رسول الله ﷺ: **«كن أبا ذر»**، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ **«يرحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويُحشر وحده»** [2]

* فضرب الدهر من ضربه.

* وسير أبو ذر إلى الربذة، وفى ذكر موته، وصلاة عبد الله بن مسعود عليه، ومن كان معه فى موته، ومقامه بالربذة، أحاديث لا نطول بذكرها. وكان أبو ذر طويلا عظيما. أخرجه أبو عمر. ا. هـ.

وتعليقى

على هذه الترجمة ـ المختصرة ـ هو أن أبا ذر رضي الله عنه كان بطلا من أبطال كلمة الحق الذين لا يخافون فى الله لومة لائم.. (ولهذا) فقد قال الرسول ﷺ عنه كما قرأنا: **«يرحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده»**.

* (وهذا) المعنى هو القائم فعلا فى عالم الناس... (فإن) أكثرهم للأسف الشديد لا يميلون إلى كلمة الحق.. ويكرهون.. بل ويحاربون قائلها.. (وأستطيع) أن أذكر من خلال هذا.. بما حدث يوم أن أُمر رسول الله ﷺ بأن يبلغ قومه وأهله بصفة خاصة دعوة الله تبارك وتعالى كما يشير الى هذا قول الله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٤]: فإن الذى حدث هو أن النبى ﷺ وقف فوق الصفا وأخذ ينادى بأعلى صوته حتى اجتمعوا حوله من كل اتجاه.. فسألهم سؤالا واحدا طلب منهم أن يجيبوا عليه، وهو: **«أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقى؟»** فعند ذلك قالوا جميعا فى صوت واحد بلا استثناء: نعم ما

---

(١) أى: تمكث وتمهل.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢ / ٥٢٣ ـ ٥٣٤.

جربنا عليك كذبا فأنت الصادق الأمين.. (فلما) شهدوا بهذا قال لهم: ((**فإني نـــذير لكم بين يدى عذاب شديد**)).. وكاد الجميع أن يؤمنوا به ويلتفوا من حوله: لولا أن اللعين أبا لهب قال مخاطبًا إياه: تبا لك ألهذا جمعتنا.. (فلما) قال هذا بكى النبيﷺ لأنه كان ينتظر اعتراضا كهذا من غير أعمامه.. (ولهذا) فقد تولى الله تعالى بنفسه الرد علـــى هذا اللعين بقوله: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**[1] ۝ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا[2] **حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾ [المسد:١: ٥].

* (وقد) سمعت حديثا شريفا يؤكد هذا المضمون، وهو: ((**إذا رأيــتم الرجـــل محبوبا بين أهله وعشيرته فاتهمه فى دينه**))..

(ولهذا) فإن معناه أنه مادام لا يقول كلمة الحق.. فإنه لن يكون هنـــاك مـــن يكرهه.. لأنه سيكون كما يقولون: شرابة خُرج....

* (فحذار) أخا الإسلام أن تكون كهذا الإمعة الذى وصفته لك بهذا الوصـــف الذى أرجو أن تكون قد فهمته.. (ولاسيما) إذا كنت من الذين يقفون على المنابر (مع) ملاحظة أن تكون حكيمًا فى قولك (فأنا مثلا) إذا أردت أن أقول للناس من فوق المنبر: أنكم لستم بمؤمنين.. (فإننى) لن أقول لهم هـــذا بهـــذا التعـــبير.. وإنمـــا سأستعمل الحكمة فى قولى. (بمعنى) أننى سأحدثهم عن المؤمنين وعـــن صـــفاتهم وأخلاقهم وأعمالهم.. ثم سأسألهم سؤالا واحدا وهو: فأين نحن من هؤلاء المـــؤمنين الذين استمعنا إلى صفاتهم.. ؟ إن كل واحد منهم سيجيب نفسه بنفسه..وتلك هى الحكمه المشار إليها فى قول الله تعـــالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: ١٢٥]. (ولابد) مع كل هذا من الصبر المشار إليه فى قـــول لقمـــان الحكيم لولده: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾ [لقمـــان: ١٧]. وفى قوله تعالى : ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ٣].

والله ولى التوفيق

٤ – ومن هو معاذ بن جبل ؟

(١) أى: خابت يدا أبى لهب بسبب عداوته الحق.
(٢) أى: فى عنقها حبل من ليف إذلالاً لها.

** إنه: [1] معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن حشم بن الخزرج الانصارى الخزرجى ثم الجشمى، وأُدَىٍّ الذى ينسب إليه هو: أخو سلمة بن سعد، والقبيلة التى ينسب إليها من الأنصار.

* وقد نسبه بعضهم فى بنى سلمة، وقال ابن إسحاق: إنما دعته بنو سلمة، لأنـــه كان أخا سهل ابن محمد بن الجد بن قيس لأمه، وسهل من بنى سلمة.

* وقال الكلبى: هو من بنى أُدَىٍّ، كما نسبناه أولاً، قال: و لم يبق مـــن بـــنى أُدَىٍّ أحد. وعدادهم فى بنى سلمة، وآخر من بقى منهم عبد الرحمن بن معاذ [2]، مات فى طاعون عمواس [3] بالشام. وقيل: إنه مات قبل موت أبيه معاذ، فَعَلى هذا يكـــون معاذ آخرهم، وهوالصحيح.

* وكان معاذ يكنى أبا عبد الرحمن، وهو أحد السبعين الذين شـــهدوا العقبـــة مـــن الأنصار، وشهد بدْرا وأُحُدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وآخى رســـول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود. وكان عمره لما أسلم ثمانى عشرة سنة.

* أخبرنا عبد الوهاب بن هبة بإسناده عن عبد الله بن أحمد قـــال: حـــدثنى أبى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن مسروق، عن عبد الله بـــن عمـــرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«خذوا القرآن من أربعة: من ابن مســـعود، وأبى بـــن كعب، ومعاذ ابن جبل، وسالم مولى أبى حذيفة»** [4].

* أخبرنا إسماعيل وغيره قالوا بإسنادهم عن محمد بن عيسى حدثنا ســـفيان بـــن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن داود العطار، عن معمر، عن قتادة، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«أرحم أمتى بأمتى أبو بكر»** وذكر الحـــديث،

---

(١) كما جاء فى أسد الغابة.. طبقة دار الشعب المجلد الخامس.ص ١٩٤ – ١٩٧.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٥٨.

(٣) عمواس – بفتح أوله و ثانيه- كورة من فلسطين قرب بيت المقدس، منها فى زمن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ قيل: مات فيه خمسة وعشرون ألفا.

(٤) مسند الإمام أحمد: ٢ / ١٩٠.

وقال: «**وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل**» [1].

* أخبرنا عبد الله بن أبي نصر الخطيب قال: حدثنا جعفر بن أحمد القارئ، حدثنا على بن المحسن، حدثنا أبو سعيد الحسن بن جعفر بن محمد السِّمسار، حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا يحيى بن عبد الله البَابَلتِّي، حدثنا سلمة بن وردان قال سمعت أنس ابن مالك قال: أتاني معاذ بن جبل من عند رسول الله ﷺ فقال: «**من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه، دخل الجنة**» فذهبت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، حدثني معاذ أنك قلت: «**من شهد أن لا إله إلا الله، مخلصا بها قلبه، دخل الجنة**». قال: صدق معاذ، صدق معاذ، صدق معاذ.

* وروى سهل بن أبي حثمة، عن أبيه قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ من المهاجرين: عمر، وعثمان، وعلى، وثلاثة من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت.

* وقال جابر بن عبد الله: كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجها، وأحسنهم خلقا، وأسمحهم كفًّا، فأدان دينا كثيرا، فلزمه غرماؤه حتى تغيب عنهم أياما في بيته، فطلب غرماؤه من رسول الله ﷺ أن يحضروه، فأرسل إليه، فحضر ومعه غرماؤه، فقالوا: يا رسول الله، خذ لنا حقنا. فقال رسول الله ﷺ «**فتصدق عليه ناس، وأبى آخرون، فخلعه** [2] **رسول الله ﷺ من ماله، فاقتسموه بينهم، فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم**». فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ليس لكم إلا ذلك: فأرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، وقال: لعل الله يجبرك، ويؤدى عنك دينك، فلم يزل باليمن حتى توفى رسول الله ﷺ**».

* وروى ثور بن يزيد قال: كان معاذ إذا تهجد من الليل قال: اللهم نامت العيون،

---

(١) تحفة الأحوذى، أبواب المناقب (باب مناقب معاذ بن جبل) الحديث ٣٨٧٩: ١٠ / ٢٩٣، ٢٩٤... و قال الحافظ فى الفتح بعد ذكر هذا الحديث : (رجاله ثقات).

(٢) أى: أعطاهم ماله كله.

وغارت النجوم، وأنت حى قيوم. اللهم، طلبى الجنة بطئ، وهربى من النار ضعيف. اللهم، اجعل لى عندك هُدى ترده إلى يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

* ولما وقع الطاعون بالشام قال معاذ: اللهم، أدخل على آل معاذ نصيبهم من هذا: فطعنت [1] له امرأتان، فماتتا، ثم طُعن ابنه عبد الرحمن فمات. ثم طعن معاذ بن جبل، فجعل يُغشى عليه، فإذا أفاق قال:اللهم غمنى غمك، فوعزتك إنك لتعلم أنى أحبك. ثم يُغشى عليه فإذا أفاق قال بمثل ذلك.

* وقال عمرو بن قيس: إن معاذ بن جبل لما حضر الموت قال: انظروا، أصبحنا ؟ فقيل: لم نصبح. حتى أتى فقيل: أصبحنا. فقال أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار..مرحبا بالموت، مرحبا زائر حبيب جاء على فاقة..اللهم، تعلم أنى كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، إنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى[2] الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمإ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

* وقال الحسن: لما حضر معاذا الموت جعل يبكى، فقيل له:أتبكى وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وأنت، وأنت ؟ فقال: ما أبكى جزعا من الموت إن حل بى، ولا دنيا تركتها بعدى، ولكن إنما هى القبضتان فلا أدرى من أى القبضتين أنا.

* قيل: كان معاذ ممن يكسر أصنام بنى سلمة.

* وقال النبى ﷺ: **((معاذ إمام العلماء يوم القيامة برَتْوة [3] أو رتوتين))**.

* وقال فروة الأشجعى: عن ابن مسعود: **((إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا، ولم يك من المشركين))**. فقلت له: إنما قال الله: **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ﴾** [النحل: ١٢٠] فأعاد قوله: (إن معاذ كان أمة قانتا لله، الآية، وقال: ما الأمة ؟ وما القانت ؟ قلت:

---

(١) يقال: طعن الرجل بالبناء للمجهول فهو طعين، إذا أصابه الطاعون.

(٢) أى: حفر الأنهار، يقال كريت النهر كريا إذا حفرته.

(٣) الرتوة: رمية سهم، و قيل: ميل، و قيل: مد البصر.

الله ورسوله أعلم. قال: الأمة الذى يعلم الخير ويُؤتم به، والقانت المطيع لله عز وجل، وكذلك كان معاذ معلما للخير، مطيعا لله عز وجل ولرسوله[1].

* روى عنه من الصحابة عمر، وابنه عبد الله، وأبوقتادة، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وأبوأمامة الباهلى، وأبوليلى الأنصارى، وغيرهم ومن التابعين: جنادة بن أبى أمية، وعبد الرحمن بن غنم وأبوإدريس الخولانى، وأبومسلم الخولانى، وجبير بن نفير، ومالك بن يخامر وغيرهم.

* وتوفى فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة، وقيل: سبع عشرة، والأول أصح، وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة، وقيل ثلاث ، وقيل: ثمان وعشرون سنة. وهذا بعيد، فإن من شهد العقبة، وهى قبل الهجرة ومقام النبىﷺ بالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة النبىﷺ ثمان سنين، فيكون من الهجرة إلى وفاته ثمانى عشرة سنة، فعلى هذا يكون له وقت العقبة عشر سنين، وهو بعيد جدا. والله أعلم.ا.هـ..

وتعليقى

على ما جاء فى هذه الترجمة ـ المختصرة التى من الممكن أن تكون أطول من هذا ، من واقع المراجع الأخرى:- هوأن معاذًا عليه رضوان الله.. لم يَفُزْ بهذا الخير الذى وقفنا عليه فى الترجمة..والذى من أهمه العلم النافع الذى وصل به إلى درجة الإفتاء على عهد رسول اللهﷺ . (إلا) لأنه كان محبا للعلم.. لدرجة أن رسول اللهﷺ أقسم له بأنه يحبه (فعن) معاذ ـ كما جاء فى نص حديث رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح ـ أن رسول اللهﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ والله إنى لأحبك ثم أوصيك يا معاذ: لا تدعن فى دُبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

* (وشاهدنا) فى هذا الحديث هو قول النبىﷺ لمعاذ: «**يا معاذ والله إنى لأحبك**»، (وحسبه) أن يكون قد فاز بهذا الشرف العظيم الذى ينبغى علينا نحن

(١) أخرجه الطبرى من غير وجه عن ابن مسعود، ينظر تفسيره عند هذه الآية: ١٤ / ١٢٨، ١٢٩.

المؤمنين إن شاء الله أن نتناقش معه فيه..(وذلك) لن يكون إلا بالحرص على طلب النافع الذى كان معاذ رضي الله عنه يرغبنا فيه كذلك كما رغبه رسول الله ﷺ وغيره من الأصحاب عليهم جميعا رضوان الله.

* (فعن) معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعلموا العلم، فإن تَعَلُّمهُ لله خشية، وطَلَبه عبادة، ومذاكرتَه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتَعْليمهُ لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه: معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة أئمة تقتص آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة إلى خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة، الفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال من الحرام، وهوإمام العمل، والعمل تابعه، يُلهَمه السعداء، ويُحرمه الأشقياء».**

رواه ابن عبد البر النمرى فى كتاب العلم من رواية موسى بن محمد عطاء القرشى. حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن الحسن عنه، وقال: هوحديث حسن ولكن ليس له إسناد قوى..(ثم) يقول: وقد رويناه من طرق شتى موقوفا [1] .

* (وهذا) الحديث وإن كان ضعيفا..إلا إنه قد يكون موقوفا على معاذ رضي الله عنه ..وما جاء فيه يقدر الحقائق النورانية التى تتعلق بالعلم وأهله.

* (وقد) قرأت فى (الترغيب والترهيب) ج ١ ص ٩١ بعض الأحاديث الشريفة المرغبة فى طلب العلم، والمؤكدة لهذا الخير الذى وقفنا عليه.

(١) ارجع إلى الترغيب والترهيب للمنذرى ج ١ ص ٩٥، ٩٦.

* (فعن) معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين))**. رواه البخارى ومسلم وابن ماجة، ورواه أبو يعلى وزاد فيه: **((ومن لم يفقهه لم يبال به [1]))**. ورواه الطبرانى فى الكبير، ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((يـا أيها الناس إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماءُ))**.

* (وهذه) الأخيرة فى الحديث، وهى: **((إنما يخشى الله من عبـاده العلمـاء))**: حاصرة تفيد إنه لا يتصف بالخشية من الله إلا العلماء، وذلك لأن الخشية ثمرة العلم، ولهذا كان نبينا ﷺ أشد الناس خشية لله لأنه كان أعلمهم به كما قال هوعن نفسه.

* وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع))**. رواه الطبرانى فى الأوسـط، والبـزار بإسناد حسن.

* (ومعنى) هذا: أن قليل العبادة مع العلم خير من كثير العبادة مـع الجهـل.. فكانت زيادة العلم خيرا من زيادة العبادة.

* (وأما) عن الورع: فهو الزهد والكف عن المحارم واجتناب الشبهات.. وهـو خير شُعَب هذا الدين وأفضلها.

** (فليكن) كل هذا أساسا فى طلبنا للعلم النافع حتى نكون من الذين يحبـهم الله ورسوله كما كانا يحبان معاذا.. الذى ينبغى علينا أن نتشبه به..

والله ولى التوفيق

---

(١) يعنى لم يكترث به وكان عند ربه حقيرا صغيرا كالشىء الذى لا يعبأ به.

٥ – ومن هو العرباض بن سارية ﷺ؟

** إنه[١]: عرباض بن سارية السلمى يكنى أبا نجيح. روى عنه عبد الرحمن عمرو، وجبير بن نغير، وخالد بن معدان وغيرهم، وسكن الشام. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله يَعُرف بابن الشيرجى – الدمشقى وغير واحد قالوا: أخبرنا أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الحافظ، أخبرنا أبو العلاء أحمد بن مكى بن حسنويه الحسنوى، أخبرنا أبومنصور محمد بن أحمد بن على بن شكرويه، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر البردى، حدثنا الأصم، حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى، حدثنا بقية بن الوليد، عن بجير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو، عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل: يا رسول الله، هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ قال: **((أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ))**[٢].

** وتوفى العرباض سنة خمس وسبعين، وقيل توفى فى فتنة ابن الزبير. ا.هـ.

** وهذه هى الوصية رقم (٥) من وصايا الرسول ﷺ التى وردت بنحو هذا..والتى أخرجها أحمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال حسن صحيح...(فارجع) إليها.

وتعليقى

على ما جاء فى الترجمة: هو أنه حسب العرباض بن سارية عليه رضوان الله أن يكون قد نقل إلينا هذا الحديث الشريف..أوهذه الوصية التى يوصينا فيها النبى ﷺ بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين عليهم جميعا رضوان الله..(كما) يحذرنا فيها كذلك من البدع.

** (وقد) ورد فى السنة الشريفة كذلك.

---

(١) كما جاء فى (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب. المجلد الرابع من ١٩، ٢٠. بتصرف..

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الرحمن بن مهدى، عن معاوية بن صالح، عن حمزة بن جنيب، عن عبد الرحمن بن عمرو، أنه سمع العرباض بن سارية، وذكر نحوه. المسند: ٤ / ١٢٦.

* (عن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أكل طيبا**[1] **وعمل فى سنة**[2]**، وأمن الناس بوائقه**[3]**: دخل الجنة»**. رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وغيره، والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد.

* (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **«من تمسك بسنتى**[4] **عند فساد أمتى**[5] **فله أجر مائة شهيد»**. رواه البيهقى من رواية الحسن بن قتيبية، ورواه الطبرانى من حديث أبى هريرة بإسناد، ولا بأس به إلا أنه قال: (**فله أجر الشهيد**).

** (وأما) عن التحدير من ارتكاب البدع والأهواء فقد ورد:

* (وعن) عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهورد»**[6]. رواه البخارى ومسلم وأبو داود ولقطه: (من صنع أمرا على غير أمرنا فهورد) وابن ماجه، وفى رواية لمسلم. **«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

* * (ثم) إذا كان النبى ﷺ قد قال فى ختام الحديث الذى رواه العرباض: **«فإن كل بدعة ضلالة»**:

* (فقد) قرأت فى هامش الترغيب والترهيب ج ١ ص ٧١ ما نصه: (وهذه) قضية كلية صريحة فى الحكم على جميع البدع بأنها ضلالة وفى النار فلا يلتفت إلى قول من يقسمون البدع ويجعلون منها بدعة حسنة. فما شرعه الله من العبادات لا يجوز الزيادة عليه ولا تغيير شئ منه. ا. هـ فلنفهم جميعا كل هذا حتى نكون من أهل السنة..

والله ولى التوفيق

---

(١) أى: حلالا لا شبهة فيه.
(٢) أى: كان عمله موافقا لسنة رسول الله ﷺ بعيدا عن البدع والمحدثات.
(٣) أى: شروره وأذاه.
(٤) أى: حرص عليها والتزم العمل على وقفها.
(٥) أى: عند تغير الحال وفساد الأمور..
(٦) أى: مردود على صاحبه لا يقبل الله منه شيئا لأنه شرع ما لم يأذن به الله والله عز وجل لا يعبد إلا بما شرع.

٦ - ومن هو ابن عباس رضى الله عنهما ؟

** إنه [١]: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشى الهاشمى. ابن عم رسول الله ﷺ، كنى بابنه العباس [٢]، وهو أكبر ولده، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية. وهو ابن خالة بن الوليد.

* وكان يسمى البحر، لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة. ولد والنبى ﷺ وأهل بيته بالشعب من مكة، فأتى به النبى ﷺ فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك، ورأى جبريل عند النبى ﷺ.

* أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغيره، قالوا بإسنادهم إلى محمد بن عيسى السلمى قال: حدثنا بندار ومحمود بن غيلان قالا: حدثنا أبو أحمد، عن سفيان، عن لبث، عن أبى جَهْضم، عن ابن عباس: (**أنه رأى جبريل عليه السلام مرتين، ودعا له النبى ﷺ مرتين**)[٣].

قال: وحدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب الثقفى، حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «**ضمنى رسول الله ﷺ وقال: اللهم علمه الحكمة**»[٤].

* أخبرنا أبو ياسر بن أبى حَبَّه وغير واحد إجازة قالوا: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل ابن أحمد، أخبرنا أبو الحسن بن النقور، أخبرنا المخلص أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد. حدثنا أبو مالك الجنبى، عن جويبر، عن الضاحك عن ابن عباس قال: «**نحن أهل البيت شجرة النبوة، ومختلف الملائكة، وأهل بيت الرسالة، وأهل بيت الرحمة، ومعدن العلم**».

* أخبرنا أبو محمد بن أبى القاسم، أخبرنا أبى، أخبرتنا أم البهاء فاطمة بنت محمد، أخبرنا أبو طاهر الثقفى، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن جعفر

---

(١) كما جاء فى (أسد الغابة) طبعه دار الشعب المجلد الثالث. ص ٢٩ _ ٢٩٤.

(٢) فى المطبوعة. (كنى بابنه) وهو خطأ وينظر كتاب نسب قريش: ٢٦.

(٣) تحفه الأحوذى، كتاب المناقب: ١٠ / ٣٢٦. ويقول الترمذى: هذا حديث مرسل، وأبو جهضم لم يدرك ابن عباس، واسمه موسى بن سالم وقد روى هذا الحديث ابن سعد فى طبقاته: ٢٠/ ٢ / ١٢٣.

(٤) تحفة الأحوذى، كتاب المناقب: ١٠ / ٣٢٧. ويقول الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

الزراد، حدثنا عبد الله بن سعد، حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا ابن الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن عمر كان إذا جاءته الأقضية المعضلة قال لابن عباس: (**إنها قد طرأت** [1] **علينا أقضية وعضل، فأنت لها ولأمثالها**) ثم يأخذ بقوله، وما كان يدعوا لذلك أحدا سواه. قال عبيد الله: (وعمر عمر) يعنى فى حذقه واجتهاد لله وللمسلمين وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان ابن عباس قد فات[2] الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه ما احتيج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، ونائل[3]، وما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا بقضاء أبى بكر وعمرو وعثمان منه، ولا أفقه فى رأى منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن، ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يومًا ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل، ويوما المغازى، ويوما الشعر، ويوما العرب، ولا رأيت عالما قط جَلَس إليه إلا خضع له وما رأيت سائلا (قط) سأله إلا وجده عنده علما.

* وقال ليث بن أبى سليم: قلت لطاوس: لزمت هذا الغلام ــ يعنى ابن عباس ــ وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ ! قال: إنِّى رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارءوا [4] فى أمر صاروا إلى قول ابن عباس.

وقال المعتمر بن سليمان: عن شعيب بن درهم قال: كان هذا المكان ــ وأومأ إلى مجرى الدموع من خديه ــ من خدى ابن عباس مثل الشراك [5] البالى من كثرة البكاء.

* واستعمله على بن أبى طالب على البصرة، فبقى عليها أميرا، ثم فارقها قبل أن يقتل على (ابن أبى طالب)، وعاد إلى الحجاز، وشهد مع علىّ صفين، وكان أحد الأمراء فيها.

---

(١) أى: فاجأتنا وجاءتنا من مكان بعيد.
(٢) فات الناس: أى سبقهم، يقال: جاريته حتى فته: أى سبقته.
(٣) وفى المطبوعة: وتأويل، والمثبت عن الأصل، والطبقات الكبرى لابن سعد: ٢ / ٢ / ١٢٢.
(٤) تدارءوا: أى اختلفوا.
(٥) الشراك: أحد سيور النعل التى تكون على وجهها.

* وروى ابن عباس عن النبيﷺ ، وعن عمر وعلى، ومعاذ بن جبل، وأبى ذر.

* روى عنه عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل، وأبو أمامه بن سهل ابن حنيف، وأخوه كثير بن عباس، وولده على بن عبد الله بن عباس، ومواليه: عكرمة، وكريب، وأبو معبد بن نافذ، وعطاء بن أبى رباح، ومجاهد، وابن أبى مليكة، وعمرو بن دينار، وعبيد بن عمير، وسعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير، وعلى بن الحسين وأبو الزبير ومحمد بن كعب وطاوس، ووهب بن منبه، وأبو الضحى، وخلق كثير غير هؤلاء.

* أخبرنا غير واحد بإسنادهم إلى أبى عيسى (قال): حدثنا أحمد (بن محمد) بن موسى، أخبرنا عبد الله، حدثنا الليث وابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج _ قال الترمذى: وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا أبو الوليد، حدثنا الليث، حدثنى قيس بن الحجاج، المعنى واحد _ عن حنش الصنعانى، عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول اللهﷺ فقال [1]: **((يا غلام، إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلمْ أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)).** [2].

* قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الواقدى، حدثنى بن الحسن بن عطية ابن سعد بن جنادة العوفى القاضى، عن أبيه، عن جده قال: لما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان، ارتحل عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية بأولادهما ونسائهما، حتى نزلوا مكة، فبعث عبد الله بن الزبير إليهما: تبايعان؟ فأبيا وقالا: أنت وشأنك لا نعرض لك ولا لغيرك. فأبى وألح عليهما إلحاحاً شديداً، فقال لهما فيما يقول: لتبايعن، أولأحرقنكم بالنار. فبعثا أبا الطفيل إلى شيعتهم

---

(١) فى تحفة الأحوذى: يوما فقال.

(٢) تحفة الأحوذى، كتاب صفة القيامة: ٧ / ٢١٩، ٢٢٠، وقال الترمذى. هذا حديث حسن صحيح.

بالكوفة وقالا: إنا لا نأمن هذا الرجل فانتدب أربعة آلاف، فدخلوا مكة، فكـــبروا تكبيرة سمعها أهل مكة وابن الزبير، فانطلق هارباً حتى دخل دار الندوة _ ويقـــال: تعلق بأستار الكعبة وقال: أنا عائذ بالبيت _ قال: ثم ملنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما، وهم فى دور قريب من المسجد، قد جُمِع الحطب فأحاط بهم حتى بلغ رءوس الجدر، لو أن نارا تقع فيه ما رؤى منهم أحد، فأخرناه عن الأبواب، وقلنـــا لابن عباس: ذرنا نريح الناس منه فقال: لا، هذا بلد حرام، حرمه الله، ما أحله عـــز وجل لأحد إلا للنبى ﷺ ساعة، فامنعونا وأجيزونا قال: فتحملوا وإن مناديا ينادى فى الخيل: ما غَنمت سرية بعد نبيها ما غنمت هذه السرية [1]، إن السرايا تغنم الذهب والفضة، وإنما غنمتم دماءنا فخرجوا بهم حتى أنزلوهم منىً، فأقاموا ما شـــاء الله، ثم خرجوا بهم إلى الطائف، فمرض عبد الله بن عباس فبينما نحن عنده إذا قال فى مرضه: إنى أموت فى خير عصابة [2] على وجه الأرض، أحبهم إلى الله، وأكـــرمهم عليـــه، وأقربهم إلى الله زلفى، فإنْ مت فيكم فأنتم هم.

* فما لبث إلا ثمانى ليال بعد هذا القول حتى توفى ﷺ، فصلى عليه محمـــد بـــن الحنفية، فأقبل طائر أبيض فدخل فى أكفانه، فما خرج منها حتى دفن معه، فلما سوى عليه التراب قال ابن الحنفية: مات والله حَبر هذه الأمة.

* وكان له لما توفى النبى ﷺ ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة. وتـــوفى سنة ثمان وستين بالطائف، وهو ابن سبعين سنة. وهذا القول غريب.

* وكان يصفر لحيته، وقيل: كان يخضب بالحناء، وكان جميلا أبـــيض طـــويلا، مشربا صفرة، جسيما وسيما صبيح الوجه، فصيحا.

* وحج بالناس لما حصر عثمان، وكان قد عمى فى آخر عمره، فقال فى ذلك:

إن يأخـــذ الله مـــن عـــينى نورهمـــا ... ففى لســـانى وقلـــبى منـــهما نـــور

قلبى ذكى وعقلى غـــير ذى دخـــل ... وفى فمى صارم كالسيف مـــأثور [3]

أخرجه الثلاثة.ا. هــ.

(١) قال فى مختار الصحاح: السرية قطعة من الجيش. يقال: خير السرايا أربعمائة رجل.

(٢) قال فى مختار الصحاح. العصابة بالكسر: الجماعة من الناس والخيل والطير.

(٣) سيف مأثور: أى فى متنه أثر الوشى والزينة.

وتعليقى

على هذه الترجمة المختصرة: هو أن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما كان حبر هذه الأمة ـ أى عالمها وفقيهها ـ لأن النبى ﷺ قد دعا له فقال: «**اللــهم علمــه الحكمة**»، وحسبه أن يكون قد فاز بقبول هذه الدعوة: (وحسبه) كذلك أن يكون من فقهاء المسلمين الذين يرجع إليهم فى المعضلات..(كما) جاء على لسان عمــر ابن الخطاب رضي الله عنه (وقد) قرأت توضيحا لهذا (عن) مجاهد رضي الله عنه أنه قال: بينا نحن أصحاب بن عباس حلق فى المسجد (طاووس، وسعيد بن جبير، وعكرمة) [1] وابــن عباس قائم يصلى، إذ وقف علينا رجل، فقال: هل من مُفْت؟ فقلنا: سل. فقال: إنى كلما بلْت تبعه الماء الدافق. قلنا: الذى يكون منه الولد ؟ قال: نعم. قلنــا: عليــك الغسل. فولى الرجل وهو يُرَجِّع.[2] وعجل ابن عباس فى صلاته، ثم قال لعكرمة: على بالرجل..وأقبل علينا (يعنى ابن عباس) فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل، عــن كتاب الله ؟ قلنا: لا. فعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا: لا. قال فَعمَّه [3] ؟ قلنا: عن رأينا. قال: فلذلك، قال الرسول ﷺ: «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابــد**».. (وجاء) الرجل فأقبل عليه ابن عباس، فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك، أتجد شهوة فى قُبُلك ؟ قال: لا. قال: فهل تجد خدرا فى جسدك ؟ قال: لا. قال: إنما هذه أبرُدة، يجزيك منها الوضوء ـ أى رطوبة فى بدنك يكفيك منها الوضوء. ا.هـــ.

* (فهذا) هو عبد الله بن عباس..رضى الله عنهما ـ الذى مَنَّ الله عليه بالفقه فى الدين (وهذا) معناه أن الله تعالى قد أراد به خيرا..(ففى) الحديث الشريف «**مــن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين**» (مع) ملاحظة كذلك أنه كان على صلة فقهيــة بالقرآن الكريم (وقد) قرأت توضيحا لهذا (أن) أن أعرابيا سأل ابن عباس فقــال له: إن العرب تقول: حب التناهى شطط. خير الأمور الوسط.. (فهل) هذا موجود

---

(١) كما جاء فى (الفقه الواضح) ج ١ ص ٩١، ٩٢.

(٢) أى: يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

(٣) أى: فَعَمَّن، أى: عن من تُفتُون .

فى القرآن ؟ فقال ابن عباس: نعم فى أربعة مواضع، فى قوله تعالى فى وصف بقرة بنى إسرائيل: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، أى وسط بين الكبر والصغر..(وفى) قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ [الإسراء:٢٩]، أى فتوسط بين الأمرين (وفى) قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠]. وهذا السبيل هو الوسط وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان:٦٧]، أى وسطا.ا.هـ.

* (فلنكن) إن شاء الله تعالى من المتشبهين بهذا الرجل العظيم. (ذلك) بدراسة علم الفقه. (وقد) قرأت (فى الفقه الواضح) ج ١ ص ١٥ تحت عنوان:

التعريف بعلم الفقه

أن: علم الفقه يُعنى باستنباط الأحكام الشرعية العملية، من أدلتها التفصيلية، فيُبَيِّن الحلال منها والحرام، والمفروض والمسنون، والمستحب والمكروه، (ويبين) الشروط التى يجب توافرها فى صحة العبادات والمعاملات، والأمور التى تؤدى إلى إفسادها، وغير ذلك (ويكشف) من وراء ذلك كله عن حقيقة الإسلام وسماحته ويسره، ومرونته، ويقيم الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان، وأنه الدين الذى لا تستقر الحياة إلا به، ولا تستقيم الأمور بدونه مهما حاول المُغرضون والملحدون أن يحطوا من شأنه، ويشككوا فى تعاليمه.. إلى أن يقول: وبالجملة فإنَّ علم الفقه هو علم الحياة وإن حاجة الناس إلى علم الفقه كحاجتهم إلى الحياة (فعلى) المسلم أن يتعلم من فقه الإسلام ما يصحح به عباداته، وما يُصحح به وضعه، ويقيم به عوجه....ا.هـ.

والله ولى التوفيق

٧ – ومن هو أبو هريرة ﷺ؟

** إنه[١]: أبو هريرة الدوسى، صاحب رسول الله ﷺ، وأكثرهم حديثا عنه، وهو دوسى من دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد.

قال خليفة بن خياط، وهشام بن الكلبى: اسمه عمير بن عامر بن عبد ذى الشرى ابن طريف بن عتاب بن أبى صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس وقد اختلف فى اسمه اختلافا كثيرا، لم يختلف فى اسم آخر مثله ولا ما يقاربه، فقيل: عبد الله بن عامر وقيل: برير بن عشرقة، ويقال: سكين بن دومة. وقيل عبد شمس، قاله يحيى بن معين، وأبونعيم. وقيل: عبد نهم. وقيل عبد غنم.

* وقال المحرد بن أبى هريرة: اسم أبى: عبد عمرو بن الفلاس: أصح شيءٍ قيل فيه: عبد عمروبن غنم.

وبالجملة فكل ما فى هذه الأسماء من التعبيد فلا شبهة أنها غيرت فى الإسلام، فلم يكن النبى ﷺ يترك اسم أحد: عبد شمس، أو عبد غنم، أوعبد العزى، أو غير ذلك. فقيل. كان اسمه فى الإسلام: عبد الله. وقيل: عبد الرحمن.

* وقال الهيثم بن عدى: كان اسمه فى الجاهلية: عبد شمس، وفى الإسلام عبد الله.

وقال ابن إسحاق: قال لى بعض أصحابنا عن أبى هريرة: كان اسمى فى الجاهلية: عبد شمس، فسمانى رسول الله ﷺ: عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبى هريرة لأنى وجدت هرة فحملتها فى كمى، فقيل لى: أنت أبو هريرة.

* وقيل: رآه رسول الله ﷺ وفى كمه هرة: فقال: يا أبا هريرة.

* وأخبرنا غير واحد بإسنادهم عن الترمذى قال: حدثنا أحمد بن سعيد المرابطى، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أسامة بن زيد، عن عبد الله بن رافع قال: قلت لأبى هريرة: لم اكتنيت بأبى هريرة ؟

قال: أما تَفْرق منِّى [٢] ؟ قلت: بلى، والله إنى لأهابك. قال: كنت أرعى غنم أهلى، وكانت لى هَريرة صغيرة فكنت أضعها بالليل فى شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معى، فلعبت بها، فكنونى أبا هريرة. وكان من أصحاب الصُّفة.

---

(١) كما جاء فى (أسد الغابة) طبقة دار الشعب المجلد السادس ص ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) أى: أما تخاف منى ؟!

* وقال البخارى: اسمه فى الإسلام عبد الله. ولولا الاقتداء بهم لتركنا هذه الأسماء فإنها كالمعدوم، لا تفيد تعريفا، وإنما هو مشهور بكنيته.

* وأسلم أبو هريرة عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه وواظب عليه رغبة فى العلم فدعا له رسول الله ﷺ.

* أخبرنا إبراهيم وغيره عن أبى عيسى: أخبرنا أبو موسى، أخبرنا عثمان بن عمر. أخبرنا ابن أبى ذئب، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قالت يا رسول الله أسمع منك أشياء فلا أحفظها ؟ قال: ابسط رداءك. فبسطته.. فحدث حديثا، فما نسيت شيئا حدثنى به.

* قال: وحدثنى الترمذى: أخبرنا هشيم، أخبرنا يعلى بن عطاء، عن الوليد بن عبد الرحمن، عن ابن عمر أنه قال لأبى هريرة: أنت كنت أَلْزَمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه. رضي الله عنه

* أخبرنا أبو الفرج بن أبى الرجاء أخبرنا أبو الفتح إسماعيل بن الفضل بن أحمد ابن الإخشيد، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم، أخبرنا أبو حفص الكنانى، أخبرنا زهير بن حرب، أخبرنا سفيان بن عُيينة، عن الزهرى، عن الأعرج قال: سمعت أبا هريرة قال: إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ والله الموعد، كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطنى، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق فى الأسواق. وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، وقال رسول الله ﷺ: **«من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى»** فبسطت ثوبى حتى قضى حديثه، ثم ضممته إلىَّ، فما نسيت شيئا سمعته بعد [1].

أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن غيلان، أخبرنا أبو بكر، حدثنا جعفر بن محمد ابن الشاكر الصائغ، أخبرنا عفان، أخبرنا حماد بن سلمة، أخبرنا أبو سنان، عن عثمان بن سودة، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«إذا دعا الرجل أخاه أو زاره: قال الله عز وجل طبتَ وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا»**.

(١) أخرجه البخارى بإسناده إلى الزهرى بنحوه.. وكذلك أخرجه مسلم بإسناده إلى زهير بن حرب.. وانظر مسند الإمام أحمد: ٢ / ٢٤، ٢٧٤.

قال البخارى: روى عن أبى هريرة أكثر من ثمانمائة رجل مِنْ صاحبٍ وتابعٍ، فمن الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وأنس، ووائلة بن الأسقع.

* واستعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم أراده على العمل فامتنع، وسكن المدينة، وبها كانت وفاته.

* وقال الخليفة: توفى أبو هريرة سنة سبع وخمسين.

* وقال الهيثم بن عدى توفى سنة ثمان وخمسين.

(وقال الواقدى: توفى سنة تسع وخمسين). وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

فقيل: مات بالعقيق وحمل إلى المدينة، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وكان أميرًا على المدينة لعمه معاوية بن أبى سفيان أخرجه أبو نعيم، وأبو موسى مختصرا، وأخرجه أبو عمر مطولا.

وتعليق

على ما جاء فى هذه الترجمة المختصرة عن (صاحب رسول الله ﷺ) أبى هريرة رضي الله عنه، هو أنه كان فى حرص دائم على ملازمة الرسول ﷺ، وكان أكثرهم حفظا لحديثه صلوات الله وسلامه عليه.. (ولا سيما) بعد أن قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنى أسمع منك أشياء فلا أحفظها ؟ فقال له: ابسط رداءك. فبسط رداءه.. يقول: فحدَّث حديثا فما نسيت شيئا حدثنى به.

* (ولهذا) كان عليه رضوان الله من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ لأنه كان يلازمه ملازمه تامة.. (وقد) بلغ ما رواه من الحديث: خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وستون حديثا..

(ومن) مناقبه [1] رضي الله عنه أنه قال: (كنت أدعو أمى إلى الإسلام، فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره [2]، قال: فذهبت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكى من شدة الحزن والألم، فلما رآنى قال: **«مالك يا أبا هريرة ؟»** قلت: يا رسول الله: كنت

(١) المنقبة، وجمعها مناقب: ضد المثلبة، والمناقب والفضائل بمعنى واحد.

(٢) أى: أنها شتمت الرسول ونالت منه.

أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى على، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره، فادْعُ الله أن يهدى قلبها للإسلام، فقال النبى ﷺ: **«اللهم اهد قلب أم أبى هريرة للإسلام»** قال: فخرجت مستبشرا بدعوة رسول الله ﷺ، فلما وصلت البيت أردت الدخول، فقالت على رسلك [1] يا أبا هريرة، قال، وسمعت خشخشة الماء، فلبست ثوبها ثم فتحت لى الباب وهى تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله).

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكى من شدة الفرح، فقلت: يا رسول الله أبشر فقد استجيبت دعوتك، وهدى الله أم أبي هريرة للإسلام..فَحمد الرسول ربه وأثنى عليه، فقلت: يا رسول الله ادع الله لى ولأمي أن يحببنا إلى المسلمين، ويحبب المسلمين إلينا..(فدعا له) الرسول ﷺ: .(قال): فما رآني أحد ولا سمع بى مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني أنا وأمي [2].

* (وحتى) نعرف كيف كان أبو هريرة صاحب ذاكرة قوية فى حفظ أحاديث الرسول ﷺ (فقد) قرأت فى كتاب (رجال حول الرسول) أن مروان ابن الحكم أراد يوما ما أن يبلو مقدرة أبى هريرة على الحفظ، فدعاه إليه وأجلسه معه، وطلب منه أن يحدثه عن رسول الله ﷺ، بينما أجلس كاتبه وراء حجاب، وأمره أن يكتب كل ما يقوله أبو هريرة..

(وبعد) مرور عام، دعاه مروان مرة أخرى، وأخذ يستقرئه نفس الأحاديث التى كان كاتبه قد سطرها، فما نسى (أبو هريرة) كلمة منها !!.

* (وكان) يقول عن نفسه: (ما من أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثا عنه منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب، ولا أكتب).
* (وقال) عنه الإمام الشافعى رضي الله عنه: (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره).
* (وقال) البخارى رضي الله عنه: (روى عن أبى هريرة نحوا من ثمانمائة أو أكثر من الصحابة والتابعين وأهل العلم).

---

(١) أى: لا تتعجل بالدخول على، انتظر.

(٢) بسبب دعوة الرسول ﷺ بأن يهدى الله قلبها للإسلام.

** (وأحب) أن أسجل هنا بعض الأحاديث الصحيحة التى رواها أبو هريرة رضي الله عنه كما جاء فى كتاب: (رياض الصالحين) للإمام النووى رحمه الله.

* (فعن) أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**». رواه مسلم.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: (**ما لعبدي المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**). رواه البخارى.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يُصِب منه**». رواه البخارى.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**». متفق عليه.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصنى، قال: «**لا تغضب**» فردد مرارا قال: «**لا تغضب**». رواه البخارى.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى المرء ما حرم الله عليه**». متفق عليه.

* (وكان) أبو هريرة رضي الله عنه[1] من العابدين الأوابين، يتناوب مع زوجته وابنته قيام الليل كله...فيقوم هو ثلثه، وتقوم زوجته ثلثه، وتقوم ابنته ثلثه..وهكذا لا تمر من الليل ساعة إلا وفى بيت أبى هريرة عبادة وذكر وصلاة !!

* (وفى) سبيل أن يتفرغ لصحبة الرسول ﷺ عانى من قسوة الجوع ما لم يعان مثله أحد..

* (وإنه) ليحدثنا كيف كان الجوع يعض أمعاءه ويشد على بطنه حجرا، ويعتصر كبده بيديه، ويسقط فى المسجد وهو يتلوى حتى يظن بعض أصحابه أن به صرعا، وما هو بمصروع..!!

* (وعاش) أبو هريرة عابدا، ومجاهدا...لا يتخلف عن غزوة ولا عن طاعة..

---

(١) كما جاء فى (رجال حول الرسول) ﷺ.

(وفى) خلافة (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه ولاه إمارة البحرين...(وحين) ولى (أبو هريرة) البحرين ادخر مالا، من مصادره الحلال، وعلم عمر..فدعاه إلى المدينة..لأن عمر كان شديد المحاسبة لولاته _ إذا ولى أحدهم وهو يملك ثوبين، فيجب أن يترك الولاية يوم يتركها وهو لا يملك من دنياه سوى ثوبين..ويكون من الخير أن يتركها وليس له سوى ثوب واحد..!!.

(أما) إذا خرج من الولاية وقد ظهرت عليه أعراض ثراء، فإنه آنئذ لا يفلت من حساب عمر، مهما يكون مصدر ثرائه حلالا ومشروعا !!.

*(ولندع) أبو هريرة يروى ما جرى بينهما من حوار سريع:

(قال لى عمر: يا عدوَّ الله، وعدوَّ كتابه، أسرقت مال الله ؟ قلت: ما أنا بعدو الله، ولا عدو لكتابه..و لكنْ عدوُّ مَنْ عاداهما..ولا أنا من يسرق مال الله ! قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف..؟ قلت: خيل لى تناسلت، وعطايا تلاحقت..قال عمر: فادفعها إلى بيت المسلمين..)!!

*(ودفع) أبو هريرة المال إلى عمر، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم اغفر لأمير المؤمنين)..

*(وبعد) حين دعا عمر أبا هريرة، وعرض عليه الولاية من جديد، فأباها واعتذر عنها.

(قال له عمر) ولماذا..؟ قال أبو هريرة: حتى لا يُشتم عرضي، ويُؤخذ مالى، ويُضرب ظهري..

(ثم) قال: وأخاف أن أقضي بغير علم، وأقول بغير علم...

*(وذات) يوم، اشتد شوقه إلى لقاء الله..وبينما كان عواده يدعون له بالشفاء من مرضه كان هو يُلح على الله قائلا: (اللهم أُحبُّ لقاءك فأحِبَّ لقائي)..

*(وعن) ثماني وسبعين سنة مات فى العام التاسع والخمسين للهجرة...(وبين) ساكني البقيع الأبرار تبوأ جثمانه الوديع مكانا مباركا، وبينما كان مشيعوه عائدين من جنازته، كانت ألسنتهم ترتل الكثير من الأحاديث التى حفظها لهم عن رسولهم الكريم.. ﷺ.ورضى الله عن أبى هريرة والصحابة أجمعين..

اللهم آمين

٨- ومن هو سلمان الفارسي ﷺ؟

** إنه[1]: سلمان الفارسي، أبو عبد الله، ويعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ، وسئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام. أصله من فارس، من رامهرمز، وقيل: إنه من جى، وهى مدينة أصفهان، وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن بوذخشان بن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهرك، من ولد آب الملك.

* وكان ببلاد فارس مجوسيا سادن النار، وكان سبب إسلامه ما أخبرنا أبو المكارم منصور بن أحمد بن سعد المؤدب، أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد بن صفوان المعدل، أخبرنا أبو البركات سعد بن محمد بن إدريس، والخطيب أبو الفضائل الحسين ابن هبة الله، قالا: أخبرنا أبو الفرج محمد بن إدريس، أخبرنا أبو منصور المظفر بن محمد الطوسى، أخبرنا أبو زكرياء يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدى الموصلى، أخبرنا على بن جابر، أخبرنا يوسف بن بهلول، أخبرنا عبد الله بن إدريس، حدثنا محمد بن إسحاق (ح) قال أبو زكرياء: وأخبرنا عمران بن موسى، أخبرنا جعفر بن محمد الثقفى، أخبرنا زياد بن عبد الله البكائى، عن بن إسحاق، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس (ح) قال أبو زكرياء: و حدثنا عبد الله بن غنام بن حفص بن غياث، و أخبرنا نمير أخبرنا يونس، عن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس (ح) قال أبو زكرياء: وحدثنا عبد الله بن غنام بن حفص بن غياث، وأخبرنا نمير، أخبرنا يونس، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد عن ابن عباس، قال: حدثنى سلمان قال: كنت رجلا من أهل فارس من أصبهان، من جى، ابن رجل من دهاقينا ــ وفى حديث ابن إدريس: وكان أبى دهاقينها [2] أرضه، وكنتُ أَحبُّ الخلق إليه ــ وفى حديث البكائى: أحب عباد الله إليه، فأجلسنى فى البيت كالجوارى، فاجتهدت فى الفارسية ــ وفى حديث على بن جابر: فى المجوسية ــ فكنت فى النار

(١) كما جاء فى أسد الغابة..طبعة دار الشعب..المجلد الثانى ص ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١.
(٢) الدهقان: رئيس المدينة، أو رئيس الإقليم. (المعجم الوجيز) ص ٢٣٦.

التى توقد فلا تخبو، وكان أبى صاحب ضيعة، وكان بناء يعالجه ــ زاد ابن إدريس فى حديثه: فى داره ــ فقال لى يوما: يا بُنى، قد شغلنى ما ترى فانطلق إلى الضيعة، ولا تحتبس فتشغلنى عن كل ضيعة بهمى بك، فخرجت لذلك فمررت بكنيسة النصارى وهم يصلون، فملتُ إليهم وأعجبنى أمرهم، وقلت: هذا والله خير من ديننا. فأقمت عندهم حتى غابت الشمس، لا أنا أتيت الضيعة، ولا رجعت إليه، فاستبطأنى وبعث فى طلبى، وقد قلت للنصارى حين أعجبنى أمرهم: أين أصل هذا الدين ؟ قالوا: بالشام.

* فرجعت إلى والدى، فقال: يا بنى، قد بعثت إليك رُسُلاً، فقلت: مررت بقوم يصلون فى كنيسة، فأعجبنى ما رأيت من أمرهم، وعلمت أن دينهم خير من ديننا. فقال يا بنى دينك ودين آبائك خير من دينهم. فقلت: كلا والله فخافنى وقيدنى. فبعثت إلى النصارى وأعلمتهم ما وافقنى من أمرهم، وسألتهم إعلامى من يريد الشام، ففعلوا فألقيت الحديد من رجلى، وخرجت معهم، حتى أتيت الشام فسألتهم عن عالمهم، فقالوا: الأسقف فأتيته، فأخبرته، وقلت: أكون معك أخدمك وأصلى معك؟

قال: أقم. فمكثت مع رجل سوء فى دينه، كان يأمرهم بالصدقة، فإن أعطوه شيئا أمسكه لنفسه، حتى جمع سبع قلال مملوءة ذهبا ووَرِقًا [(١)]، فتوفى فأخبرتهم بخبره، فزبرونى[(٢)] فدللتهم على ماله فصلبوه، ولم يُغيِّبوه [(٣)] ورجموه، وأحلوا مكانه رجلا فاضلا فى دينه زهدا ورغبة فى الآخرة وصلاحا فألقى الله حبه فى قلبى، حتى حضرته الوفاه فقلت له: أوصنى فذكر رجلا بالموصل وكنا على أمر واحد حتى هلك.

* فأتيت الموصل، فلقيت الرجل، وأخبرته بخبرى، وأن فلانا أمرنى بإتيانك، فقال: أقم، فوجدته على سبيله وأمره حتى حضرته الوفاة، فقلت له: أوصنى، فقال: ما أعرف أحدا على ما نحن عليه إلا رجلا بَعمُّوريَّة.

* فأتيته بعمورية، فأخبرته بخبرى، فأمرنى بالمقام وثاب لى شىء، واتخذت غنيمة وبقيرات، فحضرته الوفاة فقلت: إلى من توصى بى؟ فقال: لا أعلم أحدا اليوم على مثل ما كنا عليه، ولكن قد أظلك نبى يبعث بدين إبراهيم الحنيفية، مهاجره بأرض

---

(١) الورق بكسر الراء: الدراهم المضروبة من الفضة.
(٢) زبره: أى نهره.
(٣) أى: لم يدفنوه.

ذات نخل، وبه آيات وعلامات لا تخفى، بين منكبيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت فتخلص إليه: فتوفى.

* فمر بى ركب من العرب، من كلب، فقلت: أصحبكم وأعطيكم بقراتى وغنمى هذه، وتحملونى إلى بلادكم ؟ فحملوني إلى وادى القرى، فباعونى من رجل إلى اليهود، فرأيت النخل، فعلمت أنه البلد الذى وصف لى، فأقمت عند الذى اشترانى، وقدم عليه رجل من بنى قريظة فاشترانى منه وقدم بى المدينة، فعرفتها بصفتها، فأقمت معه أعمل فى نخله، وبعث الله نبيه ﷺ، وغفلت عن ذلك حتى قدم المدينة، فنزل فى بنى عمرو بن عوف،

فإنى لفى رأس نخلة إذا أقبل ابن عمٍّ لصاحبى، فقال: أى فلان، قاتل الله بنى قيلة[1]، مررت بهم آنفا وهم مجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة، يزعم أنه نبى، فوالذى نفسى بيده ما هو إلا أن سمعتها، فأخذنى القر [2] ورجعت بى النخلة، حتى كدت أن أسقط، ونزلت سريعا، فقلت: ما هذا الخبر ؟ فلكمنى صاحبى لكمة، وقال: وما أنت وذاك ؟ أقبل على شأنك.

فأقبلت على عملى حتى أمسيت، فجمعت شيئا فأتيت به، فقلت: اجتمع عندى، وأردت أن أتصدق به، فبلغنى أنك رجل صالح، ومعك رجال من أصحابك ذوو حاجة، فرأيتكم أحق به، فوضعته بين يديه، فكف يديه، وقال لأصحابه: كلوا. فأكلوا،

فقلت: هذه واحدة، ورجعت. وتحول إلى المدينة، فجمعت شيئا فأتيت به، فقلت: أحببت كرامتك فأهديت لك هدية، وليست بصدقة، فمد يديه فأكل، وأكل أصحابهُ، فقلت: هاتان اثنتان، ورجعت. فأتيته وقد تبع جنازة فى بقيع الغرقد، وحوله أصحابه، فسلّمت، وتحولت أنظر إلى الخاتم فى ظهره، فعلم ما أردت، فألقى رداءه، فرأيت الخاتم فقبلته، وبكيت،

---

(١) يريد الأوس والخزرج، قبيلتى الأنصار، وقيلة: اسم أم لهم قديمة.

(٢) القر: أى البرد.

فأجلسني بين يديه، فحدثته بشأني كله كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجبه ذلك، وأحب أن يسمعه أصحابه. ففاتني معه بدر وأحد بالرِّق، فقال لى: كاتِب يا سليمان عن نفسك، فلم أزل بصاحبى حتى كاتبته، على أن أغرس له ثلثمائة ودية [1] وعلى أربعين أوقية من ذهب، فقال النبى ﷺ: **((أعينوا أخاكم بالنخل))**، فأعانونى بالخمس والعشر، حتى اجتمع لى، فقال لى: **((فنقِّر [2] لها ولا تضع منها شيئا حتى أضعه بيدى))**، ففعلت، فأعانني أصحابى حتى فرغت، فأتيته فكنت آتيه بالنخلة فيضعها، ويسوى عليها ترابا، فانصرف، والذى بعثه بالحق فما ماتت منها واحدة، وبقى الذهب، فبينما هو قاعد إذ آتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة، من ذهب أصابه من بعض المعادن، فقال: **((ادْعُ سلمان المسكين الفارسى المكاتب))**، فقال: **((أدِّ هذه))**، فقلت: يا رسول الله، وأين تقع هذه مما على؟ وروى أبو الطفيل، عن سلمان، قال: أعانني رسول الله ﷺ ببيضة من ذهب، فلو وُزِنت بأُحُد لكانت أثقل منه.

* وقيل: إنه لقى بعض الحواريين، وقيل إنه أسلم بمكة، وليس بشىء.

* وأول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، و لم يتخلف عن مشهد بعد الخندق، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى الدرداء.

* أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، قال: أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد القارى.

* أخبرنا الحسن بن أحمد شاذان، أخبرنا أحمد بن عثمان بن أحمد السماك، أخبرنا يحيى بن جعفر، أخبرنا حماد بن مسعَدة، أخبرنا ابن أبى ذئب، عن سعيد بن أبى سعيد، عن عبد الله بن وديعة، عن سلمان الفارسى أن النبى ﷺ قال: **((من اغتسل يوم الجمعة فتطهر بما استطاع من الطُّهر، ثم ادَّهن من دُهنه أو من طيب بيته، ولم يفرق بين اثنين، فإذا خرج الإمام أنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى))**. رواه آدم ابن أبى إياس، عن أبى ذئب، عن سعيد، عن أبيه، عن ابن وديعة، عن سلمان. ورواه ابن عجلان، عن سعيد، عن أبيه، عن ابن وديعة، عن أبى ذر.

---

(١) الودية: النخلة الصغيرة.

(٢) نقر لها: أى حفر لها موضعا تغرس فيه.

* وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران، وإسماعيل بن على بن عبيد الله، وأبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن على بإسنادهم إلى محمد بن عيسى السلمى، قال: حدثنا سقيا بن وكيع، أخبرنا أبى، عن الحسن بن صالح، عن أبى ربيعة الإيادى، عن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: على وعمار وسلمان))**.

* وكان سلمان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم، وذوى القرب من رسول الله ﷺ، قالت عائشة: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ بالليل، حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ.

* وسُئل علىٌّ عن سلمان، فقال: عَلِم العلم الأول والآخر، وهو بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت.

* وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين سلمان وأبى الدرداء، وسكن أبو الدرداء الشام، وسكن سلمان العراق، فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: سلام عليكم، أما بعد، فإن الله رزقنى بعدك مالا وولدا، ونزلت الأرض المقدسة.

فكتب إليه سلمان: سلام عليكم، أما بعد، فإنك كتبت إلى أن الله رزقك مالا وولدا، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يكثر حلمك، وأن ينفعك علمك، وكتبت إلى أنك نزلت الأرض المقدسة، وإن الأرض لا تعمل لأحد، اعمل كأنك تَرَى، واعدُد نفسك من الموتى.

* وقال حذيفة لسلمان: ألا نبنى لك بيتا ؟ قال: لم ؟ لتجعلنى ملكا وتجعل لى دارا مثل بيتك الذى بالمدائن، قال: لا، ولكن نبنى لك بيتا من قصب ونسقفه بالبردىِّ، إذا قمتَ كاد أن يصيب رأسك، وإذا نمتَ كاد أن يصيب طرفيك، قال: فكأنكَ كنت فى نفسى.

* وكان عطاؤه خمسة آلاف فإذا خرج عطاؤه فرقه، وأكل من كسب يده، وكان يسف الخوص[1].

---

(١) سف الخوص: أى نسجه.

* وهو الذى أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب، فلما أمر رسول الله ﷺ بحفره احتج _ المهاجرون والأنصار فى سلمان، وكان رجلا قويا، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ : **((سلمان منا أهل البيت))**.

* وروى عنه عن ابن عباس، وأنس، وعقبة بن عامر، وكعب بن عجرة، وأبو عثمان النهدى، وشرحبيل بن السمط، وغيرهم. أخبرنا أبو منصور السِّيْحى، أخبرنا أبو البركات محمد بن محمد بن خميس، أخبرنا أبو منصور بن طوق، أخبرنا أبو القاسم بن المرجى، أخبرنا أبو يعلى الموصلى، أخبرنا محمد بن الصباح، حدثنا جدير، عن منصور بن إبراهيم، عن علقمة، عن قَرْثَع الضبى، عن سلمان الفارسى، قال: قال لى رسول الله ﷺ : **((هل تدرى ما يوم الجمعة ؟))** قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **((هو الذى جمع الله عز وجل فيه آبائكم، أو أباك، آدم عليه السلام، ما من عبد يتطهر يوم الجمعة ثم يأتى لا يتكلم، حتى يقضى الإمام صلاته إلا كان كفارة لما قبلها))**.

* وتوفى سنة خمس وثلاثين، فى آخر خلافة عثمان، وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل: توفى فى خلافة عمر، والأول أكثر.

* قال عباس بن يزيد: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلثمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه.

* قال أبو نعيم: كان سلمان من المعمرين، يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم !! وقرأ الكتابين [1]، وكان له ثلاث بنات: بنت بأصبهان، وزعم جماعة أنهم من ولدها، وابنتان بمصر. أخرجه الثلاثة.

** وقد جاء فى (سير أعلام النبلاء للذهبى) وقد فتشت فما بصرت فى سنه لشىء سوى قول البحرانى: وذلك لا إسناد له.. (ص ٥٥٥ ج ١).

** وذكر الذهبى قصة مرض سلمان نقلها من كتاب العلل لابن أبى حاتم قال فى آخرها أبو حاتم.. وهذا يوضح لك أنه من أبناء الثمانين. (ص ٥٥٦ ج ١) والله أعلم.

---

(١) الكتابان: الإنجيل والقرآن.

وتعليقي

على أهم ما جاء في هذه الترجمة عن سلمان الفارسي رضي الله عنه هو أولا: حول قوله عن نفسه وعن نسبه متباهيا بهذا: (أنا سلمان بن الإسلام)، فإن قولا كهذا معناه أنه قد فاز بشرف هذا الانتساب الذى لابد وأن نفخر به جميعا.. كما يقول أحـــدهم مشيرا إلى هذا ومفتخرا به:

أبي الإســــلام لا أبَ لي ســـــواه   إذا افتخــــروا بقــــيس أو تمــــيم

*(وذلك) [1] لأن الإسلام هو الدين الحنيف الذى هو دين الله الـــذى ارتضـــاه لعباده (قال) تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقـــال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

*(فما) من نبى ولا رسول إلا دان بهذا الدين وأسلم وجهه لله رب العالمين، وأمر قومه بذلك، والقرآن خير شاهد على هذا..اقرأ على سبيل المثال قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧: ١٣٢].

*(وقال) عن لوط وبنيه فى سورة الذاريات: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات ٣٥: ٣٦].

---

(١) كما جاء فى (الفقه الواضح) ج ١ ص ٥، ٦، ٧.

* (وحكى) سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران عن الحواريين أتباع عيسى بن مريم فقال: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢].

* (وقال) جل وعلا فى سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

* (وقال) عز من قائل فى سورة الروم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

* (هذا) مع ملاحظة أنه لكى يتحقق الإسلام هذا _ بالنسبة لنا _ بل وحتى نكون فعلا من أبنائه فإننا لابد وأن ننفذ جميع أركان الإسلام تنفيذا عمليا..(فعن) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**» أخرجه البخارى ومسلم.

* (وأعنى) بالتنفيذ العملى..أن يكون التنفيذ هذا على أساس من الإيمان والإحسان .. لأن الإسلام فى مجموعه يُطلق على الإسلام والإيمان والإحسان .. (ويصح) أن يطلق كل واحد من هذه الثلاثة عليه فيسمى إسلاما.

* (وأيضا) لكى تكون مسلما لا مُتَمسْلمًا .. (فإنك) لابد وأن تنفذ المراد من قول الرسول رسول الله ﷺ: «**المسلم**»: أى المسلم الكامل: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، وإلا فإن إسلامك يكون إسلاما صوريا ... لا حقيقيا.

* * (ثم) بعد ذلك أعلق ثانيا على المعنى المراد من قول الرسول رسول الله ﷺ عن سلمان: «**سلمان منَّا أهل البيت**»، فإن قولا كهذا معناه أن سلمان قد فاز بشرف عظيم سيظل يُذكر به ما دامت هناك حياة على وجه الأرض.

(بل) وسيكون سببا فى أنه سيحشر يوم القيامة مع آل بيت الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. الذين نصلى عليهم فى جميع صلواتنا .. فى قولنا فى التحيات: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..**».

* (ثم) إذا كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد قال هذا عن: (سلمان

الفارسى) الذى هو من بلاد الفرس .. التى لا تمت إلى جزيرة العرب بصلة، فإن هذا معناه أن النبى رسول الله ﷺ قد فتح باب الانتساب إلى أهلـه علـى مصـراعيه.. (وذلك) حتى نحرص نحن كذلك على الفوز بهذا الشرف العظيم بحسن الانتساب إلى الإسلام بالأفعال لا بالأقوال (فقد) ورد فى الحديث الشريف: **((أنا جَدُّ كُلِّ تَقىٍّ))**.

* (وأعنى) بهذا كذلك أن هناك من ينتسب إلى الإسلام انتسابا يسـىء إلى الإسلام وأهله..

(وقد) قرأت أن عالما من علماء (التكنولوجيا) فى فرنسا قرأ أكثر الكتب المتعلقـة بالأديان المنتشرة فى العالم .. (وبعد) دراسة مستفيضة اقتنع أخيرا بأن الإسلام هـو الدين الصحيح.. فأسلم.. (ثم) أراد بعد ذلك أن يرى المسلمين وبلادهم.. فسافر إلى بلد من بلاد المسلمين التى زحفت الحضارة المزيفة إليها... فلما كان هناك فى هـذا البلد المشار إليه.. رأى ما أحزنه وآلمه.. من عُرْى وفساد وإفسـاد.. وانحطـاط فى الأخلاق.. إلخ، فبكى الرجل ثم قرَّر العودة إلى بلاده وهو يقول: الحمـد لله الـذى جعلنى مسلما قبل أن أرى المسلمين !!.

(هذا) وإذا كان الأخ المسلم من آل بيت الرسول ﷺ فعلا.. أو إذا كـان قـد استطاع بتوفيق من الله تبارك وتعالى أن يكون منهم بحسن الانتساب إلى الإسـلام، وبحبه الصادق لرسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم جميعا رضوان الله..

* (فإنه) ينبغى عليه أن لا يَتَّكل على هذا.. وإنما لابد وأن يكون مستمرًّا فى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلوات الله وسلامه عليه كآبائه وأجداده الصالحين.. كمـا يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

إنـا وإن كرمـت أوائلنـا ... لسـنا علـى الأحْسَـاب نتكـل
نـبنى كمـا كانـت أوائلنـا ... تـبنى ونفعـل مثـل مـا فعلـوا

والله ولى التوفيق

٩- ومن هو عبادة بن الصامت ﷺ؟

* * إنه [1]: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن قوقل، واسمه: غَنْم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج، الأنصارى الخزرجى، أبو الوليد، وأمه: قرة العين بنت عبادة بن نضْلة بن مالك بن العجلان.

* شهد العقبة الأولى والثانية، وكان نقيبا على القواقل بنى عوف بن الخزرج، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أبى مرثد الغنوى، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله النبى ﷺ على بعض الصدقات، وقال له: «**اتق الله، لا تأتى يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة لها ثواج**» ! قال: فوالذى بعثك بالحق لا أعمل على اثنين.

* قال محمد بن كعب القرظى: جمع القرآن فى زمن النبى ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبى بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء.

* وكان عبادة يُعلّم أهل الصُّفة القرآن، ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب، وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء، ليعلموا الناس القرآن بالشام ويفقهوهم فى الدين، وأقام عبادة بحمص، وأقام أبو الدرداء بدمشق، ومضى معاذ إلى فلسطين، ثم سار عبادة بعد إلى فلسطين، وكان معاوية خالفه فى شيء أنكره عبادة، فأغلظ له معاوية فى القول، فقال عبادة: لا أساكنك بأرض واحدة أبدا، ورحل إلى المدينة، فقال عمر: ما أقدمك ؟ فأخبره، فقال: ارجع إلى مكانك، فقبح الله أرضا لست فيها أنت ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك عليه.

* روى عنه أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وفضالة بن عبيد، والمقدام بن معد يكرب، وأبو أمامة الباهلى، ورفاعة بن رافع، وأوس بن عبد الله الثقفى.

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن أبى بكر الخطيب الكُشمِهَنى وولده أبو البديع محمود، والقاضى سليمان بن داود بن محمد بن الحسن بن خالد الموصلى، أخبرنا أبو منصور محمد بن على بن محمود المروزى، حدثنا جدى أبو غانم أحمد بن على بن الحسين الكراعى، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن الحسين البصرى، قال: قرئ

(١) كما جاء فى (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) طبعة الشعب.. المجلد الثالث: ص ١٦٠، ١٦١.

على الحارث ابن أبى أسامة: حدثنا عبد الوهاب، هو ابن عطاء، أخبرنا سعيد، عن قتادة، عن مسلم بن يسار، عن أبى الأشعث الصنعانى، عن عبادة بن الصامت، وكان عقبيا بدريا، أحد نقباء الأنصار: بايع رسول الله ﷺ على أن لا يخاف فى الله لومة لائم، فقام فى الشام خطيبا فقال: يا أيها الناس، إنكم قد أحدثتم بيوعا لا أدرى ما هى ؟ ألا إن الفضة بالفضة وزنا بوزن، تبرها وعينها، والذهب بالذهب وزنا بوزن، تبره وعينه، ألا ولا بأس ببيع الذهب بالفضة يدا بيد، والفضة أكثرها، ولا يصلح نسيئُه، ألا وإن الحنطة بالحنطة مُدْيًا بمُدْي [1]، والشعير بالشعير مُدْيًا بمُدْى، ألا ولا بأس ببيع الحنطة بالشعير، والشعير أكثرهما يدًا بيد، ولا يصلح نسيئه، والتمر بالتمر مديا بمدى، والملح بالملح مديا بمدى، فمن زاد أو ازداد فقد أربى.

* وتوفى عبادة سنة أربع وثلاثين بالرملة، وقيل: بالبيت المقدس، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وكان طويلا جسيما جميلا. وقيل: توفى سنة خمس وأربعين أيام معاوية، والأول أصح. أخرجه الثلاثة. ا . هـ.

وتعليقى

على ما جاء فى هذه الترجمة عن (عبادة بن الصامت) رضي الله عنه، هو أنه كما قرأنا كان رجلا فقيها.. (ولهذا) فقد وقف خطيبا فى بلاد الشام.. وأخذ يحذر الناس من البدع التى أحدثوها فى البيع والشراء بتلك الصورة الربوية التى تخالف ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الفضلاء _ (وهو) يعلمهم كذلك كيف يكون بيع الذهب بالفضه يدا بيد... والحنطة بالحنطة مديا بمدى... إلى آخر ما جاء فى نص الخطبة التى ينبغى أن تكون موضوع دراسة فى جميع دور العلم النافع

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عُرف الحلال من الحرام

(ولقد) كان ممن يعلم أهل الصفة القرآن. ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر ابن الخطاب مع من أرسله من الأصحاب ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في الدين.. (وكان) من الأنصار الخمسة الذين جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ.

(وكان) أميناً.. ولهذا فقد استعمله النبي ﷺ على بعض الصدقات.. إلى ما

(١) أى: مكيال بمكيال، والمدى: مكيال لأهل الشام.

قرأناه في الترجمة..

(وكان) عليه رضوان الله قد بايع النبي ﷺ على أن لا يخاف في الله لومة لائم.. إلخ.

(ولهذا) فقد قرأت [1] أنه كان سفيراً لجيوش المسلمين عند المقوقس حاكم مصر وكان عبادة قد أوتي بسطة في الجسم، وكان حالك السواد، وكان جلال الإسلام قد خَلَع عليه رهبة وهيبة، فكان الناظر إليه يرتعد من صورته.

وكذلك وجل (المقوقس) يوم شاهده ماثلاً أمامه، فقال: (نَحُّوا عني هذا الأسود وقدموا غيره) فقال رفقاؤه المسلمون: (إنه أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا وخيرنا، وأكرمنا موضعاً وسابقة، وعقلاً ورأياً، فقال له المقوقس: (تقدم وكلمني برفق) فقال عبادة – وهو يجادل المقوقس في عاصمة إمارته، ووسط دياره ومنعته–: لقد سمعت مقالتك، وإنَّ فيمن خَلَّفتُ من أصحابي ألف رجل، كلهم مثلي، وأشد سواداً مني، وأقطع منظراً، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك –بحمد الله– ما أهاب مائة رجل من عدوي، لو استقبلوني جميعاً، وكذلك أصحابي –ذلك بأن رغبتنا وهمتنا الجهاد في سبيل الله، وابتغاء رضوانه، وليس غزونا عدوا ممن نحارب لرغبة في الدنيا، لا لحاجة إلى الاستزادة منها، ولكن الله عز وجل، قد أحل لنا ذلك، وإن كان لأحدنا قناطير الذهب أنفقناها في طاعة الله.

فلما سمع المقوقس ذلك، قال لمن حوله: (هل سمعتم مثل هذا الكلام قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأَهْيَبُ عندي من منظره؟ ! ما أحسب إلا أنهم سيملكون الأرض كلها).

ثم أقبل على عُبادة فقال: (أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك، وعن أصحابك، ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت، وما ظهرتم على من ظهرتم إلا لحبهم الدنيا، ورغبتهم فيها، ولكني أخشى عليكم مَنْ توجه لقتالكم من جمع الروم، فهم لا يحصون عدداً، وهم معروفون بالنجدة والشدة، وإنا لنعلم أنكم لن

(١) في كتاب (محاضرات إسلامية) للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي..

تقووا عليهم، ولن تطيقوهم بضعفكم وقلتكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم، على أن نفرض لكل رجل دينارين، ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها، قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به)

فقال عبادة للمقوقس: (يا هذا، لا تَغُرّن نفسك، ولا أصحابك.. أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم، وكثرتهم، وأنّا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقاً؟ فذلك و الله أرغب ما يكون في قتالهم!! وأشد لحرصنا عليهم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند الله، إن قدمنا عليه، فإن قتلنا عن آخرنا، كان أمكن لنا من رضوانه وجنته، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك، وإنا معكم حينئذ على إحدى الحسنيين، إما ظفرنا بكم، فعظمت لنا غنيمة الدنيا، وإما ظفرتم بنا، فعظمت لنا غنيمة الآخرة، وإنها لأحب الخصلتين إلينا، بعد الاجتهاد منا، وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

وما من رجل إلا وهو يدعو ربه -صباحاً ومساءً- أن يرزقه الله الشهادة، وألاّ يرده إلى بلده، ولا إلى أرضه، ولا إلى أهله، وولده، وليس لأحدنا هَمٌّ فيما خلّفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أمامنا.

وأما ظنك أنّا في ضيق وشدة من معاشنا فنحن في أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فلا تطمع نفسك في الباطل.

(فهذا) هو (عبادة بن الصامت) ﷺ الذي كان كما رأينا من الرجال الذين يقولون الحق بكل شجاعة واستبسال دون أن يخشى أحداً إلا الله رب العالمين.. ما دام الهدف من هذا هو إعلاء كلمة الله.. (مع) ملاحظة أن هذا هو ديدن أبطال الإسلام الأوائل الذين دانت لهم الأمم، وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيماً..

(وقد) قرأت كدليل على هذا أن (أبا أيوب الأنصاري) كان مع يزيد بن معاوية

في صائفة لغزو القسطنطينية، فثقل المرض بأبي أيوب، فسأله يزيد: ألك حاجة يا أبا أيوب؟ قال: ما لي إلى دنياكم من حاجة ولكن أرجو أن توغلوا في بلاد الروم، وأنا محمول معكم، فلقد سمعت من رسول الله ﷺ: «**يدفن في سور القسطنطينية رجـــل صالح**»، وإني لأرجو أن أكون إياه، فجعل يزيد يتقدم بسريره، وهو مسجى وحوله القتال، يدور، فلما رأى قيصر ذلك، قال: عجباً ليزيد، ولأبي يزيد، يأتون بصاحب رسولهم، في ديارنا، حتى إذا ما تركوه، نبشنا قبره وتركناه للكلاب!!!

فقال يزيد: أما والله لو بلغني ذلك، لما تركت ببلاد الإسلام نصرانياً إلا قتلته، ولا بيعة ولا كنيسة إلا هدمتها، فبعث إليه قيصر: لله أنت ولله أبوك!! وحـــق المســـيح، لأحفظن قبر أبي أيوب بنفسي، وبنى على قـــبره قبـــة، ولا زال مشـــهده بجـــوار القسطنطينية إلى اليوم.

(وبالطبع) ما كان هذا إلا بسبب الشجاعة الإسلامية التي نحن دائماً وأبداً في أشد الحاجة إليها إعلاءً لكلمة الله.

(فلنكن) من المتشبهين بهذا البطل الشجاع، وبكل أصحاب الرسول ﷺ الفضلاء، (ولاسيما) في إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، عملاً بقول القائل:

وتشـــبهوا إن لم تكونـــوا مثلـــهم ... إن التشـــبه بالرجـــال فـــلاح

والله ولي التوفيق

١٠- ومن هو جابر بن عبد الله رضي الله عنه؟

إنه [1]: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرَام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، يجتمع هو والذي قبله [2] في غنم بن كعب، وكلاهما أنصاريان سلمانيان، وقيل في نسبه غير هذا، وهذا أشهرهما، وأمه: نسيبة بنت عقبة بن عدي بن سنان بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم، تجتمع هي وأبوه في حرام، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، والأول أصح، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدراً، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد.

أخبرنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله المخزومي، بإسناده إلى أحمد بن علي بن المثنى: حدثنا أبو خيثمة، أخبرنا روح، أخبرنا زكريا، حدثنا أبو الزبير، أنه سمع جابراً يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، قال جابر: لم أشهد بدراً ولا أُحُداً، منعني أبي، فلما قتل يوم أُحُد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط.

وقال الكلبي: شهد جابر أُحُداً، وقيل: شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمي في آخر عمره، وكان يحفي شاربه، وكان يخضب بالصفرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

وقد أورد بن منده في اسمه أن رسول الله ﷺ حضر الموسم وخرج نفر من الأنصار، منهم سعد بن نداره، وجابر بن عبد الله السلمي، وقطبة بن عامر، وذكرهم، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام، وذكر الحديث، فظن أن جابر بن عبد الله السلمي هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام، وليس كذلك، وإنما هو جابر بن عبد الله بن رئاب، وقد تقدم ذكره قبل هذه الترجمة، وقد كان جابر هذا أصغر من شهد العقبة الثانية مع أبيه، فيكون في أول الأمر رأساً فيهم.. هذا بعيد، على أن النقل الصحيح من الأئمة أنه جابر بن عبد الله بن رئاب. والله أعلم.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. المجلد الأول. ص ٣٠٧، ٣٠٨..

(٢) وهو جابر بن عبد الله بن رئاب ص ٣٠٦.

وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن، روى عنه محمد بن علـي بـن الحسين، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير المكي، وعطاء، ومجاهد، وغيرهم.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أخبرنا أبو الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله القاري، إجازةً -إن لم يكن سماعاً- أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان أبو علي، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا عبد الملك بن محمـد أبـو قلابـة الرقاشي، أخبرنا أبو ربيعة، أخبرنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي سفيان، عن جـابر ابن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اهتز عرش الرحمن لموت سعد بـن معاذ»**، فقيل لجابر: إن البراء يقول: (اهتز السرير)، فقال جابر: كان بـين هـذين الحيين: الأوس والخزرج ضغائن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اهتز عرش الرحمن»**.

قلت: وجابر أيضاً من الخزرج، حمله دينه على قول الحق والإنكار على من كتمه.

أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله بن علي، وأبو جعفر أحمد بن علي، وإبراهيم بن محمد ابن مهران، بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى، قال: حدثنا ابـن أبي عمـر، أخبرنا بشر بن السري، أخبرنا حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عـن جـابر، قـال: (استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرة)، يعني بقوله: (ليلة البعير) أنه باع لرسول الله ﷺ بعيراً، واشترط ظهره إلى المدينة، وكان في غزوة لهم.

وتوفي جابر سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين، وصلى عليه أبان بن عثمان، وكان أمير المدينة، وكان عمر جابر أربعاً وتسعين سنة أخرجه الثلاثة. ا.هـ.

وتعليقي

على ما جاء في هذه الترجمة عن (جابر بن عبد الله) هو أن جابراً ﵁ كان مـن الأنصار الأبطال الذين جاهدوا في الله حق الجهاد بجوار إخوانهم المهـاجرين إعـلاءً لكلمة الله..

(فلقد) غزا مع رسول الله ﷺ -كما قال- سبع عشرة غزوة، ولم يتخلف إلا عن غزوة بدر وأحد.. لأن أباه منعه.. فلما قتل أبوه يوم أحد لم يتخلف بعـد

ذلك عن غزوة قط وقد قيل –كما قرأنا– أنه شهد أُحُداً، وشهد صفين مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

(ومن) مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ استغفر له ليلة البعير خمساً وعشرين مرة..

فكان جابر مع النبي ﷺ في سفر فاشترى بعيراً من جابر واشترط جابر أن يركبه إلى المدينة فحصل الاستغفار في تلك الليلة.

(وكان) النبي ﷺ يَبَرُّ جابراً ويرحمه لأن والده قتل يوم أحد وترك بنات، فكان جابر يعولهن ويقوم بأمرهن رواه الترمذي – مع الحديثين السابقين– بأسانيد صحيحة.

(وقد) ورد كذلك في حديث رواه مسلم (عن) جابر رضي الله عنه قال: (أصيب أبي يوم أحد وجيء به مُجدعاً [1] بين يدي النبي ﷺ فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي وهم ينهوني ورسول الله ﷺ لا ينهاني، وجاءت فاطمة بنت عمرو وعمة جابر تبكيه، فقال رسول الله ﷺ: **((تبكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه))**.

(فتظليل) الملائكة له دليل على علو مقامه ورفيع شأنه رضي الله عنه وأرضاه وحشرنا في زمرته.. آمين.

(ومن) الأحاديث الشريفة التي رواها عن النبي ﷺ.. النص الآتي [2]:

(عن) أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاةٍ فقال: **((إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض))**.

وفي رواية **((إلا شركوكم في الأجر))**، رواه مسلم والبخاري.

(وعن) جابر رضي الله عنه أنه غزا مع النبي ﷺ قِبَل نَجْد، فلما قَفَل رسول الله ﷺ قفل معهم فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العِضَاة فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس

(١) (مجدعاً): أي مقطع الأنف والأذنين من تمثيل الكفرة به.

(٢) كما جاء في رياض الصالحين.. للإمام النووي.

يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرة فعلق بها سيفه، ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: **((إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، ثلاثاً))** ولم يعاقبه وجلس، متفق عليه.

(وفي) رواية: قال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه فقال: تخافني؟ قال: **((لا))**، فقال: فمن يمنعك مني؟ قال: **((الله))**.

(وفي رواية) أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه، فقال: من يمنعك مني؟ قال: **((الله))**، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: **((من يمنعك مني؟))** فقال: كن خير آخذ، فقال: **((تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله))**، قال: ولكني لا أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس.

قوله: (قفل) أي رجع (والعِضَاة) أي: الشجر الذي له شوك (والسمرة): بفتح السين وضم الميم: الشجرة من الطلح وهي العظام من شجر العِضاة (واخترط) السيف: أي سله، وهو في يده (صلتاً) أي مسلولاً بفتح الصاد وضمها.

(وعن) جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **((يُبعث كُلُّ عبدٍ على ما مات عليه))**. رواه مسلم.

(فاللهم) أمتنا على الإيمان غير خزايا ولا مفتونين.. ورضي الله عن جابر بن عبد الله وعن جميع الأصحاب أجمعين.

اللهم آمين

١١- ومن هو عبد الله بن مسعود ﷺ؟

إنه [١]: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو عبد الرحمن الهذلي، حليف بني زهرة، كان أبوه مسعود قد حالف في الجاهلية عبد بن الحارث بن زهرة، وأم عبد الله بن مسعود أم عبد الله بنت عبد ود ابن سواءة من هذيل أيضاً.

كان إسلامه قديماً أول الإسلام، حيث أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب، وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان.

روى الأعمش، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال عبد الله: لقد رأيتني سادس ستة، ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا [٢].

وكان سبب إسلامه، ما أخبرنا به أبو الفضل الطبري الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى أحمد بن علي قال: حدثنا المعلى بن مهدي، حدثنا أبو عوانة، عن عاصم بن بهدالة، عن زر [٣]، عن عبد الله بن عبد الله بن مسعود، قال: كنت غلاماً يافعاً في غنم لعقبة بن أبي معيط أرعاها، فأتى النبي ﷺ ومعه أبو بكر، فقال: **((يا غلام، هل معك من لبن؟))** فقلت: نعم، ولكني مؤتمن! فقال: **((ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل))**، فأتيته بعناق -أو جذعة [٤]- فاعتقلها رسول الله ﷺ، فجعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت [٥]، فأتاه أبو بكر بصخرة [٦] فاحتلب فيها، ثم قال لأبي بكر: **((اشرب))**، فشرب أبو بكر، ثم شرب النبي ﷺ بعده، ثم قال للضرع: **((اقلص))** [٧]، فقلص فعاد

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. المجلد الثالث. ص ٢٨٤ - ٣٩٠.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، عن طريق الأعمش، في كتاب معرفة الصحابة ٣١/ ٣١٢، وقال: (صحيح و لم يخرجاه).

(٣) والمراد به زر بن حبيش وهو يروي عن عبد الله بن مسعود.

(٤) الجذعة من الإبل ما استكمل أربعة أعوام ودخل في الخامسة.

(٥) أي: أنزلت اللبن.

(٦) أي: بصخرة متقعِّرة.

(٧) اقلص: أي اجتمع.

كما كان، ثم أتيت فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا الكلام -أو من هذا القرآن- فمسح رأسي وقال: إنك غلام معلم، قال: فلقد أخذت منه سبعين سورة، ما نازعني فيها بشر.

وهو أول من جهر بالقرآن بمكة: أخبرنا عبيد الله بن أحمد بإسناده، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه! فقال: دعوني، فإن الله سيمنعني.

فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام، فقال رافعاً صوته: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾ فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد!

فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك! فقال: ما كان أعداء الله قط أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً، قالوا: حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون [1].

ولما أسلم عبد الله أخذه رسول الله ﷺ إليه، وكان يخدمه، وقال له: «**إذنك علي أن تسمع سوادي ويرفع الحجاب**» [2]، فكان يلج عليه [3] ويلبسه نعليه، ويمشي معه وأمامه، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وكان يعرف في الصحابة بصاحب السَّواد والسِّواك.

أخبرنا أبو الفرج الثقفي، أخبرنا أبو علي الحداد -وأنا حاضر أسمع- أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا عبد الله بن جعفر الجابري، حدثنا أحمد بن محمد بن المثنى، حدثنا علي

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٣١٤، ٣١٥.

(٢) قال عبد الله ابن الإمام أحمد: قال أبي: سوادي: سري، أذن له أن يسمع سره) المسند: ١/ ٣٨٨.

(٣) يلج عليه: أي يدخل عليه.

ابن زياد الأحمر، حدثنا بن إدريس وحفص، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم بن سويد، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: قال لي رسول الله ﷺ: **((إذْنُك عَلَيَّ أن يُرفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك))**.

وهاجر الهجرتين جميعاً إلى الحبشة وإلى المدينة، وصلى القبلتين، وشهد بدراً، وأُحُداً، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ، وهو الذي أجهز على أبي جهل، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة.

وروى عن النبي ﷺ وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وأبو موسى، وعمران بن حصين، وابن الزبير، وجابر، وأنس، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وأبو رافع، وغيرهم. وروى عنه من التابعين: علقمة، وأبو وائل، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم.

أخبرنا أبو منصور مسلم بن علي بن محمد الموصل العدل، قال: أخبرنا أبو البركات محمد بن محمد بن خميس، أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الباقي بن طوق، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن الخليل المرجي، أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي رزين، قال: قال ابن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ: **((اقرأ علي سورة النساء))**، قال: قلت: أقرأُ عليك وعليك أُنزل؟ قال: **((إني أحب أن أسمعه من غيري))** فقرأت عليه حتى بلغت: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّة بِشَهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً** ﴾ إلى آخر الآية، ففاضت عيناه ﷺ.

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل بن فارس القيسي، أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصيصي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الإطرابلسي، حدثنا أبو عبيدة السري بن يحيى بالكوفة، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن مولى لِربْعِيّ، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: **((وتمسكوا بعهد ابن أم عبد))** [1] وقد رواه سلمة بن هيكل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود.

(١) أخرج الإمام أحمد نحوه.. ينظر المسند ٥/ ٣٩٩.

وأخبرنا إسماعيل بن علي بن عبيد الله وغير واحد بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، قال: حدثنا أبو كريب، حدثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد أنه سمع أبا موسى يقول: لقد قدمت أنا وأخي من اليمن، وما نرى [1] إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ.

قال: وأخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: أتينا حذيفة، فقلنا: حدثنا بأقرب الناس من رسول الله ﷺ هدياً ودلاً، فنأخذ عنه ونسمع منه.

قال: كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً [2] برسول الله ﷺ ابن مسعود، حتى يتوارى منا في بيته [3]ولقد علم المحفوظون [4] من أصحاب محمد أن ابن أم عبد هو من أقربهم إلى الله زلفى[5].

قال: وأخبرنا محمد بن عيسى، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا صاعد الحراني، حدثنا زهير، عن منصور، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **((لو كنتُ مؤمِّراً أحداً من غير مشورة لأمَّرت ابن أم عبد))** [6].

ومن مناقبه أنه بعد وفاة النبي ﷺ شهد المشاهد العظيمة، منها: أنه شهد اليرموك بالشام وكان على النَّفْل، وسيره عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة، وكتب إلى أهل الكوفة: إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما

(١) ما نرى بضم النون: أي: لا نظن.

(٢) هدياً: طريقة وسيرة، ودلاً: حالة وهيئة، والسمت: الهيئة الحسنة.

(٣) عن الترمذي.

(٤) أي: الذين حفظهم الله من تحريف في قول أو فعل.

(٥) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب: ٣١٠١٠، ١/ ٣١، وقد رواه البخاري في فضائل الصحابة: ٥/ ٣٥. والحاكم في مستدركه.. في كتاب مطرقة الصحابة: ٣/ ٣١٥.. وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/ ١/ ١٠٩.

(٦) في الترمذي: (أحداً منهم من غير...)، (لأمرت عليهم ابن..).

من النُّجَباء من أصحاب رسول الله ﷺ، من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي).

* أخبرنا ابن أبي حقه بإسناده عن عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا مغيرة، عن أم موسى قالت: سمعت علياً يقول: (أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد على شجرة يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة ساقيه[1]، فقال رسول الله ﷺ: **((ما تضحكون؟ لَرِجْل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة منْ أُحُد)).**[2]

وأخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد إجازة، أخبرنا أبو البركات الأنماطي إجازة إن لم يكن سماعاً، أخبرنا أبو طاهر وأبو الفضل الباقلانيان قالا: أخبرنا أبو القاسم الواعظ، أخبرنا أبو علي الصواف، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن عبد الله ابن نمير، حدثنا أبي، عن الأعمش، عن حَبَّة بن جُوَين، عن علي قال: كنا عنده جلوساً، فقالوا: ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسةً، ولا أشد ورعاً، من ابن مسعود. قال علي: أَنشُدُكم الله أهو الصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد أني أقول مثل ما قالوا وأفضل.[3]

قال أبو وائل: لما شق عثمان رضي الله عنه المصاحف، بلغ ذلك عبد الله فقال: لقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم، لو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تُبلغنيه الإبل لأتيته، فقال أبو وائل: فقمت إلى الخلق أسمع ما يقولون، فما سمعت أحداً من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه.

وقال زيد بن منبه: إني لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود يكاد الجلوس يوارونه من قصره فضحك عمر حين رآه، فجعل يُكلِّم عمر ويضاحكه وهو قائم ثم ولى فأتبعه عمر بصره حتى توارى فقال: كُنَيف [4] مُلئَ علماً [5].

(١) حموشة الساقين: أي دقتهما.

(٢) أحمد: ١/١١٤.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣١٥، وينظر الطبقات لابن سعد ٣/١/١١٠.

(٤) كُنَيفٌ: تصغير كنف بكسر فسكون والكنف: هو الوعاء.

(٥) أخرج الحاكم في المستدرك نحوه ٣/٣١٨. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.. وفي الطبقات: ٣/١/١١٠.

*وقال عبيد الله بن عبد الله: كان عبد الله إذا هدأت العيون قام فسمعت له دوياً كدويّ النحل حتى يصبح.

*وقال سلمة بن تمام: لقي رجل ابن مسعود فقال: لا تَعدَمُ حالماً مذكراً، رأيتك البارحة ورأيت النبي ﷺعلى منبر مرتفع، وأنت دونه يقول: يا ابن مسعود، هَلُم إلي، فلقد جُفيتَ بعدي. فقال: آلله أنت رأيت هذا؟ قال: نعم. قال: فعزمت أن لا تخرج من المدينة حتى تُصلّي عَلَيَّ، فما لبث أياماً حتى مات.

*وقال أبو ظبية: مرض عبد الله، فعاده عثمان بن عفان، فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي! قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: يكون لبناتك. قال: أتخشى على بناتي الفقر، إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺيقول: **«من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»** [1].

وإنما قال له عثمان: ألا آمر لك بعطائك؟ لأنه كان قد حبسه عنه سنتين، فلما توفي أرسله إلى الزبير، فدفعه إلى ورثته. وقيل: بل كان عبد الله ترك العطاء استغناء عنه، وفعل غيره كذلك.

وروى الأعمش، عن زيد بن وهب قال: لما بعث عثمان إلى عبد الله بن مسعود يأمره بالقدوم عليه بالمدينة، وكان بالكوفة، اجتمع الناس عليه فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه. فقال عبد الله: (إن له عليَّ حق الطاعة، وإنها ستكون أمورٌ وفتن، فلا أحب أن أكون أول من فتحها) فرد الناس وخرج إليه.

**وتوفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. وأوصى إلى الزبير رضي الله عنهما، ودفن بالبقيع، وصلّى عليه عثمان، وقيل: صلى عليه عمار بن ياسر. وقيل: صلى عليه الزبير، ودفنه ليلاً أوصى بذلك، وقيل: لم يعلم عثمان رضي الله عنه بدفنه، فعاتب

(١) ينظر تخريج ابن حجر لهذا الحديث على الكشاف: ٤/٣٧٥.

الزبير على ذلك. وكان عمره يوم توفي بضعاً [1] وستين سنة، وقيل: بل توفي سنة ثلاث وثلاثين. والأول أكثر.

ولما مات ابن مسعود نُعي إلى أبي الدرداء، فقال: (ما ترك بعده مثله). أخرجه الثلاثة.. ا.هـ.

تعليق

(مناقبه) ﷺ وأرضاه بالإضافة إلى ما جاء في نص الترجمة.. ما ورد:

(عن) مسروق ﷺ قال: ذكروا ابن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل**) رواه الشيخان.

(وعن) علقمة قال: دخلت الشام [2] فصليت ركعتين فقلت: اللهم يسر لي جليساً صالحاً، فرأيت شيخاً مقبلاً [3]، فلما دنا قلت: أرجو أن يكون الله استجاب. قال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أفلم يكن فيكم صاحب النعلين [4] والوساد [5] والمطهرة[6]، أو لم يكن فيكم الذي أُجبر [7] من الشيطان، أو لم يكن فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره [8]، (قال ذلك الشيخ): كيف قرأ ابن أم عبد والليل إذا يغشى، فقرأت: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى**﴾ [الليل:١: ٣]، (قال الشيخ): أقرأنيها النبي ﷺ فاه إلى في، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردوني. [9] رواه البخاري.

---

(١) البضع في العدد من الثلاث إلى التسع، تقول: بضعة رجال، وبضع نساء، ويركب مع العشرة فتقول: بضعة عشر رجلاً، وبضع عشرة امرأة... إلخ.

(٢) أي دمشق.

(٣) وهو أبو الدرداء ﷺ.

(٤) النعل هو الذي يلبس في القدمين.

(٥) والوساد: أي المخدة.

(٦) أي: الذي كان يحملهن للنبي كثيرًا هو ابن مسعود ﷺ.

(٧) وهو عمار بن ياسر ﷺ.

(٨) وهو حذيفة بن اليمان ﷺ، وكان النبي ﷺ قد أعلمه بالمنافقين وصفاتهم.

(٩) أي كما يقرؤها ابن مسعود.

(وعن) عبد الله ﷺ قال: لما نزلت ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا**﴾ [المائدة: ٩٣][1] قيل لي: أنت منهم) رواه مسلم.

(وعنه) ﷺ قال: والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت. [2] رواه مسلم.

(وعنه) ﷺ قال: قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه. قال شقيق: فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ فما سمعت أحداً يرد يرد ذلك ولا يعيبه. رواه مسلم.

(وعنه) عن النبي ﷺ قال: «**اقتدوا بالذين من هدى من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود**»[3] رواه الترمذي.

(وعن) علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لو كنت مؤمراً أحداً من غير مشورة لأمرت عليهم ابن أم عبد**». رواه الترمذي.

(ومعنى) هذا: أنه لا يمنع من إمارته على نحو جيش إلا عدم رضاهم به لصغر جسمه ولأنه غير قرشي، ولا يرد زيد وأسامة لأنهما من بيت النبي ﷺ تربية وشهرة.. رضي الله عنهم أجمعين.

(ومن) الأحاديث التي رواها عن رسول الله ﷺ.. الحديث الآتي:[4]

(عن) أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». متفق عليه.

(فرضي) الله تبارك وتعالى عن هذا الرجل المبارك عبد الله بن مسعود وجعلنا من المقتدين به في حفظ القرآن الكريم والعمل بما فيه..

اللهم آمين

---

(١) [من سورة المائدة: ٩٣]، وتمامها﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا**﴾ فهذه بشرى لهؤلاء وعبد الله منهم رضي الله عنهم.

(٢) فكل سورة وكل آية يعلمها ابن مسعود في أي مكان نزلت، وبأي معنى جاءت، وبأي سر أشارت.

(٣) عهد بن مسعود وهدي عمار هما الطريقة والمذهب، والمراد الحث على الاقتداء بهما بعد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

(٤) من رياض الصالحين.. باب بر الوالدين وصلة الرحم.

١٣- ومن هو أنس بن مالك رضي الله عنه؟

إنه [١]: أنس بن مالك بن النصر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدي بن النجار، واسمه تيم الله، بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار.

خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمى به ويفتخر بذلك، وكان يجتمع هو وأم عبد المطلب جدة النبي ﷺ واسمها: سلمة بنت عمرو بن زيد بن أسد بن خداش بن عامر في عامر بن غنم، وكان يكنى: أبا حمزة، كناه النبي ﷺ ببقلة كان يجتنيها [٢]، وأمه أم سليم بنت ملحان، ويرد نسبها عند اسمها.

وكان يخضب بالصفرة، وقيل: بالحناء، وقيل: بالورس، وكان يخلُق ذراعيه بخَلُوق للمعة بياض كانت به، وكانت له ذؤابة فأراد أن يجزَّها فنهته أمه، وقالت: كان النبي ﷺ يمدها ويأخذ بها. وداعبه النبي ﷺ عليه فقال له: **((يا ذا الأذنين))**.

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي، عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس: أشهدت بدراً مع رسول الله ﷺ؟ قال: لا أُمَّ لك؟ وأين غبت عن بدر؟ قال محمد بن عبد الله: خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً عشر سنين، وقيل: تسع سنين، وقيل: ثماني سنين.

وروي الذهري عن أنس قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة، وقيل: خدم النبي ﷺ عشر سنين، وقيل: خدمه ثمانياً. وقيل: تسعاً.

أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله، وأبو جعفر وإبراهيم بن محمد بإسنادهم إلى أبي عيسى، قال: حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو داود، عن أبي خلدة قال: قلت لأبي العالية: سمع أنس من النبي ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ، وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك.

أبو خلدة اسمه: خالد بن دينار وقد أدرك أنس بن مالك.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب المجلد الأول ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) في النهاية: البقلة التي جناها أنس كان في طعمها لذع فسميت حمزة بفعلها، يقال: رمانة حامزة، أي فيها حموضة.

وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد البغدادي وغـيره، قـالوا: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد، أخبرنا أبو طالب محمد بـن محمـد بـن غيلان، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن أحمـد بـن حنبل، وزهير بن أبي زهير قالا: أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، أخبرنا سلمة بن وردان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: (ارتقى النبي ﷺ على المنبر درجة فقـال: **«آمين»**، فقيل له: علام أمَّنت يا رسول الله؟ فقال: **«أتاني جبريل، فقال: رغم أنف من أدرك رمضان فلم يغفر له، قل: آمين»**.

روى ابن أبي ذئب عن إسحاق بن يزيد قال: رأيت أنس بن مالك مختوماً في عنقه ختمة الحجاج، أراد أن يذله بذلك، وكان سبب ختم الحجاج أعناق الصحابة مـا ذكرناه في ترجمة سهل بن سعد الساعدي [1].

وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، روى عنه ابن سـيرين، وحميـد الطويل، وثابت البناني، وقتادة، والحسن البصري، والزهري، وخلق كـثير. وكـان عنده عُصَيَّة لرسول الله ﷺ، فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت بين جنبه وقميصه.

أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله، بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، أخبرنا يزيد، أخبرنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: أخذت أم سليم بيـدي فأتت بي رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هذا ابني، وهو غـلام كاتـب، قـال: فخدمته تسع سنين، فما قال لي لشيء قط صنعته: أسأت أو بئس ما صنعت.

ودعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، فولد له من صـلبه ثمـانون ذكـراً، وابنتان، إحداهما حفصة، والأخرى: أم عمر، ومات وله من ولده وولد ولده مائـة وعشرون ولداً، وقيل: نحو مائة. وكان نقش خاتمه صورة أسد رابض، وكان يشـد أسنانه بالذهب، وكان أحد الرماة المصيبين.

ويأمر ولده أن يرموا بين يديه، وربما رمى معهم فيغلبهم بكثرة إصـابته، وكـان يلبس الخز ويتعمم به.

واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين.

قيل: كان عمره مائة سنة وثلاث سنين، وقيل: مائة سنة وعشر سنين، وقيل: مائة

(١) وهو كما جاء في الترجمة المشار إليها.

سنة وسبع سنين، وقيل: بضع وتسعون سنة، قال حميد: توفي أنس وعمره تسع وتسعون سنة، أما قول من قال: مائة وعشرين، ومائة وسبع سنين فعندي فيه نظر، لأنه أكثر ما قيل في عمره عند الهجرة عشر سنين، وأكثر ما قيل في وفاته سنة ثلاث وتسعين، فيكون له على هذا مائة سنة وثلاث سنين، وأما على قول من يقول إنه كان له في الهجرة سبع سنين أو ثمان سنين فينقص عن هذا نقصاً بيناً والله أعلم.

وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، وكان موته بقصره بالطّفِّ [1]، ودفن هناك على فرسخين من البصرة، وصلى عليه قطن بن مدرك الكلابي. أخرجه الثلاثة.. ا.هـ.

تعليق

(ومن) مناقبه رضي الله عنه بالإضافة إلى ما جاء في نص الترجمة، ما ورد:

(عن) أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقالت أمي: يا رسول الله خويدمك [2] أنس ادع الله له. قال: فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا به أن قال: **«اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه»**. رواه مسلم.

(وعنه) رضي الله عنه قال: جاءت أمي إلى رسول الله ﷺ وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه [3]، فقالت: يا رسول الله هذا أُنيس [4] ابني أتيت به يخدمك فادع الله له، فقال: **«اللهم أكثر ماله وولده»** قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم. رواه مسلم والترمذي.

(وعنه) رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ، فسمعت أمي أم سليم صوته فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله هذا أُنيس فدعا لي رسول الله ﷺ ثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين في الدنيا وأنا أرجو الثالثة في الآخرة) رواه مسلم والترمذي.

(فمعنى) أنه دعا له بثلاث دعوات: الأولى: كثرة المال، فاستجاب الله له حتى ضاقت أودية المدينة عن مواشيه فسار بها إلى جهات أخرى، وكان له بستان بالبصرة يثمر في العام مرتين، وكان فيه من الريحان ما هو أفضل من المسك، والثانية: كثرة الولد، فما مات حتى رأى من نسله فوق المائة، بل ورد أن دفن من أولاده أكثر من مائة، وعمر طويلاً رضي الله عنه. والدعوة الثالثة: مدخرة في الآخرة.

(وعنه) رضي الله عنه أنه قال: أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم

---

(١) الطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.. كما جاء في مراصد الاطلاع.

(٢) تصغير خادم.

(٣) أي: لفت جسمي كله بخمار فصار علي كالإزار والرداء.

(٤) تصغير أنس.

علينا، فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت. رواه مسلم.

(وعنه) رضي الله عنه قال: ربما قال لي النبي ﷺ: **((يا ذا الأذنين))** رواه الترمذي.

(وهذا) مزاح حق، فإن كل إنسان له أذنان، وقد كان النبي ﷺ يمزح مع بعض الناس ولا يقول إلا حقاً، ففيه جواز المزاح الحق.

(وعنه) رضي الله عنه أنه قال: أسرَّ إلى رسول الله ﷺ سراً فما أخبرت به أحداً بعد. رواه مسلم.

(وعن) ثابت رضي الله عنه قال: قال لي أنس: (يا ثابت خذ عني فإنك لن تأخذ عن أحد أوثق مني، إني أخذته عن رسول الله ﷺ عن جبريل، وأخذه جبريل عن الله تعالى). رواه الترمذي.

(ومن) الأحاديث الشريفة التي رواها عن رسول الله ﷺ ما نصه:

(عن) أنس رضي الله عنه قال: رهن النبي ﷺ درعه بشعير ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير[1] وإهالة سنخة، ولقد سمعته يقول: **((ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى وإنهم لتسعة أبيات))** رواه البخاري.

و(الإهالة) بكسر الهمزة: الشحم الذائب، (والسنخة) بالنون والخاء المعجمة، وهي: المتغيرة.

(وعن) أنس رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان [2] حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات، رواه البخاري، (وفي) رواية له: ولا رأىً شاة سميطاً[3] بعينه قط.

(وعن) أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي))** متفق عليه.

(فلنكن) من المنتفعين بكل هذا التذكير المتعلق بهذا الرجل المبارك أنس بن مالك رضي الله عنه، وما رواه عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الشريفة.. ونحن نسأله سبحانه و تعالى أن يرضى عن أنس بن مالك والصحابة أجمعين..

اللهم آمين

---

(١) كما جاء في رياض الصالحين (باب فضل الجوع وخشونة العيش)... (وباب) كراهية تمني الموت.

(٢) الخوان: ما يؤكل عليه.

(٣) السميط: أي الجدي الذي أزيل ما على جلده من الشعر قبل طبخه أو شويه.

١٣- ومن هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؟

إنه [١]: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي. يرد نسبه عند ذكر أبيه إن شاء الله تعالى، أمه وأم أخته حفصة: زينب بنت مظعون بن حبيب الجمَحية.[٢]

أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وقد قيل: إن إسلامه قبل إسلام أبيه. ولا يصح، وإنما كانت هجرته قبل هجرة أبيه، فظن بعض الناس أن إسلامه قبل إسلام أبيه.

وأجمعوا على أنه لم يشهد بدراً، استصغره النبي ﷺ فرده، واختلفوا في شـهوده أحداً، فقيل: شهدها. وقيل: رده رسول الله ﷺ مع غيره ممن لم يبلغ الحلم.

أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي، بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسـحاق: حدثني نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي أهل مكـة أنقـل للحديث؟ قالوا: جميل بن معمر الجمحي.

فخرج عمر وخرجتُ وراءه، وأنا غليِّم أعقل كل ما رأيت، حتى أتاه، فقال: يـا جميل، أشعرت أني قد أسلمت؟ فوالله ما راجعه الكلام حتى قام يجر رداءه، وخـرج عمر يتبعه، وأنا معه، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ: يا معشر قريش إن عمر قد صبأ. قال: كذبت. ولكني أسلمت..) وذكر الحديث[٣].

والصحيح أن أول مشاهده الخندق، وشهد غزوة مؤتة مع جعفر بن أبي طالـب رضي الله عنهم أجمعين، وشهد اليرموك، وفتح مصر، وإفريقية.

وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، حتى إنه ينزل منازله، ويصلي في كـل مكان صلى فيه، وحتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس.

أخبرنا إسماعيل بن علي، وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسـى قـال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب. المجلد الثالث. ص ٣٤٠ – ٣٤٥.

(٢) كتاب نسب قريش: ٣٢٨.

(٣) سيرة ابن هشام: ١/٣٤٨، ٣٤٩.

قال: رأيت في المنام كأنما بيدي قطعة استبرق، ولا أشير بها إلى موضع من الجنـــة إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ، فقال: «**إن أخاك رجل صالح.. أو إن عبد الله رجل صالح**»[1].

أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم بن أبي علي إجازة قال: أخبرنا أبي، أخبرنا زاهـــر ابن طاهر، أخبرنا أبو بكر البيهقي، حدثنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أبو العباس الثقفي، حدثنا قتيبة، حدثنا الخنيثي يعني محمد بن يزيد بن خنيس، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع قال: خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينـــة، ومعه أصحاب له، ووضعوا السفرة له، فمر بهم راعي غنم، فسلَّم فقال ابن عمر: هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة. فقال له: إني صائم. فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه، وأنت في هذه الحال ترعى هذه الغنم؟ فقال: والله إني أُبادر أيامي هذه الخالية. فقال له ابن عمر: وهو يريد أن يختبر ورعه: فهل لـــك أن تبيعنا مائة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تُفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي. فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فولى الراعي عنه، وهو رافع أصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، يقول: (قال الراعي فأين الله)؟ قال: فلما قدم المدينـــة بعـــث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم.

قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو بكر البيهقـــي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن سهل الفقيه، حدثنا إبراهيم بن معقـــل، حدثنا حرملة، حدثنا ابن وهب قال: قال مالك: قد أقام ابن عمر بعـــد الـــنبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك.

قال مالك: وكان ابن عمر من أئمة المسلمين.

قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي، أخبرنا أبو محمـــد الجـــوهري، وأخبرنا أبو عمر بن حَيُّوَيَة، أخبرنا أبو بكر بن معروف، حدثنا الحسين بن القهـــم،

(١) تحفة الأحوذي، كتاب المناقب: ١٠ / ٣٢٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

حدثنا محمد بن سعد قال: (أخبرت عن مجالد، عن الشعبي قال: كان ابن عمر جيد الحديث ولم يكن جيد الفقه.

وكان ابن عمر شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى، وكل ما تأخذ به نفسه، حتى إنه ترك المنازعة في الخلافة مع كثرة مَيْل أهل الشام إليه ومحبتهم له، ولم يقاتل في شيء من الفتن، ولم يشهد مع علي شيئًا من حروبه، حين أشكلت عليه، ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه.

أخبرنا القاضي أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة، أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن سعيد، حدثنا أبو النمر الحارث بن عبد السلام بن رغبان الحمصي، حدثنا الحسين بن خالويه، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي سعيد البزاز، حدثنا محمد بن الحسين بن يحيى الكوفي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد الله بن ابن حبيب، أخبرنا أبي، قال: قال ابن عمر حين حضره الموت: (ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية) أخرجه أبو عمر وزاد فيه: (مع علي)[1].

وكان جابر بن عبد الله يقول: (ما منا إلا من مالت به الدنيا ومال بها، ما خلا عمر، وابنه عبد الله).

وقال له مروان بن الحكم ليبايع له بالخلافة، وقال له: إن أهل الشام يريدونك قال: فكيف أصنع بأهل العراق؟ قال: تقاتلهم. قال: والله لو أطاعني الناس كلهم إلا أهل فدك، فإن قاتلتهم يقتل منهم رجل واحد، لم أفعل. فتركه.

وكان بعد رسول الله ﷺ يكثر الحج، وكان كثير الصدقة وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً.

قال نافع: كان ابن عمر إذا اشتد عُجبه بشيء من ماله قربه لربه، وكان رقيقه[2] قد عرفوا ذلك منه، فربما لزم أحدهم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال

---

(١) الاستيعاب: ٩٣٥.

(٢) أي: عبيده.

الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه. يا أبا عبد الرحمن، والله ما هم إلا أن يخدعوك! فيقول ابن عمر: من خدعنا بالله انخدعنا له.

قال نافع: ولقد رأيتنا ذات عشية، وراح ابن عمر على نجيب [1] له قد أخذه بمال، فلما أعجبه سيره أناخه بمكانه، ثم نزل عنه، فقال: يا نافع، انزعوا عنه زمامه وحله وأشعروه[2] وجللوه وأدخلوه في البُدن.

وقال نافع: دخل ابن عمر الكعبة، فسمعته وهو ساجد يقول: (قد تعلم يا ربي ما يمنعني من مزاحمة قريش على الدنيا إلا خوفك).

وقال نافع: كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء.

وقال ابن عمر: (البر شيء هين: وجه طلق، وكلام لين).

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ فأكثر، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأبي ذر، ومعاذ بن جبل، ورافع بن خديج، وأبي هريرة، وعائشة. وروى عنه ابن عباس، وجابر والأغر المزني من الصحابة.

وروى عنه من التابعين بنوه: سالم، وعبد الله، وحمزة، وأبو سلمة وحميد ابنا عبد الرحمن، ومصعب بن سعد، وسعيد بن المسيب، وأسلم مولى عمر، ونافع مولاه، وخلق كثير.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي، أخبرنا أبو بكر بن بدران الحلواني، أخبرنا أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بابن قفرجل، حدثني جدي محمد ابن عبيد الله ابن الفضل، حدثنا أبو بكر محمد بن هارون بن حميد، حدثنا محمد بن سليمان بن حبيب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، رفعه

---

(١) النجيب من الإبل القوي منها، الخفيف السريع.

(٢) الإشعار: أن يشق أحد جنبي السنام حتى يسيل الدم، علامة أنه هدي. وجللوه: أي ألبسوه الجل -بضم الجيم- وهو للدابة كالثوب للإنسان، تصان به.

قال: «**كلُّ مُسْكرٍ خَمْر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو مُدْمنها، لم يشرب منها في الآخرة**»[1].

وأخبرنا أبو منصور مسلم بن علي محمد السيحي، أخبرنا أبو البركات محمد بن محمد بن حميس الجهني الموصلي، أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الباقي بن طوق، حدثنا أبو القاسم بن عياض، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر، قال: أخذ رسول الله ﷺ يوماً ببعض جسدي، وقال: «**يا عبد الله، كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو** - كأنك عابر سبيل- **وعُدَّ نفسك في أهل القبور**»، ثم قال لي: «**يا عبد الله بن عمر، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، إنما هي حسنات وسيئات، جزاء بجزاء، وقصاص بقصاص، ولا تتبرأ من ولدك في الدنيا فيتبرأ الله منك في الآخرة، فيفضحك على رءوس الأشهاد، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**».

* توفي عبد الله بن عمر سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وكان سبب قتله أن الحجاج أمر رجلاً فسمَّ زج [2] رمح وزحمه في الطريق، ووضع الزج في ظهر قدمه، وإنما فعل الحجاج ذلك لأنه خطب يومًا وأخَّر الصلاة، فقال له ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك. فقال له الحجاج: لقد هممتُ أن أضرب الذي فيه عيناك! قال: إن تفعل فإنك سفيه مُسَلَّط!

* وقيل: إن الحجاج حج مع عبد الله بن عمر، فأمره عبد الملك بن مروان أن يقتدي بابن عمر، فكان ابن عمر يتقدم الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها، فكان ذلك يشق على الحجاج، فأمر رجلاً معه حربة مسمومة، فلصق بابن عمر عند دفع الناس، فوضع الحربة على ظهر قدمه، فمرض منها أياماً، فأتاه الحجاج يعوده، فقال له: من فعل بك؟

قال: وما تصنع؟

قال: قتلني الله إن لم أقتلهّ!

(1) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة: ٦/١٠٠.

(2) الزج بضم الزاي: الحديد في أسفل الرمح.

قال: ما أراك فاعلاً! أنت أمرت الذي نخسني بالحربة!

فقال: لا تفعل يا أبا عبد الرحمن. وخرج عنه، ولبث أياماً، ومات وصلّى عليه الحجاج.

ومات وهو ابن ست وثمانين سنة، وقيل: أربع وثمانين سنة، وقيل: توفي سنة أربع وسبعين ودفن بالمحصب [1]، وقيل: بذي طوى وقيل: بفج [2]. وقيل: بسرف [3].

قيل: كان مولده قبل المبعث بسنة، وهذا يستقيم على قول من يجعل مقام النبي ﷺ بمكة بعد المبعث عشر سنين، لأنه توفي سنة ثلاث وسبعين، وعمره أربع وثمانون سنة، فيكون له في الهجرة إحدى عشرة سنة، فيكون مولده قبل المبعث بسنة، وأما على قول من ذهب إلى أن النبي ﷺ لم يجزه يوم أحد، وكان له أربع عشرة سنة، وكانت أُحُد في السنة الثالثة، فيكون له في الهجرة إحدى عشرة سنة، وأما على قول من يقول: إن النبي ﷺ أقام بعد المبعث بمكة ثلاث عشرة سنة، وأن عُمْر عبد الله أربع وثمانون سنة، فيكون مولده بعد المبعث بسنتين. وأما على قول من يجعل عمره ستًا وثمانين سنة، فيكون مولده وقت المبعث، والله أعلم. ا.هـ.

تعليق

(ومن مناقبه) رضي الله عنه بالإضافة إلى ما جاء في نص الترجمة، هو ما ورد:

(عن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على النبي ﷺ وكنت غلاماً أعزب أنام في المسجد حينذاك، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذا بي فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر [4]، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد

---

(١) المحصب: بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الصاد المفتوحة: بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب.

(٢) فج: موضع أو جبل.

(٣) سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

وأما عن ذي طوى بضم الطاء، وقيل بفتحها، وقيل بكسرها: موضع عند مكة.

(٤) أي: مبنية كبناء البئر.

عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال: لن تُراع، فقصصتها على حفصة [1] فقصتها على النبي ﷺ فقال: **((نعم الرجلُ عبد الله لو كان يصلي بالليل))**. قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً. رواه الشيخان.

(وعنه) رضي الله عنه قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أُتي بجُمَّار نخلة [2]، فقال النبي ﷺ: **((إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم))** وفي رواية: **((إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها حدثوني ما هي؟))** فوقع الناس في شجر البوادي، فظننت النخلة وأردت أن أقول هي النخلة يا رسول الله، فالتفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثُهم فسكت. فقال النبي ﷺ: **((هي النخلة))**. رواه البخاري في الأطعمة، والترمذي في الأمثال.

(ومعنى) قول النبي ﷺ: **((إن من الشجر شجرة كالمسلم))** أي: في الاستقامة، وفي موتها بقطع رأسها، وفي النفع بكل أجزائها (فإن) ابن عمر قد فهم الجواب وحده، و لم يمنعه من التكلم إلا الحياء لصغره.

(هذا) دليل على فضله وشدة ذكائه وكثرة حيائه رضي الله عنه وأرضاه.

(وكان) رضي الله عنه يقول: (لقد بايعت رسول الله ﷺ، فما نكثتُ ولا بدَّلتُ إلى يومي هذا... وما بايعت صاحب فتنة.. ولا أيقظت مؤمنا من مرقده).

(وكان) رضي الله عنه كما قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ من منازله، كما كان يتبعه ابن عمر).

(ولقد) قضى عمره الطويل المبارك على هذا الولاء الوثيق- لرسول الله ﷺ - حتى لقد جاء على المسلمين زمان كان صالحهم يدعو ويقول: (اللهم أبق عبد الله ابن عمر ما أبقيتني، كي أقتدي به، فإني لا أعلم أحدا على الأمر الأول غيره).

(وكان) رضي الله عنه يتهيَّب الحديث عن رسول الله ﷺ ولا يروى عنه عليه الصلاة والسلام حديثا إلا إذا كان ذاكرا كل حروفه.، حرفا. حرفا... (وقد) قال

(١) وهي أخته زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها.

(٢) الجمار: -كرمان- قلب النخلة.

معاصروه: (لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ أشدَّ حذرا مـــن ألا يزيـــد في حديث الرسول، أو ينقص منه، من عبد الله بن عمر).

(وكان) كذلك شديد الحذر والتحوُّط في الفتيا.. (جاءه) يوما سائل يســـتفتيه، فلما ألقى على ابن عمر سؤاله، أجابه قائلا: (لا علم لي بما تسأل عنه)... (وذهب) الرجل إلى سبيله.. ولا يكاد يبتعد عن ابن عمر خطوات حتى يفرك ابن عمر كفيـــه جذلان فرحا ويقول لنفسه: (سُئل ابن عمر عما لا يعلم، فقال لا أعلم)...! [1]

(فلنكن) إن شاء الله من المقتدين بعبد الله بن عمر في كل ما وقفنا عليه ولا سيما بالنسبة لا تباع الرسول ﷺ في آثاره.. ولله در الإمام محمود خطاب السبكي – رحمه الله تعالى– فلقد قال[2]:

اعمـــــل بآثـــــار الـــــنبي	فإنهـــــا النــــــور المـــــبين
وأقبـــل نصـــيحتها ففيهـــا	العـــز والشـــرف المكـــين
واشـــدد يمينـــك بالشـــريعة	إنهـــا الســـبب المـــتين
خـــير البريـــة أحمـــد	والحـــق يصـــحبه الـــيقين
ذو قـــوة عنـــد الإلـــه	مقـــربٌ منـــه مكـــين
زان النبيـــون الـــورى	ومحمـــدٌ لهـــمُ يـــزين

إلى أن يقول:

ولـــئن فعلـــت فلـــن تفـــو	تـــك بعـــد ذا دنيـــا وديـــن

والله ولي التوفيق

(١) انظر (رجال حول الرسول ﷺ) للأستاذ خالد محمد خالد. ترجمة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٢) في كتابه (المقامات العلية).

١٤- ومن هو عكرمة رضي الله عنه؟

إنه: عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي.

وأمه: أم مجالد إحدى نساء بني هلال بن عامر، واسم أبي جهل عمرو، وكنيته: أبو الحكم[1]، وإنما رسول الله ﷺ والمسلمون كنوه أبا جهل، فبقى عليه و نُسيَ اسمه وكنيته.

وكنية عكرمة. أبو عثمان.

أسلم بعد الفتح بقليل، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ في الجاهلية، ومن شابه أباه فما ظلم ! وكان فارسًا مشهورًا، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة هرب منها ولحق باليمن، وكان رسول الله ﷺ لما سار إلى مكة أمر بقتل عكرمة ونفر معه.

أخبرنا أبو الفضل الفقيه المخزومي بإسناده إلى أبي يعلى قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن المفضل، حدثنا أسباط بن نصر قال: زعم السدي، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسولُ الله ﷺ الناسَ إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: «**اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة**»: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أخطل، ومقيس بن صُبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح،

فأما ابن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً وكان أسبت الرجلين فقتله.

وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه.

وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا هاهنا فقال عكرمة: إن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، اللهم لك عليَّ عهدٌ إن عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوا كريما. قال: فجاء فأسلم.

وأما عبد الله بن سعد فإنه اختفى عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس للبيعة، جاء به حتى وقفه على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله.

(١) كما جاء في (أسد الغابة...) طبعة دار الشعب المجلد الرابع ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣.

فرفع رأسه فنظر إليه، فعل ذلك ثلاثاً، ثم بايعه بعد الثلاث. ثم أقبل على أصحابه فقال: ((**أما كان فيكم رجل رشيد فيقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عــن مبايعته فيقتله**)).

وقيل: إن زوجته أم حكيم بنت عمه الحارث بن هشام، سارت إليه وهو بــاليمن بأمان رسول الله ﷺ، وكانت أسلمت قبله يوم الفتح، فردته إلى رســول الله ﷺ، فأسلم وحسُن إسلامه [1].

وكان من صالحي المسلمين، ولما رجع قام إليه رسول الله ﷺ فاعتنقــه، وقــال: ((**مرحباً بالراكب المهاجر**)).

ولما أسلم كان المسلمون يقولون: هذا ابن عدو الله أبي جهل! فســاءه ذلــك، فشكى إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ لأصحابه: ((**لا تسبوا أباه، فإن سَبَّ الميِّت يؤذي الحي**)) ونهاهم أن يقولوا: (عكرمة بن أبي جهل). اللهمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمد، فما أحسن هذه الخلق وأعظمه وأشرفه.

ولما أسلم عكرمة قال: يا رسول الله ﷺ، لا أدع مالا أنفقت عليك إلا انفقت في سبيل الله مثله.

واستعمله رسول الله ﷺ على صدقات هوازن عام حجَّ.

وأخبرنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم عن أبي عيسى الترمــذي قــال: حدثنا عبد الله بن حميد وغير واحد قالوا: حدثنا موسى بن مسعود، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن مصعب ابن سعد، عن عكرمة بن أبي جهل قال: قال رسول الله ﷺ يوم جئته: ((**مرحباً بالراكب المهاجر**)).

وله في قتال أهل الردة أثر عظيم استعمله أبو بكر ﷺ على جيش، وســيره إلى أهل عُمَان، وكانوا ارتدوا، فظهر عليهم، ثم وجهه أبو بكر أيضاً إلى اليمن، فلما فرغ من قتال أهل الردة سار إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكر مع جيوش المســلمين، فلمــا عسكروا بالجرف على ميلين من المدينة، خرج أبو بكر يطوف في معسكرهم، فبصر

(١) ذكر ذلك مصعب بن الزبير في كتابه نسب قريش: ٣١٠.

بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعدةٌ ظاهرة فانتهى إليه فإذا بخباء عكرمــة، فسلم عليه أبو بكر، وجزاه خيراً، وعرض عليه المعونة، فقال: لا حاجة لي فيها، معي ألفا دينار. فدعا له بخير، فسار إلى الشام واستشهد بأجنادين. وقيل: يوم اليرمــوك. وقيل: يوم الصُّفَّر.

أخبرنا غيرُ واحد كتابةً، عن أبي القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو الحسين بـــن النَّقُور، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا أبو بكر بن سيف، أخبرنا السري بن يحيى، حدثنا شعيب ابن إبراهيم، حدثنا سيف بن عمر، عن أبي عثمان الغساني -وهو يزيد بن أسيد- عن أبيه قال: قال عكرمة بن أبي جهل يومئذ: -يعني يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن، وأفر منكم اليوم. ثم نادى: من يبايعني على المــوت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا [1] جميعاً جراحةً وقتلــوا إلا ضرار بن الأزور.

قالوا: وأخبرنا أبو القاسم أيضاً، أخبرنا أبو علي بن المسلمة، أخبرنا أبو الحسن بن الحمامي، أخبرنا أبو علي بن الصواف، حدثنا محمد بن الحسن بن علـــي القطـــان، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر قال: أخبرني محمـــد بـــن إسحاق، عن الزهري قال - وأخبرني ابن سمعان أيضًا عن الزهري-: أن عكرمة بن أبي جهل يومئذ -يعني يوم (فِحْل) [2] كان أعظم الناس بلاءً، وأنه كـــان يركـــب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه، فقيل له: اتق الله، وارفق بنفسك فقال: كنـــت أجاهد بنفسي عن اللات والعزى، فأبذلها لها، أفأستبقيها الآن عن الله ورســـوله! لا والله أبداً- قالوا: فلم يزدد إلا إقداماً حتى قتل رحمه الله.

وأخبرنا غير واحد إجازةً، أخبرنا أبو المعالي ثعلب بن جعفر، أخبرنا الحسين بـــن

---

(١) أي: حتى وقفوا جميعاً في ثبات واستبسال حتى فازوا بالشهادة في سبيل الله..

(٢) فحل: بكسر الفاء وسكون الحاء: موضع بالشام، كانت للمسلمين مع الروم به وقعة. وذلك سنة ١٤ من الهجرة، وهي الآن خربة فحل بالأردن، ينظر مراصد الاطلاع، والعبر للذهبي: ١٧/١.

محمد الشاهد، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هلال النحوي، حدثنا يوسف بن يعقوب بن أحمد الجصاص، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا المطلب بن كثير، حدثنا الزبير بن موسى، عن مصعب بن عبد الله بن أبي أمية، عن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**رأيت لأبي جهل عِـذْقاً في الجنة**)). فلما أسلم عكرمة بن أبي جهل قال: ((**يا أم سلمة، هذا هو**)).

وليس لعكرمة عقب، وانقرض عقب أبي جهلٍ إلا من بناته. أخرجه الثلاثة. ا.هـ.

تعليق

(وقد) قرأت في كتاب (حياة الصحابة)[1] تحت عنوان:

قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه[2]

ما خلاصته: (أن) زوجة عكرمة وهي أم حكيم –بعد أن هرب زوجها إلى اليمن خوفاً من أن يقتله أصحاب الرسول ﷺ بعد أن أهدر دمه– أن زوجته كانت قد ذهبت إلى رسول الله ﷺ– وكانت قد أسلمت يوم الفتح فقالت: يا رسول الله قد هرب عكرمة منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فأمنه، فقال رسول الله ﷺ: «هو آمنٌ»..

(ثم) خرجت بعد ذلك في طلبه.. فأدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة.. فقالت له وهي تليح إليه: يا بن عم.. جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك، فوقف لها حتى أدركته، فقالت: إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ، قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك، فرجع معها...

(فلما) رأى النبي ﷺ عكرمة وثب إليه وما على النبي ﷺ رداء فرحاً بعكرمة..

(ثم) جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه زوجتهُ منقَّبة فقال: يا محمد.. إن هذه أخبرتني أنك أمنتني، فقال رسول الله ﷺ: ((**صدقت.. فأنت آمن**)) قال عكرمة: فإلى ما تدعو يا محمد؟ قال: ((**أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة**)) وتفعل وتفعل حتى عَدَّ خصال الإسلام، فقال

---

(١) للإمام محمد يوسف الكاندهلوي – طبعة دار التراث العربي.. باختصار وتصرف كبير.

(٢) أي: عن عكرمة..

عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق، وأمر حسن جميل، قد كنت والله فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً، وأبرنا براً. ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ، ثم قال عكرمة: يا رسول الله: علمني خير شيء أقوله، فقال: «**تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله..**» فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ: «**تقول: أُشهد الله وأُشهد من حضر أني مسلم مجاهد مهاجر**». فقال عكرمة ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسألني اليوم شيئاً أُعطيه أحداً إلا أعطيتكه**» قال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسير أوضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك أو وأنت غائب عنه. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له ما نال [1] مني من عرض في وجهي أو وأنا غائب عنه**» فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله.

(ثم) قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أدَعُ نفقة كنت أنفقتها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدٍّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيداً.. إلى آخر ما وقفنا عليه في الترجمة..

وتعليقي

على كل هذا.. هو أن نعتبر من خلال كل هذا بما كان من أمر عكرمة في البداية والنهاية.. حتى نعلم أن الله تعالى يهدي من يشاء.. وأن العبرة بالخواتيم.. (وأن) نذكر دائماً وأبداً ما ورد في نص حديث شريف وهو: أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله.

فالله نسأل أن يختم لنا جميعاً بالإيمان.

اللهم آمين

---

(١) يقال: فلان نال من عرض فلان: أي سَبَّه.

١٥- ومن هو عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه؟

إنه[١]: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان – وقيل: عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن سيار[٢] بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبد الله.

وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف فأسلم، واستعمله رسول الله ﷺ على الطائف.

أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق –وذكر قصة وفد ثقيف – قال: (فلما أسلموا، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص –وكان من أحدثهم سناً وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن– فقال أبو بكر: يا رسول الله، إني قد رأيت هذا الغلام أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن.

قال: وحدثنا يونس عن إسحاق قال: حدثني سعيد بن أبي هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيف قال: **«يا عثمان، تجوز [٣] في الصلاة، واقْدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والضعيف، وذا الحاجة، والصغير»**.

ولم يزل عثمان على الطائف حياة رسول الله ﷺ، وخلافة أبي بكر، وسنتين من خلافة عمر. واستعمله عمر سنة خمس عشرة على عُمان والبحرين، فسار إلى عُمان ووجه أخاه الحكم إلى البحرين، وسار هو إلى توج [٤] فافتتحها ومصَّرها وقتل مَلِكها (شهرك) سنة إحدى وعشرين.

وكان يغزو سنوات في خلافة عمر وعثمان، يغزو صيفاً ويشتو بتوج. وهو الذي منع أهل الطائف من الردة بعد النبي ﷺ فأطاعوه.

ثم سكن البصرة. وروى عن النبي ﷺ، وروى عنه من أهلها ومن أهل المدينة.

(١) كما جاء في (أُسد الغابة..) طبعة دار الشعب المجلد الثالث. ص ٥٧٩ – ٥٨١.
(٢) وفي الجمهرة لابن حزم ٢٥٤: يسار.
(٣) أي: خففها وأسرع بها، وفي سيرة ابن هشام: (تجاوز).
(٤) توج: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه، وجيم ويقال بالزاي: مدينة فارس.

وروى عنه الحسن البصري فأكثر، وقيل: لم يسمع منه.

أخبرنا يعيش بن صدقة بن علي الفقيه، أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن الملاعب الأنماطي، أخبرنا الحاكم أبو حامد أحمد بن الحسين بن علي المروزي العبدي، حدثنا جدي أبو جعفر محمد بن عبد الكريم، حدثنا الهيثم بن عدي، حدثنا هشام بن حسان القُردوسي، حدثنا لقيط، بن عبد الله قال: (مر عثمان بن أبي العاص بكلاب بن أمية ابن الأسكر وهو بالأُبُلّة [1] فقال: ما يحبسك ها هنا؟

قال: على هذه القرية- قال عثمان: أعشار؟ قال: نعم. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إذا انتصف الليل أمر الله تعالى منادياً ينادي: هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأجيبه؟ هل من سائل فأعطيه؟ فما ترد دعوة داع إلا زانية بفرجها، أو عشار** [2])).

ولعثمان عقب أشراف. أخرجه الثلاثة. ا.هـ.

وتعليقي

على هذه الترجمة -وبإيجاز- هو أنه حُسْب عثمان أبي العاص ﷺ.. رغم حداثة سنه من أحرص الأصحاب على التفقه في الدين وتعلم القرآن.. (ولهذا) فقد أمَّره النبي ﷺ على أفراد وفد ثقيف الذي كان من أفراده.. وهذا وحده يعتبر شرفاً كبيراً له.. لأنه كما يقول الشاعر:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهموا ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

(هذا) بالإضافة إلى أنه كان من أهل الإنفاق في سبيل الله:

(فقد) أخرج الطبراني عن أبي نضرة قال: أتيت عثمان بن أبي العاص ﷺ في أيام

---

(١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بنحوه عن عثمان بن أبي العاص، ينظر المسند: ٤/٢٢، ٢١٨. والعشار هو: بالتشديد (وعشرهم) من باب ضرب منازعاً شرهم (مختار الصحاح) ص ٤٣٤.

العشر[1]، وكان له بيت قد أخلاه للحديث، فمر عليه بكبش فقال لصاحبه: بكم أخذته؟ فقال: باثني عشر درهماً، فقلت: لو كان معي اثنا عشر درهماً اشتريت بها كبشاً فضحيت وأطعمت عيالي فلما قدمت اتبعت عثمان، فلما قدمت اتبعني بصُرة فيها خمسون درهماً، فما رأيت دراهم قط كانت أعظم بركة منها، أعطاني وهو لها محتسب وأنا إليها محتاج. (ج٩ ص ٣٧١): رجاله رجال الصحيح.

(أسأل) الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتشبهين بهذا الصحابي الجليل في حرصه على التفقه في الدين وحفظ القرآن، والإنفاق في سبيل الله.. إلى آخر ما جاء في الترجمة عنه..

اللهم آمين

(١) يعني أيام العشر الأول من ذي الحجة...

١٦- ومن هو أبو سعيد الخدري ﷺ؟

إنه[1]: أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر — وهو خدرة- بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخدري. وخدرة وخدارة أخوان بطنان من الأنصار، فأبو سعيد من خدرة، وأبو مسعود من خدارة. وأبو سعيد أخو قتادة بن النعمان لأمه.

وكان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين، ومن العلماء الفضلاء العقلاء.

روى عن أبي سعيد قال: عرضت على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله إنه عبل [2] العظام. فردني.

وقال: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق — قال الواقدي: وهو ابن خمس عشرة سنة.

ومات سنة أربع وسبعين وقد ذكرنا في سعد بن مالك من أخباره أكثر من هذا.

أخرجه أبو نعيم، وأبو عمر، وأبو موسى.

وقد جاء في ترجمة (سعد بن مالك) من أخباره [3] ما يلي:

سعد بن مالك بن شيبان بن عبيد بن الأبجر، وهو خدرة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج، أبو سعيد الأنصاري الخدري، وهو مشهور بكنيته، من مشهوري الصحابة وفضلائهم، وهو من المكثرين من الرواية عنه، وأول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة.

روى عنه من الصحابة: جابر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وأنس، وابن عمر، وابن الزبير.

ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعطاء بن يسار، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وغيرهم.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة...) طبعة دار الشعب.. المجلد السادس.. ص ١٤٣.

(٢) أي: ضخم العظام، يقول أبوه: إن جسمه أكبر من سنه.

(٣) في المجلد الثاني ص ٣٦٥.

أخبرنا أبو ياسر بن أبي حَيَّة بإسناده عن عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا ابن نمير، أخبرنا الأعمش، أخبرنا عطية بن سعد، قال: سمعت أبا سعيد الخدري[١] قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء، وأبو بكر وعمر منهم وأنعما**))[٢].

قال أبو سعيد: قتل أبي يوم أحد شهيداً، وتركنا بغير مال، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله شيئاً، فحين رآني: قال: ((**من استغنى أغناه الله، ومن يستعفف أعفه الله**))قلت: ما يريد غيري، فرجعت.

وتوفي سنة أربع وسبعين يوم الجمعة، ودفن بالبقيع، وهو ممن له عقب من الصحابة، وكان يحفي شاربه ويصفر لحيته.. أخرجه الثلاثة. ا.هـ.

وتعليقي

على هذه الترجمة –الموجزة– المتعلقة بهذا الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري ﷺ: هو أنه كما جاء في نص الترجمة: كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ، والمكثرين منها، كما كان أيضاً من العلماء الفضلاء العقلاء.. هذا بالإضافة إلى أنه غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة..

(هذا) ولما كان ﷺ من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ.

(فقد) رأيت أن أزود الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة التي رواها –كما جاء في كتاب (رياض الصالحين)[٣]:

(رفض) أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: ((**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق**

(١) في النص: (الخضري) ويبدو أنه خطأ مطبعي.

(٢) أنعما: أي زادا وفضلا، يقال: أحسنت إلى وأنعمت، أي: زدت على الإنعام.

(٣) للإمام النووي ﷺ..

إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك **فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصَّفَ الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»** متفق عليه. (وفي رواية): في الصحيح: «**فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي، والى هذه أن تقربي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له**» (وفي رواية): «**فنأى بصدره نحوها**».

(وعن) أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**» متفق عليه (والوصب): أي المرض.

(وعن) أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» رواه مسلم.

(وعن) أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعاً كتب في الذاكرين والذاكرات**» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(فلنكن) إن شاء الله تعالى من المنتفعين بهذا التذكير الذي ينبغي علينا كمؤمنين صادقين أن نكون من طلابه ولاسيما بالنسبة لحفظ أحاديث الرسول ﷺ بالإضافة إلى القرآن الكريم اللذين نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بما فيه — من الأوامر والنواهي- حتى يكونا حجة لنا لا علينا.. وأيضاً مع الحرص على طلب العلم النافع والعمل بمقتضاه.. بل والمشاركة في نشره.. وتعليمه للراغبين فيه..

والله ولي التوفيق

١٧- ومن هو ثوبان رضي الله عنه؟

إنه [١]: ثوبان، مولى رسول الله ﷺ. وهو ثوبان بن بُجْدُد، وقيل: ابن جحدر، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، والأول أصح، وهو من حمير من اليمن، وقيل هو من السراة، موضع بين مكة واليمن، وقيل: هو من سعد العشيرة من مذحج، أصابه سباء فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، وقال له: «**إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت**» فثبت على ولاء رسول الله ﷺ ولم يزل معه سفراً وحضراً إلى أن تُوفي رسول الله ﷺ فخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة وابتنى بها داراً، وابتنى بمصر داراً، وتوفي بها سنة أربع وخمسين، وشهد فتح مصر.

وروى عن النبي ﷺ أحاديث ذوات عدد، روى عنه: شداد بن أوس، وجبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني، وأبو سلام ممطور الحبشي، ومعدان بن أبي طلحة، وأبو أسماء الرحبي، وأبو الخير اليزني وغيرهم.

أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد ابن الحسين، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو عمرو بن أحمد بن عبد الله الدقاق، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور، أخبرنا معاذ بن هشام، أخبرنا أبي، عن قتادة، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان أن نبي الله ﷺ قال: «**إن الله زوى [٢] لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطاني الكنزين: الأحمر والأبيض [٣] وإن ملْك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها**».

وروى هشام بن عمار، عن صدقة، عن زيد بن واقد، عن أبي سلام الأسود، عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن حوضي كما بين عدن إلى عُمَان أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، أكاوبه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأكثر الناس وروداً عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين**»، قلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**الشعثة رءوسهم، الدنسة ثيابهم،**

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. المجلد الأول ص ٢٩٦، ٢٩٧.
(٢) في النهاية: زويت لي الأرض، أي جمعت.
(٣) ويعني بالأحمر والأبيض: الذهب والفضة.

الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السُّدَد[1]**، الذين يُعطُون الذي عليهم ولا يُعطَون الذي لهم»** رواه عباس بن سالم، وزيد بن سلام، وخالد بن معدان، ويزيد بن أبي مالك، ويحيى بن الحارث، عن أبي سلام.

ورواه قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان، عن ثوبان. أخرجه الثلاثة. ا.هـ.

(هذا)، وإذا كان قد ورد في هذه الترجمة -الموجزة- ذكر حوض الرسول ﷺ، (فإنني) أحب -والشيء بالشيء يذكر- أن أذكِّر الأخ المسلم بما جاء في الجزء الأول من الدين الخالص تحت عنوان:

الحوض

فلقد قال: يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضاً يرده الطائعون من أمته، وأن حوض النبي ﷺ: أكبرها وأعظمها. وطوله مسيرة شهر، مربع الشكل. له ميزابان يصُبان فيه من الكوثر. ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، كيزانه أكثر من نجوم السماء. من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ظمأ ألم. ولو دخل النار يُعذَّب بغير العطش. ويكون شربه منه أو من غيره كالتسنيم [2] بعد ذلك لمجرد اللذة يردُه الأخيار، وهم المؤمنون بالنبي ﷺ، الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، ويُطرد عنه الكفار والمبتدعة الآخذون بالتحسين والتقبيح العقليين، وكل من تعامل بالربا أو جار في الأحكام، أو أعان ظالماً، أو جاوز حدًّا من حدود الله تعالى.

(وما ذكر) ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوي (منها) حديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردةً. وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»** أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب وفيه سعيد بن بشير ضعيف.

(وحديث) ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه فلا يظمأ أبداً»** أخرجه الشيخان.

---

(١) لا تفتح لهم السدد: أي لا تفتح لهم الأبواب.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨].

(وحديث) ثوبان أن النبي ﷺ قال: «**إني لبُعقر** [1] **حوضي أذود**[2] **الناس عنه لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفضَّ** [3] **عليهم**» فسُئل عن عرضه؟ فقال: «**من مقامي إلى عُمان** [4]» وسئل عن شرابه؟ فقال: «**أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل. يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة. أحدهما من ذهب والآخر من ورِق**» [5] أخرجه أحمد ومسلم والبغوي وفيه: «**حتى يرفضوا عنه**».

(وعن) أنس ﷺ قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، إذ أغفى إغفاءة [6] ثم رفع رأسه ضاحكاً. فقيل: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليَّ سورة آنفاً فقرأ: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [الكوثر:١] حتى ختمها قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير. وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج** [7] **العبد منهم فأقول: ربي إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك**». أخرجه الشيخان.

(فلنحرص) جميعاً على أن نكون من الذين سيشربون من حوض الرسول ﷺ يوم القيامة (مع) الحذر الشديد من أن نكون من المبتدعين العقليين الذين يتعاملون بالربا.. إلى أخر ما قرأناه من أنواع المخالفات؛ حتى لا نطرد بعيداً عن حوض الرسول ﷺ والعياذ بالله..

نسأل الله السلامة

---

(١) (العُقر) بضم العين وسكون القاف: المؤخر.

(٢) (وأذود الناس): أي أردهم وأدفعهم ليردَ أهل اليمن.

(٣) (ويرفض) بتشديد الضاد المعجمة: أي يسيل.

(٤) (عمان) كغراب موضع باليمن. وبفتح فشد: عاصمة شرق الأردن بالشام (ولفت) أي يجريان فيه جرياً له صوت.. (ويرفض) أي يتفرقوا.

(٥) الورق بكسر الراء: أي الفضة.

(٦) أي: نام نومة، ولا يقال غفا.

(٧) أي: يطرد.

١٨- ومن هو أبو أمامة رضي الله عنه؟

إنه [١]: أبو أمامة أسعد بن زرارة الأنصارى الخزرجي، ثم من بني مالك بن النجار. شهد العقبتين الأولى والثانية، وهو أحد النقباء، وهو أول من قدم إلى المدينة بالإسلام هو وذكوان بن عبد قيس في قول الواقدي، ومات في شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة قبل بدر.

وقيل: مات قبل قدوم رسول الله ﷺ، والأول أصحُّ وقد ذكرناه في الهمزة في (أسعد) أتم من هذا.[٢] أخرجه أبو عمر.

(وقد) جاء في الترجمة المشار إليها ما نصه: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار واسمه تيم الله، وقيل له النجار، لأنه ضرب رجلاً بقدوم فنجره، وقيل غير ذلك، والنجار بن ثعلبة عمرو بن الخزرج الأنصاري الخزرجي البخاري، ويقال له: أسعد الخير، وكنيته: أبو أمامة.

وهو من أول الأنصار إسلاماً. وكان سبب إسلامه ما ذكره الواقدي أن أسعد بن زرارة خرج إلى مكة هو وذكوان بن عبد قيس يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن فأسلما، ولم يقربا عتبة، ورجعا إلى المدينة، وكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة.

وقال ابن إسحاق: إن أسعد بن زرارة إنما أسلم مع النفر الذين سبقوا قومهم إلى الإسلام بالعقبة الأولى. وكان عقبياً شهد العقبة الأولى [٣] والثانية والثالثة وبايع فيها، وكانت البيعة الأولى، وهم ستة نفر أو سبعة، والثانية وهم اثنا عشر رجلاً، والثالثة وهم سبعون رجلاً، وبعضهم لا يسمى بيعة الستة عقبة، وإنما يجعل عقبتين لا غير، وكان أبو أمامة أصغرهم، إلا جابر بن عبد الله، وكان نقيب بني النجار.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. المجلد السادس ص ١٦.

(٢) في الترجمة ٩٨: ١/٨٦.

(٣) ينظر سيرة ابن هشام ١- ٤٣١.

وقال ابن منده وأبو نعيم: إنه كان نقيب بني ساعدة، وكان النقباء اثنا عشر رجلاً: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، والبراء بن معرور، وأبو الهيثم بن التيهان، وأسيد بن حضير، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت، ورافع بن مالك.

ويقال إن أبا أمامة أول من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة، وقيل غيره، ويرد في موضعه.

وهو أول من صلى الجمعة بالمدينة في هزمة [1] من حرة بني بياضة يقال له: نقيع الخضمات. وكانوا أربعين رجلا.

ومات أسعد بن زرارة في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر، لأن بدراً كان في رمضان سنة اثنتين، وكان موته بمرض يقال له: الذبحة [2] فكواه النبي ﷺ بيده، ومات والمسجد يُبنى، فقال النبي ﷺ: ((**بئس الميتة لليهود، يقولون أفلا دفع عن صاحبه، وما أملك له ولا لنفسي شيئاً**)). أخرج ثلاثتهم.

قلت: قول ابن منده وأبي نُعيم: إن سعد بن زرارة نقيب بني ساعدة، وَهْمٌ منهما؛ إنما هو نقيب قبيلة بني النجار، ولما مات جاء بنو النجار إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله: إن أسعد قد مات وكان نقيبًا، فلو جعلت لنا نقيباً فقال: أنتم أخوالي وأنا نقيبكم، فكانت هذه فضيلة لبني النجار. وكان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة، لأنه ﷺ كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم، ولاشك أن أبا نعيم تبع ابن منده في وهمه.

والله أعلم

---

(١) ما اطمأن من الأرض.

(٢) الذبحة: وجع في الحلق، أو ورم يخنق الرجل فيقتل. —عافانا الله تعالى منها.. ومن غيرها من الأمراض الخطيرة.. اللهم آمين.

١٩- ومن هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؟

إنه [١]: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يُكنى أبا محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن. أمه ريطة بنت منية بن الحجاج السهمي. وكان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة.

أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدمة، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب عنه، فأذن له، فقال: يا رسول الله، أكتب ما أسمع في الرضا والغضب؟ قال: «**نعم، فإني لا أقول إلا حقاً** [٢]».

قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

وقال عبد الله: حفظت عن النبي ﷺ ألف مثل.

أخبرنا إسماعيل بن علي وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى قال: حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، حدثني أبي، عن مطرف، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن عبد الله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: «**اختمه في شهر**» قلت: إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «**اختمه في عشرين**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «**اختمه في خمس عشرة**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «**اختمه في خمس**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: فما رخَّص لي[٣].

قال مجاهد: أتيت عبد الله بن عمرو، فتناولت صحيفة تحت مَفْرَشه، فمنعني، قلت: ما كنت تمنعني شيئاً! قال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد، إذا سُلِمَتْ لي هذه وكتاب الله والوهط، فلا أبالي علام كانت عليه الدنيا؟ والوهط [٤] كانت له يزرعها.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. الجزء الثالث.. ص ٢٤٩ - ٢٥١.

(٢) ينظر مسند أحمد: ٢/١٦٢، ١٩٢.

(٣) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب... ثم ذكر روايات أخرى في قراءة القرآن. ينظر تحفة الأحوذي: ٨/٢٧١ - ٢٧٣.

(٤) وهي أرض بالطائف.. ينظر النهاية لابن الأثير.

وقال عبد الله: لخيرٌ أعمله اليوم أحب إلي من مثليه مع رسول الله ﷺ، لأنا كنا مع رسول الله ﷺ همنا الآخرة ولا همنا الدنيا، وإنا اليوم مالت بنا الدنيا.

وشهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضاً صفين، وكان على الميمنة — قال له أبوه: يا عبد الله، اخرج فقاتل. فقال: يا أبتاه، أتأمرني أن أخرج فأقاتل، وقد سمعت رسول الله ﷺ يعهد إلي ما عهد؟! قال: إني أنشدك الله يا عبد الله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله ﷺ أن أخذ بيدك فوضعها في يدي، وقال: «**أطع أباك؟**» قال: اللهم بلى. قال: فإني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل، فخرج فقاتل وتقلد سيفين. وندم بعد ذلك، كان يقول: مالي ولصفين، مالي ولقتال المسلمين، لوددت أني مت قبله بعشرين سنة. وقيل: إنه شهدها بأمر أبيه له، ولم يقاتل.

قال ابن أبي مليكة: قال عبد الله بن عمرو: أما والله ما طعنت برمح، ولا ضربت بسيف، ولا رميت بسهم، وما كان رجل أجهد مني، رجل لم يفعل شيئاً من ذلك.

وقيل: إنه كانت الراية بيده وقال: قدمت الناس منزلة أو منزلتين أخبرنا القاسم بن علي بن الحسن إجازة، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي (ح) قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو الحسين بن النقور — قالا: أخبرنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى، أخبرنا عبد الله بن محمد، حدثنا داود بن رشيد، وحدثنا علي بن هاشم، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه قال: كنت في مسجد الرسولﷺ في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو، فمر بنا حسين بن علي، فسلَّم، فرد القوم السلام، فسكت عبد الله حتى فرغوا، رفع صوته وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى. قال: هو هذا الماشي، ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين، ولأن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه؟ قال: بلى. قال: فتواعدا أن يغدوا إليه.

قال: فغدوتُ معهما. فاستأذن أبو سعيد، فأذن له، فدخل، ثم استأذن لعبـــد الله، فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد: يا بن رسول الله، إنك لما مررت بنا أمس... فأخبره بالذي كان من قول عبد الله بن عمرو، فقال حسين: أعلمت يا عبد الله أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال: إي ورب الكعبة! قال: فمـــا حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين؟ فوالله لأبي كان خيراً مني. قال: أجل، ولكن عَمْرًا شكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبد الله، صل ونم وصم وأفطر، وأطع عمرًا»** قال: فلما كان يوم صفين أقسم عَلَيَّ فخرجت، أما والله ما اخترطـــت ســـيفاً، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. قال: فكانه).

وتوفي عبد الله سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة خمس وستين بمصر. وقيل: سنة سبع وستين بمكة. وقيل: توفي سنة خمس وخمسين بالطائف، وقيل: سنة ثمـــان وســـتين. وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وكان عمره اثنتين وسبعين سنة، وقيل: اثنتان وتســـعون سنة — شك أبو بكر في سبعين وتسعين. أخرجه الثلاثة.. ا.هـــ.

وتعليقي

على هذا —بالإضافة— إلى ما جاء في هذه الترجمة، عن عبد الله بن عمـــرو بـــن العاص ﷺ، هو أنه:

(كان) من المؤمنين الأسخياء الذين يطعمون الطعام للفقراء والأضياف مـــن أهـــل الأمصار الذين يترددون على المسجد الحرام وغيرهم (فقد) ذكر أبو نعيم في الحلية (ج١ ص ٢٩١) عن سليمان بن ربيعة أنه حج في إمرة معاوية ﷺ ومعه المنتصر بن الحـــارث الضبي في عصابة [1] من قراء أهل البصرة، فقالوا: والله.. لا نرجع حتى نلقى رجلاً مـــن أصحاب محمد ﷺ مرضياً يحدثنا بحديث، فلم نزل نسأل حتى حدثنا أن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما نازل في أسفل مكة، فعمدنا إليه. فإذا نحن بثقل عظيم يرتحلون ثلاث مائة راحلة منها مائة راحلة ومائة زاملة. قلنا: لمن هذا الثقل؟ قالوا: لعبـــد الله بـــن عمرو بن العاص، فقلنا: أكل هذا له؟ —وكنا نحدث أنه من أشد الناس تواضعاً— فقالوا: أما

(١) كما جاء في (حياة الصحابة) ج ص ١٥٩.

هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها، وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار لــه ولأضيافه. فعجبنا من ذلك عجباً شديداً، فقالوا: لا تعجبوا من هذا.. فإن عبــد الله ابــن عمرو رجل غني وأنه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزواد لمن نزل عليه من النــاس. فقلنــا: دلونا عليه؟ فقالوا: إنه في المسجد الحرام. فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبر الكعبة جالساً، رجل قصير أرمص [1]، بين بُردين وعمامته، ليس عليه قميص، قد علق نعليه في شماله.

وأخرجه ابن سعد (ج ٤ ص ١٢) عن سليمان الربيع بمعناه مع زيادة.

(وحسبه) عليه رضوان الله أن يكون ممن يطعمون الطعام علــى حبــه للفقــراء والمساكين والأضياف الوافدين:

(فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رســول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» متفق عليه.

(وعنه) ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعون خصلةً أعلاها منيحة العنز، مــا من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله تعالى بها الجنة**» رواه البخاري.

(والمنيحة) أن يعطيه إياها ليأكل لبنها ثم يردها.

(وعن) عدي بن حاتم ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشــق تمرة**» متفق عليه.

(فلنكن) نحن كذلك من أهل السخاء حتى نكون إن شاء الله من أهل الجنة لا من أهل النار. كصاحب الترجمة الجليل..

والله ولي التوفيق

---

(١) الرمص: أي الذي في عينه رمص وهو ما يجتمع في زوايا التين رطباً.

٣٠ – ومن هو أبو قِرصافة رضي الله عنه؟

إنه [1]: أبو قرصافة الكناني، اسمه جندرة بن خيشنة بن مرة الكناني.

له صحبة ونزل الشام، وسكن عسقلان.

أخبرنا يحيى بن محمود، أخبرنا أبو القاسم الشحامي، أخبرنا أبو سعد، أخبرنا أبو بكر الطرازي، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، أخبرنا أيوب بن علي العسقلاني، أخبرنا زياد بن سيار، عن بنت أبي قرصافة، أخبرنا أبو قرصافة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم، لا تفضحنا يوم القيامة، ولا تخزنا يوم القيامة**». أخرجه أبو نعيم، وأبو عمر، وأبو موسى.

وقد جاء في (المجلد الأول) ص ٢٦٤ تحت عنوان:

جَندرة بن خَيشنة

جندرة بن خيشنة بن نفير بن مرة بن عُرنة بن وايلة بن الفاكه بن عمرو بن الحارث بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو قرصافة، من بني مالك بن النضر، وجعله ابن ماكولا ليثياً، وليس بشيء.

ونسبه أبي منده وأبو نعيم، وأسقطا من نسبه الحارث والنضر وكنانة، وقالا: هو من ولد مالك بن النضر بن كنانة، ولم يذكراهما في نسبه.

نزل فلسطين من الشام، وله أحاديث مخرجها من الشاميين. أخرجه الثلاثة..

وايلة: بالياء تحتها نقطتان. خيشنة: بالخاء المعجمة المفتوحة، وبعدها ياء تحتها نقطتان، ثم شين معجمة ونون. وجندرة: بالجيم والنون والدال المهملة وآخره راء وهاء وعرنة: بضم العين المهملة وفتح الراء والنون.

تعليق

وإذا كان لي أن أعلق على بعض ما جاء في هذه الترجمة.. (فإنه) حسبي أن أقف مع الأخ المسلم على بعض ما يتعلق بيوم القيامة من خلال هذا الدعاء الذي رواه أبو قرصافة عن رسول الله ﷺ وهو: «**اللهم لا تفضحنا يوم القيامة، ولا تخزنا يوم القيامة**».

(وحتى) ننتفع بهذا التذكير فإنه حسبنا أن نقف على ما جاء في (الدين الخالص) ج ١ ص ٦٤ تحت عنوان:

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب المجلد السادس ص.

اليوم الآخر

وهو يوم القيامة. وأوله من الموت، لحديث هانئ مولى عثمان بن عفان، قال: كان عثمان ﷺ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر. وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**» وقال ﷺ: «**ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه**» أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، ورزين وزاد: قال هانئ: سمعت عثمان ينشد:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجياً

(وقيل): أوله من النشر -وهو الخروج من القبور- وآخره دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

(ولا يعلم) وقت مجيئه إلا الله تعالى، ليكون الإنسان منه على وجل. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ [لقمان: ٢٤]: أي لا يعلم وقت مجيء القيامة إلا الله تعالى. (وقال) تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٧].

و﴿**أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾: أي: متى يكون منتهاها، و ﴿**لاَ يُجَلِّيهَا**﴾: أي: لا يكشفها ولا يظهرها في وقتها إلا الله تعالى، و﴿**ثَقُلَتْ**﴾: أي ثقل علمها وخفي أمرها، و﴿**عَنْهَا**﴾: متعلق بيسألونك، أي يسألونك عنها كأنك عالم بها. يقال: أحفيت في المسألة أي: بالغت فيها حتى علمتها.

(وعن) بريدة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**» [لقمان: ٣٤] أخرجه أحمد بسند صحيح.

(وعلى) هذا، فإنه ينبغي علينا أن نعمل ألف حساب ليوم القيامة (لأنه) في هذا اليوم ستدنو الشمس فيه من الرءوس، وسيكون العرق فوق الأذقان. (اللهم) إلا إذا كان هناك عمل صالح يكون سبباً في نجاتنا من خزي هذا اليوم، والخروج منه بسلام إلى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً..

والله ولي التوفيق

٣١- ومن هو البراء بن عازب ﷺ؟

إنه [1]: البرَّاء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جُشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عمرو، وقيل أبا عمارة، وهو أصح.

رده رسول الله ﷺ عن بدر، استصغره، وأول مشاهده أُحُد، وقيل الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة.

وهو الذي افتتح الرِّي سنة أربع وعشرين صلحاً أو عنوة، في قول أبي عمرو الشيباني، وقال أبو عبيدة: افتتحها حذيفة سنة اثنتين وعشرين، وقال المدائني: افتتح بعضها أبو موسى، وبعضها قرظة ابن كعب.

وشهد غزوة تُستر مع أبي موسى، وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان، هو وأخوه عبيد بن عازب، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً، ومات أيام مصعب بن الزبير.

أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، أخبرنا شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: استصغرني رسول الله ﷺ أنا وابن عمر، فردنا يوم بدر فلم نشهدها، ورواه عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، فقال: عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء نحوه، وزاد: (وشهدنا أحداً). تفرد عمار بذكر عبد الرحمن بن عوسجة.

وقد رواه شعبة والثوري وزهير وابن نمير، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن البراء: أخبرنا عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد، أخبرنا هبة الله بن عبد الواحد، أخبرنا أبو طالب غيلان، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى، أخبرنا محمد بن إسحاق السراج، أخبرنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، أخبرنا عبثر، عن برد أخي يزيد بن زياد، عن المسيب بن رافع، قال: سمعت البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: **((من صلَّى عَلَىَ جنازة فله قيراطان، أحدهما مثل أحد))**.

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب ا لمجلد الأول ص ٢٠٥، ٢٠٦.

وكان البراء يقول: أنا الذي أرسل معه النبي ﷺ السهم إلى قليب الحديبية فجاش بالري[1]، وقيل: إن الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب. وهو أشهر. أخرجه الثلاثة.

رزيق: بتقديم الراء على الزاي.

تعليق

(هذا) وإذا كان لي أن أعلق على بعض ما جاء في هذه الترجمة، فإنه حسبي أن أذكر بأهم ما يتعلق بهذا الحديث الذي رواه –البراء– عن رسول الله ﷺ، والذي يقول فيه: «**من تبع جنازة وصلى عليها، فله قيراط. ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان، أصغرهما مثل أحد**» أو «**أحدهما مثل أحد**». رواه الجماعة عن أبي هريرة.

(وعن) خباب رضي الله عنه، قال: يا عبد الله بن عمر، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة؟ إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحد. ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أحد**» فأرسل ابن عمر رضي الله عنهما خباباً إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد فرطنا في قراريط كثيرة. رواه مسلم.

(وقد) أشار في (فقه السنة) إلى ما يشرع في:

حمل الجنازة والسير بها

فقال: يشرع في حمل الجنازة والسير بها أمور نذكرها فيما يلي:

١- يشرع تشييع الجنازة وحملها، والسنة أن يدور على النعش، حتى يدور على جميع الجوانب.

روى ابن ماجه والبيهقي وأبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال: من اتبع جنازة فليحمل بجوانب السرير كلها فإنه من السنة [2] ثم إن شاء أن يتطوع وإن شاء فليدع.

---

(١) القليب: البئر. وجاش بالري: أي ارتفع ماؤه.

(٢) قول الصحابي (من السنة) كذا يعطى حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

(وعن) أبي سعيد: أن النبي ﷺ قال: «**عودوا المريض، وامشوا مع الجنازة: تذكركم الآخرة**» رواه أحمد ورجاله ثقات.

٢- الإسراع بها، لما رواه الجماعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدموها إليه، وإن تك سوى ذلك فَشرٌّ تضعونه عن رقابكم**».

وروى أحمد والنسائي وغيرهما عن أبي بكرة قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وإنا لنكاد نرمل بالجنازة رملاً [(١)].

(وروى) البخاري في التاريخ: أن النبي ﷺ أسرع حتى تقطعت نعالنا يوم مات سعد بن معاذ.

قال في الفتح: والحاصل أنه يستحب الإسراع بها، لكن بحيث لا ينتهي إلى شدة يخاف معها حدوث مفسدة الميت أو مشقة على الحامل أو المشيع لئلا يتنافى المقصود من النظافة وإدخال المشقة على المسلم... إلخ [(٢)].

(فلنكن) إن شاء الله تعالى من المنتفعين بهذا التذكير..

والله ولي التوفيق

---

(١) الرمل: المشي السريع مع هز الكتفين.

(٢) ارجع إلى (فقه السنة) باب الجنائز.

٣٣- ومن هو الإمام علي ﷺ؟

إنه[1]: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف. وقيل: اسمه كنيته، واسم هاشم: عمرو وأم علي فاطمة بنت أسد ابن هاشم.

وكنيته: أبو الحسن أخو رسول الله ﷺ، وصهره على ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين [2]، وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وكان علي أصغر من جعفر وعقيل وطالب. وهو أول الناس إسلاماً في قول كثير من العلماء على ما نذكر.. وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وأُحداً، والخندق، وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، فإن رسول الله ﷺ خلفه على أهله، وله في الجميع بلاء عظيم وأثر حسن، وأعطاه رسول الله ﷺ اللواء في مواطن كثيرة بيده، منها يوم بدر -وفيه خلاف- ولما قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكان اللواء بيده، دفعه رسول الله ﷺ إلى علي[3]. وآخاه رسول الله ﷺ مرتين، فإن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعلي في كل واحدة منهما: **«أنت أخي في الدنيا والآخرة»**.

إسلامه ﷺ

أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناده إلى يونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم -يعني بعد إسلام خديجة وصلاتهما معه- قال: فوجدهما يصليان، فقال علي: يا محمد، ما هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وإلى عبادته وتكفر باللات والعُزّى»**. فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمراً

(١) كما جاء في أسد الغابة.. طبعة دار الشعب. المجلد الرابع. ص ٩١ - ١٢٥. باختصار وتصرف.

(٢) وهما الحسن والحسين عليهما رضوان الله..

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/٧٣.

حتى أُحدث أبا طالب. فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «**يا علي، إن لم تسلم فاكتم**». فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلام. فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له: «**تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد**» ففعل عليٌّ وأسلم، ومكث عليٌّ يأتيه سراً خوفاً من أبي طالب، وكتم عليٌّ إسلامه. وكان مما أنعم الله به عَلَى عَلِيٍّ أنه رُبِّيَ في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

قال يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح قال: رواه عن مجاهد قال: أسلم علي وهو ابن عشر سنين.

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد ابن عيسى الترمذي عن محمد بن حميد عن إبراهيم بن المختار، عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، قال: (أول من أسلم علي) ومثله روى مقسم عن ابن عباس واسم أبي بلج: يحيى بن أبي سليم.

قال: وحدثنا أبو عيسى، حدثنا إسماعيل بن موسى، حدثنا علي بن عابس، عن سلم الملائي، عن أنس بن مالك قال: بعث النبي ﷺ يوم الاثنين. وأسلم عليٌّ يوم الثلاثاء.

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار وابن مثنى قالا: حدثنا محمد ابن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة رجل من الأنصار، عن زيد ابن أرقم قال: (أول من أسلم علي) قال عمرو بن مرة: ذكرت ذلك لإبراهيم النخعي، فأنكره وقال: (أول من أسلم أبو بكر). وأبو حمزة اسمه: طلحة بن يزيد.

أنبأنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله المخزومي بإسناده عن أحمد بن علي: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا الأجلح، عن سلمة بن كهيل، عن حبة بن جوين، عن علي قال: (لم أعلم أحداً من هذه الأمة عَبَد الله قبلي، فقد عبدته قبل أن يعبده أحد منهم خمس سنين، أو سبع سنين). رواه إسماعيل بن إبراهيم بن بسام، عن شعيب بن صفوان، عن الأجلح، نحوه.

أنبأنا عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب بإسناده عن أبي داود الطيالسي: حدثنا شعبة، حدثنا سلمة بن كهيل عن حبة العُرني قال: سمعت علياً يقول: (أنا أول من صلى مع النبيﷺ).

وأنبأنا أبو الطيب محمد بن أبي بكر بن أحمد المعروف بكلى الأصبهاني كتابة، وحدثني به عثمان بن أبي بكر بن جلدك الموصلي، عنه، أخبرنا أبو علي الحداد، أنبأنا أحمد بن عبد الله ابن إسحاق، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن إسحاق، أنبأنا سليمان بن أحمد بن أيوب، حدثنا بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا عبد الرازق، حدثنا الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن عليم الكندي، عن سلمان الفارسي قال: (أول هذه الأمة وروداً على نبيها أولها إسلاماً، علي بن أبي طالب). رواه الدبري عن عبد الرازق، عن الثوري، عن قيس بن مسلم.

أنبأنا ذاكر بن كامل الخفاف، أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الباقرحي. أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف المقري العلاف، أنبأنا أبو علي مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرحي، حدثنا محمد بن جرير الطبري، حدثنا عبد الأعلى بن واصل، حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن الأسود، عن محمد ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن مسلم، عن أبيه، عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول اللهﷺ : **«لقد صلت الملائكة عَلَيَّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذاك أنه لم يصلِّ معي رجل غيره»**.

أنبأنا يحيى بن محمود بن سعد، حدثنا الحسن بن أحمد قراءة عليه وأنا حاضر أسمع، أنبأنا أحمد بن عبد الله أبو نعيم، أنبأنا القاسم الطبراني، حدثنا العباس بن الفضل الأسقاطي، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدثنا علي بن غراب، عن يوسف بن صهيب، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: (خديجة أول من أسلم مع النبيﷺ ، ثم عَلِيّ).

وقال أبو ذر والمقداد، وخباب، وجابر، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم: إن علياً أول من أسلم بعد خديجة، وفضَّله هؤلاء على غيره. قاله أبو عمر.

وروى معمر عن قتادة، عن الحسن وغيره قال: أول من أسلم عليٌّ بعد خديجة، وهو ابن خمس عشرة سنة.

وسئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم: علي أو أبو بكر؟ قال: سبحان الله! علي أولهما إسلاماً، وإنما اشتبه على الناس لأن عليا أخفى إسلامه عن أبي طالب وأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه.

وقد ذكرنا حديث عفيف الكنوي في أن أول من أسلم عليٌّ في ترجمته. وقال أبو الأسود تيم بن عروة: إن عليا والزبير أسلما وهما ابنا ثمان سنين.

قال أبو عمر: ولا أعلم أحداً يقول بقوله هذا.

وقد قال جماعة غير من ذكرنا: إن عليا أول من أسلم، وقيل: أبو بكر، والله أعلم.

هجرته ﷺ

أنبأنا عبيد الله بن أحمد بإسناده، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: وأقام رسول الله ﷺ – يعني بعد أن هاجر أصحابه إلى المدينة– ينتظر مجيئ جبريل عليه السلام وأمره له بأن يخرج من مكة بإذن الله له في الهجرة إلى المدينة، حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت بالنبي، وأرادوا برسول الله ﷺ ما أرادوا، أتاه جبريل عليه السلام وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه، ويتسجَّى بِبُرد له أخضر، ففعل، ثمَّ خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه. قال ابن إسحاق: وتتابع الناس في الهجرة، وكان آخر من قدم المدينة من الناس ولم يفتن في دينه علي بن أبي طالب وذلك أن رسول الله ﷺ أخره بمكة، وأمره أن ينام على فراشه وأجله ثلاثاً، وأمره أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه، ففعل: ثم لحق برسول الله ﷺ.

أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي إجازة: أنبأنا أبي أنبأنا أبو الأغرّ قَرا تكين بن الأسعد، حدثنا أبو محمد الجوهري، حدثنا أبو حفص ابن شاهين، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا أحمد بن يزيد النخعي، حدثنا عبيد الله بن الحسن، حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده عن أبي رافع (ح) قال عبيد الله بن الحسن: وحدثني محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن أبي رافع في

هجرة النبي ﷺ قال: وخلَّفه النبي ﷺ- يعني خلف عليا يخرج إليه بأهله- وأمره أن يؤدي عنه أمانته ووصايا مَنْ كان يوصى إليه، وما كان يؤتمن عليه من مال، فأدى عليٌّ أمانته كلها، وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقال: إن قريشاً لم يفقدوني ما رأوك فاضطجع على فراشه، وكانت قريش تنظر إلى فراش النبي ﷺ فيرون عليه عليا، فيظنونه النبي ﷺ، حتى إذا أصبحوا رأوا عليه عليا، فقالوا: لو خرج محمد لخرج بعليٍّ معه، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي ﷺ حين رأوا عليا، وأمر النبي ﷺ علياً أن يلحقه بالمدينة، فخرج علي في طلبه بعد ما أخرج إليه أهله يمشي الليل ويمكن النهار، حتى قدم المدينة. فلما بلغ النبي ﷺ قدومه قال: «**ادعوا لي عليا**»: قيل يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي: فأتاه النبي ﷺ، فلما رآه اعتنقه وبكى، رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فتقل النبي ﷺ في يديه، ومسح بهما رجليه، ودعا له بالعافية فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله عنه.

شهوده رضي الله عنه بدراً وغيرها

أنبأنا أبو جعفر بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير عن أبي إسحاق، في تسمية من شهد بدراً من قريش، ثم من بني هاشم قال: (وعلي بن أبي طالب، وهو أول من آمن به). [1]

وأجمع أهل التاريخ والسند على أنه شهد بدراً وغيرها من المشاهد، وأنه لم يشهد غزوة تبوك لا غير، لأن رسول الله ﷺ خلفه على أهله.

أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن سرايا التفقيه وغير واحد بإسنادهم إلى محمد ابن إسماعيل: حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله حدثنا إسحاق بن منصور السلولي، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق قال: سأل رجل البراء وأنا أسمع: أَشهد عليٌّ بدراً؟ قال: بارز وظاهر.

أَخبرنا يحيى بن محمود، أنبأنا عم جدي أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي، أنبأنا أبو طاهر عم والدي وأبو الفتح، قالت: أنبأنا أبو بكر بن زاذان، حدثنا أبو عروبة،

(١) ينظر سيرة بن هشام: ١/٦٧٧.

حدثنا أبو رفاعة، حدثنا محمد بن الحسن – يعرف بالُحَيْمِي حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن سعد قال: لقد رأيته – يعني عليا- يخطر [1] بالسيف هام المشركين يقول: [سنحنح الليل كأني جنِّى].

أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الأمين أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن الحسن بن صرون، وأبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني كلاهما إجازة قالا: أنبأنا أبو الحسن بن أحمد شاذان، قال: قرئ عَلَي أبي محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، قال جدي أبو الحسن يحيى بن الحسن بن جعفر قال: كتب إلى محمد ابن علي ومحمد بن يحيى يخبراني، عن محمد بن الجنيد، حدثنا حصن بن جنادة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: لقد أصابتْ عليًّا يوم أُحد ستُّ عشرة ضربة كل ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبريل عليه السلام.

قال: وحدثنا جدي حدثنا بكر بن عبد الوهاب، حدثنا محمد بن عمر، حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن يحيى بن سعيد، عن ثعلبة بن أبي مالك قال: وكان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله ﷺ في المواطن كلها فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب.

أنبأنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ. أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الحسن بن الغراء وأبو غالب وأبو عبد الله، أنبأنا البناء قالوا: حدثنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا أحمد بن سليمان، حدثنا الزبير بن بكار قال: وله- يعني لعلى بن أبي طالب- يقول أسيد بن أبي أناس بن زُنَيم، وهو يحرض مشركي قريش على قتله ويعيرهم:

في كل مجمع غاية أخزاكم … جذع أبو على المذاكي القُرَّح[2]

لله دركمو أَلَمَّا تُنكروا … قد ينكر الحيُّ الكريم ويستحي

---

(١) قد يكون المعنى: أنه كان يطيح بالسيف هام المشركين وهو يتبختر من الشجاعة والإقدام.

(٢) الجذع –بفتحتين- هنا: الشاب الحدث. والمذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان الواحد مذكى.

هذا ابن فاطمة الذي أفناكموا	ذبحاً، وقتلة قعصة [1] لم تُذْبح
أعطوه خُرجاً واتقوا بضريبة	فعل الذليل وبيعة لم تُرْبح
أين الكهول؟ وأين كل دعامة	في المعضلات؟ وأين زَيْنُ الأبطح
أفناهمُ قَعْصاً وضرباً [يفري]	بالسيف يعمل حده لم يُصْفَح [2]

أنبأنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن المديني بإسناده عن أحمد بن علي بن المثنى: حدثنا أبو موسى، حدثنا محمد بن مروان العقيلي، عن عُمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة قال: قال علي: لما تخلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه، فما فيَّ خَيرٌ مِنْ أن أقاتل حتى أُقتل، فكسرت جفن سيفي، ثم حملت على القوم فأفرجوا لي، فإذا برسول الله ﷺ بينهم.

أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الدمشقي، أنبأنا أبو العشائر محمد ابن الخليل القيسي، أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان ابن القاسم، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن أبي ثابت، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا زيد بن الحُباب، حدثنا الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء، فلما كان من الغد أخذه عمر – وقيل: محمد بن مسلمة- فقال رسول الله ﷺ : **«لأدفعن لوائي إلى رجل لم يرجع حتى يفتح الله عليه»**، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة[3]، ثم دعا باللواء، فدعا علياً وهو يشتكي عينيه، فمسحهما ثم دفع إليه اللواء ففتح – قال: فسمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدثني أبي أنه كان صاحب مَرْحب[4]– يعني علياً.

وأخباره في حروبه كثيرة لا نطول بذكرها.

---

(١) يقال: قصعته وأقعصته: إذا قتلته قتلاً سريعاً.

(٢) أي: لم يضرب بعرضه.

(٣) أي: صلاة الصبح.

(٤) أي: هو الذى قتل (مرحبًا) وهو فارس من فرسان المشركين.

علمه رضي الله عنه

روى علي عن النبي ﷺ فأكثر، وروى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وعمر، وعبد الله بن مسعود، وابن عمر، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع، وصهيب، وزيد بن أرقم، وجابر ابن عبد الله، وأبو أمامة، وأبو سريحة حذيفة بن أسيد وأبو هريرة، وسفينة، وأبو جحيفة السوائي، وجابر بن سمرة، وعمرو بن حريث، وأبو ليلى والبراء بن عازب، وعمارة بن رويبة، وبشر بن سحيم، وأبو الطفيل، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير، وجرير بن عبد الله، وعبد الرحمن بن أشيم، وغيرهم من الصحابة.

وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيب، ومسعود بن الحكم الزرقي، وقيس بن أبي حازم، وعبيدة السلماني، وعلقمة بن قيس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الأسود الديلي، وزر بن حبيش، وشريح بن هانئ، والشعبي، وشقيق، وخلق كثير غيرهم.

أنبأنا يحيى بن محمود، أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعد محمد بن بشر بن العباس، أنبأنا أبو الوليد محمد بن إدريس الشامي، حدثنا سويد بن سعيد، أنبأنا علي بن مسهد، عن الأعمش، عن عمرو بن مر، عن أبي البختري، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى اليمن، ويسألوني عن القضاء ولا علم لي به! قال: «**أُدْنُ**». فدنوت، فضرب بيده على صدري، ثم قال: «**اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه**». فلا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعد.

أنبأنا زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي وغيره كتابة قالوا: أنبأنا أبو منصور زريق، أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، أنبأنا محمد بن أحمد بن زريق، أنبأنا أبو بكر بن مكرم بن أحمد بن مكرم القاضي، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الأنباري، حدثنا أبو الصلت الهدوي، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه**»[1]. رواه غير أبي معاوية عن الأعمش. كان أبو معاوية يحدث به قديماً ثم تركه.

(١) الحديث في مجمع الزوائد ١٤/٩ وهو ضعيف.

وروى شعبة عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقمة، عن عبد الله ابن مسعود، قال: كنا نتحدث أن أقضي أهل المدينة على بن أبي طالب.[1]

وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول: (سلوني) غير علـي بـن أبي طالب.[2] وروى يحيى بن معين، عن عبده بن سليمان، عن عبد الملك بن أبي سـليمان قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، والله لا أعلمه [3].

وقال ابن عباس: لقد أُعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شـاركهم في العشر العاشر.

وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم، لما كان ضغو الناس[4] إلى علي؟ قال: يا ابن أخي، إن عليا كان له ما شـئت مـن ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسـلام، والصـهر لرسول الله ﷺ، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود بالماعون.

وروى ابن عيينة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن [5].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا ثبت لنا الشيء عن علي، لم نعـدل عنه إلى غيره [6].

وروى يزيد بن هارون، عن فطر، عن أبي الطفيل قال: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: لقد كان لعلي من السوابق ما لو أن سابقة منها بين الخلائق لو سقتهم خيراً.

وله في هذا أخبار كثيرة نقتصر على هذا منها، ولو ذكرنا ما سأله الصحابة -مثل عمر وغيره رضي الله عنهم- لأظلنا.

---

(١) الاستيعاب: ٣/١١٠٣.
(٢) ما بين القوسين عن الاستيعاب، والتهذيب: ٦/ ٣٩٦.
(٣) الاستيعاب: ٣/١١٠٤.
(٤) ضغو الناس: أي ميلهم.
(٥) الاستيعاب: ٣/١١٠٢، ١١٠٣.
(٦) الاستيعاب: ٣/١١٠٤.

زهده وعدله رضي الله عنه

أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الأمين أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد، أنبأنا أبو طالب بن غيلان، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المزكى، حدثنا محمد بن المسيب قال: سمعت عبد الله بن حنيف يقول: قال يوسف بن أسباط: الدنيا دار نعيم الظالمين، قال: وقال علي بن أبي طالب: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً، فليصبر على مخالطة الكلاب.

أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله، أنبأنا أبو غالب بن النباء، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن حسنون الترسي، حدثنا محمد بن إسماعيل بن العباس إملاءً، حدثنا سهل بن صقير، حدثنا يحيى بن هاشم الغساني، عن علي بن جزء قال: سمعت أبا مريم السلولي يقول: سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله ﷺ: يقول لعلي بن أبي طالب: «**يا علي، إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حُبَّ المساكين، ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأما الذين أحبوك وصدقوا فيك، فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك، فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة... إلخ**».

ومن فضائله رضي الله عنه

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي الزرزاري بإسناده إلى الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر قال: رأيت في بعض الكتب أن رسول الله ﷺ لما أراد الهجرة، خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده وأمره ليلة خرج إلى ا لغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له: «**اتشح ببُردي الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء الله تعالى**». ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل علهما السلام: أني آخيت ببينكما، وجعلت عُمْر أحدكما أطول من عمر الآخر،

فأيكما يؤثر صاحبه الحياة؟ فاختارا كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟! آخيت بينه وبين نبيي محمد، فبات على فراشه، يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فنزلا، فكان جبريل عند رأس علي، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ! من مثلك يا بن أبي طالب يُباهي الله عز وجل به الملائكة!!؟ فأنزل الله عز وجل على رسوله، وهو متوجـه إلى المدينة في شأن علي: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٠٧].

أنبأنا إسماعيل بن علي وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة قال: حدثنا قتيبة، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما يمنعك أن تسـب أبـا تراب[1]؟ قال: أما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن يكـون لي واحـدة منهن أحب إلي من حُمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وخلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان؟! فقال له رسول الله ﷺ: «**أمـا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟**» وسمعته يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**». قال: فتطاولنا لهـا، فقال: «**ادعوا لي علياً**» فأتاه وبه رمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليـه، وأنزلت هذه الآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ..**﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحَسَناً وحسيناً، فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**[2]».

قال: وحدثنا محمد بن عيسى حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي، عن شريك، عن منصور، عن ربعي بن حراش، حدثنا على بن أبي طالب بالرحبة [3]، قال: (لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين، فيهم: سهيل بن عمرو، وأناس من رؤساء المشركين، فقالوا: خَرَّج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا، وليس بهم فقـه في

---

(١) يعني علياً رضي الله عنه.. لأن الرسول ﷺ ناداه بهذا الاسم.

(٢) تحفة الأحوذي أبواب المناقب.. الحديث ٣٨٠٨: ٢٢٨/١٠، ٢٢٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، صحيح من هذا الوجه.

(٣) هي رحبة الكوفة، وهي فضاء وفسحة بالكوفة، كان الإمام علي رضي الله عنه يعقد فيها لفصل الخصومات.

الدين، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا، فارددهم إلينا. فقال النبي ﷺ: **((يا معشر قريش، لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن قلبه على الإيمان))**. قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال أبو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله قال: **((خاصف النعل))**، وكان قد أعطى علياً نعلاً يخصفها قال: ثم التفت إلينا علي فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))**. (١)

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا عيسى بن عثمان بن أخي يحيى بن عيسى الرملي [أخبرنا يحيى بن عيسى الرملي] حدثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي قال: لقد عهد إلي النبي ﷺ [النبي الأمي] **((أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق))** (٢)

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد قالوا: حدثنا أبو عاصم، عن أبي الجراح قال: حدثني جابر بن صبح قال: حدثني أم شراحيل، عن أم عطية قالت: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم علي، قالت: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: **((اللهم لا تمتني حتى تريني علياً))** (٣)...

أنبأنا أبو الفضل الفقيه المخذومي بإسناده إلى أحمد بن علي، أنبأنا أبو خيثمة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي، حدثنا سفيان، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: أن النبي ﷺ جلل علياً وفاطمة والحسن والحسين كساءً ثم قال **((اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً))**. قالت أم سلمة، قلت: يا رسول الله، أنا منهم؟ قال: **((إنك إلى خير))**.... إلخ.

خلافته رضي الله عنه

---

(١) تحفة الأحوذي.. الحديث ٢٧٩٩، ١٠/٢١٧، ٢١٨. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب... ا لحديث ٣٨١٩: ١٠/٢٣٩، ٢٤٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقال الحافظ أبو العلى صاحب تحفة الأحوذي: وأخرجه مسلم.

(٣) تحفة الأحوذي أبواب المناقب.. الحديث: ٣٨٢، ١٠/٢٤٠ وقال الترمذي: هذا حديث حسن..

أبنأنا عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، حدثنا أسود ابن عامر، حدثني عبد الحميد بن أبي جعفر -يعني الفداء- عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يثيع، عن علي قال: قيل: يا رسول الله، من يؤمر بعدك؟ قال: **((إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً، لا يخاف في الله لومة لائم. وإن تؤمروا علياً -ولا أراكم فاعلين- تجدوه هادياً مهدياً، يأخذ بكم إلى الصراط المستقيم))**[1].

أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني، إجازة أنبأنا أبو علي بن شاذان، أنبأنا عبد الباقي بن قانع، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا العباس بن بكار، عن شريك، عن سلمة، عن الضابحي، عن علي قال رسول الله ﷺ: **((أنت بمنزلة الكعبة، تُؤتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم فسلموها إليك -يعني الخلافة- فأقبل منهم، وإن لم يأتوك فلا تأهم حتى يأتوك))**.

أنبأنا يحيى بن محمود، أنبأنا الحسن بن أحمد قراءة عليه وأنا حاضر، أنبأنا أبو نُعيم، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي، عن يحيى بن عروة المرادي قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: قبض النبي ﷺ وأنا أرى أني أحق بهذا الأمر، فاجتمع المسلمون على أبي بكر، فسمعت وأطعت، ثم إن أبا بكر أصيب، فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في عمر، فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أصيب، فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في ستة أنا أحدهم، فولوها عثمان، فسمعت وأطعت. ثم إن عثمان قتل، فجاءوا فبايعوني طائعين غير مكرهين، ثم خلعوا بيعتي، فوالله ما وجدت إلا السيف أو الكفر بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ.

أخبرنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف وغيره إجازة قالوا: أخبرنا أبو غالب ابن البنا، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد الأبنوسي، أنبأنا أبو القاسم عبيد الله ابن عثمان بن يحيى بن حنيقا، أنبأنا أبو محمد إسماعيل بن علي بن علي بن إسماعيل

---

(١) مسند الإمام أحمد: ١/١٠٨، ١٠٩.

الخطبي قال: استخلف أمير المؤمنين عليٌ كرم الله وجهه، وبويع له بالمدينة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان، في ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين.

قال: وحدثني إسماعيل الخطبي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع القرشي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن الزهري، عن ابن المسيب قال: لما قُتل عثمان جاء الناس كلهم إلى علي يهرعون، أصحاب محمد وغيرهم، كلهم يقول: (أمير المؤمنين علي)، حتى دخلوا عليه داره، فقالوا: نبايعك فمد يدك، فأنت أحق بها. فقال علي: ليس ذاك إليكم، وإنما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد إلا أتى علياً، فقالوا: ما نرى أحداً أحق بها منك، فمد يدك نبايعك. فقال: أين طلحة والزبير؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه، وسعد بيده، فلما رأى علي ذلك خرج إلى المسجد، فصعد المنبر، فكان أول من صعد إليه، فبايعه طلحة، وتابعه الزبير، وأصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم أجمعين.

أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي إجازة، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، عن رشأ بن نظيف، حدثنا الحسن بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن مروان، حدثنا أحمد بن موسى ابن حماد، حدثنا محمد بن الحارث، عن المدائني قال: لما دخل علي بن أبي طالب الكوفة، دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها...

ولما بايعه الناس تخلف عن بيعته جماعة من الصحابة، منهم: ابن عمر، وسعد، وأسامة، وغيرهم، فلم يلزمهم بالبيعة، وسُئل علي عمن تخلف عن بيعته، فقال: أولئك قعدوا عن الحق و لم ينصروا الباطل. وتخلف عنه أهل الشام مع معاوية فلم يبايعوه، وقاتلوه..

مقتله وإعلامه أنه مقتول رضي الله عنه

أنبأنا نصر الله بن سلامة بن سالم الهيتي، أنبأنا القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن

يوسف الأرموي، أنبأنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي المأمون، أنبأنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن يحيى بن زاهر بن يحيى الرازي بالبصرة، حدثني أحمد بن محمد بن زياد القطان الرازي، حدثنا عبد الله بن زاهر بن يحيى، حدثني أبي، عن الأعمش، عن زيد بن أسلم، عن أبي سنان الدؤلي، عن علي قال: حدثني الصادق المصدوق ﷺ قال: «**لا تموت حتى تُضرب ضربةً على هذه فتخضب هذه —وأومأ إلى لحيته وهامته— ويقتلك أشقاها، كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود— نسبة إلى جده الأدنى** [1]....»

وأنبأنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بإسناده إلى أحمد بن علي بن المثنى: أنبأنا سويد بن سعيد، حدثنا رشد بن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن عثمان بن صهيب، عن أبيه قال: قال علي: قال لي رسول الله ﷺ: «**من أشقى والأولين؟**» قلت: عاقر الناقة. قال: «**صدقت**».قال: «**فمن أشقى الآخرين؟**» قلت: لا علم لي يا رسول الله. قال: «**الذي يضربك على هذا**» —وأشار بيده إلى يافوخه— وكان يقول: وددت أنه قد انبعث أشقاكم، فخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه [2].

ثم إليك أخا الإسلام كيف حدث هذا الاستشهاد كما قال رسول الله ﷺ، وكما جاء بعد ذلك [3]:

أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب إذناً، أخبرنا أبو بكر الأنصاري، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيوية، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأن الحسين بن فهم، أنبأنا محمد بن سعد قال: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن ابن ملجم المرادي، وهو من حمير، وعداده في بني مراد، وهو حليف بني جبلة من كندة، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي. فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب، ومعاوية، وعمرو بن العاص

(١) قال علي بن عمر: هذا حديث غريب من حديث الأعمش، عن زيد بن أسلم، عن أبي سنان، عن علي تفرد به عبد الله بن زاهر عن أبيه.

(٢) الحديث في مجمع الزوائد، باب وفاته رضي الله عنه: ١٣٦/٩، وقال الهيثمي: (رواه الطبراني وأبو يعلي، وفيه رشد بن سعد، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات.

(٣) في ص ١١٩ وما بعدها.. من أسد الغابة الذي يروى منه.

ويريحوا العباد منهم.

فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا كافيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا عليه، وتواثقوا أن لا ينكص منهم رجل عن صاحبه الذي سمي له، ويتوجه له حتى يقتله أو يموت دونه.

فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج، فكاتمهم ما يريد. وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوماً نفراً من بني تيم الرباب، فرأى امرأة منهم يقال لها: قطام بنت شجنة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد ابن ذهل بن تيم الرباب، وكان علي قتل أباها وأخاها بالنهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشتفي لي. فقال: لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك. فقالت: ثلاثة آلاف، وقتل علي بن أبي طالب. فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، وقد أعطيتك ما سألت.

ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي. فأعلمه ما يريد، ودعاه إلى أن يكون معه، فأجابه إلى ذلك. وظل ابن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل علياً في صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتى يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح. فقام ابن ملجم، وشبيب بن بجرة، فأخذا أسيافهما، ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي -قال الحسن بن علي: فأتيته سُحيراً، فجلست إليه فقال: إني بِتُّ الليلة أوقظ أهلي، فملكتني عيناي وأنا جالس، فسنح لي رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الأود واللدود، فقال لي: أدع الله عليهم. فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني.

ودخل ابن التياح المؤذن على ذلك فقال: (الصلاة)، فقام يمشي ابن التياح بين يديه وأنا خلفه، فلما خرج من الباب نادى: (أيها الناس، الصلاة الصلاة)، كذلك

كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس، فاعترضه الرجلان. فقال بعض من حضر: ذلك بريق السيف، وسمعت قائلاً يقول: (لله الحكم يا علي لا لك) ثم رأيت سيفاً ثانياً فضربا جميعاً، فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنــه ووصــل إلى دماغه، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق، فسُمِع علي يقول: (لا يفوتنكم الرجــل) وشد الناس عليهما من كل جانب، فأما شبيب فأفلت، وأُخذ ابن ملجم فأدخل على علي، فقال: أطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعِش فأنا ولي دمي: عفو أو قصاص، وإن مت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين. فقالت أم كلثوم بنت علي: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين! قال: ما قتلت إلا أباك. قالت: والله إني لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس. قال: فلم تبكين إذاً، ثم قال: والله لقد سممته شهراً –يعــني سيفه– فإن أخلفني أبعده الله وأسحقه. قال: ومكث علي يوم الجمعة ويوم الســبت وبقي ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان من سنة أربعــين، وتــوفي رضوان الله عليه، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكُفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص.

وصلى عليه الحسن ابنه، وكبر عليه أربعاً... ودُفن في السحرة.

وقد قيل: إن علياً كان عنده مسك فضل من حنوط رسول الله ﷺ، أوصــى أن يحنط به.

وقد اختلفوا في عمره، فقال محمد بن الحنفية سنة الجحاف، حين دخلــت ســنة إحدى وثمانين: هذه لي خمس وستون سنة، وقد جاوزت سن أبي. قال: وكان ســنه يوم قُتل ثلاثاً وستين سنة. قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا.

وقال أبو بكر البرقي: تُوفي علي وهو ابن سبع وخمسين سنة.

وقيل: توفي ابن ثمان وخمسين سنة.

وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر. وقيل: أربع سنين، وتســعة أشــهر، وستة أيام. وقيل: ثلاثة أيام. كما جاء أيضاً في نفس المرجع الذي نروي منــه.. في

وصف علي ﷺ: عن محمد بن علي الباقر أنه عليه رضوان الله: كان آدم[1]، مقبل العينين عظيمهما، ذا بطن، أصلع، ربعة، لا يخضب.

وقال أبو إسحاق السبيعي: رأيته أبيض الرأس واللحية، وكان ربما خضب لحيته.

وقال أبو رجاء العطاردي: رأيت علياً ربعة، ضخم البطن، كبير اللحية قد ملأت صدره، أصلع شديد الصلع.. إلخ.

وبعد أن استشهد عليه رضوان الله، رثاه الناس فأكثروا.. وحسبي في ختام ترجمته -المختصرة- أن أقف مع الأخ المسلم على قصيدة رثاه بها أبو الأسود الدؤلي، وإن كان بعضهم قد رواها لأم الهيثم بنت العريان النخعية.. وهي كما في نفس المرجع الذي نروي منه ص ١٢٤ [2]:

ألا عين ويحك أسعدينا	**ألا تبكي أمير المؤمنينا**
تُبكي أم كلثوم عليه	**بعبرتها [3] وقد رأت اليقينا [4]**
ألا قل للخوارج حيث كانوا	**فلا قرت عيون الشامتينا**
أفي الشهر الحرام فجعتمونا	**بخير الناس طراً أجمعينا**
قتلتم خير من ركب المطايا	**فذللها ومن ركب السفينا**
ومن لبس النعال ومن حذاها	**ومن قرأ المثاني والمبينا**
وكل مناقب الخيرات فيه	**وحب رسول رب العالمينا**
لقد علمت قريش حيث كانوا	**بأنك خيرها حسباً ودينا**
إذا استقبلت وجه أبي حسين	**رأيت البدر راق الناظرينا**
وكنا قبل مقتله بخير	**نرى مولى رسول الله فينا**
يقيم الحق لا يرتاب فيه	**ويعدل في العدا والأقربينا**

---

(١) الآدم: من اشتدت سمرته.

(٢) وهي في مقاتل الطالبين: ٤٣، ٤٤.. والاستيعاب: ١١٣٢/٣.. وغير ذلك..

(٣) العبرة: أي الدموع.

(٤) اليقين: أي الموت..

ولـــيس بكـــاتم علمـــاً لديـــه ... ولم يخلـــق مـــن المتجبرينـــا
كـــأن النـــاس إذ فقـــدوا عليـــاً ... نعـــام حـــار في بلـــد ســـنينا
فلا تشـــمت معاويـــة بـــن حـــرب ... فـــإن بقيـــة الخلفـــاء فينـــا

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فيه:[1]

ما كنت أحسب أن الأمر منصـــرف ... عن هاشم ثم منـــها عـــن أبي حســـن
الـــبر أول مـــن صـــلى لقبلتـــه ... وأعلـــم النـــاس بـــالقرآن والســـنن
وآخر النـــاس عهـــداً بـــالنبي ومـــن ... جبريل عون له في الغســـل والكفـــن
من فيه مـــا فـــيهم لا تمتـــرون بـــه ... وليس في القوم ما فيه مـــن الحســـن

وقال إسماعيل بن محمد الحميري:

سائل قريشاً بـــه إن كنـــت ذا عَمَـــه ... من كان أثبتـــها في الـــدين أوتـــادا
من كـــان أقـــدم إســـلاماً وأكثرهـــا ... علمـــاً وأطهرهـــا أهـــلاً وأولادا
مـــن وحـــد الله إذ كانـــت مكذّبـــةً ... تـــدعو مـــن الله أوثانـــاً وأنـــدادا
من كان يقدم في الهيجـــاء إن نكلـــوا ... عنها وإن يبخلـــوا في أزمـــة جـــادا
من كان أعدلها حُكمـــاً، وأبســـطها ... كفـــاً وأصـــدقها وعـــداً وإيعـــادا
إن يصدقوك فلن يعدو أبـــا حسَـــن ... إن أنـــت لم تلـــق للأبـــرار حُســـادا
إن أنت تلـــق أقوامـــاً ذوي صَـــلف ... وذا عنـــاد لحـــق الله جُحـــادا

تعليق

(نعم) هذا هو الإمام علي كرم الله وجهه الذي كان يقول في حق نفسه:

محمـــد الـــنبي أخـــي وصـــهري ... وحمـــزة ســـيد الشـــهداء عمـــي
وجعفرنا الـــذي يمســـي ويضـــحى ... يطـــير مـــع الملائكـــة ابـــن أمـــي
وبنـــت محمـــد سَـــكَني وعُرْســـي ... منـــوطٌ لحمهـــا بـــدمي ولحمـــي
وســـبطا أحمـــد ولـــداي منـــها ... فـــأيكم لـــه ســـهم كســـهمي
ســـبقتكم إلى الإســـلام ُطـــراً ... صـــغيراً مـــا بلغـــت أوان حلمـــي

(١) الأبيات في الاستيعاب: ١١٣٣/٣.

(ومن) الأقوال المأثورة عنه:

شر الإخوان من تُكلِّف له.

والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس.

قيمة كل امرئ ما يحسنه.

الفقيه من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولم ييئسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله.

إذا هِبْتَ أمراً فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه.

من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل أن يكون تأديبه بلسانه.

من صفح عنا فهو منا ونحن منه، ومن لج حتى يُصاب فقتاله مني على الصدر والنحر.

إياكم وتعلم النجوم، إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر.

ومن مواعظه في صفات الله تعالى

الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً. كل عزيز غيره ذليل: وكل قوي غيره ضعيف، وكل مالك غيره مملوك، وكل عالم غيره متعلم، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات، وكل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام، وكُلُّ ظاهر غيره باطن، ولك باطن غيره ظاهر، لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال هو عنها بائن.

(وقد) قرأت تحت عنوان:

إكرام السيدة عائشة رضي الله عنها

ومن أدبه العظيم ما حدث مع السيدة عائشة رضي الله عنها.. بعد هزيمة معاوية في موقعة الجمل.. (فقد) نزل عن دابته ثم أسرع إليها فحياها أطيب تحية، ومشى في ركابها حتى اطمأن إلى سلامتها مسافة طويلة، وأمر بعشرين امرأة من نساء عبد القيس فأُلبسن العمائم وقُلدن السيوف، وجعلهن لحمايتها في الطريق.. حتى ظنت السيدة عائشة أنهم رجال، وظنت أنه وكلهم بها لقتلها في الطريق، حتى إذا وصلت المدينة كشفن عمائمهن وطَمْأَنَّها...

(ومن) مناقبه رضي الله عنه، ما ورد: (عن) أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن**» رواه الترمذي (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: آخى النبي ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**». رواه الترمذي.

(وعن) أنس رضي الله عنه أنه قال: كان عند النبي ﷺ طير، فقال: «**اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه**». رواه الترمذي.

(فرضي) الله عن الإمام علي كرم الله وجهه وجعله في أعلى عليين.. مع الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

اللهم آمين

٢٣- ومن هي السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها؟

إنها.. [١] فاطمة بنت رسول الله ﷺ، سيدة نساء العالمين، ما عدا مريم بنت عمران صلى الله عليهما.

أمها خديجة بنت خويلد. وكانت هي وأم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ. وقد اختلف: في أيتهن أصغر سناً؟ وقيل: إن رقية أصغرهن. وفيه عندي نظر، لأن النبي ﷺ زوج رقية من ابن أبي لهب، فطلقها قبل الدخول بها، أمره أبوه بذلك، ثم تزوجها عثمان رضي الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة، فما كان ليزوج الصغرى ويترك الكبرى.

وكانت فاطمة تكنى أم أبيها، وكانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ. وزوجها من علي بعد أُحد. وقيل: تزوجها علي بعد أن ابتنى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وابتنى بها بعد تزويجه إياها بسبعة أشهر ونصف، وكان سنها يوم تزويجها خمس عشر سنة وخمسة أشهر في قول. وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا منها، فإن الذكور من أولاده ماتوا صغاراً، وأما البنات: فإن رقية رضي الله عنها: ولدت عبد الله من عثمان فتوفي صغيراً، وأما أم كلثوم: فلم تلد، وأما زينب رضي الله عنها: فولدت علياً ومات صبياً، وولدت أمامة بنت أبي العاص فتزوجها علي، ثم بعده المغيرة بن نوفل. وقال الزبير: انقرض عقب زينب.

أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي، أخبرنا أبو الفضل بن ناصر، أخبرنا الخطيب بن أبي الصقر الأنباري، أخبرنا أبو البركات أحمد بن عبد الواحد بن نظيف، أخبرنا أبو محمد بن رشيق، حدثنا أبو بشر الدولابي، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا أبو مريم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي قال: خطب أبو بكر وعمر -يعني فاطمة- إلى رسول الله ﷺ، فأبى رسول الله ﷺ عليهما، فقال عمر: أنت لها يا علي. فقلت: مالي من شيء إلا درعي أرهنها. فزوجه رسول الله ﷺ فاطمة، فلما بلغ ذلك فاطمة بكت، قال: فدخل عليها رسول الله ﷺ فقال: مالك تبكين يا فاطمة! فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأولهم سلماً.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. المجلد السابع ص ٢٢٠- ٢٢٦.

قال: وحدثنا الدولابي، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن علي بن أبي طالب قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاة لي. هل علمت أن فاطمة. خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا. قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك.

فوالله مازالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ -وكانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة- فلما قعدت بين يديه أُفحمت، فوالله ما أستطيع أن أتكلم، فقال: **«ما جاء بك؟ ألك حاجة؟»** فسكتُّ، فقال: **«لعلك جئت تخطب فاطمة؟»** قلت: نعم. قال: **«وهل عندك من شيء تستحلها به؟»** فقلت: لا. والله يا رسول الله. فقال: **«ما فعلت بالدرع التي سَلَّحْتُكَها؟** فقلت: عندي والذي نفس علي بيده إنها لَحُطَمِيَّة [1]، ما ثمنها أربعمائة درهم. قال: **«قد زوجتك، فابعث بها»**، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

قال: وحدثنا الدولابي، حدثنا أبو جعفر محمد بن عوف بن سفيان الطائي، حدثنا أبو غسان مالك ابن إسماعيل النهدي، حدثنا عبد الرحمن بن حميد الرواسي، حدثنا عبد الكريم بن سليط، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ ليلة البناء -يعني بفاطمة- **«لا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تلقاني»**. فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي وقال: **«اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما»**.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة، كان لا يُنكح بناته على ضُرَّة.

أخبرنا غير واحد بإسنادهم عن أبي عيسى: حدثنا عبد الله بن يونس وقتيبة بن سعيد قالا: حدثنا الليث، عن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) الحطمية -بضم الحاء، وفتح الطاء-: التي تحطم السيوف، أي تكسرها، وقيل: هي العريضة الثقيلة، وقيل: هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس، يقال لهم: حطمة بن محارب..

يقول: وهو على المنبر: «**إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن يُنْكحوا ابنتهم عليَّ بن أبي طالب. فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها**[1]».

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن سويدة، أخبرنا أبو الفضل بن ناصر السلامي أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي المؤذن، أخبرنا الحاكم أبو الحسن علي بن محمد الحافظ، والقاضي أبو بكر الخيري قالا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا عثمان بن عمر: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ..**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين وقال: هؤلاء أهلي. قالت: فقلت: يا رسول الله أفما أنا من أهل البيت؟ قال: «**بلى، إن شاء الله عز وجل**» قال أبو صالح: قال الحاكم في المستدرك، عن الأصم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [2].

قال: أخبرنا أبو صالح، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد ابن إسماعيل الصفار، حدثنا تمام بن محمد بن غالب، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر، يقول: «**الصلاة يا أهل بيت محمد: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** [الأحزاب: ٣٣].[3]

قال: وأخبرنا أبو صالح أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران، أخبرنا أبو علي أحمد بن الفضل بن العباس بن خزيمة، حدثنا عيسى بن عبد الله الطيالسي —

---

(١) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، باب (ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، الحديث ٣٩٥٩، ١٠/٣٦٩ — ٣٧٠. وقال الترمذي: (هذا حديث صحيح).

(٢) المستدرك: مناقب أهل البيت: ٣/١٤٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث حماد، انظر: تحفة الأحوذي، تفسير سورة الأحزاب، الحديث ٣٢٥٩، ٩/ ٦٧ — ٦٨. وتفسير ابن كثير، عند الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب: ٦/ ٤٠٧.

رعاث- حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: **«مرحباً بابنتي»**، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فلما قبض سألتها، فأخبرتني أنه أسر إلي فقال: **«إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، وما أراه إلا وقد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك»**. فبكيت، فقال: **«ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين»**.

قال أبو صالح: رواه البخاري في الصحيح[1]، عن أبي نعيم، وهذا من غريب الصحيح، فإن زكريا روى عن الشعبي أحاديث في الصحيحين، وهذا يرويه عن فراس عن الشعبي.

أخبرنا إبراهيم بن محمد وغيرهم بإسنادهم عن الترمذي: حدثنا حسين بن يزيد الكوفي، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن أبي الجحاف عن جميع بن عمير التيمي قال: دخلت مع عمي على عائشة، فسألت: أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة. قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمت صواماً قواماً [2].

أخبرنا أبو محمد بن سويدة أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا أبو صالح المؤذن، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان المقرئ، حدثنا محمد بن عبد الله القتاب، حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا أبو صالح، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي نجيح، عن أبيه، عن رجل سمع علي بن أبي طالب يقول: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أينا أحب إليك أنا أو فاطمة؟ قال: **«فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعزُّ علي منها»**.

وأخبرنا يحيى بن محمود إذناً بإسناده عن أبي عاصم قال: أخبرنا عبد الله بن عمر ابن سالم المفلوج -وكان من خيار المسلمين عندي- حدثنا حسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن عمر بن علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه،

(١) البخاري، كتاب المناقب: ٤/ ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، الحديث ٣٩٦٥، ١٠/٣٧٥

عن علي بن حسين بن علي، عن حسين بن علي، عن علي: أن النبي ﷺ قال لفاطمة: «**إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**».

أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن المخزومي بإسناده عن أحمد بن علي. حدثنا الحسن بن عثمان بن شقيق، وحدثنا الأسود بن حفص المروزي، حدثنا حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر قَبَّل ابنته فاطمة.

قال: وحدثنا أحمد بن علي، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة البصري، أخبرنا محمد بن خالد الحنفي، حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي، عن هاشم بن هاشم عن عبد الله بن وهب، عن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ فسارَّها بشيء فبكت ثم سارَّها بشيء فضحكت، فسألتها عنه فقالت: أخبرني أنه مقبوض في هذه السنة فبكيت، فقال: «**ما يُسرك أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، إلا فلانة**»، فضحكت.

أخبرنا عبد الوهاب بن أبي حبة بإسناده عن عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا معاذ بن معاذ، حدثنا قيس بن الربيع، عن أبي المقدام، عن عبد الرحمن الأزرق، عن علي قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا نائم [1]، فاستسقى ا لحسن أو الحسين، قال: فقام النبي ﷺ إلى شاة لنا بَكيءٍ فلحبها، فدرت، فجاءه الحسن فنحاه النبي ﷺ، فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنه أحبهما إليك؟ قال: «**لا، ولكنه استسقى قبله**». ثم قال: «**إنا وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة[2]**».

أخبرنا إبراهيم وغيره[3] بإسنادهم عن أبي عيسى: حدثنا سليمان بن عبد الجبار البغدادي، حدثنا علي بن قادم، حدثنا أسباط بن نصر، الهمداني، عن السدي، عن

---

(١) في المسند: (وأنا قائم على المنامة).

(٢) أي: قليلة اللبن.

(٣) مسند الإمام أحمد: ١/١٠١.

صبيح مولى أم سلمة، عن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «**أنا حربٌ لمن حاربتم، سِلمٌ لمن سالمتم**[1]».

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الأسدي الدمشقي المعروف بابن البن، حدثنا جدي أبو القاسم الحسين بن الحسن قال: قرأت على القاضي علي بن محمد بن علي المصيصي، أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن عبد الله الغساني، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي قراءة عليه، حدثنا إبراهيم بن عبد الله القصار، أخبرنا العباس بن الوليد بن بكار الضبي بالبصرة، عن خالد بن عبد الله، عن بيان، عن الشعبي، عن أبي جحيفة، عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر**».

أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة بإسناده عن عبد الله بن أحمد: حدثني أبي حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن عبد الله بن الحسن –هو ابن الحسن بن علي بن أبي طالب– عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي، عن جدتها فاطمة الكبرى –هي بنت رسول الله ﷺ– قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد: صلى على محمد وسلم، ثم قال: «**رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**» وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال: «**رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك**» [2]، هذا الحديث ليس إسناده بمتصل، فإن فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدتها فاطمة الكبرى والله أعلم.

وتوفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. وقيل: بثلاثة أشهر. وقيل: عاشت بعده سبعين يوماً. وما رؤيت ضاحكة بعد وفاة الرسول ﷺ حتى لحقت بالله عز وجل، وَوَجَدَتْ عليه[3] وجداً عظيماً.

---

(١) تحفة الأحوذي أبواب المناقب، باب (ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها) الحديث ٣٩٦٢: ٣٧١/١٠ – ٣٧٢.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٨٢. هذا أصح ما قيل.

(٣) أي: حزنت.

قال أنس: قالت لي فاطمة: يا أنس، كيف طابت قلوبكم؟! تحثون التراب على رسول الله ﷺ؟! وكانت أول أهله لحوقاً به، تصديقاً لقوله ﷺ.

ولما حضر الموت قالت لأسماء بنت عميس: يا أسماء، إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفها. قالت أسماء: يا ابنة رسول الله ﷺ، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحَنَتْها، ثم طرحت عليها ثوباً. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعليٌّ، ولا تُدخلي علي أحداً. فلما توفيت جاءت عائشة، فمنعتها أسماء، فشكتها عائشة إلى أبي بكر وقالت: هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ! فوقف أبو بكر على الباب وقال: يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ، وقد صنعت لها هودجاً؟! قالت: هي أمرتني ألا يدخل عليها أحد، وأمرتني أن أصنع لها ذلك. قال: فاصنعي ما أمرتك. وغسلها علي وأسماء [1].

وهي أول من غُطي نعشها في الإسلام، ثم بعدها زينب بنت جحش. وصلى عليها علي بن أبي طالب. وقيل: صلى عليها العباس. وأوصت أن تُدفن ليلاً، ففعل ذلك بها. ونزل في قبرها علي والعباس، والفضل بن العباس.

قيل: توفيت لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، والله أعلم.

وكان عمرها تسعاً وعشرين سنة.

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن [2] بن علي: كان عمرها ثلاثين سنة.

وقال الكلبي: كان عمرها خمساً وثلاثين سنة.

وقد روي أنها اغتسلت لما حضرها الموت وتكفنت، وأمرت علياً أن لا يكشفها إذا توفيت، وأن يدرجها [3] في ثيابها كما هي، ويدفنها ليلاً. وقد ذكرنا في أم سلمى غسلها أيضاً. والصحيح أن علياً وأسماء غسلاها. والله أعلم. أخرجه الثلاثة.

ومن مناقب السيدة فاطمة رضي الله عنها

(ثم) إذا كان لي أن أذكر أهم مناقب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فإنه حسبي أن أذكر هنا بالحديث الوارد:

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٨٩٧ – ١٨٩٨.

(٢) في المطبوعة والمصورة: (الحسن بن الحسين) والمثبت عن الاستيعاب: ٤/١٨٩٩.

(٣) أي: يلفها.

(عن) أبي بريدة عن أبيه قال: (كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال علي). قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: يعني من أهل بيته.

(وأهل) بيته صلوات الله وسلامه عليه، هم: الحسن، والحسين، وعلي، وفاطمة عليهم جميعاً رضوان الله.

(فعن) أم سلمة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ جلّل[1] على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي[2]، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**». فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**إنك على خير**». هذا حديث حسن صحيح..

(وعن) عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً[3] برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها، فلما مرض النبي ﷺ دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبت عليه [4] ثم رفعت رأسها فضحكت، فقلت: إن كنت لأظن أن هذه من أعقل نسائنا فإذا هي من النساء[5]، فلما توفي النبي ﷺ قلت لها: أرأيت حين أكببت على النبي ﷺ، فرفعت رأسك فبكيت، ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت، ما حملك على ذلك؟ قالت: إني أُذُنٌ لبذرة [6]، أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت، ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقا به وذلك حين ضحكت) هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روى هذا الحديث من غير وجه عائشة.

(وقد) ورد -كما جاء في الترجمة- أن النبي ﷺ كان إذا رآها يستقبلها بقوله: «**مرحباً بأم أبيها**».

(فحسبُها هذا).. ورضي الله عنها وعن جميع أهل البيت وأحفادهم إلى يوم الدين..

اللهم آمين

---

(١) جلل: أي غطاهم بكساء..

(٢) قال في النهاية: حامة الإنسان أي خاصته ومن يقرب منه وهو الحميم أيضاً.

(٣) السمت والدل والهيئة كلها ألفاظ متقاربة بمعنى الهيئة والطريقة وحسن الحال..

(٤) أكبت عليه: أي مالت إليه.

(٥) فإذا هي من النساء: أي هي واحدة منهن لا أعقلهن.

(٦) لبذرة: مؤنث بذر ككتف وهو الذي يفشي السر ويظهر ما يسمعه.

٣٤- ومن هو أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه؟

إنه [(١)]: أبو أمامة الباهلي، واسمه صدي بن عجلان... جعله بعضهم في بني سهم من باهلة، وخالفه غيره، ولم يختلفوا أنه من باهلة.

سكن مصر، ثم انتقل منها فسكن حمص من الشام، ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين.

أخبرنا ابن حبابة، أخبرنا أبو القاسم الغوي، حدثنا طالوت بن عباد. أخبرنا فضال ابن جبيرة قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم**».

وتوفي أبو أمامة سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة ست وثمانين، وهو آخر من مات بالشام، من أصحاب النبي ﷺ في قول بعضهم. أخرجه أبو عمر.

تعليق

(هذا)، وإذا كان لي أن أعلق على هذه الترجمة الموجزة،،فإنه حسبي أن أذكر وبإيجاز كذلك على بعض ما يتعلق بهذا الحديث الذي رواه -صاحب الترجمة- وهو: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم (٢) أضمن لكم الجنة: (٣) اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**» رواه أحمد وابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه، والحاكم والبيهقي.. وقال الحاكم صحيح الإسناد.

(وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تقبلوا لي ستاً أتقبل لكم الجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا أؤتمن فلا يخن، غضوا**

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة...) طبعة دار الشعب المجلد السادس ص ١٦، ١٧.

(٢) أي: التزموا القيام بها وتعهدوا لي بذلك.

(٣) يعني أتكفل لكم بدخولها، وأضمن لكم ذلك على الله... (والحديث) رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم» رواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلي والحاكم والبيهقي، ورواهم ثقات إلا سعد بن سنان.

(فكن) أخا الإسلام منتفعاً بهذين الحديثين، بمعنى أن تكون منفذاً للمراد منهما (ولا سيما) بالنسبة لموضوع الصدق الذي هو عكس الكذب.

(فعن) ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق** [1]، **فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه، واللفظ له.

والله ولي التوفيق

(١) أي اقصدوه وتوخوه.

٣٥- ومن هو شداد بن أوس ﷺ؟

إنه[1]: شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي.. يكنى أبا يعلي، وقيل: أبو عبد الرحمن.

نزل بالبيت المقدس من الشام. قال عبادة بن الصامت: كان شداد ممن أوتي العلم والحلم، روى عنه أهل الشام.

وقال مالك: شداد بن أوس هو ابن عم حسان بن ثابت، والصحيح أنه ابن أخيه.

روى عنه ابنه يعلي، ومحمود بن لبيد، وأبو الأشعث الصنعاني، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم.

وكان شداد كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى.

أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد، أخبرنا أبو القاسم نصر بن صفوان، أخبرنا علي بن إبراهيم السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس، أخبرنا علي بن عبيد الله بن طوق، حدثنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار، حدثنا المعافى بن عمران، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب، حدثني عبد الرحمن بن عثمان بن شداد بن أوس، أن شداداً حدثه، عن حديث رسول الله ﷺ أنه قال: **((لتحذون [2] شرار هذا الأمة على سنن الذين خلوا من قبلكم من أهل الكتاب، حذو القذة [3] بالقذة))**.

وقال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس بن ثابت إذا أخذ مضجعه من الليل، كان كالحية على المقلى، فيقول: اللهم إن النار قد حالت بيني وبين النوم، ثم يقوم فلا يزال يُصلي حتى يُصبح.

روى أبو الأشعث، عن شداد، قال: مررت مع رسول الله ﷺ في ثمان عشرة خلت من رمضان، فأبصر رجلاً يحتجم، فقال: **((أفطر الحاجم والمحجوم))**.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة...) طبعة دار الشعب المجلد الثاني ص ٥٠٧، ٥٠٨.

(٢) في المطبوعة: لتركبن.

(٣) القذة: ريش السهم، أي يعملون مثل أعمالهم كما تقذ لك قذة على قدر صاحبتها وتقطع.

وتوفي شداد سنة إحدى وأربعين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة أربع وستين، وقال ابن منده، عن موسى بن عقبة: إنه شهد بدراً. أخرجه الثلاثة.

قلت: قول ابن منده عن موسى بن عقبة: إن شداداً شهد بدراً فهو وهْمٌ منه، فإن موسى ذكر أباه أوس بن ثابت أنه شهد بدراً، فوهم فيه بعض الرواة -إما ابن منده أو غيره- فقال: إنه شداد، والله أعلم.

تعليق

(هذا) وإذا كان لي أن أعلق على أهم ما جاء في هذه الترجمة.. (فإنني) أقف أولاً مع الأخ المسلم عند النص الذي قال فيه عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (كان شداد ممن أوتي العلم والحلم): فإن هذا النص معناه أن شداداً قد أوتي خيراً كثيراً.. لأن هذين الوصفين المذكورين عنه من أهم صفات المؤمنين.. بل هما من أهم ما يجب علينا نحن المؤمنين أن نكون من الحريصين على التخلق بهما حتى لا يكون هناك جهل أو غضب.. والعياذ بالله...

(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ للأشبح [1]: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة** [2]» رواه مسلم.

(وبالطبع) لابد وأن يكون الحلم هذا على أساس من العلم (ولهذا) فقد قال الله تعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه: ١١٤].

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «.. **ومَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**» رواه مسلم.

(وثانياً): أحب أن أقف مع الأخ المسلم عند الإشارة التي جاء فيها -في نص الترجمة- أن شداداً رضي الله عنه كان إذا أخذ مضجعه من الليل كان كالحبة على المقلى، فيقول: اللهم إن النار قد حالت بيني وبين النوم، ثم يقوم فلا يزال يصلي حتى يُصبح:

(فإن) الإشارة هذه معناها أنه عليه رضوان الله كان من الذين يخشون الله تبارك وتعالى اقتداء بالحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذي ورد عنه أنه كان يقول لأصحابه: «**إني لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**».

(فلنكن) نحن كذلك من الذين يخشون الله تعالى.

والله ولي التوفق

---

(١) هو أشبح عبد القيس.

(٢) الأناة: هي التؤدة والتمهل في الأمور.

٣٦- ومن هو زيد بن ثابت رضي الله عنه؟

إنه [١]: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوْذان بن عمرو بن عبد الله بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم البخاري. أمه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، كنيته: أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو خارجة.

وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، وكان يوم بُعاث بن ست سنين، وفيها قتل أبوه. واستصغره رسول الله ﷺ يوم بدر، فرده، وشهد أُحداً، وقيل: لم يشهدها، وإنما شهد الخندق أول مشاهده، وكان ينقل التراب مع المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: إنه نعم الغلام! وكانت راية بني مالك بن النجار يوم تبوك مع عمارة بن حزم، فأخذها رسول الله ﷺ، ودفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: «**لا، ولكنَّ القرآن مقدم، وزيد أكثر أخذاً للقرآن منك**».

وكان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره.

وكانت ترد على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيداً فتعلمها، وكتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر، وعمر، وكب لهما معه معيقيب الدوسي أيضاً.

واستخلف [عمر زيد بن ثابت [٢]] على المدينة ثلاث مرات، مرتين في حجتين، ومرة في مسيرة الى الشام. وكان عثمان يستخلفه أيضاً إذا حج، ورُمي يوم اليمامة بسهم فلم يضره.

وكان أعلم الصحابة بالفرائض، فقال رسول الله ﷺ: «**أفرضكم زيد**» فأخذ الشافعي بقوله في الفرائض عملاً بهذا الحديث، وكان من أعلم الصحابة والراسخين في العلم.

وكان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله، وأزمتهم [٣] إذا كان في القوم. وكان على بيت المال لعثمان، فدخل عثمان يوماً، فسمع مولى لزيد يُغني فقال عثمان: من هذا؟ فقال زيد: مولاي وُهيب، ففرض له عثمان ألفاً.

(١) كما جاء في (أسد الغابة...) طبعة دار الشعب المجلد الثاني. ص ٢٧٨، ٢٧٩.
(٢) سقط من المطبوعة.
(٣) أي أرزنهم وأوقرهم. وفي الاستيعاب: ٥٣٩: وأصمتهم.

وكان زيد عثمانياً، ولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه، وكان يُظهر فضل علي وتعظيمه.

روى عنه من الصحابة: ابن عمر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وأنس، وسهل بن سعد، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن يزيد الخطمي.

ومن التابعين: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وسليمان بن يسار، وأبان بن عثمان، وبسر بن سعيد، وخارجة، وسليمان ابنا زيد بن ثابت، وغيرهم.

أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الخطيب قال: أخبرنا أبو بكر بن بدران الحلواني، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، أخبرنا يوسف بن يعقوب القاضي، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا هشام الدستوائي، أخبرنا قتادة، عن أنس، عن زيد بن ثابت قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية.

وتوفي سنة خمس وأربعين، وقيل: اثنتان، وقيل: ثلاث وأربعون، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: اثنتان، وقيل: خمس وخمسون.

وصلى عليه مروان بن الحكم، ولما تُوفي قال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً.

وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما... ا.هـ.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أعلق على أهم الإشارات الواردة في نص هذه الترجمة.

(فإنني) أرى أن أقف أولاً مع الأخ المسلم عند قول الرسول ﷺ (لعمارة) بعد أن أخذ الراية منه -في يوم تبوك- ثم دفعها إلى زيد بن ثابت.. فلما سأله عمارة عن السبب؟ قال له: **((لا، ولكن القرآن مقدم، وزيد أكثر أخذاً بالقرآن منك))**، هذا بالإضافة إلى أن زيداً ﷺ كان من الذين يكتبون الوحي وغيره لرسول الله ﷺ .. بالإضافة إلى الرد على الكتب التي كانت ترد على رسول الله ﷺ .. كما كان أيضاً كاتباً لتلك الرسائل في خلافة أبي بكر وعمر عليهما رضوان الله.. وكتب لهما معه معيقيب الدوسي أيضاً.. وأنه عليه رضوان الله كان أعلم الصحابة بالفرائض (وهو)

الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.. (وحسبه) في الختام ما قاله أبو هريرة ﷺ.. في يوم موته: (اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً).

(إن) كل هذا لابد وأن يكون مفخرة لصاحب الترجمة –زيد بن ثابت– ﷺ في الدنيا والآخرة..

(ولا سيما) بالنسبة لحفظ القرآن الذي رفع قدره عند الله تعالى وعند رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. بل وبين إخوانه الأصحاب الفضلاء.. لدرجة أن النبي ﷺ يأخذ الراية من (عمارة) في يوم تبوك ثم يدفعها إلى زيد.. لأنه كان أكثر حفظاً للقرآن الكريم.. والقرآن مقدم.. كما قال رسول الله ﷺ. (وقد) قرأت في (رياض الصالحين) في كتاب الفضائل تحت عنوان:

باب فضل قراءة القرآن

(وعن) أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**)) رواه مسلم.

(وعن) عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)) رواه البخاري.

(وعن) عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**)) رواه مسلم.

(وعن) ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**)) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن انبي ﷺ قال: ((**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**)). رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح..

(فلنكن) نحن كذلك من أهل القرآن بهذا المعنى الذي وقفنا عليه.. (ولنكن) على صلة بهذا القرآن تنفيذاً وترتيلاً وتجويداً.. مع ضرورة تعهده حتى لا يتفلت منا:

(فعن) أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقلها**)). متفق عليه.

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**)) متفق عليه.

والله ولي التوفيق

٣٧- ومن هو أوس بن أوس رضي الله عنه؟

إنه [١]: أوس بن أوسٍ، وقيل: أوس بن أبي أوس. عداده في أهل الشام.

روى عنه أبو الأشعث الصنعاني، وعبد الله بن محيريز، أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي بإسناده إلى أبي داود سليمان بن الأشعث، حدثنا محمد بن حاتم الجرجاني، أخبرنا ابن المبارك عن الأوزاعي، حدثني حسان بن عطية عن أبي الأشعث، عن أوس بن أوس، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«من غسل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغُ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»** قاله ابن منده.

ورواه أحمد بن شعيب، عن محمد بن خالد، عن عمر بن عبد الواحد، عن يحيى بن الحارث عن أبي الأشعث، فقال: عن أوس بن أوس الثقفي، فبان هذا أن هذا والذي قبله واحد.

وأما أبو نعيم فإنه قال: أوس بن أبي أوس، وروى ما أخبرنا به عبد الله بن أحمد ابن عبد القاهر بإسناده، إلى أبي داود سليمان بن داود، عن شعبة، عن النعمان بن سالم قال: سمعت ابن عمرو بن أوس يحدث عن جده أوس بن أبي أوس أنه رأى النبي ﷺ توضأ فاستوكف ثلاثاً، فقلت: ما استوكف؟ قال: غسل يديه.

وروى أيضاً عن يعلي بن عطاء عن أبيه عن أوس بن أبي أوس، قال: رأيت النبي ﷺ توضأ ومسح على نعليه، وقام إلى الصلاة.

فجعل أبو نعيم أوساً والد عمرو غير أوس الثقفي، وخالف أبا عمر، فإن أبا عمر جعله الثقفي، ولم يترجم لأوس بن أوس، ولا لأوس بن أبي أوس غير الثقفي. أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أعلق وبإيجاز على بعض ما جاء في هذه الترجمة (فإنني) أرى أن أُشير إلى المعنى المراد من الحديث الذي رواه أوس، وهو: **«من غَسَّل [٢] يوم الجمعة**

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب المجلد الأول.. ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢) بالتشديد: أي جامع امرأته فتسبب في غسلها واغتسل هو من الجنابة.

واغتسل، ثم بكر [1] وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ: كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

(فإن) المعنى المراد من هذه الرواية.. هو أنه ينبغي علينا كمؤمنين صادقين أن نهيئ أنفسها لصلاة الجمعة في وقت مبكر.. ونحن على أحسن حال -في المظهر والمخبر- لأن يوم الجمعة هو يوم عيدنا الأسبوعي: وهو خير أيام الأسبوع:

(فعن) أبي هريرة ﷺ أن ﷺ قال: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**» رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وصححه.

(مع) ملاحظة أن يكون هناك إنصات كامل أثناء الخطبة (فقد) ورد في حديث رواه الجماعة إلا ابن ماجة: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت**».

(وورد) «**ومن لغا فلا جمعة له**». والعياذ بالله.

(١) وبكر بالتشديد أي بادر إلى صلاة الجمعة.. وابتكر: أي أدرك أول الخطبة.

٣٨- ومن هو عقبة بن عامر ؟

إنه [١]: عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن فيس بن جهينة الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل: أبو لبيد، وأبو عمرو، وأبو عبس، وأبو أسيد، وأبو أسد، وغير ذلك [٢].

روى عنه أبو عشانة أنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا في غنم لي أرعاها، فتركتها ثم ذهبت إليه، فقلت: تبايعني يا رسول الله؟ قال: **«فمن أنت؟»** فأخبرته، فقال: **«أيما أحب إليك: تبايعني بيعة أعرابية أو بيعة هجرة؟»** قلت: بيعة هجرة. فبايعني.

وكان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وولي له مصر وسكنها، وتوفي بها سنة ثمان وخمسين، وكان يخضب بالسواد.

روى عنه من الصحابة: ابن عباس، وأبو عباس، وأبو أيوب[٣]، وأبو أمامة، وغيرهم.

ومن التابعين: أبو الخير، وعلي بن رباح، وأبو قبيل، وسعيد بن المسيب، وغيرهم.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن الطوسي، أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد القارئ، أخبرنا الحسن بن أحمد بن شاذان، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا يحيى بن جعفر الزبرقان، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الرحمن ابن عائذ، عقبة بن عامر الجهني قال: ذهب إلى المسجد الأقصى يُصلي فيه، فرآه الناس فاتبعوه، فقال لهم: مالكم؟ قالوا: أتيناك لصحبتك لرسول الله ﷺ، لتحدثنا بما سمعت منه. قال: انزلوا فصلُّوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد يلقى الله عز وجل لا يشرك به شيئاً، ولم يتند [٤] بدم حرام، إلا دخل من أي أبواب الجنة شاء»**[٥].

وشهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بفتح دمشق.

وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. أخرجه الثلاثة.. ا.هـ.

---

(١) كما جاء في (أُسد الغابة..) طبعة دار الشعب.. المجلد الرابع ص ٥٣، ٥٤.

(٢) ينظر الكنى التي ذكرها أبو عمر في الاستيعاب، الترجمة ١٨٢٤: ٣/ ١٠٧٣.

(٣) وهو خالد بن زيد الأنصاري.

(٤) لم يتند بدم حرام: أي لم يصب منه شيئاً، ولم ينله منه شيء.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.. المسند: ١٤٨/٤...

تعليق

(وإذا) كان لي أن أعلق وبإيجاز على هذه الترجمة المتعلقة بالصحابي الجليل —عقبة بن عامر رضي الله عنه – بالإضافة إلى ما جاء فيها من الإشارات التي تزيح الستار عن بعض الجوانب الشخصية فيه..

(فإنني أحب) أن أذكر هنا بأنه راوي الحديث الشريف الذي أحب دائماً وأبداً أن أذكر نفسي وغيري به.. وهو [(1)]:

(عن) عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: **((أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك))**. رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(فهذا) الحديث يدلنا فيه الرسول ﷺ —فعلاً على أهم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة– (وإذا) كان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد بدأ بضرورة أن نمسك ألسنتنا عن كل ما يتعلق بإيذاء الناس —من غيبة أو نميمة– وكذلك من كل قول رخيص.. (فإن) هذا معناه أن اللسان هو أخطر الجوارح.. ولهذا فقد جعله الله تعالى داخل قفصين —قفص داخلي وهو الأسنان، وقفص خارجي وهو الشفتان–

(وفي) حديث رواه الترمذي وقال حديث صحيح. يقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: **((وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))**.

(ثم) بعد ذلك وفي نص الوصية يوصينا النبي ﷺ إذا كان هناك فراغ عندنا كرجال وكآباء أن نملأ فراغنا هذا بالتواجد في بيوتنا بين أزواجنا وأهلينا.. حتى نملأ فراغهم كذلك بتواجدنا بينهم موجهين ومرشدين.. بل ومراقبين لسلوكياتهم حتى لا يكون هناك انحراف أخلاقي من أي واحد منهم.. وفي الحديث الصحيح: **((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته))**.

(ثم) إذا كنا قد ارتكبنا بعض الأخطاء التي غالباً ما تحدث من جانبنا لأننا بشر.. نخطئ ونصيب.. (فإنه) ينبغي علينا أن نندم دائماً وأبداً على فعل تلك الأخطاء.. ونحن نسأ الله تعالى أن يغفر لنا جميع ذنوبنا.. والله تعالى غفور رحيم.. أرحم بعبده من الوالدة على ولدها.. (وجزى) الله تعالى صاحب الترجمة خير الجزاء.. لأنه هو الذي روى لنا هذه الوصية الجامعة.

اللهم آمين

(١) الوصية ٧١ من المائة الأولى من وصايا الرسول ﷺ.

٣٩- ومن هو سهل بن سعدٍ الساعدي رضي الله عنه؟

إنه [١]: سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي.

وقال العدوي في نسبه: سهل بن سعد [بن سعد [٢]] بن مالك بن خالد، وهذا يؤيد قول أبي عمر في ثعلبة بن سعد، فإنه قال فيه: عم سهل بن سعد، يكنى سهل: أبا العباس، وقيل: أبو يحيى.

وشهد قضاء رسول الله ﷺ في المتلاعنين، وفرق بينهما، وكان اسمه حزنا، فسماه رسول الله ﷺ سهلاً، قال الزهري: رأى سهل بن سعد النبي ﷺ، وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي النبي ﷺ خمس عشرة سنة.

وعاش سهل وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتحن معه، أرسل الحجاج سنة أربع وسبعين إلى سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال له: ما منعك من نصر أميرَ المؤمنينَ عثمان؟ قال: قد فعلته، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه، وختم أيضاً في أنس بن مالك رضي الله عنه، حتى ورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان فيه، وختم في يد جابر بن عبد الله، يريد إذلالهم بذلك، وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعوا منهم.

وروى عن سهل: أبو هريرة، وسعيد بن المسيب، والزهري، وأبو حازم، وابنه عباس بن سهل، وغيرهم.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران، وغير واحد، قالوا: بإسنادهم، عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، حدثنا العطاف بن خالد المخزومي، عن أبي حازم، عن سهل ابن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ: **((غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها))**.

(١) كما جاء في (أُسد الغابة...) طبعة دار الشعب المجلد الثاني. ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) عن ترجمة ثعلبة: ١ - ٢٨٧.

وتوفي سهل سنة ثمان وثمانين، وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل: توفي سنة إحـــدى وتسعين، وقد بلغ مائة سنة، ويقال: إنه آخر من بقي من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة.

قال أبو حازم: سمعت سهل بن سعد، يقول: لو مت لم تسمعوا من أحد يقـــول: قال رسول الله ﷺ وكان يصفر لحيته. أخرجه الثلاثة.. ا.هـــ.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أُعلق على ترجمة هذا الصحابي الجليـــل –ســـهل بـــن ســـعد الساعدي رضي الله عنه– (فإنني) أرى أن أذكر في هذا التعليق بحديث –من روايتـــه رضي الله عنه– قرأته في الأربعين النووية، وهو [1]:

(عن) أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عملٍ إذا عملته أحـــبني الله وأحـــبني الناس.. فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك النـــاس**».

حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة.

(وقد) قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث [2]: (قوله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله**»: الزهد: ترك مالا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالاً والاختصار علـــى الكفاية. (والورع): ترك الشبهات.

(قالوا): وأعقل الناس الزهاد لأنهم أحبوا ما أحب الله وكرهوا ما كره الله من جمع الدنيا، واستعملوا الراحة لأنفسهم.

(قال) الشافعي رحمه الله تعالى: لو أوصى لأعقل الناس صرف إلى الزهاد، ولبعضهم:

كن زاهداً فيما حوت أيدي الـــورى ... تضـــحى إلى كـــل الأنـــام حبيبـــاً

أو ما ترى الخطـــاف حَـــرَّم زادهـــم ... فغـــدا رئيســـاً في الجحـــور قريبـــاً

وللشافعي رضي الله عنه في ذم الدنيا:

---

(١) الحديث الحادي والثلاثون.

(٢) الحديث رقم ٣١ من الأربعين النووية. بتصرف واختصار..

ومن يــذق الــدنيا فــإني طعمتــها ... وســـيق إلينـــا عـــذبها وعـــذابها
فلـــم أرهـــا إلا غـــروراً أو بـــاطلاً ... كما لاح في ظهر الفـــلاة [1] ســـرابها
ومـــا هـــي إلا جيفـــة مســـتحيلة ... عليهـــا كـــلاب هَمُهُـــنَّ اجتـــذابها
فإن تجتنبـــها كنـــت ســـلماً لأهلـــها ... وإن تجتـــذبها نازعتـــك كلابهـــا
فدع عنك فضْـــلات الأمـــور فإنهـــا ... حرام على نفـــس التقـــى ارتكابهـــا

(وقوله): حرام على نفس التقي ارتكابها: يدل على تحريم الفرح للدنيا.. صرح بذلك البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٢٦]، ثم المـــراد بالـــدنيا المذمومة: طلب الزائد على الكفاية. أما طلب الكفاية فواجب. (قال) بعضهم: وليس ذلك من الدنيا. وأما الدنيا: فالزائدة على الكفاية، واستدل بقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤]. فقوله تعالى ذلك إشارة إلى ما تقدم من طلب التوسع والتبسط، قال الشافعي رحمه الله تعالى: طلب الزائد مـــن الحـــلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد.. إلخ..

(والخلاصة) التي أريد أن نتفق عليها، هي قول العلماء: ليس الزاهد من لا مـــال عنده بل الزاهد من لم يشغل المال قلبه وإن أوتي مثل ما أوتي قارون.

(فلا مانع) من أن يكون معك مال كمال قارون ولكن على شريطة أن يكـــون المال الحلال هذا في يدك لا في قلبك: (لأنه) إذا كان في يدك: استطعت أن تستغله في طاعة الله تعالى.

(أما) إذا كان متربعاً على قلب البعيد: فإنه سيكون مطية له..

نسأل الله تعالى أن يزهدنا في الدنيا وفيما عند الناس من المتاع الزائل.

اللهم آمين

(١) الفلاة: أي الأرض الواسعة.

٣٠- ومن هو سليمان بن يسار رضي الله عنه؟

إنه[1]: سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة، وهو لُحي الخزاعي، وولد عمرو هم خزاعة، كان اسمه في الجاهلية يسار فسماه رسول الله ﷺ سليمان، يُكنى أبا المطرف.

وكان خيراً فاضلاً، له دين وعبادة، سكن الكوفة أول ما نزلها المسلمون، وكان له قدر وشرف في قومه، وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشاهده كلها، وهو الذي قتل حوشباً ذا ظُليم الألهاني بصفين مبارزة،

وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما بعد موت معاوية، يسأله القدوم إلى الكوفة، فلما قدمها ترك القتال معه، فلما قُتل الحسين ندم هو والمسيب بن نجبة الفزاري، وجميع من خذله ولم يقاتل معه، وقالوا: ما لنا توبة إلا أن نطلب بدمه،

فخرجوا من الكوفة مستهل ربيع الآخر من سنة خمسٍ وستين، وولوا أمرهم سليمان بن صرد، وسموه أمير التوابين، وساروا إلى عبيد الله بن زياد، وكان قد سار من الشام في جيش كبير، يريد العراق، فالتقوا بعين الوردة، من أرض الجزيرة، وهي رأس عين، فقتل سليمان بن صُرد والمسيب بن نجبة وكثير ممن معهما، وحمل رأس سليمان والمسيب إلى مروان بن الحكم بالشام، وكان عُمْر سليمان حين قتل ثلاثاً وتسعين سنة. روى عنه أبو إسحاق السبيعي، وعدي بن ثابت، وعبد الله بن يسار وغيرهم.

أخبرنا يحيى بن محمود بن رمد إجازة بإسناده إلى أبي بكر بن عاصم، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن سليمان بن صرد أن رجلين تلاحيا، فاشتد غضب أحدهما، فقال النبي ﷺ: **((إني لأعرف كلمة لو قالها لسكن عنه غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم))**. أخرجه الثلاثة. ا.هـ.

نجبة: بفتح النون الجيم.

(١) كما جاء في (أُسد الغابة...) طبعة دار الشعب المجلد الثاني: ص ٤٤٩، ٤٥٠.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أُعلق على بعض ما جاء في هذه الترجمة -عن سليمان بن يسار- فإنني أرى أن أقف وقفة موجزة عند النص الذي فيه: (وكان حبراً فاضلاً، له دين عبادة) (فهذه) الشهادة وحدها تكفي لكي تجعله في مصاف الأبرار الأوائل الذي اصطفاهم الله من عباده.. (ولا سيما) بالنسبة للسخاء المشار إليه.. (فقد) ورد: (عن) أبي ذر جندب بن جنادة ﵁ قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله والجهاد في سبيله**». قلت: أي الرقاب أفضل[1]؟ قال: «**أنفسها [2] عند أهلها وأكثرها ثمناً**». قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تُعين صانعاً أو تصنع لأخرق[3]**». قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «**تكف شرك [4] عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك**» متفق عليه.

(وعن) جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل معروف صدقة**» رواه البخاري، ورواه مسلم من رواية حذيفة ﵁.

(وأما) عن التدين الصادق: فإن المراد به هو الارتباط بالإسلام ارتباطاً حقيقياً بالأقوال والأفعال.. بل والمعاملات.. وتنفيذ الأوامر واجتناب المنهيات.. وحسن الخلق..

(وأما) عن الحديث المشار إليه في ختام الترجمة، (فقد) ورد: (عن) سليمان بن صرد ﵁ قال: استب رجلان [5] عند النبي ﷺ، فجعل أحدهما يغضب، ويحمر وجهه[6]، وتنتفخ أوداجه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا [7]: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال: هل تدري بما قال: لا: قال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، فقال له الرجل: أمجنوناً تراني؟. رواه البخاري ومسلم. (فلننتفع) جميعاً بكل هذا الخير. (مع) الدعاء لصاحب الترجمة بالرحمة والمغفرة مع الصحابة أجمعين..

اللهم آمين

---

(١) أي: أكثر ثواباً لمن يعتقها.
(٢) أي: أرفعها وأجودها.
(٣) أخرق: أي غير حاذق.
(٤) يعني تشاتما وتلاحيا.
(٥) لاندفاع الدم في عروقه وأطرافه من أجل إرادة الانتقام.
(٦) يعني هذا الذي اعتراه.
(٧) أي: قريباً جداً.

٣١- ومن هو أبو الدرداء رضي الله عنه؟

إنه[١]: عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن قيس بن زيد. وقيل: عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث. ابن الخزرج، أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي.[٢].

وقال الكلبي: اسمه عامر ابن زيد بن قيس بن عبسة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج.

وقال أبو عمر: وليس بشيء.

وهو مشهور بكنيته، ويذكر فيها إن شاء الله تعالى أتم من هذا. وكان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم.

روى عنه: أنس بن مالك، وفضالة بن عبيد، وأبو أمامة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، وابن المسيب، وغيرهم.

تأخر إسلامه، فلم يشهد بدراً، وشهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وقيل: إنه لم يشهد أُحُداً، وأول مشاهده الخندق.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي.

روى أيوب، عن أبي قلابة أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنباً، وكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

وروى صالح المري، عن جعفر بن زيد العبدي: أن أبا الدرداء لما نزل به الموت بكى، فقالت له أم الدرداء: وأنت تبكي يا صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ومالي لا أبكي ولا أدري علام أهجم من ذنوبي.

وقال شميط بن عجلان: لما نزل بأبي الدرداء الموت جزع جزعاً شديداً، فقالت له

---

(١) كما جاء في (أُسد الغابة...) طبعة دار الشعب. المجلد الرابع ص ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) في جمهرة أنساب العرب ٣٤٣ (عويمر بن يزيد بن قيس بن عبسة..) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٧/٢/٧. (عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة).

أم الدرداء: ألم تك تخبرنا أنك تحب الموت؟ قال: بلى وعزة ربي، ولكن نفسي لما استيقنت الموت كرهته، ثم بكى وقال: هذه آخر ساعتي من الدنيا، لقنوني: (لا إله إلا الله) فلم يزل يرددها حتى مات.

وقيل: دعا ابنه بلالاً فقال: ويحك يا بلال! اعمل للساعة، اعمل لمثل مصرع أبيك، واذكر به مصرعك وساعتك، فكأن قد، ثم قبض.

وتوفي قبل عثمان بسنتين، قيل: توفي سنة ثلاث أو اثنتين وثلاثين بدمشق، وقيل: توفي بعد صفين سنة ثمان أو تسع وثلاثين.

والأصح والأشهر والأكثر عند أهل العلم أنه توفي في خلافة عثمان، ولو بقي لكان له ذكر بعد قتل عثمان إما في الاعتزال، وإما في مباشرة القتال، ولم يسمع له بذكر فيهما البتة، والله أعلم.

قال أبو مسهر: لا أعلم أحداً نزل دمشق من أصحاب النبي ﷺ غير أبي الدرداء، وبلال مؤذن رسول الله ﷺ، ووائلة بن الأسقع، ومعاوية، ولو نزلها أحد سواهم لما سقط علينا [(١)].

وكان أبو الدرداء أقنى أشهل [(٢)]، يخضب بالصفرة، عليه قلنسوة وعمامة قد طرحها بين كتفيه. أخرجه الثلاثة.

وقد جاء في ترجمة كنيته في المجلد السادس ص ٩٧ –بالإضافة إلى ما وقفنا عليه قبل ذلك ما يلي:

أخبرنا عبد الله بن أحمد الخطيب، أخبرنا جعفر بن أحمد أبو محمد القاري، أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحيم، أخبرنا محمد بن الحسن بن عبدان، حدثنا عبد الله بن بنت منيع، حدثنا هدية، حدثنا أبان العطار، حدثنا قتادة، عن سالم ابن أبي الجعد، عن معدان، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ كل ليلة ثلث القرآن»** قالوا: نحن أعجز من ذلك وأضعف. قال:

---

(١) الاستيعاب: ٣/ ١٢٢٨.

(٢) القنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه. والشهلة: حمرة في سواد العين.

«فإن الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن» [1].

وروى جبير بن نفير، عن عوف بن مالك أنه رأى في المنام قبة من آدم [2] في مرج أخضر، وحول القبة غنم ربوض تجتر [3] وتبعر العجوة، قال: قلت: لمن هذه القبة؟ قيل: هذه لعبد الرحمن بن عوف. فانتظرناه حتى خرج فقال: يا ابن عوف، هذا الذي أعطى الله عز وجل بالقرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية [4] لرأيت بها ما لم تر عينك، و لم تسمع أذنك، و لم يخطر على قلبك مثله، أعده الله لأبي الدرداء، إنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والصدر.

وَلِيَ أبو الدرداء قضاء دمشق في خلافة عثمان. وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين. أخرجه أبو عمر.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أعلق بعد ذلك على بعض ما جاء في ترجمة أبي الدرداء ﷺ.. (فإنني) أحب أن أركز بعض التركيز على الجانب الوعظي فيها.. (كقوله) مثلاً عليه رضوان الله لولده (بلال) —وكان هذا في وقت مرضه الشديد الذي مات فيه—: يا بلال.. اعمل للساعة، اعمل لمثل مصرع أبيك، واذكر به مصرعك وساعتك..

(إن) وعظاً كهذا لولده.. أو لغيره يمثل هذا الأسلوب.. لابد وأن يكون نابعاً من قلب رجل خاشع لله تعالى.. ولابد وأن يكون كذلك وعظاً حقيقياً.. وهو أولاً وأخيراً إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرجل كان واعظاً حقيقيا (بمعنى) أنه كان يعظ الناس بحاله قبل مقاله..

(وهو) أيضاً عندما يقول لأهله —وهو يحتضر— لقنوني: (لا إله إلا الله).. ثم يظل يرددها إلى أن يفارق الدنيا..

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق قتادة، انظر المسند ٦/٤٤٣، ٤٤٧.
(٢) الآدم: من اشتدت سمرته.
(٣) ربوض: جمع رابض، وهو الجالس المقيم، واجتر البعير: أخرج ما في بطنه لمضغه.
(٤) أي : هذا المكان الذى فيه ما فيه لأبى الدرداء من الخير الكبير.

(فإنه) بهذا كذلك قد فارق الدنيا على الإيمان.. (وإنه) أيضاً بهذا يلفت قلوب أهله إلى فضل (لا إله إلا الله) التي ينبغي عليهم أن يعملوا على أن يكونوا من المؤمنين الذين يموتون عليها..

فقد ورد: (عن) معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(وعن) أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» رواه مسلم.

(وقد) قرأت أنه عليه رضوان الله: وقف ذات يوم أمام الكعبة فقال: أيها الناس. أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد؟ قالوا: نعم. قال: فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون.. فقالوا: دلنا على زاده. فقال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور.. ا.هـ.

(وقرأت) أيضاً أنه كان يقول: أُحب الفقر تواضعاً لربي، وأُحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأُحب المرض تكفيراً للخطايا.. ا.هـ.

(فلننتفع) جميعاً بكل هذا التذكير (ولنعمل) على تنفيذ المراد منه.. قبل فوات الأوان.. وقبل أن نندم ولات ساعة مندم.

(ونحن) نسأل الله تعالى أن يجعل صاحب الترجمة مع الأبرار، ومع النبي المختار ﷺ.

اللهم آمين

٣٣- ومن هو الأسود بن أصرم رضي الله عنه؟

إنه[1]: الأسود بن أصرم المحاربي. عداده في أهل الشام، روى عنه سليمان بن حبيب وحده.

أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بن أبي حبة، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن حسنون، أخبرنا أبو محمد أحمد بن علي بن الحسن بن صفوان، أخبرنا أبو بكر بن أبي الدنيا، أخبرنا يونس بن عبد الرحيم العسقلاني، أخبرنا عمرو ابن أبي سلمة، أخبرنا صدقة بن عبد الله بن عبيد الله ابن علي القرشي، عن سليمان ابن حبيب المحاربي، حدثني أسود بن أصرم المحاربي قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «**أتملك يدك؟**» قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: «**أتملك لسانك؟**» قلت: فما أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: «**لا تبسط يدك إلا إلى خير، ولا تقل بلسانك إلا معروفاً**». أخرجه ثلاثتهم.. ا.هـ.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أعلق على هذه الترجمة -وبإيجاز- فإنه حسبي أن أشير إلى أهم ما جاء في الحديث الأخير الوارد في ختام الترجمة، وهو:

قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «**أتملك يدك**»؟ قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: «**أتملك لسانك**» ؟ قلت: فما أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: «**لا تبسط يدك إلا خير، ولا تفعل بلسانك إلا معروفاً**».

(فإن) المراد من هذا الحديث أو هذه الوصية أن يكون الإنسان العاقل المؤمن منا متحكماً في يده (بمعنى) أن لا يفعل بيده غير الصالح العام والخاص.. وأن لا يكون بها من الذين يهدمون ولا يبنون.. (وإذا) لم يستطع أن يملك يده أو يتحكم فيها

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب المجلد الأول ص ٩٩.

(فليكن) من الذين يملكون ألسنتهم.. فلا ينطقون إلا بخير أو معروف.

(فعن) أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليـــوم الآخـــر فليقل خيراً أو ليصمت**» متفق عليه.

وهذا صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم.

(وعن) أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل [١] ؟ قـــال: «**من سَلِم المسلمون من لسانه ويده** [٢]» متفق عليه.

(فلنكن) من المنتفعين بهذه الوصية كما انتفع بها صاحب الترجمة عليه رضوان الله

والله ولي التوفيق

(١) أي: أكثر ثواباً وأعلى مقاماً.
(٢) أي: لم يؤذ أحداً بلسانه قولاً، ولا بيده فعلاً.

٣٣- ومن هو أبو موسى الأشعري ﷺ؟

إنه [١]: عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضّار بن حرب بن حرب بن عامر بن عامر بن عتر ابن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب أبو موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ.

واسم الأشعر بنت، وأمه ظبية بنت وهب، امرأة من عكٍّ، أسلمت وماتت بالمدينة.

ذكر الواقدي أن أبا موسى قدم مكة، فحالف أبا أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، وكان قدومه مع إخوته في جماعة من الأشعريين، ثم أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة.

وقالت طائفة من العلماء بالنسب والسير: إن أبا موسى لما قدم مكة، وحالف سعيد بن العاص، انصرف إلى بلاد قومه ولم يهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع إخوته فصادف قدومه قدوم السفينتين من أرض الحبشة.

قال أبو عمر: الصحيح أن أبا موسى رجع بعد قدومه مكة ومحالفته من حالف من بني عبد شمس إلى بلاد قومه، وأقام بها حتى قدم مع الأشعريين نحو خمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم الريح إلى النجاشي، فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها، فأتوا معهم وقدم السفينتان معاً: سفينة جعفر، وسفينة الأشعريين، على النبي ﷺ حين فتح خيبر. وقد قيل: إن الأشعريين إذا رمتهم الريح إلى الحبشة اقاموا بالحبشة مدة، ثم خرجوا عند خروج جعفر ﷺ، فلهذا ذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة، والله أعلم [٢].

وكان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، واستعمله عمر ﷺ على البصرة، وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجراح بالشام.

قال لمازة بن ربًّا: ما كان يشبه كلام أبي موسى إلا بالجزار الذي لا يخطئ المفصل.

وقال قتادة: بلغ أبا موسى أن قوماً يمنعهم من الجمعة أن ليس لهم ثياب، فخرج

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) طبعة دار الشعب. المجلد الثالث ص ٣٦٧ – ٣٦٩.

(٢) الاستيعاب: ٩٨٥.

على الناس في عباءة. وقال ابن إسحاق: في سنة تسع عشرة بعث سعد بن أبي وقاص عياض بن غنم إلى الجزيرة، وبعث معه أبا موسى وابنه عمر بن سعد، وبعث عياض أبا موسى نصيبين فافتتحها في سنة تسع عشرة. وقيل: إن الذي أرسل عياضاً أبو عبيدة بن الجراح، فوافق أبا موسى، فافتتحا حَرَّان ونصيبين.

وقال خليفة: قال عاصم بن حفص: قدم أبو موسى إلى البصرة سنة سبع عشرة والياً، بعد عزل المغيرة، وكتب إليه عمر ﷺ: أن سر إلى الأهواز، فأتى الأهواز فافتتحها عنوةً -وقيل: صلحاً- وافتتح أبو موسى أصبهان سنة ثلاث وعشرين، قاله ابن إسحاق.

وكان أبو موسى على البصرة لما قتل عمر ﷺ، فأقره عثمان عليها، ثم عزله واستعمل بعده ابن عامر، فسار من البصرة إلى الكوفة، فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص، وطلبوا من عثمان أن يستعمله عليهم، فاستعمله، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ﷺ. فعزله عليٌّ عنها.

قال عكرمة: لما كان يوم الحكَمين، حكَّم معاوية عمرو بن العاص، قال الأحنف ابن قيس لعلي: يا أمير المؤمنين، حكِّم ابن عباس، فإنه نحوه. قال: أفعل. فقالت اليمانية: يكون أحد الحكمين منا. واختاروا أبا موسى، فقال ابن عباس لعلي: علام تحكِّم أبا موسى؟ فو الله لقد عرفت رأيه فينا، فوالله ما نصرنا، وهو يرجونا، فقد خله الآن في معاقد الأمر مع أن أبا موسى ليس بصاحب ذلك! فاجعل الأحنف فإنه قرنٌ[1] لعمرو. فقال: أفعل، فقالت اليمانية أيضاً -منهم الأشعث بن قيس وغيره-: لا يكون فيها إلا الإيمان، ويكون أبا موسى. فجعله علي ﷺ، وقال له ولعمرو: أحكمكما على أن تحكما بكتاب الله فلا حكومة لكما ففعلا ما هو مذكور في التاريخ، وقد استقصينا ذلك في الكامل في التاريخ.[2]

---

(١) القرن: النظير والكفء.

(٢) ينظر الكامل: ٣ / ١٦٦ – ١٦٩.

ومات أبو موسى بالكوفة، وقيل: مات بمكة سنة اثنتين وأربعين. وقيل: سنة أربع وأربعين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل: توفي بسنة تسعٍ وأربعين. وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين، والله أعلم.

أخرجه الثلاثة.. ا. هـــ.

تعليق

(هذا) وإذا كان لي أن أعلق على هذه الترجمة المتعلقة بأبي موسى الأشعري ﷺ (فإنه) حسبي — بالإضافة إلى ما قرأنا في نص الترجمة — أن أعلق على خطبة موجزة قرأتها له في (حياة الصحابة)[1] وهي:

و(أخرج) ابن سعد (ج ٤ ص ١١٠) عن قسامة بن زهير أن أبا موسى ﷺ خطب الناس بالبصرة فقال: (أيها الناس.. ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع، ثم يبكون الدماء حتى لو أُجري فيها السفن لسارت). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٢٦١) عن قسامة نحوه، وأحمد في مسنده عنه نحوه.

(وقد) قرأت في (الترغيب والترهيب)[2] تحت عنوان:

في بكاء أهل النار وشهيقهم

(عن) عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: إن أهل النار يدعون مالكاً[3] فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يقول: ﴿**إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾[4]، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**﴾ فلا يجيبهم مثل الدنيا[5]، ثم يقول ﴿**اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أولها شهيقَ وآخرها زفير[6] .

---

(١) ج ٣ ص ٤٣٧.

(٢) ج ٤ ص ٩١٧ وما بعدها، مع الهامش.

(٣) وهو خازن النار عليه السلام، بل هو رئيس خزنة النار.

(٤) أي: مقيمون فيها إقامة دائمة.

(٥) أي: قدر عمر الدنيا.

(٦) (الشهيق) في الصدر، و(الزفير) في الحلق. وقال ابن عباس: الشهيق ضد الـــزفير. إن الشـــهيق رد النفس، والزفير إخراج النفس.

رواه الطبراني موقوفاً ورواته محتج بهم في الصحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(هذا) وإذا كان الله تعالى يقول في قرآنه: ﴿**لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ**﴾ [الحشر: ٢٠].

(فإنني) أحب أن أذكر الأخ المسلم بحديثين شريفين –على سبيل البشرى– حتى لا ييأس من رحمة الله تبارك وتعالى:

(فعن) أنس ﷺ أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرةٍ من خير**» أخرجه أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

(وعن) أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسْوَدُّوا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل. ألم تر أنها صفراء ملتوية**» أخرجه الشيخان والنسائي[1].

(فلنستبشر) بهذين الحديثين الشريفين الصحيحين، ونحن نسأل الله تعالى أن يجزي عنا صاحب الترجمة خير الجزاء.. لأنه ذكرنا بكل هذا من خلال خطبته،

اللهم آمين

(١) انظر ص ٥٥ ج ١ فتح الباري، وص ٥ ج ٣ نووي مسلم.

٣٤- ومن هي أم أنس رضي الله عنها؟

إنها [١]: أم أنس جدة موسى بن عمران بن أنس الأنصاري، روى عنها موسى بن عمران أنها قالت: يا رسول الله، جعلك الله في الرفيق الأعلى، وأنا معك، فقال: آمين. فقال لها: «**عليك بالصلاة، واهجري المعاصي، فإنه أفضل الجهاد**».

أخرجها أبو عمر وأبو موسى، إلا أن أبا عمر قال: جدة يونس بن أبي أنس[٢]. وقال أبو موسى: جدة موسى، وقد وافق البخاري أبا عمر، فقد ذكره في التاريخ الكبير فقال: يونس بن عمران بن أبي أنس، يروي عن جدته أم أنس، والله أعلم [٣].

ورواها أبو موسى عن الطبراني من طريقين، فقال: أم موسى بن عمران.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أعلق على هذه الترجمة المتعلقة بالصحابية الجليلة — أم أنس رضي الله عنها وعنه- (فإنني) أرى (أن) أحاول الوقوف مع الأخ المسلم على المراد من هذه الوصية الجامعة التي أوصاها بها الرسول ﷺ.. حتى ننتفع بها نحن كذلك إن شاء الله تعالى.. (فإن) المعنى المراد منها وبإيجاز.. لكي نكون نحن كذلك في الرفيق الأعلى معه صلوات الله وسلامه عليه — ونحن نتصور أن النبي ﷺ قد أمَّن على دعائنا كما أمَّن على دعائها-: (أن): نحافظ على الصلوات الخمس وفي أوقاتها، وأن نؤدِّيها على أكمل وجه وبكل خشوع.. (وأن) نكثر كذلك من النوافل الراتبة [٤] وغير الراتبة — على سبيل التطوع المطلق- (فقد) روى مسلم عن ربيعة بن مالك الأسلمي قال: قال الرسول ﷺ: «**سَلْ**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «**أو غيرَ ذلك؟**» قلت: هو ذاك، قال: «**فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود**».

(هذا) بالإضافة إلى أنه (قد) شُرِع التطوعُ أساساً ليكون جبْراً لما عسى أن يكون

(١) كما جاء في (أُسْدُ الغابة...) المجلد السابع ص ٣٠٢.

(٢) الاستيعاب: ٤/ ١٩٢٠.

(٣) وكذلك ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ٤/ ٢/ ٢٤٤.

(٤) أي: السنن القبلية والبعدية.. والمؤكدة وغير المؤكدة لكل صلاة من الصلوات الخمس...

قد وقع في الفرائض من نقص، ولما في الصلاة من فضيلة ليست لسائر العبادات: (فعن) أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا للملائكة، وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتَمَّهَا أم نقصها؟ فإن كانت تامةً، كُتِبَتْ له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخَذُ الأعمال على ذلك**» رواه أبو داود.

(وأما) عن هجر المعاصي.. فإن المراد منه.. هو أن نبتعد عن جميع المخالفات والمنكرات التي تغضب الله رب العالمين الذي يحذرنا من عقوبته فيقول: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران: ٢٨]، وأن نكون على عكس هذا من المطيعين لله ولرسوله حتى نكون من المشار إليهم في قول الله تعالى ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**﴾ [النساء: ٦٩].

(وإذا) كان النبي ﷺ قد ختم الوصية بقوله: «**فإنه أفضل الجهاد**» لأنه سيكون مجاهدة للنفس الأمارة بالسوء.

(وقد) ورد في الأثر أن النبي ﷺ قال بعد أن عاد من غزوة كبيرة ضد أعداء الإسلام: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، ألا وهو جهاد النفس**».

(وقد) قرأت لأحدهم قوله:

إني ابتُليتُ بأربع ما سُلِّطوا ... إلا لشدَّة شقْوتي وعَنائي

إبليسُ، والدنيا، ونفسي، والهَوى ... كيف الخلاصُ وكُلُّهم أعْدائي

(وإذا) كان الرجل يتساءل: كيف الخلاص؟ فإننا نذَكِّرهُ بقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا التذكير، وأن يجزي عنا صاحبة الترجمة خير الجزاء،

اللهم آمين

٣٥- ومن هو حذيفة بنُ اليمان رضي الله عنه؟

إنه[1]: حذيفة بن اليمان، وهو حذيفة بن حسْل، ويقال: حُسَيْل، بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جرْوَة بن الحارث بن مازن بنُ قُطيعَة بن عبس بن بغيض بن ريث ابن غطفان، أبو عبد الله العبسي، واليمان لقب حسْل بن جَابر.

وقال ابن الكلبي: هو لقب جرْوة بن الحارث، وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان، لأنه حالف الأنصار، وهم من اليمن.

روى عنه ابنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، وزيد بن وهب، وغيرهم.

وهاجر إلى النبيﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة، واختار النصرة، وشهد مع النبيﷺ أُحُداً، وقُتلَ أبوه بها..

وحذيفة صاحب سر رسول اللهﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول اللهﷺ، وسأله عمر: أفي عُمالي أحد من المنافقين؟ قال: نعم، واحد، قال: من هو؟ قال: لا أذكره، قال حذيفة: فعزله، كأنما دُلَّ عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر.

وشهد حذيفة الحرب بنهاوند، فلما قُتل النعمان بن مُقرَن أمير ذلك الجيش أخذ الراية، وكان فتح همدان، والرَّيِّ، والدِّيْنَوَر على يده، وشهد فتح الجزيرة، ونزل نصيبين، وتزوج فيها.

وكان يسأل النبيﷺ عن الشرِّ ليتجنبه، وأرسله النبيﷺ ليلة الأحزاب سرًّا ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد بدراً، لأن المشركين أخذوا عليه الميثاق لا يقاتلهم، فسأل النبيﷺ : هل يقاتل أم لا ؟ فقال: **((بل نفي لهم، ونستعين بالله عليهم))**.

وسأل رجل حذيفة: أي الفتن أشد؟

قال: أن يُعرض عليك الخير والشر، لا تدري أيهما تركب.

أخبرنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن علي وغيره، قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى

(١) كما جاء في (أسْدُ الغاية...) طبعة دار الشعب.. المجلد الأول من ص ٤٦٨ — ٤٧٠.

الترمذي، أخبرنا هنَّاد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قال: رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر، حدثنا أن «**الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة**»، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: «**ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوَكْت، ثم ينام نومة، فتقبض الأمانة فيظل أثرها مثل أثر المَجْل كجمر دحرجته على رجلك فنفطتْ**[1] **فتراه مُنْتَبِرًا وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة قد حرجها على رجله، قال: فيصبح الناس فيتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يقال للرجل: ما أجلده وأظرفه وأعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**»، قال: ولقد أتى عليَّ زمان ما أُبالي أبكم بايعْتُ، لئن كان مسلماً ليردَّنه عليَّ دينه، ولئن كان يهودياً أو نصرانياً ليردنه عليَّ ساعيه[2]، وأما اليوم فما كنت لأبايع إلا فلاناً وفلاناً.

روى زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنَّوا، فتمنوا ملْءَ البيت الذي كانوا فيه مالاً وجواهر ينفقونها في سبيل الله، فقال عمر: لكني أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله عز وجل، ثم بعث بمال إلى أبي عبيدة، وقال: انظر ما يصنع، فقسمه، ثم بعث بمال إلى أبي حذيفة، وقال: انظر ما يصنع، قال: فقسمه، فقال عمر: قد قلت لكم.

وقال ليث بن أبي سليم: لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعاً شديداً وبكى بكاءً كثيراً، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي أسفاً على الدنيا، بل الموت أحَبُّ إليَّ، ولكني لا أدري علام أُقدم، على رِضَى أم على سَخَط؟

وقيل: لما حضره الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أني أحبك، فبارك لي في لقائك، ثم مات.

وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة، سنة ست وثلاثين.

وقال محمد بن سيرين: كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب عهده، وقد بعثتُ فلاناً وأمرته بكذا، فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم، فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين [3] ، فلما قرأ عهده، قالوا:

---

(١) يعني: قرحت.

(٢) يعني رئيسهم الذي يصدرون عن رأيه، ولا يمضون رأياً دونه.

(٣) الدهقان: رئيس القرية.

سَلْنا ما شئت، قال: أسألكم طعاماً آكله وعلف حماري ما دمت فيكم. فأقام فيهم، ثم كتب إليه عمر ليقدم عليه، فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق، فلما رآه عمر على الحال التي خرج من عنده عليها، أتاه فالتزمه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك أخرجه ثلاثتهم.

غريبه: الجذر: الأصل، وجذر كل شيء: أصله، وتفتح الجيم وتكسر.

والمجل: يقال مجلت يده، تمجل مجلاً، ومجلت مجل مجلاً: إذا ثخن جلدها وتفجر حتى يظل أثرها مثل أثر المجل، المُنْتبر: المنتفط المرتفع، وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره.

والوكْتة: الأثر اليسير، وجمعه وُكْت، بالتسكين، وقيل للبسر إذا وقعت فيه نكتة من الإرطاب: قد وكت، بالتشديد.

تعليق

(وإذا) كان لي أن أعلق على ما جاء في هذه الترجمة المتعلقة بالصحابي الجليل.. صاحب سر رسول الله ﷺ في وصف المنافقين ومعرفة المنافقين رضي الله عنه وأرضاه.. (فإنه) حسبي أن أذكر هنا ببعض ما ورد في فضله:

(فعن) عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم على أخراهم فاجتلدت مع أخراهم[١].

فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه[٢]، فقال: أي عباد الله أبي أبي فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي الله عز وجل[٣]. رواه البخاري.

(وعن) حذيفة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، لو استخلفت [٤] قال: **((إن استخلف عليكم فعصيتموه عُذّبتم، ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه، وما أقرأكم عبد الله[٥] فاقرأوه))** رواه الترمذي بسند حسن.

(ثم) حسبنا بعد ذلك أن نستمع إلى (حذيفة) رضي الله عنه، وهو يقول: [٦]

(كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن

---

(١) أي: قاتلنا قتالاً شديداً واستشهد من المسلمين نحو الستين رضي الله عنهم.
(٢) أي: يضرب خطأ.
(٣) لأنه عظم الهول حتى عظم على المسلمين بعضهم..
(٤) أي: صرحت باسم الخليفة بعدك..
(٥) أي: ابن مسعود رضي الله عنه
(٦) كما جاء في (رجال حول الرسول) ﷺ

يدركني.. قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير.. فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: **((نعم))**.. قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: **((نعم))**.. قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: **((نعم، وفيه دخن))**.. قلت: وما دخنه..؟؟ قال: **((قوم يستنون بغير سنتي.. ويهتدون بغير هَدْيِي، تعرف منهم وتنكر..))**.. قلت: وهل بعد هذا الخير من شر؟؟ قال: **((نعم! دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها..))**، قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك..؟؟ قال: **((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم..))**، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام..؟؟ قال: **((تعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك))**..!!

(وكان) عليه رضوان الله يقول: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ، فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب، فحيا بالحق من كان ميتاً.. ومات بالباطل من كان حياً.. ثم ذهبت النبوة، وجاءت الخلافة على منهاجها.. ثم يكون ملكاً عضوضاً..!!

(فمن الناس) من ينكر بقلبه ويده، ولسانه.. أولئك استجابوا للحق.. (ومنهم) من ينكر بقلبه ولسانه، كافًا يده فهذا ترك شعبة من الحق.. (ومنهم) من ينكر بقلبه، كافًا يده ولسانه، فهذا ترك شعبتين من الحق..

(ومنهم) من لا ينكر بقلبه، ولا بيده، ولا بلسانه، فذلك ميت الأحياء..!!

(وكان) يتحدث عن القلوب، وعن حياة الهدى والضلال فيها فيقول: القلوب أربعة:

(قلبٌ) أغلف، فذلك قلب الكافر.

(وقلبٌ) مصفَّحٌ، فذلك قلب المنافق..

(وقلبٌ) أجرد، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن.

(وقلبٌ) فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماءٌ طيِّب.. ومثل المنافق كمثل القرحة: يمدها قيح ودم، فأيهما غلبَ، غلبَ.

(وفي) وقت احتضاره — كما يقول أيضاً في (رجال حول الرسول)- تمتم بكلمات، ألقى الجالسون أسماعهم إليها فسمعوها: (مرحباً بالموت.. حبيبٌ جاء على شوق.. لا أفلح من ندم)، وصعدت إلى الله روح من أعظم أرواح البشر، ومن أكثرها تُقَى، وتألقاً وإخباتاً.. (فرضي) الله عنه وأرضاه..

اللهم آمين

٣٦- ومن هو الحسن بن علي رضي الله عنه؟

إنه[١]: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، أبو محمد، سِبْط النبي ﷺ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، سيدة نساء العالمين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وريحانة النبي ﷺ وشبيهه، سماه النبي ﷺ الحسن، وعَقّ[٢] عنه يوم سابعه، فحلق شعره، وأمر أن يُتَصَدَّق بزنة شعره فضة، وهو خامس أهل الكساء.

قال أبو أحمد العسكري: سماه النبي ﷺ الحسن، وكناه أبا محمد، ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية، وروي عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سَمَّى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين، قال: فقلت له: فالذين باليمن؟ قال: ذاك حسْن ساكن السين، وحَسين بفتح الحاء وكسر السين، ولا يعرف قبلها إلا اسم رملة في بلاد ضبة، قال ابن عنمة[٣]:

غداة أضر بالحسن السبيل

وعندها قتل بسطام بن قيس الشيباني.

أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي الأمين، أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر، أخبرنا أبو طاهر بن أبي الصقر الأنباري، أخبرنا أبو البركات أحمد بن عبد الواحد بن نظيف، حدثنا الحسن بن رشيق، أخبرنا أبو بشر الدولابي، قال: سمعت أبا بكر بن عبد الرحيم الزهري، يقول: ولد الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وتوفي بالمدينة سنة تسع وأربعين، وقيل: ولد للنصف من شعبان سنة ثلاث، وقيل: ولد بعد أُحُد بسنة، وقيل: بسنتين، وكان بين أحد والهجرة سنتان وستة أشهر ونصف.

قال الدولابي: وحدثنا الحسن بن علي بن عفان، أخبرنا معاوية بن هشام، أخبرنا

---

(١) كما جاء في (أُسْدُ الغابة..) طبعة دار الشعب – المجلد الثاني.. ص ١٠ – ١٦.

(٢) العقيقة: الذبيحة التي تذبح عن المولود، وأصل العق الشق والقطع، وقيل: الذبيحة: عقيقة، لأنها شق حلقها.

(٣) البيت في اللسان: عنم، وتمام روايته:

لأم الأرض ويل ما أجنت ... بحيث أضر بالحسن السبيل

علي بن صالح، عن سماك بن حرب، عن قابوس بن المخارق، قال: قالت أم الفضل: يا رسول الله، رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي، قال: «**خيراً** رأيت، تلد فاطمة غلاماً فتُرضعيه بلبن قُثَم»، فولدت الحسن فارضعته، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ، فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**»، قلت: سميته حرباً، قال: « **بل هو حسن**»، فلما ولد الحسين سميناه حرباً، فجاء النبي ﷺ، فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**»، قلت: سميته حرباً، قال: «**بل هو حسين**»، فلما ولد الثالث، جاء النبي ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**» قلت: سميته حرباً، قال: «**بل هو محسن**»، ثم قال: «**سميتهم بأسماء ولد هارون: شَبَّر وشُبَّير ومُشَبِّر**».

روى عنه عائشة، والشعبي، وسويد بن غفلة، وشفيق بن سلمة، وهبيرة بن بريم، والمسيب بن نجبة، والأصبع بن نباتة، وأبو الحوراء، ومعاوية بن حُدَيج، وإسحاق بن بشار، ومحمد بن سيرين، وغيرهم.

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن علي وغير واحد قالوا: أخبرنا أبو الفتح الكروخي بإسناده، عن أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، أخبرنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن يزيد بن أبي مريم، عن أبي الحوراء، قال: قال الحسن بن علي: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «**اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت**».

أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن سكينة، أخبرنا محمد بن علي السلامي، أخبرنا ابن أبي الصقر، أخبرنا أبو البركات بن نظيف، أخبرنا الحسين بن رشيق، أخبرنا أبو بشر الدولابي، حدثنا محمد بن بشار، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا شعبة (ح) قال أبو بشر: وحدثنا يوسف بن سعيد، أخبرنا حجاج بن محمد، أخبرنا شعبة، أخبرنا يزيد بن أبي مريم، عن أبي الحوراء، قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر من رسول الله ﷺ أني أخذت تمرة من تمر الصدقة، فتركتها في فمي، فنزعها بلعابها، وجعلها في تمر الصدقة، فقيل: يا رسول الله، ما كان

عليك من هذه الثمرة؟ قال: «**إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة**»، وكان يقول: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**»، وكان يعلمنا هذا الدعاء.. وذكر حديث القنوت.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر، أخبرنا أبو محمد جعفر بن الحسين القاري، أخبرنا عبيد الله بن عمر، أخبرنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب، أخبرنا موسى بن إسحاق، أخبرنا خالد العمري، أخبرنا سفيان الثوري، عن سعد بن طريف، عن عمير بن مأمون، قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى صلاة الغداة**[1] **فجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس كان له حجاب من النار**»، أو قال: «**سُتر من النار**».

أخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن الطلاية الوراق، أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد الأنماطي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، أخبرنا داود بن رشيد، أخبرنا مروان، أخبرنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة: عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام**».

أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله وغيره بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة، أخبرنا سفيان بن وكيع، وعبد بن حميد، قالا: حدثنا خالد بن الحارث، أخبرنا موسى بن يعقوب الربعي، عن عبد الله بن أبي بكر بن زيد بن المهاجر، قال: أخبرني مسلم بن أبي سهل النبال، أخبرني الحسن بن أسامة بن زيد، قال: أخبرني أبي أسامة بن زيد، قال: طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج إلي وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي، قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال: «**هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما**».

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار، وأخبرنا محمد بن عبد الله

---

(١) أي: صلاة الصبح.

الأنصاري، وأخبرنا الأشعث، هو ابن عبد الملك، عن الحسن، عن أبي بكرة، قال: صعد النبي ﷺ المنبر فقال: «**إن ابني هذا سيد، يصلح الله به بين فئتين عظيمتين**».

قال: وأخبرنا محمد، أخبرنا الحسين بن حريث، أخبرنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، حدثني عبد الله بن بريدة، قال: سمعت أبي بريدة يقول: كان النبي ﷺ يخطبنا إذ جاءه الحسن والحسين، عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فترل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «**صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٥] **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**».

قال: وحدثنا محمد، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا عبد الرازق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس بن مالك، قال: لم يكن أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي، قال: وحدثنا محمد، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا أبو عامر العقدي، أخبرنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: (كان رسول الله ﷺ حامل الحسن على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: «**نعم، ونعم الراكب هو**».

أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء الثقفي بإسناده إلى مسلم بن الحجاج، أخبرنا محمد بن بشار وأبو بكر بن نافع، أخبرنا غندر، وأخبرنا شعبة بن عدي بن ثابت، عن البراء، قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن علي على عاتقه، وهو يقول: «**اللهم إني أحبه فأحبه**».

قال: أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا محمد بن سليمان الأصفهاني، عن يحيى بن عبيد، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [الأحزاب: ٣٣] في بيت أم سلمة، فدعا النبي ﷺ فاطمة، وحسناً، وحسيناً، فجلّلهم بكساء، وعليٌّ خلف ظهره، ثم قال: «**هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**أنت على مكانك، أنت إلى خير**».

قال محمد: وحدثنا علي بن المنذر الكوفي، حدثنا محمد بن فضيل، أخبرنا الأعمش،

عن عطية، عن أبي سعيد الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**».

قال: وأخبرنا محمد، أخبرنا أبو داود سليمان بن الأشعث، أخبرنا يحيى بن معين، أخبرنا هشام بن يوسف، عن عبد الله بن سليمان النوفلي، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبوا الله لما يغذوكم** [1] **من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي**».

قيل: إن الحسن بن علي حج عدة حجات ماشياً، وكان يقول: إني لأستحي من ربي أن ألقاه و لم أمش إلى بيته، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، فكان يترك نعلاً ويأخذ نعلاً، وخرج من ماله كله مرتين.

وقال النبي ﷺ: «**حسن سبط من الأسباط**»[2]، وكان حليماً كريماً ورعاً، وفضله الله إلى أن ترك الملك والدنيا، رغبة فيما عند الله تعالى، وكان يقول: ما أحببت أن ألي أمر أمة محمد ﷺ على أن يُهْراق في ذلك مِحْجَمَةُ دمٍ، وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان.

وولي الخلافة بعد قتل أبيه علي رضي الله عنهما، وكان قتل علي لثلاث عشرة بقيت من رمضان من سنة أربعين، وبايعه أكثر من أربعين ألفاً، كانوا قد بايعوا أباه على الموت، وكانوا أطوع للحسن، وأحب له، وبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق، وما وراءه من خراسان والحجاز واليمن وغير ذلك، ثم سار معاوية إليه من الشام، وسار هو إلى معاوية، فلما تقاربا علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يقتل أكثر الأخرى، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه، على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام

(١) يغذوكم: من الغذاء، وهو ما به نماء الجسم.

(٢) أي: أمة من الأمم في الخير.

أبيه، وغير ذلك من القواعد، فأجابه معاوية إلى ما طلب، فظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ: «**إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين**» وأيُّ شرف أعظم من شرف من سماه رسول الله ﷺ سيداً؟

أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي إجازة، أخبرني أبي، أخبرنا أبو السعود، حدثنا أحمد بن محمد المجلي، أخبرنا محمد بن محمد بن أحمد العكبري، أخبرنا محمد بن أحمد بن خاقان، أخبرنا أبو بكر بن دريد، قال: قام الحسن بعد موت أبيه أمير المؤمنين فقال بعد حمد الله عز وجل: إنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسلبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجذع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزٌ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله –عز وجل– بظُبا [1] السيوف، وإن أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضا)، فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية، فلما أفردوه أمضى الصلح.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغير واحد، قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي قال: حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو داود الطيالسي، أخبرنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني، عن يوسف بن سعد. قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية، فقال: سَوَّدْت وجوه المؤمنين، أو يا مُسَوِّد وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنبني، رحمك الله، فإن النبي ﷺ أُرِي بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ١: ٣] تملكها بعدي بنو أمية.

وقد اختلف في الوقت الذي سلم فيه الحسن الأمر إلى معاوية، فقيل: في النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقيل: لخمس بقين من ربيع الأول منها،

(١) ظبة السيف: حده، وجمعه ظبا.

وقيل: في ربيع الآخر، فتكون في خلافته على هذا ستة أشهر، واثني عشر يوماً، وعلى قول من يقول: في جمادى الأولى نحو ثمانية أشهر، والله أعلم. وقول من قال: سلم الأمر سنة إحدى وأربعين، أصح ما قيل فيه، وأما من قال: سنة أربعين، فقد وَهِم.

ولما بايع الحسن معاوية خطب الناس قبل دخول معاوية الكوفة فقال: أيها الناس، إنما نحن أُمَراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، وكرر ذلك حتى ما بقي إلا من بكى حتى سُمِع نشيجه.

ولما دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس قال عمرو بن العاص لمعاوية: لتأمر الحسن ليخطب، فقال له معاوية: قم يا حسن فكلم الناس فيما جرى بيننا، فقام الحسن في أمر لم يُرو فيه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال في بديهته: أما بعد، أيها الناس، فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، ألا إن أكيس الكيس التقي، وإن أعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه، إما أن يكون أحق به مني، وإما أن يكون حقّي تركته لله عز وجل، ولإصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائكم ثم التفت إلى معاوية، وقال: ﴿**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ [الانبياء:١١١].

فأمره معاوية بالنزول، وقال لعمرو: ما أردت إلا هذا.

وقد اختلف في وقت وفاته، فقيل: توفي سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وكان يخضب بالوسمة [1].

وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم، فكان توضع تحته طست، وترفع أخرى نحو أربعين يوماً، فمات منه، ولما اشتد مرضه قال لأخيه الحسين رضي الله عنهما: يا أخي، سقيتُ السُّمَّ ثلاث مرات لم أُسْقَ مثل هذه، إني لأضع كَبدي، قال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ أكِلُهم إلى الله عز وجل، ولما حضرته الوفاة أرسل إلى عائشة يطلب منها أن يدفن مع النبي ﷺ، فأجابته إلى ذلك، فقال لأخيه: إذا أنا متُّ، فاطلب إلى عائشة أن أدفن مع النبي ﷺ، فلقد كنت طلبت منها فأجابت إلى ذلك، فلعلها تستحي مني،

(١) الوسمة: نبت، وقيل: شجر باليمن، يخضب بورقه الشعر، أسود.

فإن أذنت فادفني في بيتها، وما أظن القوم يعني بني أمية، إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع الغرقد [1].

فلما توفي جاء الحسين إلى عائشة في ذلك، فقالت: نعم وكرامة؛ فبلغ ذلك مروان وبني أمية، فقالوا: والله لا يدفن هناك أبداً، فبلغ ذلك الحسين فلبس هو ومن معه السلاح، ولبسه مروان، فسمع أبو هريرة، فقال: والله إنه لظلم، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه! والله إنه لابن رسول الله ﷺ، ثم أتى الحسين فكلمه وناشده الله، وقال: أليس قد قال أخوك: إن خفت فردَّني إلى مقبرة المسلمين، ففعل، فحمله إلى البقيع، ولم يشهده أحد من بني أمية إلا سعيد بن العاص، كان أميراً على المدينة، فقدمه الحسين للصلاة عليه، وقال: لولا أنها السنة لما قدمتك.

وقيل: حضر الجنازة أيضاً خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، سأل بني أمية، فأذنوا له في ذلك، ووصَّى إلى أخيه الحسين، وقال له: لا أرى أن الله يجمع لنا النبوة والخلافة، فلا يستخلفنك أهل الكوفة ليخرجوك.

قال الفضل بن دكين: لما اشتد المرض بالحسن بن علي رضي الله عنهما جزع، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد، ما هذا الجزع! ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك: عَلِيّ وفاطمة، وجديك النبي ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر وعلى أخوالك القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب فسرى عنه ولما مات الحسن أقام نساء بنى هاشم عليه النواح شهرا ولبثوا الحداد سنة . أخرجه الثلاثة . ا.هـــ .

تعليق

وإذا كان لى أن أعلق على ما جاء فى ترجمة الإمام الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ رضى الله عنها وعن ابنها الحسن رضي الله عنه الذى كان شبيها برسول الله ﷺ كما جاء فى الترجمة ـــ إلى أن حدث له ما حدث من

(١) بقيع الغرقد: مقبرة المدينة.

جانب الخون والحاقدين الذين فتنوا بالدنيا وباعوا دينهم بعرض منها .

* (فإنى) لا أستطيع إلا أن أقول كلمة واحدة . (وهى) أن بطلا كهذا البطل الكبير والسيد المباركط ، قد فاز بخيرى الدنيا والآخرة ... بعد أن حقن الدماء ، واستسلم بعد ذلك لقضاء الله تبارك وتعالى الذى يقول : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة:١٥٥- ١٥٧]

* وأنه لو كان من أهل الدنيا لكان لهؤلاء الحاقدين الذين فعلوا به وبالده قبل ذلك وبأخيه الحسين بعد ما فعلوا ، ولكن الله تعالى قد نزهه من كل هذا ... كما نزَّه جميع أهل البيت ليُذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا

** هذا، وإذا كان لي بعد ذلك أن أضيف إلى هذا التعليق أمراً يخصني.. (فإنني) أستطيع أن أقول على سبيل التشريف لي ولأسرتي.. (إنني) والحمد لله من ذرية هذا الإمام المبارك —كما جاء في البطاقة رقم ١٥٣٣- ٦٠ ط / ٢ عام ١٩٩٦م، من نقابة الأشراف بجمهورية مصر العربية — فلقد جاء في البطاقة النص الآتي تحت عنوان:

شهادة نسب

تشهد نقابة الأشراف بأن الشريف: طه عبد الله العفيفي من أهالي القاهرة، هو من ذرية مولانا الإمام الحسن.. فهو الشريف طه بن الشريف عبد الله بن الشريف عبد الله بن الشريف علي بن الشريف عبد الله بن الشريف علي العفيفي شقيق الإمام القطب عبد الوهاب العفيفي[1] بن الشريف عبد السلام بن الشريف أحمد بن الشريف حجازي بن الشريف عبد القادر بن الشريف أبي العباس بن الشريف مدين ابن الشريف أبي العباس بن الشريف عبد القادر بن الشريف أبي العباس بن الشريف شعيب بن الشريف محمد بن القطب المرزوقي العفيفي بن سيدي مرزوق الكفافي بن الشريف أحمد بن الشريف عيسى بن الشريف يحيى بن الشريف محمد بن الشريف

(١) ارجع إلى تاريخ الجبرتي ج ١ ص ٣٠٢ – ٣٠٤ لكي تقرأ تاريخ الشيخ عبد الوهاب العفيفي عليه رحمة الله.

داود بن الشريف موسى بن الشريف يحيى بن الشريف عبد الله بن الشريف موسى الجوني بن الشريف عبد الله المحض بن الشريف الحسن المثني الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وذلك حسب ما هو مدون بسجل أنساب الأشراف بالنقابة برقم ١٥٣٣٠ بتاريخ ٨/ ٩/ ١٩٩٦م. ا. هـ.

(هذا) وإذا كان لي أن أعلق على هذا بكلام هام قلته قبل ذلك في ترجمة: (سلمان الفارسي) عليه رضوان الله.. (فإنني) أذكر مرة أخرى بل ومرات ومرات (بأنني) والحمد لله لست من هؤلاء الذين يتكلون على مثل هذا.. (وإنما) أنا والحمد لله من الذين يرددون قول القائل:

إنـا وإن كَرُمَت أوائلُنا ... لَسْنا على الأحْسَاب نَتَّكِلُ

نبني كما كانت أوائلنا تبنى ... ونفعل مثل ما فعلوا

وأيضاً كما يقول أحدهم:

ليس الفتى من يقول كان أبي ... بل الفتى من يقول هاأنذا

(وقد قرأت أن الأصمعي الشاعر كان يمشي ذات يوم في عرض الصحراء.. فسمع رجلاً يناجي ربه فيقول:

ألا أيها المقصودُ في كل وجْهَة ... شكوتُ إليك الضُّرَّ فارحم شكَايتي

ألا يارجائي أنت تكشفُ كُربَتي ... فهبْ لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

أتيتُ بأعمال قباح رديئة ... وما في الورى عبد جنى كجنايتي

أتحرِقُني بالنار يا غاية المُنى ... فأين رجائي ثم أين مخافتي

(ثم) سقط مغشياً عليه.. (يقول) الأصمعي: فدنوت منه، فإذا هو زين العابدين عليه رضوان الله.. فرفعت رأسه في حجري وبكيتُ، فقطرت دمعة على خدِّه..

فقال: من هذا الذي يهجم علينا؟ فقلت: عُبيدُك الأصمعي.. سيدي ما هذا البكاء والنحيب وأنت من أهل بيت الحبيب –صلوات الله وسلامه عليه– والله تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟ [الأحزاب: ٣٣].

(فعند) ذلك قال له: هيهات هيهات.. إن الله تعالى ما خلق الجنة وما أعدها إلا لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وما خلق النار وما أعدها إلا لمن عصاه ولو كان شريفاً قرشياً..

(ثم) قال له: أنسيتَ يا هذا قول الله تبارك وتعالى: **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [المؤمنون: ١٠١، ١٠٢].

(أنسيتَ) يا هذا أن النبي ﷺ كان يقول لأصحابه: **((إني لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية))**، وأنه كان يقول لابنته الزهراء رضي الله عنها: **((يا فاطمة، اعملي فإني لا أُغني عنكِ من الله شيئاً))**.

(فليكن) هذا هو مفهومنا عن موضوع الأنساب –الذي وقفنا على رأينا فيه– ونحن نذكر قول الرسول ﷺ: **((سلمان منَّا آل البيت))**، وقوله: **((أنا جَدُّ كل تَقِيٍّ))**.

(ولنكن) من المنتفعين بما جاء في الترجمة من أولها إلى آخرها على ضوء ما أضفناه...

والله ولي التوفيق

٣٧- ومن هو الحسين بن علي رضي الله عنه؟

إنه[١] : الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، أبو عبد الله ريحانة النبي ﷺ وشبيهه من الصدر إلى ما أسفل منه، ولما ولد أذَّن النبي ﷺ في أذنه، وهو سيد شباب أهل الجنة، وخامس أهل الكساء، أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، سيدة نساء العالمين، إلا مريم عليها السلام.

أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن أبي منصور الأمين البغدادي، أخبرنا أبو الفضل ابن ناصر، أخبرنا أبو طاهر بن أبي الصقر الأنباري، أخبرنا أبو البركات بن نظيف الفراء، أخبرنا الحسن بن رشيق، أخبرنا أبو بشر الدولابي، أخبرنا محمد بن عوف الطائي، أخبرنا أبو نعيم هو الفضل بن دكين، وعبد الله بن موسى، قالا: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: ((**أروني ابني ما سميتموه؟**))، قلنا: حرباً، قال: ((**بل هو حسن**))، فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: ((**أروني ابني، ما سميتموه؟**))، قلنا: حرباً، قال: ((**بل هو حسين**))، فلما ولد الثالث سميته حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: ((**أروني ابني، ما سميتموه؟**))، قلنا: حرباً، قال: ((**بل هو محسن**))، ثم قال: ((**سميتهم بأسماء ولد هارون: شَبَّر وشُبِّير ومُشَبِّر**)).

قال: وأخبرنا الدولابي، أخبرنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أخبرنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، أخبرنا عمرو بن حريث، عن عمران بن سليمان، قال: ((**الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية**)).

قال: وأخبرنا الدولابي، حدثني أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم الزهري، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، قال: قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسين بن علي في ليال خلون من شعبان سنة أربع، وقال الزبير بن بكار: ولد الحسين لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وقال جعفر بن محمد: لم يكن بين الحمل بالحسين وولادة الحسن إلا طُهْر واحد، وقال قتادة: ولد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر، فولدته لست سنين، وخمسة أشهر ونصف شهر من الهجرة.

---

(١) كما جاء في (أُسْدُ الغابة..) طبعة دار الشعب، المجلد الثاني ص ١٨ – ٢٣.

وأخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الديني المخزومي بإسناده إلى أحمد بن علي المثنى، أخبرنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي، أخبرنا هشام بن زياد، عن أمه، عن فاطمة بنت الحسين: أنها سمعت أباها الحسين بن علي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم ولا مسلمة تصيبه مصيبة، وإن قدم عهدها، فيحدث لها استرجاعاً**[1] **إلا أحدث الله له عند ذلك، وأعطاه ثواب ما وعده بها يوم أصيب بها**».

أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن، أخبرتنا أم المجتبى العلوية قالت: قرأ علي إبراهيم بن منصور، أخبرنا أبو بكر المقري، أخبرنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا جبارة بن مغلس، أخبرنا يحيى بن العلاء، عن مروان بن سالم، عن طلحة بن عبيد الله، عن الحسين بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقرءوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**» [هود: ٤١].

أخبرنا أبو منصور بن مسلم بن علي بن محمد بن السيحي العدل، أخبرنا أبو البركات محمد بن محمد ابن خميس، أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الباقي بن طوق، أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد بن الخليل المرجي، أخبرنا أبو يعلى الموصلي، أخبرنا سليمان بن حيان، أخبرنا عمر بن خليفة العبدي، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، قال: (كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي رسول الله ﷺ يقول: «**هَيَّ**[2]**حسن**»، قالت فاطمة: لِمَ تقول: هَيَّ حسن؟ قال: «**إن جبريل يقول: هَيَّ حُسين**».

أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله، وإبراهيم بن محمد بن مهران، وأبو جعفر بن أحمد، قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى، أخبرنا عقبة بن مكرم العمي البصري، أخبرنا وهب بن جرير بن حازم، أخبرنا أبي، عن محمد بن أبي يعقوب، عن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال ابن عمر: انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ،

---

(١) وهو أن يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

(٢) أي: أسرع فيما أنت فيه، أو بهاء مكسورة وياء ساكنة، والمراء بها الزجر.

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا!**» وقد روي نحو هذا عن أبي هريرة..

قال: وأخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا الحسين بن عرفة، أخبرنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن راشد، عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله ﷺ : «**حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط**».

قال: وأخبرنا الترمذي، أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي، قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك.

أخبرنا يحيى بن محمود بن سعد الثقفي، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد، وأنا حاضر أسمع، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم، أخبرنا جعفر بن محمد الصائغ، أخبرنا حسين بن محمد، أخبرنا جرير بن حازم، أخبرنا محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: أُتيَ عبدُ الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليه السلام، فجعل في طست، فجعل ينكت [1] عليه، وقال في حسنه شيئاً. قال أنس: (كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوباً بالوسمة [2]).

هذا حديث صحيح متفق عليه.

وروى الأوزاعي، عن شداد بن عبد الله، قال: سمعت وائلة بن الأسقع، وقد جيء برأس الحسين، فلقيه رجل من أهل الشام ولعن أباه، فقام وائلة وقال: والله لا أزال أحب علياً والحسن والحسين وفاطمة بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول فيهم ما قال، لقد رأيتني ذات يوم وقد جئت النبي ﷺ في بيت أم سلمة، فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبله، ثم جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبله،

---

(١) ينكت عليه: أي يحركه بطرف قضيب في يده.

(٢) الوسمة: نبت، يخضب به يميل إلى سواد.

ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثم دعا بعلي ثم قال: (﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾) [الأحزاب: ٣٣].

قلت لوائلة: ما الرجس؟ قال: الشك في الله عز وجل، قال أبو أحمد العسكري: يقال إن الأوزاعي لم يرو في الفضائل حديثاً غير هذا، والله أعلم، قال: وكذلك الزهري لم يرو فيها إلا حديثاً واحداً، كانا يخافان بني أمية.

قال الزبير بن بكار: حدثني مصعب، قال: حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً؛ فإذاً يكون قد حج وهو بالمدينة قبل دخولهم العراق منها ماشياً فإنه لم يحج من العراق، وجميع ما عاش بعد مفارقة العراق تسع عشرة سنة وشهوراً، فإنه عاد إلى المدينة من العراق سنة إحدى وأربعين، وقتل سنة إحدى وستين، وكان الحسين كارهاً لما فعله أخوه الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية، وقال: أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك، فقال له الحسن: أسكت، أنا أعلم بهذا الأمر منك.

وكان الحسين ﷺ فاضلاً كثير الصوم، والصلاة، والحج، والصدقة، وأفعال الخير جميعها.

وقتل يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت، وهو يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق، وقبره مشهور يزار، وسبب قتله أنه لما مات معاوية بن أبي سفيان كاتب كثير من أهل الكوفة الحسين بن علي ليأتي إليهم ليبايعوه، وكان قد امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية لما بايع له أبوه بولاية العهد، وامتنع معه ابن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فلما توفي معاوية لم يبايع أيضاً، وسار من المدينة إلى مكة، فأتاه كتب أهل الكوفة وهو بمكة، فتجهز للمسير، فنهاه جماعة منهم: أخوه محمد بن الحنفية، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم، فقال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأمرني بأمر فأنا فاعل ما أمر، فلما أتى العراق كان يزيد قد استعمل عبيد الله بن زياد على الكوفة، فجهز الجيوش إليه، واستعمل عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، ووعده إمارة الري، فسار أميراً على الجيش، وقاتلوا حسيناً بعد

أن طلبوا منه أن ينزل على حكم عبد الله بن زياد، فامتنع، وقاتل حتى قُتل هو وتسعة عشر من أهل بيته، قتله سنان بن أنس النخعي، وقيل: قتله شمي بن ذي الجوشن، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي، وقيل: قتله عمر بن سعد وليس بشيء، والصحيح أنه قتله سنان بن أنس النخعي. وأما قول من قال: قتله شمر وعمر بن سعد، لأن شمر هو الذي حرض الناس على قتله وحمل بهم إليه، وكان عمر أمير الجيوش، فنسب القتل إليه، ولما أجهز عليه خولي حمله رأسه إلى ابن زياد، وقال:

أوقـــرْ ركـــابي فضـــة وذهبـــاً   فقـــد قتلـــتُ الســـيد المحجَّـــا
قتلـــتُ خـــير النـــاس أُمًّـــا وأبـــاً   وخيرهـــم إذ يَنْســـبون نســـباً

وقيل: إن سنان بن أنس لما قتله قال له الناس: قتلت الحسين بن علي، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، أعظم العرب خطراً، أراد أن يزيل ملك هؤلاء، فلو أعطوك بيوت أموالهم لكان قليلاً، فأقبل على فرسه وكان شجاعاً به لوثة، فوقف على باب فسطاط عمر بن سعد، وأنشده الأبيات المذكورة، فقال عمر: أشهد أنك مجنون، وحذفه بقضيب [1] وقال: أتتكلم بهذا الكلام! والله لو سمعك ابن زياد لقتلك.

ولما قُتل الحسين أمر عمر بن سعد نفراً فركبوا خيولهم وأوطئوها الحسين، وكان عدة من قُتل معه اثنين وسبعين رجلاً، ولما قُتل أرسل عمر رأسه ورءوس أصحابه إلى ابن زياد، فجمع الناس وأحضر الرءوس، وجعل ينكت بقضيب بين شفتي الحسين، فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له: اعل [2] بهذا القضيب، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين يقبلهما، ثم بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب، العبيد بعد اليوم، قتلتم الحسين ابن فاطمة، وأمَّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، وأكثر الناس مراثيه، فمما قيل فيه ما قاله

---

(١) حذفه بقضيب: أي رماه بعصاً.
(٢) اعل: أي نَحِّ وأبعد.

سليمان بن قتة الخزاعي [1]:

مـررتُ علـى أبيـات آل محمـد ... فلـم أرهـا مثلـها حـين حُلَّـت
فـلا يُبعـد الله البيـوتَ وأهلـها ... وإن أصبحت منهم برغمـي تَخَلَّـت
وكـانوا رجـاء ثم عـادوا رزيَّـةً ... لقد عظُمت تلك الرزايـا ثم جَلَّـت
أولئـك قـوم لم يشـيموا سـيوفهم ... ولم تنك في أعـدائهم حـين سُـلَّت
وإن قتيـل الطَّـفِّ مـن آل هاشـم ... أذل رقابـاً مـن قـريش فـذلَّت
ألم تـر أن الأرض أضـحت مريضـة ... لفقـد حسـين والـبلاد اقشَـعَرَّت
وقد أعولت تبكـي السـماء لفقـده ... وأنجمهـا ناحـت عليـه وصَـلَّت

وهي أبيات كثيرة.

وقال منصور النمري [2]

ويلـك يـا قاتـل الحسـين لقـد ... بـؤت بحمـل ينـوء بالحامـلْ
أي حبـاء حبـوت أحمـد في ... حفرتـه مـن حـرارة الثاكـل
تعـال فاطلـب غـداً شـفاعته ... وانهض فـرد حوضـه مـع الناهـل
مـا الشـك عنـدي بحـال قاتلـه ... لكـني قـد أشـك بالخـاذل
كأنمـا أنـت تعجـبين ألا ... تـنزل بـالقوم نقمـة العاجـل
لا يعجـل الله إن عجلـت ومـا ... ربـك عمـا تـرين بالغافـل
مـا حصـلت لامـرئ سـعادته ... حقـت عليـه عقوبـة الآجـل

أخبرنا إبراهيم بن محمد الفقيه وغير واحد، قالوا بإسنادهم إلى الترمذي، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، قال: حدثنا رزين، حدثني سلمي، قال: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

وروى حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس، قال: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار، وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة

(١) الأبيات في الاستيعاب: ٣٩٤، ٣٩٠، وينظر مروج الذهب: ٢-٥٠.
(٢) الأبيات في الاستيعاب: ٣٩٥، والقصيدة في الشعر والشعراء: ٨٦٠.

فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا الدم؟ قال: هذا دم الحسين، لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فوجد قد قتل في ذلك اليوم.

قال: أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا واصل بن عبد الأعلى، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، قال: لما جيء برأس ابن زياد وأصحابه، نُضِّدت في المسجد، فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تتخلل الرءوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد، فمكثت هنيهة، ثم خرجت، فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. أخرجه الثلاثة.

تعليق

(هذا) وإذا كان لي بعد ذلك أن أعلق على ما جاء في ترجمة الإمام الحسين ﷺ – وهو سيد الشهداء- فإنني لا أجد عبارة أستطيع بها أن أنفس عن نفسي بعد أن قرأت ما جاء في نص الترجمة عن مقتل الإمام الحسين ﷺ.. أكثر من كلمة واحدة أستطيع بها أن أعبر عن رأيي في هؤلاء الذين قتلوه وسموا أخاه الحسن قبل ذلك.. بعد قتل أبيهما الإمام علي كرم الله وجهه –وهو أول فدائي في الإسلام-: إلا أن أقول إن هؤلاء المجرمين قد أساءوا إلى آل بيت النبوة إساءة قد لا تغتفر لهم يوم القيامة.. وكان حسبهم حتى لا يرتكبوا جرماً كبيراً كهذا في حق رسول الله ﷺ وفي حق آل بيته.. أن يقرءوا ما ورد في السنة عن رسول الله ﷺ في مناقب الحسن والحسين وفي آل البيت بصفة عامة:

(فعن) حذيفة قال: قالت لي أمي: متى عهدك بالنبي ﷺ؟ فذكر الحديث، وقال في آخره: (سيأتي رسول الله ﷺ فيستغفر لي ولك، فأتيت رسول الله ﷺ فصليت معه المغرب.. قال: وصلى ما بينهما ما بين المغرب والعشاء ثم انصرف فاتبعته، قال: فبينما هو يمشي إذ عرض له عارض فناجاه ثم مضى واتبعته، فقال: «**من هذا؟**» قلت حذيفة، قال: «**ما جاء بك يا حذيفة؟**» فأخبرته بالذي قالت لي أمي، فقال: «**غفر الله لك يا حذيفة ولأمك.. أما رأيت العارض الذي عرض لي؟**» قلت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: «**فإنه ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبل ليلته هذه، استأذن ربه في أن يسلم علي، فبشرني.. أو فأخبرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**». إسناده صحيح.

(وعن) أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة العشاء وكان

الحسن والحسين يثبان على ظهره، فلما صلى قال أبو هريرة: يا رسول الله، ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، فبرقت برقة فما زالت في ضوءها حتى دخلا إلى أمهما، إسناده حسن.

(وعن) البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ حامل الحسن أو الحسين على عاتقه وهو يقول: «**اللهم إني أحبه فأحبه**»، إسناده صحيح.

(وعن) عمير بن إسحاق أن أبا هريرة لقي الحسن يعني ابن علي فقال: أرفع ثوبك حتى أقبل منك حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبل فرفع عن بطنه فوضع فمه على سرته. إسناده صحيح.

(وعن) سالم بن أبي حفصة، قال: سمعت أبا حازم يقول: إني لشاهد يوم مات الحسن عليه السلام.. وذكر القصة، فقال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني**». إسناده حسن.

(وعن) عمار رضي الله عنه قال: سمعت أم سلمة، قالت: سمعت الجن يبكين على حسين، قال: وقالت أم سلمة: سمعت الجن تنوح على الحسين رضي الله عنه. إسناده حسن.

(وعن) ربيع بن سعد، عن ابن سابط، قال: دخل حسين بن علي عليه السلام المسجد، فقال جابر بن عبد الله –رضي الله عنه–: (من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا سمعته من رسول الله ﷺ). إسناده صحيح [١]

(فهذان) هما الحسن والحسين عليهما رضوان الله كما جاء في هذه الأحاديث الشريفة، فعليهما رضوان الله. ورضي الله عن أبيهما وأمهما.. وعن آل البيت أجمعين إلى يوم الدين الذي فيه سيكون القصاص لآل البيت بين يدي رب العالمين...

اللهم آمين

٣٨- ومن هي السيدة عائشة رضي الله عنها؟

إنها [٢]: عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس [بن عتاب[٣]] ابن أذينة بن سبيع بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة الكنانية.

(١) ارجع إلى كل تلك الأحاديث السبع في كتاب (فضائل الصحابة) للإمام أبي عبد الله أحمد ابن حنبل –عليه رحمة الله– صـ ٧٦٦ – ٧٨٩. بتصرف يسير في العرض.
(٢) كما جاء في أسد الغابة..، طبعة دار الشعب، المجلد السابع، ص ١٨٨ – ١٩٢.
(٣) ما بين القوسين عن كتاب نسب قريش لمصعب: ٤/ ١٨٨١.

تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين، وهي بِكْر، قاله أبو عبيدة، وقيل: بثلاث سنين، وقال الزبير: تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة بثلاث سنين وتوفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، وقيل: بخمس سنين، وكان عمرها لما تزوجها رسول الله ﷺ ست سنين، وقيل: سبع سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة، وكان جبريل قد عرض على رسول الله ﷺ صورتها في سرقة [1] حرير في المنام، وكناها رسول الله ﷺ أم عبد الله، بابن أختها عبد الله بن الزبير.

أخبرنا يحيى بن محمود -فيما أذن لي- بإسناده عن ابن أبي عاصم، قال: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد، حدثنا أبي، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عائشة، قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص - امرأة عثمان بن مظعون، وذلك بمكة- أي رسول الله، ألا تزوج؟ قال: **«ومن؟»** قلت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: **«فمن البكر؟»** قلت: ابنة أحب الخلق إليك، عائشة بنت أبي بكر، قال: **«ومن الثيب؟»** قلت: سودة بنت زمعة بن قيس، آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه، قال: فاذهبي فاذكريهما علي، فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، فوجدت أم رومان أم عائشة، فقالت: أي أم رومان، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت [2]: وَدَدْتُ، انتظري أبا بكر، فإنه آت. فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح له، إنما هي بنت أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: **«ارجعي وقولي له: أنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي»**. فأتت أبا بكر فقال: ادعي لي رسول الله ﷺ . فجاء فأنكحه، وهي يومئذ بنت ست سنين.

وقال رسول الله ﷺ : **«ومن الثيب؟»** قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك، قال: **«اذهبي فاذكريها عَلَيَّ»**، قالت: فخرجت ودخلت على سودة، فقلت: يا سودة، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني

(١) السرقة - بفتح السين والراء - قطعة من جيد الحرير.

(٢) في المطبوعة: (قالت: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه، وددت)، والمثبت عن الصورة، وانظر سياق الحديث في مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢١١.

رسول الله ﷺ أخطبك عليه، قالت: وددت، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له- قالت: وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج- فدخلت عليه، فقلت: إن محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة. قال: كفءٌ كريم، فماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك، قال: ادعيها، فدعتها، فقال: إن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفءٌ كريم، أفتحبين أن أزوجك؟ قالت: نعم، قال: فادعيه لي، فدعته فجاء فزوجها، وجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثو التراب على رأسه، وقال بعد أن أسلم إني لسفيه يوم أحثو التراب على رأسي أن تزوج رسول الله ﷺ سودة[1].

أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء، حدثنا أبو علي الحداد وأنا حاضر أسمع، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا فاروق، حدثنا محمد بن محمد بن حبان التمار، حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي، حدثنا سليمان بن بلال، عن أبي طوالة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**[2]» .

أخبرنا محمد بن سرايا بن علي العدل، والحسين بن أبي صالح بن فناخسرو، وغيرهما، بإسنادهم عن محمد بن إسماعيل: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد، حدثنا هشام، عن أبيه، قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقالوا: يا أم سلمة، إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد من الخير كما تريد عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان -أو حيثما دار- قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له ذلك، فقال: «**يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه -والله- ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها**[3]».

---

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢١٠ - ٢١١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن أنس، انظر المسند: ٣/ ١٥٦، ٢٦٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب فضل عائشة رضي الله عنها: ٥/ ٣٧.

قال: وحدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: قال أبو سلمة: إن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «**يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام**»، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى [١] .

أخبرنا إسماعيل بن علي، وإبراهيم بن محمد، وغيرهما، بإسنادهم عن محمد بن عيسى، قال: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرازق، عن عبد الله بن عمرو بن علقمة المكي، عن ابن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة[٢].

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا بندار، وإبراهيم بن يعقوب، قالا: حدثنا يحيى ابن حماد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، أخبرنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي، عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها** [٣]» .

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن غالب، أن رجلاً نال من عائشة –رضي الله عنها- عند عمار بن ياسر، فقال: اغرُبْ مقبوحاً منبوحاً [٤] ! أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ [٥] .

وكان مسروق إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق، البريئة المبرأة.

وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة.

---

(١) صحيح البخاري، في الكتاب والباب المتقدمين: ٥/ ٣٦.

(٢) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، باب (من فضل عائشة رضي الله عنها)، الحديث ٣٩٦٧ في ٣٧٨/١٠-٣٧٩.

(٣) تحفة الأحوذي: الحديث ٣٩٧٢: ٣٨٢/١٠.

(٤) المقبوح: المبعد، والمنبوح: المشتوم، وفي المطبوعة: (أغرب) بالغين والراء، والمثبت عن الصورة، وأعزب: أبعد.

(٥) تحفة الأحوذي: الحديث ٣٩٧٥: ١٠/ ٣٨٤.

وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفي بها فضلاً وعلواً، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة.

ولولا خوف التطويل لذكرنا قصة الإفك بتمامها، وهي أشهر من أن تخفى[1].

أخبرنا مسمار بن عمر بن العويس، وأبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبي العز، وغيرهما بإسنادهم عن محمد بن إسماعيل: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب ابن عبد المجيد، حدثنا ابن عون، عن القاسم بن محمد: أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس، فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط [2] صدق، على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر[3].

وروت عن النبي ﷺ كثيراً، وروى عنها عمر بن الخطاب، وكثير من الصحابة، ومن التابعين ما لا يحصى.

روى يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن زيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، أن عمر بن الخطاب، قال: أدنوا الخيل وانتضلوا [4] انتعلوا، وإياكم وأخلاق الأعاجم، وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر، ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة تدخل الحمام إلا بمئزر إلا من سقم، فإن عائشة حدثتني أن رسول الله ﷺ قال وهو على فراشي: «**أيما امرأة مؤمنة وضعت خمارها على غير بيتها، هتكت الحجاب بينها وبين ربها عز وجل**».

وتوفيت عائشة -رضي الله عنها- سنة سبع وخمسين. وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً، فدفنت وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعروة ابنا الزبير، والقاسم ابن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي بكر.

ولما توفي النبي ﷺ كان عمرها ثمان عشرة سنة.

أخرجها الثلاثة. ا.هـ.

---

(١) ولسوف ألخص للأخ القارئ الموضوع هذا.. بعد الانتهاء من هذه الترجمة..إن شاء الله تعالى.

(٢) الفرط: بفتحتين: المتقدم والسابق، وأضافهما إلى الصدق وصفاً لهما ومدحاً.

(٣) البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب فضل عائشة رضي الله عنها: ٥/ ٣٦.

(٤) النضل: الرمي بالسهام.

وأما عن:

قصة الإفك [1]

فقد أنزل الله تعالى فيها قرآناً قال فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١ – ٢٢].

وقد قرأت في كتاب (سيرة النبي ﷺ) التي ألفها أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن يسار المطلبي المتوفى في سنة ١٥١ من الهجرة.. وتحت عنوان [2] :

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق [سنة ست]

ما نصه: قال ابن إسحاق: حدثنا الزهري، عن علقمة بن وقاص، وعن سعيد بن جبير، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كلٌّ قد حدثني

(١) الإفك: أي الكذب، وقد أفك يأفك بالكسر، ورجل (أفاك) أي: كذاب، مختار الصحاح، ص ١٩.
(٢) الجزء الثالث.. ص ٧٦٤ – ٧٧٣.

بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت لك الذي حدثني القوم.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا: فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلهم يحدث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن، فخرج بي رسول الله ﷺ.

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلُق لم يُهَيِّجْهنَّ اللحم فيثقلن، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي، فيه جزع ظفار، فلما فرغت انسل من عنقي، ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي، الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب، وقد انطلق الناس.

قالت: فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو افتقدت لرجع إلي.

قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مر صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف علي،

وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ ! وأنا متلففة في ثيابي، قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير، فقال: اركبي، واستأخر عني.

قالت: فركبت، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً، يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتُقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتج العسكر[1] ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت [2] شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه لي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي.

فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك ومنه، كان إذا دخل علي وعندي أمي تمرضني .قال ابن هشام: وهي أم رومان، واسمها زينب بنت عبد دهمان، أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة- قال: «**كيف تيكم؟**» لا يزيد على ذلك.

قال ابن اسحاق: قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله، -حين رأيت من جفائه لي-: لو أذنت لي، فانتقلت إلى أمي، فمرضتني؟ قال: «**لا عليك**».

قالت: فانتقلت إلى أمي، ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقهت [3] من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عُرباً، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنف[4] التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نذهب في فسح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم، خالة أبي بكر الصديق ؓ.

---

(١) ارتج العسكر: أي تحرك واضطرب، وفي نسخة: (فارتج).
(٢) أي: مرضت مرضاً شديداً.
(٣) أي: حتى ذهب عني المرض.
(٤) جمع كنيف، وهو الذي يتبول فيه، في داخل البيوت.

قالت: فوالله إنما لتمشي معي إذ عثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح، ومسطح لقب واسمه عوف، قالت: قلت: بئس لَعمرُ الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم والله لقد كان.

قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت، فوالله مازلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت: أي بنية، خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((**أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل، والله ما علمت منه إلا خيراً، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي**)).

قالت: وكان كِبرُ ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادني لأختها، فشَقيتُ بذلك.

فلما قال الرسول ﷺ تلك المقالة، قال أُسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس تكفلهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمرنا بأمرك، فوا الله إنهم لأهل أن تُضْرب أعناقهم، قالت: فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً، فقال: كذبت لعمر الله، لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين.

قالت: وتساور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر.

ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل علي، قالت: فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد، فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علي خيراً، وقاله، ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا تعلم إلا خيراً، ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل، وأما علي، فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنها ستصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب، فضربها ضرباً شديداً، ويقول: اصدقي رسول الله ﷺ ، فقالت: فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً، إلا أني كنت أعجن عجيني، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله.

قالت: ثم دخل علي رسول الله ﷺ ، وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: **«يا عائشة، إنه كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة من عباده»**، قالت: فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي[1]، حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله ﷺ ، فلم يتكلما.

قالت: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآناً يقرأ به في المساجد، ويصلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني، لما يعلم من براءتي، أو يخبر خبراً، فأما قرآن ينزل في، فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك.

قالت: فلما لم أر أبويَّ يتكلمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه، والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما أن استعجما علي، استعبرت فبكيت، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول

(١) أي: جف دمعي.

الناس، والله يعلم مني أني منه بريئة، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني. قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾** [يوسف: ٨١].

قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجِّيَ بثوبه ووضعت له وسادة من أدم [١] تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت ولا باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي، وأما أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سُري عن رسول الله ﷺ ، فجلس، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتكً، قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. قالت: فلما نزل القرآن يذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** ، وذلك حسان بن ثابتً وأصحابه الذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبد الله ابن أُبي وأصحابه.

قال ابن هشام: والذي تولى كبره عبد الله ابن أُبي، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق في هذا الحديث قبل هذا.

(١) أي: سمراء.

ثم قال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْـراً﴾ : أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته، ثم قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَـيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾

فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر- وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا، قالت: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور ١١ – ٢٢].

قال ابن هشام: يقال: كَبره، وكُبره في الرواية، وأما في القرآن فكِبره بالكسر.

قال ابن هشام: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ﴾ : ولا يألُ أولوا الفضل منكم. قال امرؤ القيس بن حجر الكندي:

ألا رُبَّ خصم فيـك ألْـوَى رددتـه ... نَصيحٌ علـى تعذالـه غـير مؤتـل

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: ولا يأتل أولوا الفضل: ولا يحلف أولوا الفضل، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري فيما بلغنا عنه... إلى أن يقول ابن إسحاق بعد ذلك:

قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

إلى أن يقول ابن إسحاق بعد ذلك: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن (ابن المعطل) [1] ، فوجدوه حصوراً، ما يأتي النساء، ثم قتل بعد ذلك شهيداً.

ثم قال: قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها:

حصـانٌ رزانٌ مـا تُـزَنُّ بريبـة ... وتصبح غرثى مـن لحـوم الغوافـل

عقيلة حي مـن لـؤي بـن غالـب ... كرام المساعي مجـدهم غـير زائـل

مهذبـة قـد طيـب الله خيمهـا ... وطهرها مـن كـل سـوء وباطـل

(١) وهو المتهم في موضوع الإفك...

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم — فلا رفعت سوطي إلي أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي — لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم — تقاصر عنه سَوْرة المتطاول
فإن الذي قد قيل ليس بلائط — ولكنه قول امرئ بي ماحل

فهذه هي السيدة عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق.. التي برأها الله تعالى من الإفك من فوق سبع سماوات في قرآن يتلى إلى يوم الدين.

وقد قرأت في كتاب (تحفة الأحوذي) ج ١٠، ص ٣٨٠، من مناقبها رضي الله عنها، ما ورد:

(عن) أبي بردة، عن أبي موسى، قال: (ما أشكل علينا [١] أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً)، حديث حسن صحيح غريب.

(وعن) عمرو، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن موسى بن طلحة، قال: (ما رأيت أحداً أفصح من عائشة)، حديث حسن صحيح غريب.

(وعن) عروة، عن عائشة، أن النبي ﷺ قال لها: **«هذا جبريل وهو يقرأ عليك السلام»**. فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا نرى. إسناده صحيح.

(وعن) عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: **«عائشة»**، قال: قلت: إنما أقول من الرجال، قال: **«أبوها»**، إسناده صحيح.

(وعن) عروة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ في حجري حين نزل به الموت. إسناده صحيح، والأحاديث الثلاثة الأخيرة من كتاب (فضائل الصحابة) للإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى ص ٨٧٥ وما قبلها.

---

(١) أي: ما اشتبه وأغلق علينا.

٣٩- ومن هو أبو بكر الصديق ﵁؟

(إنه)[1] أبو بكر الصديق ﵁ ، واسمه: عبد الله بن عثمان.. وأمه: سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب، وهي ابنة عم أبيه.

روى حبيب بن الشهيد، عن ميمون بن مهران، عن يزيد بن الأصم، أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: **«من أكبر، أنا أو أنت؟»** قال: أنت أكبر، وأكرم، وخير مني، وأنا أسنُّ منك.

وهذا لا يعرف إلا بهذا الإسناد، والذي عليه أهل العلم أن سن أبي بكر يكمل مع مدة خلافته بمقدار سن رسول الله ﷺ . أخرجه أبو عمر.

(وقد) جاء في ترجمة اسمه في الجزء الثالث من أُسْد الغابة.. ص ٣٠٩ وما بعدها.. تحت عنوان: عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق.

أنه: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة: عثمان، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة عم أبي قحافة، وقيل: اسمها: ليلى بنت صخر بن عامر.

قاله محمد بن سعد، وقال غيره: اسمها: سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. وهذا ليس بشيء، فإنها تكون ابنة أخيه، ولم تكن العرب تنكح بنات الإخوة، و الأول أصح.

(وهو) صاحب رسول الله ﷺ في الغار وفي الهجرة، والخليفة بعده.

روى عن النبي ﷺ، وروى عنه عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وحذيفة، وزيد بن ثابت، وغيرهم.

(وقد) اختلف في اسمه، فقيل: كان عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقيل: إن أهله سموه عبد الله، ويقال له: عتيق أيضاً، واختلفوا في السبب الذي قيل له لأجله عتيق، فقال بعضهم: قيل له: (عتيق) لحسن وجهه وجماله، قاله الليث بن سعد وجماعة معه.

---

(١) كما جاء في (أسد الغابة...) المجلد السادس — ص ٣٧ طبعة دار الشعب.

وقال الزبير بن بكار وجماعة معه: إنما قيل له: (عتيق) لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به. وقيل: إنما سمي (عتيقاً) لأنه رسول الله ﷺ قال له: **((أنت عتيق الله من النار))**.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغيره، قالوا: بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي، قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري، حدثنا معن، حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عمه إسحاق بن طلحة، عن عائشة: أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ، فقال له: **((أنت عتيق من النار))**. فيومئذ سمي عتيقاً، وقد روي هذا الحديث، عن معن، وقال موسى بن طلحة، عن عائشة.

وقيل له: (الصديق) أيضاً، لما أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي إذناً، أنبأنا أبي، قال: أنبأنا أبو سعد المطرز، وأبو علي الحداد، قالا: أخبرنا أبو نعيم، حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن العباس، حدثنا المفضل بن غسان، حدثنا محمد بن كثير، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: (لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يحدث بذلك الناس، فارتد ناس ممن كان آمن وصدق به وفتنوا، فقال أبو بكر: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة) فلذلك سمي أبو بكر الصديق.

وقال أبو محجن الثقفي:

وسميت صدّيقاً وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام والله شاهد ... وكنت جليساً في العريش المشهر

(ثم) يقول بعد ذلك في (أُسد الغابة) تحت عنوان:

إسلامه

كان أبو بكر رضي الله عنه من رؤساء قريش في الجاهلية، محبباً فيهم، مؤلفاً لهم، وكان إليه الأشناق في الجاهلية، والأشناق: الديات، كان إذا حمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته[1]، وحمالة من قام معه، وإن احتملها غيره خذلوه و لم يصدقوه.

(١) الحمالة: الدية.

فلما جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له، وميلهم إليه، حتى إنه أسلم على يده خمسة من العشرة... وقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه أول من أسلم، منهم ابن عباس، من رواية الشعبي، عنه، وقاله حسان في شعره[1]، وعمرو بن عبسة، وإبراهيم النخعي، وغيرهم.

أخبرنا أبو جعفر بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي، أن رسول الله ﷺ قال: **((ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عَتَّم [2] حين ذكرته له، ما تردد فيه..))**.

أخبرنا الحافظ القاسم علي بن الحسن كتابة، قال: حدثنا أبي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان –قال علي: ثم أخبرنا أبو البركات الأنماطي، قال: أخبرنا أبو الفضل بن خيرون– قالا: أخبرنا أبو القاسم بن بشران، أخبرنا أبو علي الصواف، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا المنجاب بن الحارث، أخبرنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا خلف العرفطي أبو أمية، من ولد خالد بن عرفطة، عن ابن داب يعني عيسى بن يزيد، قال: قال أبو بكر الصديق: (كنت جالساً بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعداً، فمر به أمية بن أبي الصلت، فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير، قال: هل وجدت؟ قال: لا، و لم آل من طلب. فقال:

كل دين يوم القيامة إلا ... ما قضى الله والحنيفةُ بور

أما إن هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم، أو من أهل فلسطين.

قال: و لم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر أو يبعث، قال: فخرجت أريد ورقة بن نوفل، وكان كثير النظر في السماء، كثير همهمة الصدر، قال: فاستوقفته ثم قصصت

---

(١) ديوانه: ٢٤٠، وأول الأبيات:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالي الثاني المحمود شيمته ... وأول الناس طراً صدق الرسلا

(٢) أي: ما تأخر.

عليه الحديث، فقال: نعم يا ابن أخي، أبى أهل الكتاب والعلماء إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسباً، ولي علم بالنسب، وقومك أوسط العرب نسباً، قال: قلت: يا عم، وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا أنه لا ظلم ولا تظالم، فلما بعث النبيﷺ آمنت وصدقت).

أخبرنا القاسم عن أبيه، قال: أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن محمد، حدثنا نصر بن إبراهيم، أخبرنا علي ابن الحسن بن عمر القرشي، حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن عمر الغازي النيسابوري، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي بمكة، حدثنا أبو محمد إسماعيل بن محمد، حدثنا أبو يعقوب القزويني الصوفي، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إدريس الراسبي، حدثنا أبو القاسم يحيى بن حميد التككي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن الجراح، حدثنا أبو خالد، عن عبد العزيز بن معاوية —من ولد عتاب ابن أسيد— حدثنا أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن منصور، عن زيد، عن خالد الجهني، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال أبو بكر الصديق: إنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبيﷺ، فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب، وعلم من علم الناس كثيراً، فلما رآني قال: أحسبك حَرَمياً[1]؟ قال أبو بكر: قلت: نعم، أنا من أهل الحرم، قال: وأحسبك قرشياً؟ قال: قلت: نعم، أنا من قريش، قال: وأحسبك تيمياً؟ قال: قلت: نعم، أنا من تيم بن مرة، أنا عبد الله بن عثمان، من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مرة. قال: بقيت لي فيك واحدة. قلت: ما هي؟ قال: تكشف عن بطنك، قلت: لا أفعل أو تخبرني لم ذاك؟ قال: أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبياً يبعث في الحرم، يعاون على أمره فتى وكهل، فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى علامة، وما عليك أن تريني ما سألتك، فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي علي، قال أبو بكر: فكشفت له عن بطني، فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال: أنت هو ورب الكعبة، وإني متقدم إليك في أمر فاحذره، قال أبو بكر: قلت: وما هو؟ قال: إياك والميل عن الهدى، وتمسك بالطريقة المثلى الوسطى، وخف الله فيما خولك وأعطاك.

---

(١) كذا ينسب إلى الحرم المكي.

قال أبو بكر: فقفيت باليمن أَرَبي [1]، ثم أتيت الشيخ لأودعه، فقال: أحامل عني أبياتاً من الشعر قلتها في ذلك النبي؟ قلت: نعم، فذكر أبياتاً. قال أبو بكر: (فقدمت مكة، وقد بعث النبي ﷺ، فجاءني عقبة بن أبي معيط، وشيبة، وربيعة، وأبو جهل، وأبو البختري، وصناديد قريش، فقلت لهم: هل نابتكم نائبة، أو ظهر فيكم أمر؟ قالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب، يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية، قال أبو بكر: فصرفتهم على أحسن مسٍّ وسألت عن النبي ﷺ، فقيل: في منزل خديجة، فقرعت عليه الباب، فخرج إلي، فقلت: يا محمد، فقدت من منازل أهلك، وتركت دين آبائك وأجدادك؟ قال: **«يا أبا بكر، إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم، فآمن بالله»**. فقلت: ما دليلك على ذلك؟ قال: الشيخ الذي لقيت باليمن، قلت: وكم من شيخ لقيت باليمن؟ قال: **«الشيخ الذي أفادك الأبيات»**.

قلت: ومن خبَّرك بهذا يا حبيبي؟ قال: **«الملك المعظم الذي يأتي الأنبياء قبلي»**، قلت: مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

قال أبو بكر: فانصرفت وما بين لابتيها[2] أشد سروراً من رسول الله ﷺ بإسلامي).

أخبرنا غير واحد إجازة، قالوا: أخبرنا أبو غالب بن البناء، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد، حدثنا محمد بن هارون بن حميد بن المجدر، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء، عن مجالد، عن الشعبي، قال: سألت ابن عباس: من أول من أسلم؟ قال: أبو بكر، أما سمعت قول حسان:

إذا تذكرت شجواً [3] من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

(١) أي: مهمتي التي سافرت إليها من أجلها.
(٢) اللابة: وهي الأرض ذات الحجارة السود.
(٣) الشجو: الهم والحزن.. أي إذا تذكرت من أخيك ما يحزنك..

أخبرنا يحيى بن محمود بن سعد إجازة بإسناده إلى أبي بكر بن الضحاك بن مخلد، قال: حدثني محمد ابن مصطفى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله بن العلاء، حدثني أبو سلام الحبشي أنه سمع عمرو بن عبسة السلمي، يقول: ألقي في روعي أن عبادة الأوثان باطل، فسمعني رجل وأنا أتكلم بذلك فقال: يا عمرو، بمكة رجل يقول كما تقول. قال: فأقبلت إلى مكة أسأل عنه، فأخبرت أنه مختف لا أقدر عليه إلا بالليل يطوف بالبيت، فقمت بين الكعبة وأستارها، فما علمت إلا بصوته يهلل الله، فخرجت إليه، فقلت: ما أنت؟ قال: «**رسول الله**»، فقلت: وبم أرسلك؟ قال: «**أن يُعبد الله ولا يشرك به شيء، وتحقن الدماء، وتوصل الأرحام**»، قال: قلت: ومن معك على هذا؟ قال: «**حر وعبد**»، فقلت: ابسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعته، فلقد رأيتني وإني لرابع الإسلام.

وأخبرنا إسماعيل بن علي وغير واحد بإسنادهم إلى محمد بن عيسى السلمي: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عقبة بن خالد، حدثنا شعبة، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال أبو بكر: ألست أحق الناس بها؟ -يعني الخلافة- ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟ ألست صاحب كذا؟

وقال إبراهيم النخعي: أول من أسلم أبو بكر ﷺ.

وأما عن:

هجرته مع رسول الله ﷺ

(فلقد) قال أيضاً في أسد الغابة: هاجر أبو بكر الصديق ﷺ مع رسول الله ﷺ وصحبه في الغار لما سارا مهاجرين، وآنسه فيه، ووقاه بنفسه، قال بعض العلماء: لو قال قائل: إن جميع الصحابة ما عدا أبا بكر ليست لهم صحبة لم يكفر، ولوقال: إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ كفر، فإن القرآن العزيز قد نطق أنه صاحبه.

أخبرنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناد إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أمر الله عز وجل، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يخرج من مكة بإذن الله عز وجل له في الهجرة إلى المدينة، فاجتمعت قريش فمكرت بالنبي ﷺ، فأتاه جبريل وأمره أن لا يبيت مكانه، ففعل، وخرج على

القوم وهم على بابه، ومعه حفنة من تراب، فجعل ينثرها على رءوسهم، وأخذ الله أبصارهم، وكان مخرج رسول الله ﷺ بعد العقبة بشهرين، وأيام بويع أوسط أيام التشريق [1]، وخرج لهلال ربيع الأول. قاله ابن إسحاق.

وقد كان أبو بكر يستأذنه في الخروج، فيقول رسول الله ﷺ: **((لا تعجل، ولعل الله يجعل لك صاحباً))**، فلما كانت الهجرة جاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وهو نائم فأيقظه، فقال له رسول الله ﷺ: **((قد أذن لي في الخروج))**، قالت عائشة: فلقد رأيت أبا بكر يبكي من الفرح، ثم خرجا حتى دخلا الغار، فأقاما فيه ثلاثاً.

أخبرنا أبو ياسر بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا همام، أخبرنا ثابت، عن أنس: أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ وهو في الغار -وقال مرة: ونحن في الغار-: لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا! قال: فقال: **((يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما))**.

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصري التغلبي الدمشقي، أخبرنا الشريف أبو طالب علي بن حيدرة بن جعفر العلوي الحسيني، وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي قالا: أخبرنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة، حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي، حدثنا عبيد الله بن محمد القرشي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن النبي ﷺ لما خرج مهاجراً إلى المدينة، كان أبو بكر معه، وكان أبو بكر أعرف بذلك الطريق، وكان الرجل لا يزال قد عرف أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر، من هذا معك؟ فيقول: هذا يهديني السبيل.

أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي ابن بدران الحلواني، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الفارسي، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر من

---

(١) وهي يوم ١١، ١٢، ١٣ من ذي الحجة.

عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً، قال: فقال أبو بكر لعازب: مُر البراء فليحمله إلى منزلي، فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حيث خرج رسول الله ﷺ، وأنت معه.

قال: فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا [(١)] فأحيينا [(٢)] يومنا وليلتنا، حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت ببصري: هل أرى ظلاً نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرة، فأهويت إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع ثم خرجت انظر هل ارى أحداً من الطلب؟ فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لمن أنت؟ فقال: لرجل من قريش، فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضرعها، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعي إداوة على فمها خرقة، فحلب لي كثبة من اللبن، فصببت على القدح، حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل آن الرحيل؟ قال: فارتحلنا، والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا؟ قال: **((لا تحزن إن الله معنا))**، حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين –أو قال: رمحين أو ثلاثة– قال: قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا وبكيت، قال: لم تبكي؟ قال: قلت: والله، ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك. قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ، فقال: **((اللهم اكفناه بما شئت))**، فساخت فرسته [(٣)] إلى بطنها في أرض صلد [(٤)] ، ووثب عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأُعَمِّيَنَّ على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً، فإنك ستمر على إبلي وغنمي في موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: **((لا حاجة لي فيها))**، قال: ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه، حتى قدمنا المدينة، فتلقاه الناس

(١) يعني: سرنا من أول الليل.

(٢) في المسند: أحتشنا.

(٣) أي: غاصت.

(٤) أي: ملساء صلبة لا تنبت شيئاً.

في الطريق [١] وعلى الأجاجير [٢] واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر، جاء رسول الله، جاء محمد، قال: وتنازع القوم أيهم يترل عليه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: **((أنزل الليلة على بني النجار، أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك))**، قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، أخو بني عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى، أخو بني فهد، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال: هو على أثري، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه، قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل –قال إسرائيل: وكان البراء من الأنصار من بني حارثة.

أخبرنا إبراهيم بن محمد الفقيه بإسناده إلى أبي عيسى الترمذي، قال: حدثنا يوسف ابن موسى القطان البغدادي، حدثنا مالك بن إسماعيل، عن منصور بن أبي الأسود، قال: حدثني كثير أبو إسماعيل، عن جميع بن عمير، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: **((أنت أخي وصاحبي في الغار))** [٣].

(وقد) قال أيضاً بعد ذلك –(في أسد الغابة..) تحت عنوان:

شهوده بدراً وغيرها

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صفري التغلبي، أخبرنا الشريف أبو طالب علي بن حيدرة بن جعفر الحسيني، وأبو القاسم الحسين بن الحسن ابن محمد الأسدي، قالا: أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدر، حدثنا أحمد بن محمد الأبلي العطار بالبصرة، أخبرنا المقدمي، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي، أخبرنا مسعر بن كدام، عن أبي عون، عن أبي صالح الحنفي، عن علي بن أبي طالب، قال: قال لي رسول الله ﷺ

(١) في المسند: فتلقاه الناس فخرجوا إلى الطريق.

(٢) الأجاجير: جمع إجار –بكسر الهمزة وتشديد اللام– وهو السطح.

(٣) وفي تحفة الأحوذي، كتاب المناقب: ١٠/ ١٥٤، ونصه **((أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار))**، وقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن الزبير ٤/٤ أن رسول الله ﷺ قال: **((ولكنه أخي في الدين، وصاحبي في الغار))**.

ولأبي بكر الصديق يوم بدر: «**مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل مَلَكٌ عظيم، يشهد القتال ويكون في الصف**».

أخبرنا أبو جعفر بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن ابي بكر بن حزم: أن سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ -لما التقى الناس يوم بدر-: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً [1]، فتكون فيه وننيخ إليك ركائبك، ونلقى عدونا، فإن أظفرنا الله وأعزَّنا فذاك أحب إلينا، وإن تكن الأخرى تجلس على ركائبك، فتلحق بمن وراءنا؟ فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له، فبني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه أبو بكر، ما معهما غيرهما.

قال ابن إسحاق: فجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه وعده ونصره، ويقول: «**اللهم إن تَهلك هذه العصابة [2] لا تعبد**» وأبو بكر يقول: بعض مناشدتك ربك، فإن الله موفيك ما وعدك من نصره.

وقال محمد بن سعد: (قالوا: وشهد أبو بكر بدراً، وأحداً، والخندق، والحديبية، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ودفع رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكانت سوداء، وأطعمه رسول الله ﷺ من خيبر مائة وسق[3]، وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد ويوم حنين حين ولّى الناس.

ولم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصديق ﷺ، لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها.

(وقد) قال أيضاً في نفس المرجع، تحت عنوان:

فضائله ﷺ

أخبرنا عبد الله بن أحمد الخطيب، أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، أخبرنا الحسن بن أحمد بن شاهين، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا حامد بن سهل، حدثنا عبد الله ابن جعفر الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن

---

(١) العريش: شبه الخيمة يستظل به.

(٢) العصابة: الجماعة من الناس، أو الخيل، أو الطير.

(٣) الوسق: مكيال مقداره ستون صاعاً، والصاع: خمسة أرطال وثلث.

مرة، عن عبد الله بن الحارث، قال: حدثنا جندب -هو ابن عبد الله-: أنـــه سمـــع رسول الله ﷺ يقول قبل أن يتوفى بيوم: «**قد كان لي فيكم أخوة وأصـــدقاء، وإني أبرأُ إلى الله أن أكون اتخذت منكم خليلاً، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، وإن ربي اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً**».

قال: وأخبرنا جعفر، أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، حدثنا أبو سعيد الحسن بن جعفر بن محمد بن الوضاح الحُرفي السمسار، حدثنا أبو شهيب الحراني، حدثنا يحيى بن عبد الله البابلتي، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن عروة بن الزبير، قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني بأشد شيء رأيته صنعه المشركون برسول الله ﷺ. قال: أقبل عقبة بن أبي معيط، ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ منكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ، ثم قال أبو بكر: يا قوم، ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ [غافر: ٢٨].

الحرفي: بضم الحاء المهملة، وسكون الراء، وبالفاء.

أخبرنا أبو منصور مسلم بن علي بن محمد بن منصور السبحي العدل، أخبرنا أبو البركات محمد بن محمد بن حميس الجهني، أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الباقي بن طوق، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن الخليل المرجي، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي، حدثنا زهير بن حرب، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**» [١].

أخبرنا عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد وغيره قالوا: أخبرنا أبو القاسم الحريري، أخبرنا أبو إسحاق البرمكي، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن بخيت الدقاق،

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٩٣ عن قتيبة بن سعد بإسناده مثله.

حدثنا أبو هاشم محمد بن إبراهيم الملطي، حدثنا أحمد بن موسى بن معدان الكرابيسي، حدثنا زكريا بن رويد الكندي، عن حميد بن أنس، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ بوحي من عند الله عز وجل، فقال: «**يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك: قل للعتيق بن أبي قحافة: إنه عنه راضٍ**».

قال: وأخبرنا ابن بخيت، حدثنا سليمان بن داود بن كثير بن وقدان، حدثنا سوار ابن عبد الله العنبري، قال: قال ابن عيينة: عاتب الله سبحانه وتعالى المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر، فإنه خرج من المعاتبة: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**﴾ [التوبة: ٤٠].

أخبرنا أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفقيه، أخبرنا أبو محمد بن الطراح، أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي، حدثنا عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن حبابة، حدثنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى الباهلي، حدثنا سوار بن مصعب، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء: فجبريل وميكائيل، صلى الله عليهما وسلم، وأما وزيراي من أهل الأرض: فأبو بكر وعمر**». ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء، فقال: «**إن أهل عليين ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون النجم -أو الكواكب- في السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**» -قلت لأبي سعيد-: وما (أنعما؟) قال: أهل ذاك هما.

(وأسلم) على يد أبي بكر: الزبير، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، (وأعتق) سبعة كانوا يعذبون في الله تعالى، منهم: بلال، وعامر بن فهيرة، وغيرهما.. (وكان) رسول الله ﷺ كثير الثقة إليه وبما عنده من الإيمان واليقين، ولهذا لما قيل له: إن البقرة تكلمت، قال: «**آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر**»، وما هما في القوم.

أخبرنا إبراهيم بن محمد وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى، قال: حدثنا محمود ابن غيلان، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، قال:

سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينما رجل يركب بقرة إذ قالت: لم أخلق لهذا، إنما خلقت للحرث»**، فقال رسول الله ﷺ: **«آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر»**.

قال أبو سلمة: وما هما في القوم.

أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد المؤدب، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن صفوان، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله ابن إبراهيم بن أنس، أخبرنا علي بن عبيد الله بن طوق، حدثنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار، حدثنا المعافى بن عمران، حدثنا هشام بن سعد، عن عمر بن أسيد، عن ابن عمر، قال: كنا نتحدث أن رسول الله ﷺ خير هذه الأمة، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن أكون أعطيتهن أحب إلي من حمر النعم: زوجه رسول الله ﷺ ابنته، وأعطاه الراية يوم خيبر، وسد الأبواب من المسجد إلا باب علي.

أخبرنا أبو الفرج بن أبي رجاء الثقفي، أخبرنا أبو علي قراءة عليه وأنا حاضر أسمع، أخبرنا أحمد بن عبد الله، حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن أبي أسامة (ح) قال أبو نعيم: وحدثنا عبيد الله بن الحسن بن بندار، حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قالا: حدثنا مروح بن عبادة، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: صعد النبي ﷺ أُحُداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال: **«اثبتْ فما عليك إلا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان»** [(١)] .

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الدمشقي، أخبرنا أبو العشائر محمد ابن الخليل بن فارس القيسي، أخبرنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن معروف، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي ثابت، حدثنا علي بن داود القنطري، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر الشعبي،

---

(١) أخرجه الفضائل في باب فضائل الصحابة عن أنس: ٥/ ١١. وأحمد عن سهل بن سعد: ٥/٣٣١، وعن بريدة الأسلمي: ٥/ ٣٤٦.

عن الحارث، عن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال: ((**هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي**)).[1]

أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي، حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩]. مع أبي بكر وعمر.

قال: وأخبرنا خيثمة بن سليمان، حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر الشعبي، عن أبي جحيفة السوائي قال: قال علي: يا وهب، ألا أخبرك بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر، وعمر، ورجل آخر.

(وقد) روى نحو هذا محمد بن الحنفية عن أبيه. قال: وأخبرنا خيثمة، حدثنا أحمد ابن سليمان الصوري، حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا يوسف بن الصباح، حدثنا جرير بن عبد الحميد، حدثنا سعيد الغافلاني، عن الحسن، عن أنس قال: تناول النبي ﷺ من الأرض سبع حصيات فسبحن في يده، ثم ناولهن أبا بكر فسبحن في يده، كما سبحن في يد النبي ﷺ، ثم ناولهن عثمان فسبحن في يده كما سبحن في يد أبي بكر وعمر.

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صعيري التغلبي، أخبرنا الشريف أبو طالب علي بن حيدرة العلوي، وأبو القاسم الحسين بن الحسن الأسدي قالا: أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن القاسم، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان، أخبرنا جعفر بن محمد القلانسي بالرملة، أخبرنا دواد بن الربيع ابن مصحح، أخبرنا حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من**

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب عن علي بن أبي طالب، تحفة الأحـوذي: ١٠/١٤٩، ١٥٠، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه...

أصبح منكم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «**من أطعم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**من جمعهن في يوم واحد وجبت له أو غفر له**».[1] قال: وحدثنا خيثمة، حدثنا محمد بين الحسين الخيني، أخبرنا عارم أبو النعمان، حدثنا هشيم، عن حصين، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: وفد ناس من أهل الكوفة وناس من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فلما نزلوا المدينة تحدث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر، ففضل بعض القوم أبا بكر، وكان الجارود بن المعلي ممن فضل أبا بكر على عمر. فجاء عمر ومعه درته [2]، فأقبل على الذين فضلوه على أبي بكر، فجعل يضربهم بالدرة، حتى ما يتقى أحدهم إلا برجله، فقال له الجارود: أفق أفق يا أمير المؤمنين، فإن الله عز وجل لم يكن يرانا نفضلك على أبي بكر، أبو بكر أفضل منك في كذا، وأفضل منك في كذا، فسري[3] عن عمر ثم انصرف. فلما كان من العشى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري.

قال: وحدثنا خيثمة، حدثنا هلال بن العلاء، حدثنا أبي، حدثنا إسحاق الأزرق، حدثنا أبو سنان، عن الضحاك بن مزاحم، عن النزال بن سبرة الهلالي، قال: وافقنا مِنْ عَلِيٍّ طيب نفس ومزاح، فقلنا: يا أمير المؤمنين، حدثنا عن أصحابك. قال: سلوني. قلنا: حدثنا عن أبي بكر. قال: ذاك امرؤ سماه الله عز وجل صديقاً على لسان جبريل ولسان محمد صلى الله عليه وسلم، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضيه لديننا، فرضيناه لدنيانا.

(وأما) عن:

علمه رضي الله عنه

(فقد) قال عنه في المرجع السابق — أسد الغابة..:

أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا الحسين بن

(١) أخرجه مسلم بنحوه عن أبي هريرة، ينظر كتاب الزكاة. ٩٢/٣، وكتاب فضائل الصحابة: ١١٠/٧.

(٢) وهي تشبه السوط —بكسر الدال وتشديد الراء– وكانت صغيرة وليست في طول السوط.. بل وسطاً.. ولم يكن يضرب بها ضرباً موجهاً.. وقيل أنه كان يسوي بها الصف بعد إقامة الصلاة.

(٣) أي: زال ما في قلبه من الألم والحزن بسبب ما علمه من أقوالهم..

القهم،[1] حدثنا محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي. عن يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر أنه سئل: من كان يفتي الناس في زمان رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر وعمر، ما أعلم غيرهما.

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي علي المقري، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد ابن منصور بن محمد بن سعيد، أخبرنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو بكر بن مردويه الحافظ، حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح بن سليمان، حدثنا سالم أبو النضر، عن عبيد بن حنين، وبسر بن سعيد، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ خطب يوماً، فقال: **((إن رجلاً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده))**، فبكى أبو بكر، فتعجبنا لبكائه أن يخبر النبي ﷺ عن رجل قد خير -وكان هو المخير ﷺ، وكان أبو بكر أعلمنا به- فقال: **((لا تبك يا أبا بكر، إن أَمَنَّ الناس في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر))** [2] .

(ثم) يقول تحت بعد ذلك فى (أسد الغابة...) تحت عنوان:

زهده وتواضعه وإنفاقه رضي الله عنه

أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن، قال: أخبرنا أبي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن بن إبراهيم، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد الهمْداني، أخبرنا أبو بكر خليل بن هبة الله بن الخليل، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن القاسم بن درمتويه، حدثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل، أخبرنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، حدثني الحسين بن عيسى، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا عبد الواحد بن زيد، حدثني أسلم الكوفي، عن مرة، عن زيد بن أرقم، قال:

---

(١) يقول الذهبي في المشتبه: ٥١١: (وبقاف: الحسين بن قهم، صاحب يحيى ابن معين وهي في الأصل والمطبوعة: (الفهم) بالفاء.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة عن محمد بن سنان بإسناده: ١/ ١٢٦، ورواه الترمذي بإسناده إلى عبيد بن حنين في كتاب المناقب، ينظر تحفة الأحوذي: ١٠/ ١٤٤ – ١٤٦، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

دعا أبو بكر بشراب، فأتي بماء وعسل، فلما أدناه من فيه نَحَّاه، ثم بكى، حتى بكى أصحابه، فسكتوا وما سكت. ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لا يقوون على مسألته، ثم أفاق، فقالوا: يا خليفة رسول الله، ما أبكاك؟ قال: **«كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته، يدفع عن نفسه شيئًا، ولم أر أحدًا معه، فقلت: يا رسول الله، ما هذا الذي تدفع؟ ولا أرى أحدًا معك؟ قال: هذه الدنيا تمثّلت فقلت لها: إليك عني، فتنحت ثم رجعت، فقالت: أما أنك إن أفلتَّ فلن يفلت مَنْ بعدك»** فذكرت ذلك فمقَتُّ أن تلحقني.

قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو السعود أحمد بن علي بن محمد بن المجلي، حدثنا محمد بن محمد بن أحمد العُكْبري، حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن خلف بن خاقان، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، أخبرنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: كان أبو بكر إذا مُدِح قال: اللهم أنت أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو بكر بن الطبري، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان، أخبرنا أبو بكر القرشي، حدثنا الوليد بن شجاع السَّكوني وغيره، حدثنا أبو أسامة، عن مالك بن مِغْول سمع أبا السفر، قال: دخلوا على أبي بكر في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي، قالوا: ما قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد[1].

أخبرنا أبو العباس أحمد بن عثمان، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور بن محمد بن سعيد، أخبرنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ، حدثنا ميمون بن إسحاق بن الحسن الحنفي، حدثنا أحمد بن عبد الجبار هو العُطاردي، حدثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»**، فبكى أبو بكر، وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟ [2].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ١/ ١٤١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي معاوية بإسناده إلى أبي هريرة، ينظر المسند: ٢/ ٢٥٣، وسنن ابن ماجه، المقدمة، الحديث ٩٤: ١/ ٣٦... الخ.

قال: وأخبرنا أبو بكر بن مردويه، حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا عمر بن عبد الرحيم، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا موسى بن عمير القرشي، عن الشعبي، قال: لما نزلت: ﴿إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] إلى آخر الآية، قال: جاء عمر بنصف ماله يحمله إلى رسول الله ﷺ على رءوس الناس، وجاء أبو بكر بماله أجمع يكاد يخفيه من نفسه. فقال رسول الله ﷺ: «**ما تركت لأهلك؟**» قال: عدة الله وعدة رسوله. قال: يقول عمر لأبي بكر: بنفسي أنت وبأهلي أنت، ما استبقنا باب خير قط، إلا سبقتنا إليه [1].

(وقد) رواه أبو عيسى الترمذي، عن هارون بن عبد الله البزار، عن الفضل بن دكين، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته[2]، قال: فجئت بنصف مالي، فقال [3]: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، وجاء أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدًا [4].

أخبرنا القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي إجازة، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أخبرنا أبو بكر بن الطبري، أخبرنا أبو الحسن بن الفضل، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب، حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفًا، فأنفقها في الله، وأعتق سبعة كلهم يُعذب في الله: أعتق بلالًا، وعامر بن فُهيرة، وزِنِّيرة [5]، والنهدية، وابنتها، وجارية بني مؤمل، وأم عبيس [6].

قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو القاسم الواسطي، أخبرنا أبو بكر الخطيب، وحدثني الحسن بن علي بن محمد الواعظ، حدثنا أبو نصر إسحاق بن أحمد بن شبيب

---

(١) ينظر المسند: ٢/ ٢٥٣.. تحقيق الدكتور محمد عاشور عليه رحمة الله تعالى.
(٢) لفظ الترمذي: (إن سبقته يومًا) والمعنى إن سبقته يومًا فهذا يومه...
(٣) لفظ الترمذي: فقال رسول الله ﷺ.
(٤) تحفة الأحوذي، كتاب المناقب، ١٠/١٦١. وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).
(٥) زِنِّيرة: بكسر الزاي، والنون المشددة، وبعدها ياء وتحتها نقطتان، ثم راء وهاء.
(٦) وعبيس: بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة والباء الثالثة.

البخاري، حدثنا أبو الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن سايح بن قوامة ببخارى، أخبرنا جبريل بن منجاع الكشاني بها، حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين، عن الحجاج بن شداد المرادي، عن أبي صالح الغفاري، أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء، في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي [١] لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة كُلا يسبق إليها، فرصده [٢] عمر، فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمري [٣] !!

قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي بكر، أخبرنا الفضيل بن يحيى، أخبرنا أبو محمد بن أبي شريح، أخبرنا محمد بن عقيل بن الأزهر، حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، سمع عمته أنيسة قالت: نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين، قبل أن يستخلف [٤]، وسنة بعدما استخلف فكان جَواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن.

(إلى) أن يقول بعد ذلك في نفس المرجع السابق تحت عنوان:

خلافته رضي الله عنه

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الدمشقي، أخبرنا أبو العشائر محمد ابن خليل بن فارس القيسي، أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي ثابت، حدثنا أحمد بن بكرويه البالسي، حدثنا داود بن الحسن المدني، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «**رأيتُني على حوض، فوردت علي غنم سود وبيض، فأولت السود: العجم، والعفر [٥]: العرب، فجاء أبو بكر فأخذ الدلو مني، فنزع**

(١) أي: يحضر لها الماء.. ويحضر لها ما تريد من الطعام..
(٢) أي: اختبأ له في مكان قريب حتى يراه ويعرفه.
(٣) قسم.
(٤) أي: قبل أن يصبح خليفة.
(٥) العفر: بضم العين وسكون الفاء. البيض، وهو جمع أعفر، ومؤنثه عفراء.

ذَنوبًا [1]**، أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، فجاء عمر فملأ الحوض وأروى الوارد** [2] **».**

قال: وأخبرنا عبد الرحمن بن عثمان، حدثنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة، حدثنا الحسن بن حميد بن الربيع الخزار، حدثنا إبراهيم، عن إسماعيل بن يحيى ابن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن جده سلمة، عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر**» [3].

أخبرنا أبو منصور بن أبي الحسن الطبري بإسناده إلى أبي يَعلى، حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا يوسف بن خالد، حدثنا موسى بن دينار المكي، حدثنا موسى بن طلحة، عن عائشة بنت سعد، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لِيُصَلِّ أبو بكر بالناس قالوا: لو أَمَّرت غيره؟ قال: لا ينبغي لأمتي أن يؤمهم إمام وفيهم أبو بكر**».

(إلى) أن يقول بعد ذلك – اختصارًا:

أخبرنا أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفقيه الشافعي، أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، أخبرنا أحمد بن أحمد البزاز، أخبرنا عيسى بن علي بن عيسى الوزير، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا وهب بن بقية، أخبرنا إسحاق الأزرق، عن سلمة بن نبيط، عن نعيم بن أبي هند، عن نبيط - يعني ابن شريط – عن سالم بن عبيد – وكان من أصحاب الصُّفة -: أن النبي ﷺ لما اشتد مرضه أغمي عليه، فلما أفاق قال: «**مروا بلالًا فليؤذن، ومروا أبا بكر فليصَل بالناس – قال: ثم أغمي عليه، فقالت عائشة: إن أبي رجل أسيف**[4]**، فلو أمرتَ غيره؟ فقال: أقيمت الصلاة؟ فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبي رجل أسيف، فلو أمرت غيره؟ قال: إنكن صواحبات يوسف، مروا بلالًا فليؤذن، ومروا أبا بكر فليصل بالناس، ثم أفاق، فقال: أقيمت الصلاة؟ قالوا: نعم، قال: ادعوا لي إنسانًا**

---

(١) الذنوب: بفتح الذال، الدلو فيها ماء.

(٢) أخرجه البخاري بنحوه عن ابن عمر وأبي هريرة.. ٩/ ٤٩.

(٣) أخرجه الترمذي، عن حذيفة، وقال: (وفي الباب عن ابن مسعود، هذا حديث حسن) ينظر تحفة الأحوذي، كتاب المناقب: ١٠/ ١٤٧، ١٤٨.

(٤) أسيف: أي سريع البكاء والحزن، رقيق القلب.

أعتمد عليه، فجاءت بريرة وإنسان آخر، فانطلقوا يمشون به، وإن رجليه تخطان في الأرض))، قال: فأجلسوه إلى جنب أبي بكر، فذهب أبو بكر يتأخر، فحبسه حتى فرغ الناس، فلما توفي، قال: -وكانوا قومًا أُميين لم يكن فيهم نبي قبله — قال عمر: (لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا) ! قال: فقالوا له: اذهب إلى صاحب رسول الله ﷺ فادعه، يعني أبا بكر، قال: فذهبت فوجدته في المسجد، قال: فأجهشت أبكي، قال: لعل نبي الله توفي؟ قلت: إن عمر قال: (لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا) ! قال: فأخذ بساعدي ثم أقبل يمشي، حتى دخل، فأوسعوا له، فأكب على رسول الله ﷺ حتى كاد وجهه يمس وجه رسول الله ﷺ، فنظر نفسه حتى استبان أنه توفي، فقال: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠]، فقالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ : توفي رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، فعلموا أنه كما قال، قالوا: يا صاحب رسول الله، هل يُصَلَّى على النبي ﷺ ؟ قال: نعم، قال: يجئ نفر منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون حتى يفرغ الناس، فعلموا أنه كما قال، قالوا: يا صاحب رسول الله، هل يُدفن النبي ﷺ ؟ قال: نعم، قالوا: أين يُدفن؟ قال: حيث قَبض الله روحه، فإنه لم يقبضه إلا في موضع طيب، قال: فعرفوا أنه كما قال، ثم قال: عندكم صاحبكم.

ثم خرج فاجتمع إليه المهاجرون — أو من اجتمع إليه منهم- فقال: انطلقوا إلى إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيبًا، قال: فذهبوا حتى أتوا الأنصار، قال: فإنهم ليتآمرون إذ قال رجل من الأنصار: (منا أمير ومنكم أمير) فقام عمر وأخذ بيد أبي بكر، فقال: (سيفان في غمد إذن لا يصطحبان)، ثم قال: من له هذه الثلاثة: ﴿**إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠] مع من؟ فبسط يد أبي بكر فضرب عليها، ثم قال للناس: بايعوا، فبايع الناس أحسن بيعة.

(إلى) أن يقول بعد ذلك بخبرين [١]:

(ولما) توفي رسول الله ﷺ : ارتجت مكة، فسمع بذلك أبو قحافة، فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ ، قال: أمر جليل، فمن ولي بعده؟ قالوا: ابنك، قال: فهل رضيت بذلك بنوا عبد مناف وبنوا المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع.

---

(١) في أسد الغابة.. ص ٣٣٢.

(وكان) عمر بن الخطاب أول من بايعه، وكانت بيعته في السقيفة يوم وفاة رسول الله ﷺ، ثم كانت بيعة العامة من الغد، وتخلف عن بيعته: علي، وبنو هاشم، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، وسعد بن عبادة الأنصاري، ثم إن الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلا سعد بن عبادة، فإنه لم يبايع أحدًا إلى أن مات، وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر على القول الصحيح، وقيل غير ذلك.

(وقام) في قتال الردة مقامًا عظيمًا..

(ثم) يقول بعد ذلك بخبر واحد [1]، تحت عنوان:

وفاته رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: (توفي أبو بكر رضي الله عنه يوم الجمعة، لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، وصلى عليه عمر بن الخطاب).

وقال غيره: توفي عشي يوم الإثنين، وقيل: ليلة الثلاثاء، وقيل: عشي يوم الثلاثاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة.

وأخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم إجازة، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد، حدثنا شجاع بن علي، أخبرنا أبو عبد الله بن منده، قال: ولد –يعني أبا بكر– بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر إلا أيامًا، ومات بعد النبي ﷺ بسنتين وأشهر بالمدينة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وكان رجلًا أبيض نحيفًا، خفيف العارضين، معروق الوجه [2]، غائر العينين، ناتئ الجبهة، يخضب بالحناء والكتم [3]، وكان أول من أسلم من الرجال، وأسلم أبواه له، ولولده وولد ولده صحبة، رضي الله عنهم.

(إلى) أن يقول بعد ذلك بخبرين [4]:

(وهو) أول خليفة كان في الإسلام، وأول من حج أميرًا في الإسلام، فإن

---

(١) في أسد الغابة.. ص ٣٣٣.

(٢) معروق الوجه: أي قليل اللحم.

(٣) الكتم – بفتح الكاف والتاء – نبت يخلط مع الوسمة، ويصبغ به الشعر الأسود.

(٤) في أسد الغابة.. ص ٣٣٤.

رسول الله ﷺ فتح مكة سنة ثمان، وسير أبا بكر يحج بالناس أميرًا سنة تسع، وهـو أول من جمع القرآن، وقيل: علي بن أبي طالب أول من جمعه، وكان سبب جمـع أبي بكر للقرآن ما ذكرناه في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه [1].

(وهو) أول خليفة ورثه أبوه.

(وقال) زياد بن حنظلة: كان سبب موت أبي بكر الكمد [2] على رسول الله ﷺ ومثله قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(ولما) حضره الموت استخلف عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما –كما سنعرف إن شاء الله في ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.: ا.هـ بتصرف يسير.

تعليق

(هذا) وإذا كان لي –بعد أن وقفنا على ما جاء في الترجمة عـن الخليفـة الأول لرسول الله ﷺ –: أن أقول شيئًا هامًّا..

(فإنه) حسبنا أن نذكر الكلمة الطيبة التي قالها عنه الإمام علي كرم الله وجهـه.. عندما قال له أصحابه: حدثنا عن أبي بكر فقال: (ذاك امرؤ سماه الله عز وجل صديقًا على لسان جبريل ولسان محمد ﷺ، كان خليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، رضيه لديننا، فرضيناه لدنيانا).

(بل) وحسبنا إذا أردنا أن نعرف درجة الصِّـديق.. أن نعـرف أولًـا درجـة الصِّديقية.. (إنها) مرتبة قبل مرتبة النبوة مباشرة.. كما أشار الله تعالى إلى هذا المعـنى مرتين في سورة مريم، فقال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [الآية: ٤١].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [الآية: ٥٦].

كما أشار الله تبارك وتعالى –أيضًا– إلى هذا في ترتيب تنازلي قال فيه:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

(١) ولسوف نقف عليها إن شاء الله تعالى.. بعد ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٢) أي: الحزن..

(فهو) عليه رضوان الله بنص الآية الأخيرة من الذين أنعم الله عليهم -هذا- بالإضافة إلى كل ما جاء في الترجمة من الفضائل والمناقب.. التي نستطيع من خلالها أن نتصور شخصية الصديق رضي الله عنه.. (ولاسيما) من خلال كلمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يدعو الناس لمبايعة الصديق رضي الله عنه فيقول: (من له هذه الثلاثة: **﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا﴾** ثم يقول مخاطبًا لهم ومتحديًا أن يكون أحدهم عنده أحد هذه الثلاثة: مع مَن ؟ ثم بسط يد أبي بكر فضرب عليها، ثم قال للناس: بايعوا، فبايع الناس أحسن بيعة).

(وأحب) كذلك أن أذكر الأخ المسلم، بأنه يستطيع -بتوفيق من الله تبارك وتعالى- أن يكون من الصِّديقين.

(وذلك) بالتخلق بخلق الصِّدق الذي هو مفتاح كل خير: (فعن) ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**)) متفق عليه.

(فلتكن) أخا الإسلام من أهل الصدق، حتى تكون من أهل البر.. وحتى تكون من أهل الجنة.. بل وحتى تكون من الصديقين.. تشبهًا بصاحب الترجمة عليه رضوان الله إلى يوم الدين..

والله ولي التوفيق

٤٠- ومن هو عمر بن الخطاب ؟

إنه [1]: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص.

وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقيل: حنتمة بنت هشام بن المغيرة، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل، وعلى الأول تكون ابنة عمه – قال أبو عمر: ومن قال ذلك – يعني بنت هشام – فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام، وليس كذلك وإنما هي ابنة عمهما، لأن هشامًا وهاشمًا ابني المغيرة أخوان، فهاشم والد حنتمة، وهشام والد الحارث، وأبي جهل وكان يقال لهاشم جد عمر: ذو الرمحين.

وقال ابن منده: أم عمر أخت أبي جهل.

وقال أبو نعيم: هي بنت هشام أخت أبي جهل، وأبو جهل خاله، ورواه عن ابن إسحاق.

وقال الزبير: حنتمة بنت هاشم، فهي ابنه عم أبي جهل –كما قال أبو عمر – وكان لهاشم أولاد فلم يعقبوا.

يجتمع عمر وسعيد بن زيد – رضي الله عنهما – في نفيل.

ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، روي عن عمر أنه قال: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين.

وكان من أشرف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشًا كانوا إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيرًا، وإن نافرهم منا فرأوا فاخرهم مفاخر، رضوا به، بعثوه منافرًا ومفاخرًا.

إسلامه

لما بعث الله محمدًا ﷺ، كان عمر شديدًا عليه وعلى المسلمين ثم أسلم بعد رجال سبقوه – قال هلال بن يساف: أسلم عمر بعد أربعين رجلًا وإحدى عشرة امرأة، وقيل: أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلًا وعشرين امرأة، فكمل الرجال به أربعين رجلًا.

(١) كما جاء في (أسد الغابة..) ج ٤ –ص ١٤٥ – ١٨١ باختصار وتصرف يسيرين.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سويدة التكريسي بإسناده إلى أبي الحسن علي ابن أحمد بن مَتُّويه، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن أحمد الأصفهاني، أنبأنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا صفوان بن المغلس، حدثنا إسحاق بن بشر، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبي هاشم الرماني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلًا وامرأة، ثم إن عمر أسلم فصاروا أربعين، فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقال عبد الله بن ثعلبة بن صعير: أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلًا وإحدى عشرة امرأة.

وقال سعيد بن المسيب: أسلم عمر بعد أربعين رجلًا وعشر نسوة، فما هو إلا أن أسلم عمر فظهر الإسلام بمكة.

وقال الزبير: أسلم عمر بعد أن دخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وبعد أربعين أو نيفٍ [1] وأربعين بين رجال ونساء.

وكان النبي ﷺ قد قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام – يعني أبا جهل**».

أنبأنا أبو ياسر بن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا شريح بن عبيد، قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أُسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأت﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ**

(١) النيف: الزائد عن غيره، والزائد على العقد من واحد إلى ثلاثة..

قَلِيلا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ . قال: قلت: كاهن، قال:**﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾** .. إلى آخر السورة [١] [الحاقة: ٤٠ –٤٧]، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع [٢].

أنبأنا العدل أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْري التغلبي الدمشقي، أنبأنا الشريف النقيب أبو طالب علي بن حيدرة بن جعفر العلوي الحسيني، وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد قراءة عليهما وأنا أسمع، قالا: أنبأنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة، أنبأنا محمد بن عوف، أنبأنا سفيان الطائي، قال: قرأت على إسحاق بن إبراهيم الحنفي، قال: ذكره أسامة بن زيد، عن أبيه، عن جده أسلم، قال: قال لنا عمر بن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ ، فبينا أنا يومًا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة، في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من قريش، فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟ أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد صبأت، قال: فرجعتُ مغضبًا — وقد كان ﷺ يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه، ويصيبان من طعامه، وقد كان ضمَّ إلى زوج أختي رجلين — قال: فجئت حتى قرعت الباب، فقيل: من هذا ؟ قلت: ابن الخطاب — قال: وكان القوم جلوسًا يقرءون القرآن في صحيفة معهم — فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا —أو نسوا الصحيفة من أيديهم، قال: فقامت المرأة ففتحت لي، فقلت: يا عدوة نفسها، قد بلغني أنك صبوت[٣] ! قال: فأرفع شيئًا في يدي

(١) أي: أنه قرأ السورة بأكملها.. من الآية ١: ٥٢.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١/ ١٧، ١٨.

(٣) يقال: (صبأ فلان) إذا خرج من دين إلى دين غيره. وقد أبدلوا من الهمزة واوًا.

فأضربها به، قال: فسال الدم، قال: فلما رأت الدم بكت، ثم قالت: يا ابن الخطاب، ما كنت فاعلًا فافعل، فقد أسلمت، قال: فدخلت وأنا مغضب فجلست على السرير، فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطينيه، فقالت: لا أعطيك، لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا﴿**لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة: ٧٩] !

قال: فلم أزل بها حتى أعطيتنيه، فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم)، فلما مررت بـ (الرحمن الرحيم)، ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي — قال: ثم رجعت إليَّ نفسي، فإذا فيها: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ [الحديد: ١] — قال: فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت، ثم رجعتْ إليَّ نفسي، حتى بلغت: ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ [الحديد: ٧] حتى بلغت إلى قوله﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [الحديد: ٨] — قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله — قال: فخرج القوم يتبادرون بالتكبير، استبشارًا بما سمعوه مني، وحمدوا الله عز وجل، ثم قالوا: يا ابن الخطاب، أبشر، فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الإثنين فقال: «**اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين: إما عمرو بن هشام، وإما عمر بن الخطاب**»، وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك، فأبشرْ — قال: فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم: أخبروني بمكان رسول الله ﷺ، فقالوا: هو في بيت في أسفل الصفا ووصفوه — قال: فخرجت حتى قرعت الباب، قيل: من هذا ؟ قلت: ابن الخطاب، قال: وقد عرفوا شدني على رسول الله ﷺ، ولم يعلموا بإسلامي — قال: فما اجتر أحد منهم أن يفتح الباب ! قال: فقال رسول الله ﷺ: «**افتحوا له، فإنه إن يرد الله به خيرًا يهده**»، قال: ففتحوا لي، وأخذ رجلان بعضُدَيّ حتى دنوت من النبي ﷺ، قال: فقال: أرسلوه، قال: فأرسلوني، فجلست بين يديه، قال: فأخذ بمجمع قميصي فجذبني إليه، ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده، قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فكبر المسلمون تكبيرة، سُمعت بطُرق مكة — قال: وقد كان استخفى- قال: ثم خرجت فكنت لا أشاء أن أرى رجلًا قد أسلم يضرب إلا رأيته — قال: فلما رأيت

ذلك قلت: لا أحب إلا أن يصيبني ما يصيب المسلمين، قال: فذهبت إلى خالي – وكان شريفًا فيهم – فقرعت الباب عليه، فقال: من هذا ؟ فقلت: ابن الخطاب. قال: فخرج إلي، فقلت له: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: فعلت؟ فقلت: نعم، قال: لا تفعل ! قال: فقلت: بلى، قد فعلت، قال: لا تفعل ! وأجاف [1] الباب دوني وتركني، قال: قلت: ما هذا بشيء ! قال: فخرجت حتى جئت رجلًا من عظماء قريش، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا ؟ فقلت: عمر بن الخطاب، قال: فخرج إلي، فقلت له: أشعرت أني قد صبوت ؟ قال: فعلت؟ فقلت: نعم، قال: فلا تفعل ! قلت: قد فعلت، قال: لا تفعل ! قال: ثم قام فدخل، وأجاف الباب دوني، قال: فلما رأيت ذلك انصرفت فقال لي رجل: تحب أن يُعلم إسلامك؟ قال: قلت: نعم. قال: فإذا جلس الناس في الحِجْر واجتمعوا أتيت فلانًا –رجلًا لم يكن يكتم السر– فاصغ إليه، وقل له: –فيما بينك وبينه–: (إني قد صبوت، فإنه سوف يظهر عليك ويصيح ويعلنه، قال: فاجتمع الناس في الحجر، فجئت الرجل فدنوت منه، فأصغيت إليه فيما بيني وبينه، فقلت: (أعلمت أني قد صبوت؟) فقال: (ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا). قال: فما زال الناس يضربونني وأضربهم، قال: فقال خالي: ما هذا ؟ فقيل: ابن الخطاب ! قال: فقام على الحجر فأشار بكمه، فقال: (ألا إني قد أجرت ابن أختي)، قال: فانكشف الناس عني، وكنت لا أشاء أن أرى أحدًا من المسلمين يضرب إلا رأيته وأنا لا أضرب، قال: فقلت: ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين؟ قال: فأمهلت حتى إذا جلس الناس في الحجر، وصلت إلى خالي فقلت: اسمع، فقال: ما أسمع؟ قال: قلت: جوارك عليك رد، قال: فقال: لا تفعل يا ابن اختي، قال: قلت: بل هو ذاك، فقال: ما شئت ! قال: فمازلت أُضرب وأَضرب حتى أعز الله الإسلام.

أنبأنا أبو جعفر بن أحمد بن علي بإسناده، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: إن قريشًا بعثت عمر بن الخطاب، وهو يومئذ مشرك، في طلب رسول الله ﷺ ، ورسول الله في دار في أصل الصفا، فلقيه النَّحَّام –وهو نعيم بن عبد الله بن أسيد،

---

(١) أجاف الباب، أي: رده.

وهو أخو بني عدي بن كعب، قد أسلم قبل ذلك، وعمر متقلد سيفه – فقال: يا عمر، أين تريد؟ فقال: أعمد إلى محمد الذي سفه أحلام قريش، وشتم آلهتهم، وخالف جماعتهم، فقال النحام: والله لبئس الممشى مشيت يا عمر! ولقد فرطت وأردت هلكة عدي بن كعب ! أو تراك ثقلت من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا ؟ فتحاورا حتى ارتفعت أصواقما، فقال له عمر: إني لأظنك قد صبوت، ولو أعلم ذلك لبدأت بك ! فلما رأى النحام أنه غير منته قال: فإني أخبرك أن أهلك وأهل أختك قد أسلموا، وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك، فلما سمع عمر تلك يقولها قال: وأيهم ؟ قال: ختنُك وابن عمك [1]، وأختك، فانطلق عمر حتى أتى أخته، وكان رسول الله ﷺ إذا أتته طائفة من أصحابه من ذوي الحاجة، نظر إلى أولي السعة، فيقول: عندك فلان، فوافق ذلك ابن عم عمر وختنه –أي زوج أخته – سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فدفع إليه رسول الله ﷺ خباب بن الأرت، وقد أنزل الله تعالى: ﴿طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [2].

وذكر نحو ما تقدم، وفيه زيادة ونقصان، قال ابن إسحاق: فقال عمر عند ذلك – يعني إسلامه: والله لنحن بالإسلام أحق أن نبادئ [3] منا بالكفر، فليظهرن بمكة دين الله، فإن أراد قومنا بغيًا علينا ناجزناهم، وإن قومنا أنصفونا قبلنا منهم. فخرج عمر وأصحابه فجلسوا في المسجد، فلما رأت قريش إسلام عمر سُقط في أيديهم.

وقال ابن إسحاق: حدثني نافع، عن ابن عمر، قال: لما أسلم عمر بن الخطاب، قال: أي أهل مكة، أَنْقَلُ للحديث ؟ فقالوا: جميل بن معمر. فخرج عمر وخرجت وراء أبي، وأنا غُليم أعقل كل ما رأيت، حتى أتاه فقال: يا جميل، هل علمت أني أسلمت؟ فوالله ما راجعه الكلام حتى قام يجر رداءه، وخرج عمر يتبعه، وأنا مع أبي، حتى إذا قام على باب مسجد الكعبة صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، إن عمر قد صبأ.

(١) يعني سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فهو ابن عم عمر، رضي الله عنه، وزوج أخته فاطمة..

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٣ – ٣٤٥.

(٣) أحق أن ينادي: أي نظهره ونعلنه على الناس.

فقال عمر: كذبت ! ولكني أسلمت، فثاوروه [1]، فقاتلوه وقاتلهم حتى قامت الشمس على رءوسهم، فطلح [2] وعرشوا على رأسه قيامًا وهو يقول: (اصنعوا ما بدا لكم، فأقسم بالله لو كنا ثلاثمائة رجل تركتموها لنا، أو تركناها لكم).

وذكر ابن إسحاق أن الذي أجار عمر هو (العاص بن وائل) أبو (عمرو بن العاص السهمي) وإنما قال عمر إنه خاله لأن حنتمة أم عمر هي بنت هاشم بن المغيرة، وأمها الشفاء بنت عبد قيس ابن عدي بن سعد بن سهم السهمية، فلهذا جعله خاله، وأهل الأم كلهم أخوال، ولهذا قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**هذا خالي**» لأنه زهري، وأم رسول الله ﷺ زهرية، وكذلك القول في خاله الآخر الذي أغلق الباب في وجهه أنه أبو جهل، فعلى قول من يجعل أم عمر أخت أبي جهل، فهو خال حقيقة، وعلى قول من يجعلها ابنة أبي جهل، يكون مثل هذا وكان إسلام عمر في السنة السادسة قال محمد بن سعد:

أخبرنا غير واحد إجازة، قالوا: أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا الحسن بن علي، أنبأنا عمر بن حيُّوَيه، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا أبو علي بن القهم، أنبأنا محمد بن سعد، أنبأنا محمد بن عمر، حدثنا أبو حزْرَة يعقوب بن مجاهد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي عمرو ذكوان، قال: قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق ؟

قالت: النبي ﷺ.

قال: وأنبأنا محمد بن سعد، أنبأنا أحمد بن محمد الأزرق المكي، حدثنا عبد الرحمن بن حسن، عن أيوب بن موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق: فرق الله به بين الحق والباطل** ».

وقال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قالوا لعمر: الفاروق.

أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصري الدمشقي، أنبأنا الشريف أبو طالب عليُّ بن حيدرة بن جعفر العلوي الحسيني، وأبو القاسم الحسين

---

(١) ثاوره مثاورة: أي واثبه، وفي سيرة ابن هشام: (وثاروا إليه).

(٢) أي: أعيا..

ابن الحسن بن محمد الأسدي، قالا: أنبأنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة، حدثنا أبو عبيدة السري بن يحيى بن أخي هناد بن السري بالكوفة، حدثنا شعيث بن إبراهيم، حدثنا سيف بن عمر، عن وائل بن داود، عن يزيد البهت، قال: قال الزبير بن العوام: قال رسول الله ﷺ: **((اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب))**.

أنبأنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، أنبأنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور ابن محمد بن سعيد، أنبأنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا جعفر بن عون، ويعلى بن عبيد والفضل بن دكين، قالوا: حدثنا مسعر، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: قال عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي في البيت[1] حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

قال: وحدثنا بابن مردويه، حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا الحسن بن علي المعمري، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن عمر بن سعيد، عن مسروق، عن منصور، عن ربعي، عن حذيفة، قال: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل، لا يزداد إلا قُربًا، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر، لا يزداد إلا بُعداً.

(ثم) يقول بعد ذلك في أسد الغابة.. تحت عنوان:

هجرته رضي الله عنه

أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله الدقاق إذنًا، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، حدثنا أبو محمد الجوهري إملاء، أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد الحافظ، حدثنا أبو رَوْق أحمد بن محمد بن بكر الهزاني بالبصرة، حدثنا الزبير بن محمد بن خالد العثماني بمصر سنة خمس وستين ومائتين، حدثنا عبد الله بن القاسم الأجلي، عن أبيه، عن عقيل بن خالد، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن عبد الله بن العباس، قال: قال لي علي بن أبي طالب: ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا

(١) يعني المسجد الحرام.

مختفيًا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هَمَّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهمًا، واختصر عنزته [1] ومضى قِبَل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا [2]، ثم أتى المقام [3] فصلى متمكنًا، ثم وقف على الحلق [4] واحدة واحدة، وقال لهم: شاهت [5] الوجوه، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس [6]، من أراد أن تثكله أمه، ويُوتم ولده، ويُرْمِل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه.

أنبأنا عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناده، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني نافع، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: لما اجتمعنا للهجرة اتعَدْت [7] أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل، قلنا: الميعاد بيننا (التناضب) [8] من أضاة بني غفار، فمن أصبح منكم لم يأتها فليمض صاحباه، فأصبحت عندها أنا وعياش بن أبي ربيعة، وحلس عنا هشام، وفتن فافتتن، وقدمنا المدينة.

قال ابن إسحاق: نزل عمر بن الخطاب، وزيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله ابنا سراقة، وخنيس بن حذافة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وواقد بن عبد الله، وخولى بن أبي خولى، وهلال بن أبي خولى، وعياش بن أبي ربيعة، وخالد وإياس وعاقل بنو البكير – نزل هؤلاء على رفاعة بن المنذر، في بني عمرو بن عوف.

أنبأنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن علي بن بدران، أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الفارسي، أنبأنا أبو بكر القطيعي، أنبأنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد، حدثنا إسرائيل،

---

(١) العنزة – بفتح العين والزاي – مثل: نصف الرمح أو أكبر شيئًا، وفيها مثل سنان الرمح، واختصرها: أي أمسكها بيده.

(٢) أي: بكل اطمئنان.

(٣) أي: مقام إبراهيم عليه السلام.

(٤) الحلق: بفتحتين: وأحدها: حلقة، أراد حلقات القوم.

(٥) أي: قبحت.

(٦) المعاطس: الأنوف، وأحدها معطس، لأن العطاس يخرج منها.

(٧) أي: تواعدت..

(٨) التناضب: اسم موضع.

عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب ابن عمير أخو بني عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى، أخو بني فهـــر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبًا، فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قـــال: هو على أثري ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه.

(ثم) بعد ذلك يقول في (أسد الغابة..) تحت عنوان:

شهوده ﷺ بدرًا وغيرها من المشاهد

شهد عمر بن الخطاب مع رسول الله ﷺ بدرًا، وأُحُدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وخيبر، والفتح، وحُنينًا، وغيرها من المشاهد، وكان أشد الناس على الكفـــار، وأراد رسول الله ﷺ أن يرسله إلى أهل مكة يوم الحديبية، فقال: يا رسول الله، قد علمت قريش عداوتي لها، وإن ظفروا بي قتلوني، فتركه وأرسل عثمان.

أنبأنا أبو جعفر بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق —في مسير رسول الله ﷺ إلى بدر — قال: وسلك رسول الله ﷺ ذات اليمين على واد يقـــال (ذفران [1]) فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعضه نزل، وأتاه الخبر عن قـــريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار رسول الله ﷺ الناس، فقال أبو بكر فأحســـن، ثم قام عمر، فقال فأحسن.. وذكر تمام الخبر.

وهو الذي أشار بقتل أسارى المشركين ببدر.

وقال ابن إسحاق وغيره من أهل السير: ممن شهد بدرًا من بني عدي بن كعـــب: عمر بن الخطاب بن نفيل، ولم يختلفوا فيه [2].

وشهد أيضًا أُحُدًا، وثبت مع رسول الله ﷺ.

أنبأنا عبيد الله بن أحمد بإسناده، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة، قالا: لما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل، ثم نادى بأعلى صوته: إن الحرب سجال يوم بيوم بدر، اعل هبل — أي

(١) ذفران: بالفتح ثم فاء بالكسر، وراء مهملة، وآخره نون واد قرب وادي الصفراء في طريق بدر.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام: ١/ ٦٨٣.

أظهر دينك — فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: قم فأجبه، فقال: الله أعلى وأجل، لا سَواءَ قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار، فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال أبو سفيان: هلم إلي يا عمر. فقال رسول الله ﷺ: ائته، فانظر ما يقول. فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلْنا محمدًا؟ قال: لا، وإنه ليسمع كلامك الآن — فقال أبو سفيان: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر — لقول ابن قَمِئة لهم: قد قتلتُ محمدًا [1].

(ثم) بعد ذلك يقول في (أسد الغابة...) تحت عنوان:

علمه رضي الله عنه

أنبأنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، أنبأنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور ابن محمد بن سعيد، حدثنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو بكر ابن مردويه، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا عبد العزيز بن أبان، حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: قال ابن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم الناس في كفة ميزان لرجح علم عمر. فذكرته لإبراهيم فقال: قد والله، قال عبد الله أفضل من هذا.

قلت: ماذا قال؟ قال: لما مات عمر ذهب تسعة أعشار العلم.

أنبأنا إسماعيل بن علي بن عبيد وغيره بإسنادهم إلى محمد بن عيسى: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت كأني أُتيتُ بقدح لبن، فشربت منه، وأعطيت فضلي عمر بن الخطاب، فقالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم»** [2].

أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم الحافظ إجازة، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الأغر قراتكين ابن الأسعد، حدثنا أبو محمد الجوهري، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح، حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله النيري، حدثنا أبو السائب، قال: سمعت شيخًا من قريش يذكر عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: والله ما

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام: ٢/ ٩٣/ ٩٤، وتفسير الحافظ ابن كثير عند الآية ١٥٢ من سورة آل عمران: ٢/ ١١٤-١١٦ بتحقيق الدكتور محمد عاشور عليه رحمة الله.

(٢) تحفة الأحوذي: أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحديث: ٣٧٧، ١٠، ١٧٣، ١٧٤، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

رأيت أحدًا أرأف برعيته ولا خيرًا من أبي بكر الصديق، ولم أر أحدًا أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهْيبُ في صدور الرجال من عمر بن الخطاب، ولا رأيت أحدًا أشد حياءً من عثمان بن عفان.

(ثم) بعد ذلك يقول في (أسد الغابة..) تحت عنوان:

زهده وتواضعه رضي الله عنه

أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي إجازة، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو بكر بن المزرفي، حدثنا أبو الحسين بن المهتدى، أنبأنا علي بن عمر بن محمد الحربي، حدثنا أبو سعيد حاتم بن الحسن الشاشي، حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: قال طلحة بن عبيد الله: ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلامًا، ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا، وأرغبنا في الآخرة.

قال: وأنبأنا أبي، حدثنا أبو علي المقرئ كتابة –وحدثني أبو مسعود الأصبهاني عنه– أنبأنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا أبي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد بن جرير، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء الدوسي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، قال: قال سعد بن أبي وقاص: والله ما كان عمر بأقدمنا هجرة، وقد عرفت بأي شيء فضلنا، كان أزهدنا في الدنيا.

أنبأنا ابن أبي حبة وغيره، أنبأنا أبو غالب بن البنا، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيوية، وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس، قالا: حدثنا يحيى بن محمد ابن صاعد، أنبأنا الحسين بن الحسن، حدثنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت: أن عمر استسقى، فأتي بإناء من عسل فوضعه على كفه –قال: فجعل يقول: (أشربها فتذهب حلاوتها وتبقى نقمتها)، قالها ثلاثًا، ثم دفعه إلى رجل من القوم فشربه.

أنبأنا أبو محمد القاسم بن علي، أنبأنا أبي، أنبأنا إسماعيل بن أحمد أبو القاسم، أنبأنا أبو الحسين بن النقور، أنبأنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى، أنبأنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا داود بن عمرو، أنبأنا ابن أبي غنية، هو يحيى بن عبد الملك، حدثنا سلامة بن صبيح التميمي، قال: قال الأحنف: كنت مع عمر بن الخطاب،

فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معي فأعدني [1] على فلان، فإنه قد ظلمني، قال: فرفع الدرة فخفق بها رأسه، فقال: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض [2] لكم، حتى إذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه: أعدني أعدني ! قال: فانصرف الرجل وهو يتذمر —قال: علي بالرجل. فألقى إليه المخفقة[3] وقال: امتثل فقال: لا والله، ولكن أدعها لله ولك. قال: ليس هكذا، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي، فأعلم ذلك، قال: أدعها لله. قال: فانصرف، ثم جاء يمشي حتى دخل مترله ونحن معه، فصلى ركعتين، وجلس، فقال: يا بن الخطاب، كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالًا فهداك الله، وكنت ذليلًا فأعزك الله، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته، ما تقول لربك غدًا إذا أتيته؟ قال: فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبة حتى ظننا أنه خير أهل الأرض.

قال: وحدثنا أبي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن، أنبأنا أبو الحسن المهتدى، أنبأنا عيسى بن علي، أنبأنا عبد الله بن محمد، حدثنا داود بن عمرو، حدثنا عبد الجبار بن الورد، عن ابن مُلَيكة، قال: بينما عمر قد وضع بين يديه طعامًا إذ جاءه الغلام، فقال: هذا عتبة بن فرقد بالباب، قال: وما أقدم عتبة؟ ائذن له، فلما دخل رأى بين يدي عمر طعامه، خبز وزيت، قال: اقترب يا عتبة فأصب من هذا، قال: فذهب يأكل فإذا هو طعام جشب [4] لا يستطيع أن يسيغه. قال: يا أمير المؤمنين، هل لك في طعام يقال له: الحواري[5] ؟ قال: ويلك ويسع ذلك المسلمين كلهم؟ قال: لا والله، قال: ويلك يا عتبة، أفأردت أن آكل طيبًا في حياتي الدنيا وأستمتع؟

وقال محمد بن سعد: أنبأنا الوليد بن الأغر المكي، حدثنا عبد الحميد بن سليمان، عن أبي حازم، قال: دخل عمر بن الخطاب على حفصة ابنته، فقدمت

---

(١) أعداه عليه: أي نصره وأعانه.
(٢) أي: ظاهر لكم.
(٣) أي: الدرة.
(٤) الجشب: أي الخشن الغليظ.
(٥) الخبز الحواري: بضم الحاء وتشديد الواو: أي الذي نخل مرة بعد مرة.

إليه مرقًا باردًا وخبزًا، وصبت في المرق زيتًا، فقال: أدمان في إناء واحد! لا أذوقه حتى ألقى الله عز وجل [1].

أنبأنا عمر بن محمد بن طبرزد، أنبأنا أبو غالب بن البناء، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيوية، وأبو بكر بن إسماعيل قالا: حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، عن أنس، قال: لقد رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه.

وأنبأنا غير واحد إجازة، أنبأنا أبو غالب بن البناء، أنبأنا أبو محمد، أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد، حدثنا عبد الله بن أبي داود، حدثنا المنذر ابن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي، حدثني أبي، حدثنا شعبة، عن سيد الجريري، عن أبي عثمان قال: رأيت عمر بن الخطاب يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب.

(ثم) بعد ذلك (يقول في أسد الغابة..) تحت عنوان:

فضائله رضي الله عنه

قال: وحدثنا محمد بن إسماعيل: حدثنا محمد بن عبيد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدري، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قُمص منها ما يبلغ الثُّدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدِّين** [2]».

أنبأنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، أنبأنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أنبأنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد، حدثنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد، حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعلى الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يُرَى الكوكب الدري في الأفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعمَا**» [3].

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/ ١/ ٢٣٠.

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإيمان في الأعمال: ١/ ١٢.

(3) أنعما: أي زاد فضلًا، والحديث رواه الإمام أحمد في المسند: ٣/ ٦١.. وينظر أيضًا المسند: ٣/ ٢٧، ورواه أبو داود في كتاب الحروف، الحديث ٣٩٨٧: ٤/ ٣٤.

أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد الدمشقي، أنبأنا أبو العشائر محمد بن خليل بن فارس القيسي، أنبأنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصيصي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطربلسي، حدثنا أبو قلابة الرقاشي، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن النصر أبي عمر الخزان، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما انتفض حراء، قال: «**اسكن حراء، فما عليك إلا نبي وصدِّيق وشهيد**» وكان عليه النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن، وسعد، وسعيد بن زيد.

قال: وأنبأنا أبو الحسن خيثمة: حدثنا محمد بن عوف الطائي، وأبو يحيى بن أبي سبرة، قالا: حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك، حدثنا المعلى بن هلال، حدثنا ليث ابن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر**».

قال: وأنبأنا خيثمة، أنبأنا إبراهيم بن أبي العنيس القاضي، حدثنا عبد الله بن موسى، أنبأنا يونس بن أبي إسحاق، عن الشعبي، عن علي بن أبي طالب، قال: كنت مع النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر فقال لي النبي ﷺ: «**يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، ثم قال لي: يا علي، لا تخبرهما**».[1]

أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد وغيره بإسنادهم عن أبي عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عامر هو العقدي، حدثنا خارجة بن عبد الله، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**».

قال: وقال ابن عمر: (ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر –أو: قال ابن الخطاب – شك خارجة – إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر.[2]

وذلك نحو ما قال في أسارى بدر، فإنه أشار بقتلهم، وأشار غيره بمفاداتهم، فأنزل الله

---

(١) مضى هذا الحديث في ترجمة أبي بكر الصديق.. وتخريجه هناك.

(٢) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الحديث: ٣٧٦٥: ١٩٦٨٥.

تبارك وتعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].
وقوله في الحجاب، فأنزله الله تعالى، وقوله في الخمر [١].

قال: وأنبأنا أبو عيسى، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الله بن داود الواسطي أبو محمد، حدثني عبد الرحمن بن أخي محمد بن المنكدر، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس، بعد رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أما إنك إن قلت ذلك، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر**»[٢]. قال: وأنبأنا أبو عيسى، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا المقرئ، عن حيوة بن شريح، عن بكر بن عمرو، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان بعدي نبي لكان عمر ابن الخطاب**» [٣].

قال: وأنبأنا أبو عيسى، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب**» [٤].

قال: وأنبأنا أبو عيسى، حدثنا الحسين بن حريث، أنبأنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، حدثنا عبد الله بن بريدة، قال: سمعت بريدة، يقول: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إني كنت

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير.. عند الآية ٢١٩ من سورة البقرة: ١/ ٣٧٢، ٣٧٣، وعند الآية: ٩٠، ٩١ من سورة المائدة: ٣/ ١٧٠، ١٧١، ومجمع الزوائد، باب ما ورد من الفضل من موافقته للقرآن ونحو ذلك: ٩/ ٦٧، ٦٨.

(٢) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الحديث ٣٧٦٧: ١٠/ ١٧١، وقال الترمذي: هذا حديث غريب..

(٣) تحفة الأحوذي، الباب المتقدم الحديث: ٣٧٦٩: ١٠/ ١٧٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٤) تحفة الأحوذي الباب المتقدم الحديث ٣٧٧١: ١٠/١٧٤، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح)..

نذرت إن ردك الله سالمًا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، قال: إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها، وقعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ : **((إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسًا وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخلت أنت يا عمر فألقت الدف))**. (١)

قال: وحدثنا أبو عيسى: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: **((قد كان يكون في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب))**. (٢)

أنبأنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، أنبأنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أنبأنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم، أنبأنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدثنا محمد بن سفيان بن إبراهيم، حدثنا مسلم بن سعيد، أنبأنا مجاشع بن عمرو، حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسن: أن عمر بن الخطاب خطب إلى قوم من قريش بالمدينة، فردوه، وخطب إليهم المغيرة بن شعبة، فزوَّجوه فقال رسول الله ﷺ : **((لقد ردُّوا رجلًا ما في الأرض خيرًا منه))**.

قال: وأنبأنا أبو بكر، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن الحسن الأسدي، حدثنا عيسى بن هارون بن الفرج، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا إسحاق بن بشر، حدثنا يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه قال: أكثروا ذكر عمر، فإنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل، وإذا ذكرتم العدل ذكرتم الله تبارك وتعالى.

قال: وأنبأنا أبو بكر، حدثنا عبد الله بن إسحاق، حدثنا جعفر الصائغ، حدثنا حسين بن محمد المرودي، حدثنا فرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن

(١) تحفة الأحوذي الباب المتقدم، الحديث ٣٧٧٣: ١/١٧٧، ١٧٩، وقال الترمذي (هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة..)

(٢) تحفة الأحوذي، الباب المتقدم، الحديث: ٣٧٧٦: ١٠/ ١٨٢، ١٨٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.. (ومحدثون) يعني: مفهومون، وفي النهاية لابن الأثير، جاء في الحديث تفسيره: أُلهم الملهمون..

عمر، عن أبيه: أنه كان يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله ﷺ، فعرض لــه في خطبته أن قال: (يا سارية ابن حصن، الجبل الجبل – من استرعى الـذئب ظلـم). فتلفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال علي: صدق، والله ليخرجن مما قال. فلما فرغ من صلاته قال له علي: ما شيء سنح لك في خطبتك؟ قال: وما هو؟ قال: قولـك: (يا ساريه، الجبل الجبل، من استرعى الذئب ظلم)، قال: وهل كان ذلك مني؟ قال: نعم، وجميع أهل المسجد قد سمعوه، قال: إنه وقع في خَلَدي أن المشركين هزمـوا إخواننـا، فركبوا أكتافهم، وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا، قاتلوا من وجدوا وقد ظفـروا، وإن جاوزوا هلكوا، فخرج مني ما تزعم أنك سمعته، قال: فجاء البشير بالفتح بعد شهر، فذكر أنه سمع ذلك اليوم في تلك الساعة، حين جاوزوا الجبل صوت عمر، يقول: (يـا ساريه بن حصن، الجبل الجبل..) قال: فعدلنا إليه، ففتح الله علينا.

قال: وحدثنا أبو بكر، حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا محمد بن يحيى بـن المنـذر، حدثنا أبو عتاب سهل بن حماد، حدثنا المختار بن نافع، عن أبي حبان التيمي، عـن أبيه، عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، وحملـني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالا من ماله، رحم الله عمر، يقول الحق وإن كان مـرًا، تركه الحق، وماله من صديق**».

قال: وحدثنا أبو بكر، حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا إسحاق بن سعيد الدمشقي، حدثنا سعيد بن بشير، عن حرب بن الخطـاب، عـن روح، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: « **إن نبي الله ﷺ قال: ركب رجل بقرة، فقالت البقرة: (إنا والله ما لهذا خلقنا ! ما خلقنا إلا للحراثة)، فقال القوم: سبحان الله ! فقال النبي ﷺ: أنا أشهد، وأبو بكر وعمر يشهدان، وليسا ثَمَّ**». [1]

قال: وحدثنا أبو بكر: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا بكر بن سـهل، حدثنا عبد الغني بن سعيد، حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، عن ابن جـريج،

(١) أخرجه الترمذي بنحوه، في أبواب المناقب.. الحديث ٣٧٦٢، ٣٧٦٣: ١٠/ ١٦٦، ١٦٧، وقال (هذا حديث صحيح.. وهو محمول على أنه كان أخبرهما بذلك فصدقاه).

عن عطاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يباهي بالناس يوم عرفة عامة، ويباهي بعمر بن الخطاب خاصة**». (١)

أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب، أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج، أنبأنا الحسن بن أحمد بن شاذان، أنبأنا عثمان بن أحمد بن السماك، حدثنا أحمد بن الخليل البرجلاني، حدثنا أبو النضر المسعودي، عن أبي نشهل، عن أبي وائل، قال: قال عبد الله بن مسعود: فضلَ الناسَ عُمرُ بن الخطاب بأربع: بذكر الأسرى يوم بدر، أمر بقتلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿**لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٦٨] وبذكر الحجاب، أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت زينب: إنك علينا يا ابن الخطاب والوحي يترل في بيوتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وبدعوة النبي ﷺ: «**اللهم أيد الإسلام بعمر**»، وبرأيه في أبي بكر (٢).

أنبأنا أبو محمد، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو طالب علي بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين، أنبأنا أبو محمد بن النحاس، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي: حدثنا الغلابي —وهو محمد بن زكريا— حدثنا بشر بن حجر السامي، حدثنا حفص ابن عمر الدارمي، عن الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو، عن سويد بن غفلة، قال: مررت بقوم من الشيعة يشتمون أبا بكر وعمر وينتقصونهما، فأتيت علي بن أبي طالب، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني مررت بقوم من الشيعة يشتمون أبا بكر وعمر وينتقصونهما، ولولا أنهم يعلمون أنك تضمر لهما على ذلك لما اجترءوا عليه ! فقال علي: معاذ الله أن أضمر لهما إلا على الجميل ! ألا لعنة الله على من يضمر لهما إلا الحسن ! ثم نهض دامع العين يبكي، فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وإنه لعلى المنبر جالس، وإن دموعه لتنحدر على لحيته، وهي بيضاء، ثم قام فخطب خطبة بليغة

(١) مجمع الزوائد، باب منزل عمر عند الله ورسوله ﷺ: ٩/ ٧٠، وقال الهيثمي: (رواه الطبراني، وفيه رشدين بن سعد، وهو مختلف في الاحتجاج به).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٤٥٦، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٦٧.

موجزة، ثم قال: (ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين) بما أنا عنه مُتَنَزِّه ومما يقولون بريء، وعلى ما يقولون معاقب، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا كل مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا كل فاجر غوي، أخوا رسول الله ﷺ وصاحباه ووزيراه. الحديث.

قال: وأنبأنا أبي، أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور الفقيه، حدثنا أبو بكر الخطيب، حدثنا محمد بن أحمد بن رزق، حدثنا أحمد بن علي بن عبد الجبار بن خيرويه أبو سهل الكلواذاني، حدثنا محمد بن يونس القرشي، حدثنا روح بن عبادة، عن عوف، عن قسامة بن زهير، قال: وقف أعرابي على عمر بن الخطاب، فقال:

يا عمر الخير جُزيتَ الجنة ... جَهِّز بنياتي واكسُهُنَّه

أقسمُ بالله لتفعلنَّه

قال: وإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي؟ قال: أقسم بالله لأمضينه، قال: فإن مضيت يكون ماذا يا أعربي؟ قال:

والله عن حالي لتُسْأَلَنَّه ... ثم تكون المسألاتُ عَنَّه

والواقف المسئول بينَهُنَّه ... إما إلى نار وإمَّا جنَّة

قال: فبكى عمر حتى اختضلت لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام، اعطه قميصي هذا، لذلك اليوم لا لشعْره، والله ما أملك قميصًا غيره!

وروى زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دارها وحولها صبيان يبكون، وإذا قدْر على النار قد ملأتها ماء، فدنا عمر بن الخطاب من الباب، فقال: يا أمة الله، أيش بكاء هؤلاء الصبيان؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذه القدر التي على النار؟ فقالت: قد جعلتُ فيها ماء أُعلِّلهم بها حتى يناموا، أوهمهم أن فيها شيئًا من دقيق وسمن، فجلس عمر يبكي، ثم جاء إلى دار الصَّدقة فأخذ غرارة [1]، وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم، حتى

(١) الغرارة: بكسر الغين، وعاء من الخيش توضع فيه الحبوب.

ملأ الغرارة، ثم قال: يا أسلم، احمل عليَّ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أحمله عنـــك ! فقال لي: لا، لا أُمَّ لك يا أسلم، أنا أحمله لأني أنا المسئول عنهم في الآخرة — قـــال: فحمله على عنقه، حتى أتى به منزل المرأة — قال: وأخذ القدر، فجعل فيها شيئًا من دقيق وشيئًا من شحم وتمر، وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر - قـــال أســـلم: وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خَلَل لحيته، حتى طبخ لهم، ثم جعـــل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثم خرج وربض [١]، بحذائهم كأنه سَبُعٌ، وخفت منه أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا، ثم قال: يا أســـلم، أتـــدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين ! قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي.

(ثم) بعد ذلك يقول في (أسد الغابة..) تحت عنوان:

خلافته ﷺ وسيرته

أنبأنا محمد بن محمد بن سرايا وغير واحد بإسنادهم، عن محمد بن إسماعيـــل، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا محمد بن بشر، حـــدثنا عبيـــد الله، حدثني أبو بكر بن سالم، عن سالم، عن عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «**رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة [٢] على قليب [٣]، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًـــا [٤] أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًـــا [٥]، فلم أر عبقريًا يَفْري [٦] فريه، حتى روى الناس، وضربوا بعطَن [٧]**»- وقد ضرب

---

(١) ربض: أي: جلس كما يجلس الأسد على مقربة منهم حتى يرى ما الذي سيحدث بعد ذلك مـــن جانب الصبيان بعد أن شبعوا.. فكان ما كان..

(٢) البكرة: بفتح فسكون — الشابة من الإبل، وبفتح الباء والكاف: الخشبة المستديرة التي يعلق فيها الدلو.

(٣) والقليب: أي البئر.

(٤) الذنوب: بفتح الدال: الدلو العظيمة.

(٥) الغرب: بسكون الراء: الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور.

(٦) أي: يعمل عمله.

(٧) أي: مبرك الإبل حول الماء.

ذلك مثلًا لاتساع الناس في زمن عمر، وما فتح الله عليهم من الأمصار -.

وهذا لما فتح الله على عمر من البلاد، وحمل من الأموال، وما غنمه المسلمون من الكفار.

(وقد) ورد في حديث آخر: **((وإن وليتموها - يعني الخلافة - تجدوه قويًا في الدنيا، قويًا في أمر الله))**.

قال أحمد بن عثمان: أنبأنا أبو رشيد، أنبأنا أبو مسعود سليمان، أنبأنا أبو بكر بن مردويه الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا أبو صالح الفراء، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء - أو: عن زيد بن وهب - أن سويد بن غفلة الجعفي دخل على علي بن أبي طالب في إمارته، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما أهل له من الإسلام.. وذكر الحديث. قال: فلما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة، قال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فصلى بالناس سبعة أيام في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله نبيه ارتد الناس عن الإسلام، فقالوا: نصلي ولا نعطي الزكاة، فرضي أصحاب رسول الله ﷺ وأبى أبو بكر منفردًا برأيه، فرجح برأيه رأيهم جميعًا، وقال: **((والله لو منعوني عِقالًا [1] مما فرض الله ورسوله لجاهدتهم عليه، كما أجاهدهم على الصلاة))**.

فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا، فمضى رحمة الله عليه وترك الدنيا وهي مقبلة، فخرج منها سليمًا، فسار فينا بسيرة رسول الله ﷺ، لا ننكر من أمره شيئًا، حتى حضرته الوفاة، فرأى أن عمر أقوى عليها، ولو كانت محاباة لآثر بها ولده، واستشار المسلمين في ذلك، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، وقالوا: أتؤمر علينا من كان عَنانًا [2] وأنت حي؟ فماذا تقول لربك إذا قدمت عليه؟ قال: أقول لربي إذا قدمت عليه: إلهي أَمَّرتُ عليهم خير أهلك.

فأمر علينا عمر، فقام فينا بأمر صاحبيه، لا ننكر منه شيئًا، نعرف فيه الزيادة كل يوم في الدين والدنيا، فتح الله به الأرضين [3]، ومصَّر به الأمصار، لا تأخذه في الله

(١) العقال: بكسر العين، الحبل الذي يعقل بن البعير.

(٢) في اللسان: (فلان عنان، عن الخير: بطيء عنه).

(٣) جمع أرض، أي أن الله تعالى أتم في خلافته الفتوحات الإسلامية في جميع الأراض..

لومة لائم، البعيد والقريب سواء في العدل والحق، وضرب الله بالحق على لسانه وقلبه، حتى إن كنا لنظن أن السكينة تنطق على لسانه، وأن مَلكًا بين عينيه يسدده ويوفقه، الحديث.

قال: وأنبأنا ابن مردوديه، حدثنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن القاسم البزار، حدثنا يحيى بن مسعود، حدثني عبد الله بن محمد بن أيوب، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن الهاشمي، عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب، قال: إن الله جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة، فسبقا والله سبقًا بعيدًا، وأتعبا والله من بعدهما إتعابًا شديدًا، فذكرهما حُزْن للأمة، وطعْن على الأمة.

أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله إذنًا، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا الحسن بن علي، أنبأنا أبو عمر، أنبأنا أبو الحسن، أنبأنا الحسين بن القهم، حدثنا محمد ابن سعد، حدثنا محمد بن عمر، حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سكمة بن عبد الرحمن، قال: وأخبرنا بردان بن أبي النضر، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، قال: وأنبأنا عمرو بن عبد الله بن عنبسة، عن أبي النضر، عن عبد الله البهي —دخل حديث بعضهم في بعض — أن أبا بكر الصديق لما مرض دعا عبد الرحمن —يعني ابن عوف — فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟

فقال عبد الرحمن: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني ! قال أبو بكر: وإن[1]! فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه — ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: أنت أخبرنا به ! فقال: عليّ ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله ! فقال أبو بكر: يرحمك الله ! والله لو تركته ما عَدوتُك، وشاور معهما سعيد بن زيد أبا الأعور، وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: (اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضى، ويسخط للسخط، الذي يُسرُّ خير من الذي يُعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه)، وسمع بعض أصحاب رسول الله ﷺ بدخول عبد الرحمن، وعثمان، على أبي بكر وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل

(١) أي: وإن كنت أعلم عنه الكثير.. فإنني أريد رأيك فيه.

منهم: (ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته؟) فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفونني؟ خاب من تزوَّد من أمركم بظلم، أقـول: (اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت لك من وراءك) ثم اضـطجع، ودعا عثمان بن عفان، فقال: اكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيهـا، حيث يؤمن الكافر، ويُوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، أنني استخلفت عليكم بعـدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله، ورسوله، ودينـه، ونفسـي، وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظني به، وعلمي فيه، وإن بَدَّل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت، ولا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. والسلام عليكم ورحمة الله).

ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم أمره فخرج بالكتاب مختومًا ومعه عمر بن الخطـاب، وأسد بن سعية القرظي، فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم، وقال بعضهم: قد علمنا به — قال ابن سعد: على القائل — وهو عمر، فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به وبايعوا، ثم دعا أبو بكر عمر خاليًا فأوصى بما أوصاه به، ثم خـرج فرفع أبو بكر يديه مدًّا، ثم قال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت علـيهم خيرهـم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما فيه رشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضرني، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، وأصبح لهم ولاتهـم، واجعلـه مـن خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده، وأصلح له رعيته [1].

وروى صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، أنه دخـل على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مفيقًا، فقال له عبد الرحمن: أصـبحت بحمد الله بارئًا، فقال أبو بكر: تراه؟ قال: نعم، قال: إني على ذلك لشديد الوجـع، وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي، إني وليت أمركم خيركـم

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/ ١٤١، ١٤٢.

في نفسي، فكلكم ورم من ذلك أنفه، يريد أن يكون الأمر له، قد رأيتم الدنيا قد أقبلت ولا تقبل، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألموا من الاضطجاع على الصوف الأذربي [١]، كما يألم أحدكم أن ينام على حسك [٢] السعدان.

أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو الحسين بن النقور، أنبأنا عيسى بن علي، أنبأنا أبو القاسم البغوي، حدثنا داود بن عمرو، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية عن الصامت بن بهدام، عن يسار، قال: لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة ، فقال: يا أيها الناس، إني قد عهدت عهدًا أفترضون به؟ فقال الناس: قد رضينا يا خليفة رسول الله، فقال علي: لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب.

أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي، أنبأنا الشريف أبو طالب علي بن حيدرة بن جعفر العلوي الحسيني، وأبو القاسم الحسين بن الحسن ابن محمد الأسدي، قالا: أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان القاسم، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة، حدثنا سليمان بن عبد الحميد المهراني، أنبأنا عبد الغفار بن داود الحراني، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، عن سليمان بن أبي خيثمة، عن جدته الشفاء —وكانت من المهاجرات الأول — وكان عمر إذا دخل السوق أتاها، قال: سألتها مَن أول من كتب: (عمر أمير المؤمنين)؟ قالت: كتب عمر إلى عامله على العراقيين: (أن ابعث إلي برجلين جلدين نبيلين، أسألهما عن أمر الناس)، قال: فبعث إليه بعَديّ بن حاتم، ولبيد بن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد، فاستقبلا عمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، وهو الأمير، ونحن المؤمنون، فانطلقت حتى دخلت على عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال: لتخرجن مما قلت أو لأفعلن ! قلت: يا أمير المؤمنين، بعث عامل العراقيين بعدي بن حاتم، ولبيد

(١) الأذربي: منسوب إلى أذربيجان، على غير قياس.

(٢) الحسك: نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل، ومنه حسك السعدان..

ابن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم استقبلاني فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما، اسمه هو الأمير، ونحن المؤمنون.

وكان قبل ذلك يكتب: (من عمر خليفة خليفة رسول الله ﷺ)، فجرى الكتاب: (من عمر أمير المؤمنين) من ذلك اليوم.

وقيل: إن عمر قال: إن أبا بكر كان يقال له: (يا خليفة رسول الله)، ويقال لي: يا خليفة خليفة رسول الله)، وهذا يطول، أنتم المؤمنون وأنا أميركم.

وقيل: إن المغيرة بن شعبة قال له ذلك، والله أعلم.

(ثم) بعد ذلك يقول في (أُسْد الغابة..) تحت عنوان:

سيرته ﷺ

(وأما) سيرته فإنه فتح الفتوح ومَصَّر الأمصار، ففتح العراق، والشام، ومِصْر، والجزيرة، وديار بكر، وأرمينية، وأذربيجان، وأرانيه، وبلاد الجبال، وبلاد فارس، وخوزستان، وغيرها.

(وقد) اختلف في خراسان، فقال بعضهم: فتحها عمر، ثم انتقضت بعده ففتحها عثمان، وقيل: إنه لم يفتحها، وإنما فتحت أيام عثمان، وهو الصحيح.

(وأدرَّ) العطاء على الناس [1]، ونزل نفسه بمترلة الأجير وكآحاد المسلمين في بيت المال، ودَوّن الدواوينَ، ورتَّبَ الناسَ على سابقتهم في العَطاء والإذْن والإحْرام، فكان أهلُ بدر أولَ الناس دُخُولا علَيه، وكان عليٌّ أولَهُم. وكذلك فعل بالعَطاء، وأثبت أسماءَهُم في الديوان على قربهم من رسول الله ﷺ، فبدأ ببني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب.

أنبأنا القاسم بن علي بن الحَسن إجازة، أنبأنا أبي، أنبأتنا فاطمة بنتُ الحَسين بن الحسن بن فَضْلَويه، قالت: أنبأنا أبو بكر أحمد بن الخطيب، أنبأنا أبو بكر الحَيْري، أنبأنا أبو العباس الأصَم، أنبأنا الربيع، قال: قال الشافعي: أخبرني عَمِّي محمد بن علي

---

(١) أي: جلب الخير لهم بعدله وفتوحاته.

ابن شافع، عن الثقة- أحسبه محمد بن علي بن الحسن أو غيره — عن مولي لعثمان بن عفان، قال: بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية [1] في يوم صائف، إذ رأي رجُلا يسوق بَكْرَيْن [2]، وعلى الأرض مثل الفراش من الحرِّ، فقال: ما علي هذا لو أقام بالمدينة حتى يَبْرُدَ ثم يَرُوح. ثم دنا الرجل فقال انظر مَن هذا؟ فنظرتُ، فقلت: أرى رجُلا مُعْتَمًّا بردَائه، يَسُوقُ بكْرَيْن. ثم دَنَا الرجُلُ فقال: انظر. فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب، فقُلتُ: هذا أميرُ المؤمنين. فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا نفح السَّموم، فأعاد رأْسَه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكْرَان من إبل الصَّدقة تَخلَّفَا، وقد مُضيَ بإبل الصَّدقة، فأردتُ أن أُلْحقَهُمَا بالحمىَ، وخَشيتُ أن يضيعَا، فَيسْألني الله عنهما فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هَلُمَّ إلى الماء والظِّلِّ ونكفيك. فقال: عُدْ إلى ظلِّك فقلت: عندنا مَن يكفيك! فقال: عد إلى ظلك. فمضى، فقال عثمان: مَنْ أحبَّ أن ينظر إلى القويِّ الأمين فلينظر إلى هذا! فعاد إلينا فألقي بنفسه.

روى السَّريِّ بن يحيى، حدثنا يحيي بن مُصْعَب الكَلْبي، حدثنا عمر بن نافع الثقفي، عن أبي بكر العَلْبي، قال: دخلتُ حين الصدقة مع عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، فجلس عثمان في الظل، وقام عليٌّ علي رأسه يُملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بُردَان سَوْدَاوَان، مُتَّزِرٌ بواحد وقد وضع الأُخري علي رأسه، وهو يتفقد إبل الصدقة، فيكتب ألوانها وأسنانها. فقال عليٌّ لعثمان: أما سمعت قول ابنت شعيب في كتاب الله عز وجل. ﴿**إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ [القصص: ٢٦].

أنبأنا غير واحد إجازة، عن أبي غالب البناء، أنبأنَا أبو علي الحسن بن محمد بن فهد العلاف، حدثنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حماد الموصلي،

---

(١) العالية: كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قُراها وعمائرها إلى تهامة العالية، وما كان دون ذلك السافلة.

(٢) البكر: – بفتح الباء وسكون الكاف — أي الفتي من الإبل.

حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام، حدثنا موسي ابن داود الضَّبِّيّ، أنبأنا محمد بن صبيح، عن إسماعيل بن زياد، قال: مَرَّ عليُّ بن أبي طالب علي المساجد في شهر رمضان، وفيها القناديل، فقال: نوَّر الله علي عُمر قبره، كَمَا نَوَّر علينا مَسَاجدنَا.

وروي حماد بن سلمة، عن يحيي بن سعيد، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلي مكة، فما ضرب فِسْطَاطًا ولا خباءً حتي رجع. وكان إذا نزل يُلْقَي له كَسَاءٌ أو نِطْعٌ [1] علي الشجر، فيسْتظِلُّ له.

وروي موسي بن إبراهيم المروزي، عن فضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد قال: أنفق عُمر بن الخطاب في حَجَّة حَجَّهَا ثمانينَ درهَمًا من المدينة إلي مكة، ومن مكة إلي المدينة، قال: ثم جَعَل يتأسَّفُ ويضربُ بيده علي الأخرى، ويقول: ما أخلقنا أن نكون قد أسْرفْنَا في مال الله تعالي [2].

أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم إذنًا، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو غالب بن البناء، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حَيُّويه، وأبو بكر بن إسماعيل قالا: أنبأنا يحيي بن محمد، أنبأنا الحسين بن الحسن، أنبأنا ابن المبارك، عن مالك بن مِغْول: أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال: حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، فإنه أهون — أو قال: أيسر— لحسابكم، وزنُوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا، وتجهَّزُوا للعرض الأكبر: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٨].

(ثم) بعد ذلك يقول في (أُسد الغابة..): وله في سيرته أشياء عجيبة عظيمة، لا يستطيعها إلا من وفقه الله تعالى، فرضى الله عنه وأرضاه، بِمَنِّه وكرمه.

(ثم) يقول بعد ذلك تحت عنوان:

مقتله ﷺ

أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الشافعي، أنبأنا أو العشائر محمد بن خليل، أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن

(١) النطع-بكسر النون، وسكون الطاء، وبفتح فسكون وبفتحتين، وبكسر ففتح — بساط من الجلد.
(٢) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/١/٢٢٢.

عثمان، أنبأنا أبو الحسن الهاشمي، حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زُرَيْع، حدثنا قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ صعد أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فضربه برجله وقال: اثْبتْ أُحُد، فما عليك إلا نَبي وصِدِّيق وشهيدان [١].

أنبأنا القاسم بن علي بن الحسن كتابة، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو محمد بن طاوس، أنبأنا طراد بن محمد — وأنبأنا به عاليا أبو الفضل عبد الله بن أحمد، أنبأنا طراد بن محمد إجازة إن لم يكن سماعًا، أنبأنا الحسين بن بشران، أنبأنا أبو علي بن صفوان، أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، عن يحيى بن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب لما نَفر من مِنًى أناخ بالأبطح، ثم كَوَّم كومَةً من البَطْحَاء[٢]، فألقى عليها طرف ردائه، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم كبُرتْ سِنّي، وضُعُفَت قُوَّتي، وانتشرت رعِيَّتي، فاقبضني إليك غير مُضَيَّع ولا مُفَرِّط! فما انسلخ ذو الحجة حتى طُعِن فمات [٣].

(ثم) بعد ذلك بخبر واحد، يقول في (أُسد الغابة..)[٤].

أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الفقيه بإسناده عن أبي يعلي، حدثنا أحمد بن إبراهيم البكرى، حدثنا شبابة بن سوَار، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان ابن أبي طلحة اليعمري قال: خطب عمر الناس، فقال: رأيتُ كأنَّ ديكًا نقرني نقرة أو نقرتين، ولا أدري ذلك إلا لحضور أجَلى، فإن عجل بي أمر فإن الخلافة شورى في هؤلاء الرهْط الستة الذين تُوُفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ[٥].

وأنبأنا أحمد بن عثمان، أنبأنا أبو رُشَيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أنبأنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم، أنبأنا أبو بكر بن مَرْدُويه، حدثنا عبد الله بن إسحاق،

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه سلم نحى مسدد، عن يزيد بن زريع بإسناده: ٥/١٤.

(٢) الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.

(٣) هذا الأثر في الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/١/ ٢٤٢،٢٤١.

(٤) ص ١٧٤، ج ٤.

(٥) رواه الإمام أحمد من عدة طرق عن قتادة بإسناده، ينظر المسند: ١/٢٧،١٥، ٤٨.

حدثنا محمد بن الجهْم السمرى، حدثنا جعفر بن عون، أنبأنا محمد بن بشـــر، عـــن مِسْعَر بن كدام، عن عبد الملك بن عمير، عن الصقر بن عبد الله، عن عروى، عـــن عائشة قالت: بكت الجن على عمر قبل أن يموت بثلاث، فقالت [1].

أبعـــد قتيـــل بالمدينـــة أصـــبحت	له الأرض تهتز العضاه [2] بأســـوق [3]
جزى الله خيرًا مـــن أمـــير وباركـــت	يـــــد الله في ذاك الأديم الممـــــزق
فمن يسع أو يركـــب جنـــاح نعامـــة	ليدرك ما قـــدمت بـــالأمس يُســـبق
قضيت أمـــورًا ثم غـــادرت بعـــدها	بوائـــق[4] في أكمامهـــا لم تفتـــق
فما كنت أخشـــى أن يكـــون مماتـــه	بكفي سبنتى أخضـــر العـــين مُطـــرق

قيل: إن هذه الأبيات للشماخ، أو لأخيه مُزَرِّد.

أنبأنا مسمار بن عمر بن العُوَيْس النَّيار وأبو عبد الله الحسين بن أبي صـــالح بـــن فناخسْروا وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو عوانة، عن حُصين، عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يُصاب بأيام بالمدينـــة، وقـــف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنَيْف، قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قـــد حَمَّلْتُما الأرض ما لاَ تُطيق؟ قالا: لا. فقال عمر: لئن سلَّمني الله لأدعَنَّ أراملَ أهـــل العراق لا يَحتجْن على رجل بعدي أبدًا — قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أُصيبَ— قال: إني لقائم ما بيْني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أُصيب، وكان إذا مَـــرَّ بـــين الصَّفَّين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهنَّ خَلَلًا تقدم فكبَّرَ، وربما قرأ بسورة (يوسف) أو (النحل) أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هـــو إلا أن كَبَّـــر فسمعته يقول: قتلني — أو أكلني الكلب- حين طعنه، فطار العلجَ [5] بســـكين ذات طرفين، لا يَمُرُّ على أحد يمينًا وشمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجُلًـــا مـــات

(١) ينظر الأبيات في الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣ /٢٧٢/١، ٢٤١...
(٢) العضاه: جمع عضاهة، وهي أعظم الشجر.
(٣) وأسوق جمع ساق.
(٤) البوائق: جمع بائقة وهى الداهية.
(٥) العلج: كل جاف شديد من الرجال (المعجم الوجيز) ص ٤٣٠.

منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنُسًا [١]، فلما ظَنَّ العلْجُ أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فَقَدَّمه [٢]، فمن يلي عمر، فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: (سبحان الله، سبحان الله) فصَلَّى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا بن عباس، انظر من قتلني فجال ساعة، ثم جاء المسجد فقال: غُلام المغيرة بن شعبة قال: الصَّنَع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله! لقد أمرتُ به معروفًا! الحمد الله الذي لم يجعل مَنِيَّتي بيد رجل يَدَّعي الإسلام، قد كنتَ أنت وأبوك تُحبَّان أن يكثر العلوج بالمدينة — وكان العباس أكثرهم رقيقًا — فقال: إن شئتَ فعلتُ؟ أي: إن شئتَ قتلنا. فقال: كذبت! بعد ما تكلموا بلسانكم، وصَلُّوا قبلتكم وحَجُّوا حَجَّكمْ. واحتُمِل إلى بيته، فانطلقا معه، وكأنَّ الناس لم تُصبْهُم مصيبة. قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس. وقائل يقول: أخاف عليه. فأُتي بنبيذ [٣] فشربه، فخرج من جوفه. ثم أُتي بلبن فشربه، فخرج من جوفه. فعرفوا أنه ميتٌ. فدخلنا عليه وجاء الناس يُثْنون عليه، وجاء غلام شاب فقال: أبشر — يا أمير المؤمنين— ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقَدم في الإسلام ما قد علمتَ، ثم وَليتَ فعَدلْتَ، ثم شهادةً. قال ودِدْتُ أن ذلك كَفَافًا، لا عَلَيَّ ولا ليَّ. فلمَّا أدبَرَ إذا إزارهُ يمسُّ الأرضَ. قال: رُدُّوا علَّي الغلام، قال: يا بن أخي، ارفع لثوبك، واتقي لربك، يا عبد الله ابن عمر، انظر ما عليَّ من الدَّيْن. فحسبوه فوجدوه ستَّةً وثمانين ألفًا أو نحوه — قال: إن وَفَى له مال آل عُمر فأدِّه من أموالهم ،وإلاَّ فَسَلْ في قُريش، ولا تَعْدُهم إلى غيرهم، فأدَّ عنَّي هذا المال. وانطلق إلى عائشة أُمِّ المؤمنين فقل لها. يقرأ عليك عُمر السلام — ولا تقل: (أمير المؤمنين) فإني لستُ اليوم للمؤمنين أميرًا — وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه. فسَلَّم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال. يقرأ عليك عمر السلام،

(١) (البُرنُس): كل ثوب رأسه منه ملتزق به (المعجم الوجيز) ص ٤٧.
(٢) أي: لكي يستكمل الصلاة بالناس.. على سبيل الاستخلاف..
(٣) وهو: غير مسكر.. فهو تمر منبوذ حتى صار نبيذًا.

ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أُريده لنفسي، ولأُوثِرنَّ به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني. فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحبُّ، قد أذنَتْ. قال: الحمد لله، ما كان شيء أَهَمُّ إلي من ذلك، فإذا أنا قُبضْتُ فاحملوني، ثم سَلَّم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنَتْ فأدخلوني، وإن ردَّتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أُم المؤمنين حَفْصة، والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فَولَجتْ عليه فبكَتْ عنده ساعة، واستأذن الرجال، فَولَجت داخلًا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوصي يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر — أو: الرهط— الذين تُوُفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فَسَمَّى: عليًّا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن ابن عوف، وقال: يَشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له — فإذا أصابت الإمْرةُ سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعنْ به أيُّكم مَا أُمِّرَ، فإني لم أعزِلْه من عجز ولا خيانة.. وذكر الحديث[1]...

وروى سماك بن حرب، عن عباس أن عمر قال لابنه عبد الله: خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب، لعل الله يرحمني! وويل لي وويل لأُمِّي إن لم يرحمني الله عز وجل! فإذا أنا متُّ فاغمض عينَيَّ، واقصدُوا في كَفَني، فإنه إن كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه، وإن كنتُ على غير ذلك سَلَبني فأسْرع سَلبي، وأنشد:

ظلوم لنفسي غير أني مسلم أُصلي الصلاة كُلَّهَا وأصومُ

أنبأنا أبو محمد، أخبرنا أبي، أنبأتنا أُمُّ المجتبي العلوية، قالت: قرأ على إبراهيم بن منصور، أخبرنا أبو محمد بن المقرى، أنبأنا أبو يعلي، أنبأنا أو عباد قطن بن نُسَير الغُبَرى، أنبأنا جعفر بن سليمان، حدثنا ثابت، عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة عبدًا للمغيرة بن شُعبة، وكان يصنع الأرحَاء[2]، وكان المغيرة يستغله كُلَّ يوم أربعة دراهم، فَلَقِي أبو لؤلؤة عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل عَلَى غلَّتي،

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، فضائل أصحاب النبي ﷺ.. ٥/١٩/٢١.
(٢) الأرحاء: جمع رحًا، وهي التي يطحن بها.

فكَلِّمْهُ يُخَفِّفُ عنِّي. فقال له عمر: اتق الله، وأَحْسِنْ إلى مولاك – ومن نيَّة عمــر أن يلْقي المغيرة فيُكلمه: يخفف عنه، فغضب العبد وقال، وسِعَ الناسَ كُلَّهم عدلَه غيرى، فأَضْمَرَ على قتله، فاصطنع له خنْجَرًا له رأسان، وشحذَه وسَمَّهُ، ثم أتى به الهرمذان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب به أحدًا إلا قتله فتحيَّن أبو لؤلــؤة عمر، فجاءه في صلاة الغَداة [1] حتى قام وراءَ عمر – وكان عمر إذا أُقيمت الصلاة يقول: (أقيموا صُفوفكم)، فقال: كما كان يقول، فلما كَبَّر: ووجَأه [2] أبو لؤلــؤة في كتفه، ووجأه في خاصرته وقيل: ضربه ست ضربات، فسقط عمر، وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلًا، فهلك منهم سبعة، وأفرق[3] منهم ستة، وحُمل عمر فذُهب به.

وقيل: إن عمر قَال لأبي لؤلؤة: ألا تصنع لنا رَحًا؟ قال: بَلى، أصنع لك رحًا يتحدث بها أهل الأمصار. ففزع عمر من كلمته، وعليٌّ معه، فقال علي: إنه يتوعَّدُك يا أمير المؤمنين.

قال: وأنبأنا أبي، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أبو محمد الجــوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيوية، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن محمد، حدثنا محمد ابن سعد، أنبأنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل بن يونس، عن كــثير النَّــواء، أبي عُبَيد، مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فقام وقمتُ معه، حــتى دخلنا عليه البيت الذي هو فيه، فقال: ما هذا الصوت؟ فقالت لــه امــرأة: سَــقاه الطبيب نبيذًا ، وسقاه لبنًا فخرج وقال: لا أرى أن تُمسيَ فما كنتَ فاعلًا فافعــلْ. فقالت أُمُّ كلثوم: واعُمراه! وكان معها نسوة فبكيْن معها، وارتجَّ البيتُ بُكاءً، فقال عمر: والله لو أنَّ لي ما على الأرض من شيء لافتديتُ به من هول المُطَّلع. فقال ابن عباس: والله إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار مــا قــال الله تعــالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾ [مريم: ٧١]، إن كنت – ما علمنا – لأمير المؤمنين، وأمين المؤمنين، وســيد المؤمنين، تقضي بكتاب الله، وتُقْسِمُ بالسَّوية. فأعجبه قولي، فاستوى جالسًا، فقال:

---

(١) أي: صلاة الصبح.

(٢) وجأه: أي ضربه.

(٣) أي: نجا، وبرئ.

أتشهد لي بهذا يا ابن عباس؟ قال. فَكَفَفْتُ، فضرب على كتفي، فقال: اشـــهد [١]. فقلت: نعم، أنا أشهد [٢].

ولما قضى عمر رضي الله عنه، صلَّى عليه صُهيبٌ، وكبَّر عليه أربعًا.

(ثم) يقول في (أُسد الغابة..) بعد خبر واحد [٣]: ولَمَّا تُوُفِّي عمر صُـلِّيَ عليـه، وحُمِلَ على سرير رسول الله ﷺ، وَغَسَّلَهُ ابنه عبد الله، ونزل في قبره ابنه عبـد الله، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد بن عوف.

روى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه، أنه قال: طُعِنَ عمـر يـوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، ودُفِنَ يـوم الأحـد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين، وخمسة أشـهر، وأحَدًا وعشرين يومًا.

وقال عثمان بن أحمد الأخنسي: هذا وهْم، تُوُفِّي عمر لأربع ليالٍ بقين مـن ذي الحجة، وبُويع عثمان يوم الإثنين لليلة بقيت من ذي الحجة.

وكانت خلافته عشر سنين، وستة أشهر، وخمس ليالٍ، وتوفيّ وهو ابـن ثـلاث وستين سنة، وقيل: كان عمره خمسًا وخمسين سنة، والأول أصح ما قيل في عمر.

وكان عمر أعسَرَ يَسَرَ: يعمل بيديه. وكان أصلع طويلًا، قد فـرعَ [٤] النـاس، وكأنه على دابة.

وقال الواقدي: كان عُمر أبيض أمهق[٥]، تعلوه حُمرة، يُصَفِّر لحيته، وإنما تغير لونه عام الرَّمَادة[٦] لأنه أكثر أكل الزيت، لأنه حرم على نفسه السمنَ واللبن حتى يخصب الناس، فتغير لونه.

---

(١) في الطبقات الكبرى لابن سعد اشهد لي بهذا يا بن عباس؟

(٢) الطبقات الكبرى: ٣/١/٢٥٥.

(٣) ص ١٧٩.

(٤) أي: علاهم.

(٥) الأمهق: الأبيض لا يخالطه حمرة، ولكن قد وُصف بعد بأنه تعلوه حمرة...

(٦) كان ذلك عام السابعة عشرة من الهجرة، قحطَ الناس بالحجاز. ينظر العبرة للذهبي: ١ /٢٠

وقال سماك: كان عمر أروَح كأنه راكب، وكأنه من رجَال بني سدوس. والأروح: الذي يتدانى قدماه إذا مشى.

وقال أنس: كان عمر يخضب بالحناء بحتًا.

وهو أول من اتخذ الدِّرَّة، وأول من جمع الناسَ على قيام رمضان، وهو أول مَن سُمِّي (أمير المؤمنين)، وأكثر الشعراء مَراثيه، فمن ذلك قول حسَّان بن ثابت الأنصاري:

ثلاثةٌ برزوا بفضلهم نضَّرهم ربهم إذا نشروا
فليس من مؤمن له بصَرٌ ينكر تفضيلهم إذا ذُكروا
عاشوا بلا فرقة ثلاثتهم واجتمعوا في الممات إذا قُبروا [1]

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت زوج عمر بن الخطاب:

عين جودى بعبرة ونحيب لا تملّي على الإمام النَّجيب
فجعتني المنونُ بالفارس المعلَم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيْث المشاب والمحروب

تعليق

(هذا) وإذا كان هناك تعليق على هذه الترجمة العَطِرة التي ستظل نسعد بدراستها والعمل على نشر ما فيها من المواعظ الإيجابية، والإشارات النورانية. (فإنه) حَسْبي أن أختم على سبيل التعليق الجامع: بالقصيدة العُمرية التي ألقاها شاعر النيل (حافظ إبراهيم) تحت عنوان: (عُمريَّةُ حافظ) عَمد فيها إلى تعدد مناقب عمر أمير المؤمنين، وهَاكَ نصُّها:

عمر بن الخطاب:

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها أني إلى ساحة (الفاروق) أهديها
لا هُم [2]، هب لي بيانًا أستعين به على قضاء حقوق نام قاضيها
قد نازعتني نفسي أن أوفيها وليس في طوق [3] مثلي أن يوفيها

(١) إنه يعني الرسول ﷺ وصاحبه الصديق، وصاحبه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فالثلاثة في مقبرة واحدة، وفي حفر متجاورة..
(٢) لاهم: أي: اللهم.
(٣) الطوق: الجهد والطاقة.

فمر سريّ المعـــاني[1] أن يُـــواتني [2] فيها فـــإني ضـــعيف الحـــال واهيهـــا

١- مقتل عمر

مولى المغيرة [3] لا جادتك [4] غادية [5] من رحمة الله مـــا جـــادت غواديهـــا

مزقت منه أديمـــا [6] حشـــوه همَـــم في ذمـــة الله عاليهـــا وماضـــيها [7]

طعنت خاصرة [8] (الفاروق) منتقمًـــا مـــن الحنيفـــة في أعلـــى مجاليهـــا [9]

وأصبحت دولـــة الإســـلام حـــائرة تشكو الوجيعة لما مـــات آســـيها [10]

مضى وخلفها كالطود [11] راســـخة وزان بالعدل والتقـــوى مغانيهـــا [12]

تنبو [13] المعاول عنها وهـــي قائمـــة والهـــادمون كـــثير في نواحيهـــا

حـــتى إذا مـــا تولاّهـــا مُهـــدمها صاح الـــزوال بهـــا فاندكَّ عاليهـــا

واهًا على دولة بالأمس قـــد مـــلأت جوانب الشرق رغدًا من أياديهـــا [14]

كم ظللتها [15] وحاطتـــها بأجنحـــة عن أعين الدهر قد كانـــت تواريهـــا

من العناية قد ريشـــت قوادمهـــا [16] ومن صميم التقى ريشت خوافيها [17]

---

(١) ري المعاني: شريفها ورفيعها.
(٢) يواتيني: أي يطيعني ويمدني.
(٣) هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسي الأصل.
(٤) جادتك: أي أمطرتك.
(٥) والغادية: السحابة تنشأ غدوة، والجمع: غوادي.
(٦) الأديم: الجلد.
(٧) وعاليها وماضيها: يصف همة عمر بالرفعة والمضاء.
(٨) لخاصرة: الخصر.
(٩) وفي أعلى مجاليها: أي في أوضح مظاهرها.
(١٠) الآسي: الطبيب.
(١١) الطود: الجبل العظيم.
(١٢) المغاني: المنازل، الواحد: مغني.
(١٣) تنبو: تكل وترتد.
(١٤) الأيادي: النعم.
(١٥) كم ظللتها: أي أن هذه الدولة ظللت جوانب الشرق.
(١٦) القوادم: عشر ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش، الواحدة: قادمة.
(١٧) والخوافي: صغار الريش، وهي تحت القوادم.

والله ما غالها [1] قــدمًا وكــاد لهــا ... واجتثَّ [2] دوحتها [3] إلا مواليها [4]
لو أنها في صميم العُرب قــد بقيــت ... لمــا نعاهــا علــى الأيــام ناعيهــا
ياليتــهم سمعــوا مــا قالــه (عمــر) ... والروح قد بلغــت منــه تراقيهــا [5]
لا تكثروا من مــواليكم فــإن هــم ... مطامعًا، بَســماتُ الضــعف تخفيهــا

٣- إسلام عمر

رأيــت في الـــدين آراءً موفقـــة ... فـــأنزل الله قرآنـــا يزكيهـــا [6]
وكنــت أول مــن قــرت بصــحبته ... عــين الحنيفــة واجتــازت أمانيهــا
قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها ... بنعمة الله حصْــنًا مــن أعاديهــا [7]
خرجت تبغــي أذاهــا في (محمــدها) ... وللحنيفـــة جبـــار يواليهـــا [8]
فلم تكــد تســمع الآيــات بالغــة ... حتى انكفأت[9] تناوي[10] من يناويها
سمعت (ســورة طـــه) مــن مرتلــها ... فزلزلت نية قــد كنــت تنويهــا [11]
وقلت فيهــا مقالًــا لا يطاولــه [12] ... قول المحب الذي قد بات يطريها [13]
ويوم أسلمت عــز الحــق وارتفعــت ... عن كاهل [14] الدين أثقــال يعانيهــا
وصاح فيه (بلال) [15] صيحة خشعت ... لهــا القلــوب ولَبَّــت أمــر باريهــا
فأنت في زمــن (المختــار) منجــدها ... وأنت في زمن (الصديق) منجيهــا [16]

---

(١) غالها: اغتالها وأهلكها.
(٢) احتثت: استأصل.
(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل، والجمع: دوح.
(٤) الموالي: غير العرب.
(٥) بلغت روحه التراقي: إذا شارف الموت. والتراقي: أعالي الصدر حيث يترقى النفس.
(٦) يزكيها: يعززها ويؤيدها، حين كان يرى الرأي فيتزل به القرآن، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية.
(٧) يشير الشاعر بهذا البيت إلى ما عرف عن عمر من شدته على النبي والمسلمين قبل إسلامه...
(٨) يواليها: يناصرها، وهو الله تعالى..
(٩) انكفأ: رجع.
(١٠) وتناويء: أي تعادي.
(١١) يريد (النية) التي كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيذاء رسول الله ﷺ
(١٢) لا يطاوله: أي لا يغلبه.
(١٣) وإطراء يطريه: أحسن الثناء عليه، وبالغ في مدحه.
(١٤) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.
(١٥) بلال هو ابن رباح رضي الله عنه.
(١٦) إنه في هذا البيت يشير إلى الخلاف الذي حسمه عمر يوم السقيفة بمناصرته لأبي بكر.

كم استراك [1] رسـول الله مغتبطًا — بحكمة لك عند الـرأي يلفيهـا [2]

٣- عمر وبيعة أبي بكر

وموقف لك بعد (المصطفى) افترقـت — فيه الصحابة لـما غـاب هاديهـا [3]

بايعـت فيـه (أبـابكر) فبايعـه — علـى الخلافـة قاصـيها ودانيهـا

وأطفئت فتنة لـولاك لاسـتعرت [4] — بـين القبائـل وانسـابت أفاعيهـا

بات الـنبي مسَـجًّى [5] في حظيرتـه — وأنـت مسـتعر الأحشـاء داميهـا

تهيم[6]بين عجيج [7] الناس في دهـش — من نبأة[8] قد سرى في الأرض ساريها

تصيح:من قـال في نفـسُ المصـطفى — علوت هامتـه [9] بالسـيف أبريهـا

أنسـاك حبـك (طـه) أنـه بشـر — يجري عليه شـئون الكـون مجريهـا

وأنـه وارد لابـد مـورده — مـن المنيـة لا يعفيـه سـاقيها

نسيت في حـق (طـه) آيـة نزلـت — وقـد يـذكر بالآيـات ناسـيها

ذهلت يومًا فكانت فتنـة عمـم [10] — وثاب رشدك فانجابت [11] دياجيهـا

فللسـقيفة يـوم أنـت صـاحبه — فيه الخلافة قد شيدت أواسـيها [13]

مدت لها (الأوس) كفا كـي تناولهـا — فمدت (الخزرج) الأيدي تباريهـا [14]

وظن كل فريـق أن صـاحبهم [15] — أولى بهـا، وأتـى الشـحناء آتيهـا

---

(١) استراك: أصلها استراءك، أي طلب رأيك.
(٢) يلفيها: أي يجدها.
(٣) إنه أيضًا في هذا البيت يشير إلى ما حدث من خلاف يوم السقيفة.
(٤) استعرت: اتقدت. والأفاعي: جمع أفعى.
(٥) سجاه الموت: مد عليه ثوبه وغطاه به.
(٦) هام يهيم: ذهب على وجهه لا يدري أين يذهب.
(٧) العجيج: الصياح ورفع الصوت.
(٨) النباة: الصوت الخفي.. يريد نبأ وفاة النبي ﷺ.
(٩) الهامة: الرأس.
(١٠) عمم: عامة.
(١١) انجابت: أي انقشعت وزالت.
(١٢) والدياجي: أي الظلمات.
(١٣) الأواسي: جمع آسية، وهي العمود
(١٤) الضمير في (لها) و(تناولها) للخلافة، والأوس والخزرج: قبيلتا الأنصار، وتباريهـا: أي تنازعهـا الغلبة على الخلافة.
(١٥) صاحبهم: أي الذي نصبوه للخلافة منهم.

حتى انبريت لهم فارتد طامعهم … عنها وأخَى (أبو بكر) أواخيها [١]

٤- عمر وعلي:

وقولة (لعلي) قالها (عمر) … أكرم بسامعها، أعظم بملقيها!

حرقت دارك لا أبقي عليك بها … إن لم تبايع، وبنت المصطفى فيها [٢]

ما كان غير (أبي حفص) يفوه بها … أمام فارس (عدنان) وحاميها [٣]

كلاهما في سبيل الحق عزمته … لا تنثني أو يكون الحق ثانيها

فاذكرهما وترحم كلما ذكروا … أعاظمًا أُلِهُوا في الكون تأليها [٤]

٥- عمر وجبلة بن الأيهم:

كم خفت في الله مضعوفًا[٥] دعاك به[٦] … وكم أخفت قويًا ينثني تيها [٧]

وفي حديث فتى غسان [٨] موعظة … لكل ذي نعرة [٩] يأبى تناسيها

فما القوي قويًّا رغم عزته … عند الخصومة (والفاروق) قاضيها

وما الضعيف ضعيفًا بعد حجته … وإن تخاصم واليها وراعيها

٦- عمر وأبو سفيان:

وما أقلت (أبا سفيان) [١٠] حين طوى … عنك الهدية معتزا بمهديها [١١]

لم يغن عنه وقد حاسبته حسبٌ … ولا (معاوية) بالشام يجبيها

---

(١) أخى أواخيها: أي أمكن لها ووثق صلاتها وقواها، والأواخي: العرا، الواحدة: آخية.

(٢) عندما امتنع علي عن المبايعة.

(٣) إنه يشير إلى امتناع علي عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة، وتهديد عمر إياه بتحريق بيته إذا استمر على امتناعه.

(٤) أي كلما ذكر الناس عظماء الكون الذين قد يصلون في نظر الناس إلى درجة التالية، أي: التقديس.

(٥) المضعوف: أي الضعيف، والقياس مضعف.

(٦) به: أي بالله.

(٧) تيها: أي كبرا.

(٨) فتى غسان: هو جبلة بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام.

(٩) النعرة (بفتح العين) وسكنت هنا للضرورة: الخيلاء والكبر.

(١٠) وما أقلت أبا سفيان: أي ما تركته، ولا تغاضيت عنه.

(١١) وبمهديها: أي معاوية، وكان وهو على الشام قد بعث إلى عمر بمال وأدهم عن طريق أبيه... فاحتبس أبو سفيان المال لنفسه.. فلما قرأ عمر الكتاب، قال: فأين المال يا أبا سفيان؟ قال: كان علينا دين ومعونة، ولنا في بيت المال حق، فإذا أخرجت لنا شيئًا قاضيتنا به، فقال عمر: اطرحوه في الأدهم (أي القيد) حتى يأتي بالمال، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم، فلما قدم الرسول على معاوية قال: أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم؟ قال: نعم، وطرح فيه أباك، قال: و لم؟ قال: جاء بالأدهم وحبس المال؛ قال: إي والله، والخطاب لو كان لطرحه فيه.

قيدت منه جليلًا [١] شاب مفرقه [٢] ... في عـــزة لـــيس مـــن عـــز يـــدانيها

قـــد نوهـــوا باسمـــه في جاهليتـــه ... وزاد ســـيد الكـــونين تنويهـــا [٣]

في فـــتح مكـــة كانـــت داره حرمًـــا ... قد أمن الله بعد البيـــت [٤] غاشـــيها

وكل ذلك لم يشـــفع لـــدى (عمـــر) ... في هفـــوة (لأبي ســـفيان) يأتيهـــا

تـــالله لـــو فعـــل الخطـــاب فعلتـــه ... لمـــا تـــرخص [٥] فيهـــا أو يجازيهـــا

فـــلا الحســـابة [٦] في حـــق يجاملـــها ... ولا القرابـــة في بُطْـــل يحابيهـــا

وتلـــك قـــوة نفـــس لـــو أراد بهـــا ... شم [٧] الجبال لما قرت رواســـيها [٨]

٧- عمر وخالد بن الوليد

سل قاهر الفرس والرومـــان [٩] هـــل ... له الفتـــوح وهـــل أغـــنى تواليهـــا؟

غزا فأبلى وخيـــل الله قـــد عقـــدت ... باليمن والنصر والبشرى نواصيها [١٠]

يرمـــي الأعـــادي بـــآراء مســـددة ... وبالفوارس قد سالت مَـــذاكيها [١١]

ما واقعَ الرومَ إلا فـــر قارحهـــا [١٢] ... ولا رمى الفـــرس إلا طـــاش راميهـــا

ولم يجـــز بلـــدة إلا سمعـــت بهـــا ... الله أكـــبر تـــدوي [١٣] في نواحيهـــا

عشرون موقعـــة مـــرت محجلـــة [١٤] ... من بعد عشر بنـــان الفـــتح تحصـــيها

---

(١) يريد بقوله (جليلًا) وما بعده من أوصاف: أبا سفيان.
(٢) والمفرق: وسط الرأس.
(٣) أي نوه سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه عندما قال في يوم فتح مكة: من دخل دار أبي ســـفيان فهو آمن.
(٤) بعد البيت: أي بعد الكعبة.
(٥) ترخص في الأمر: أي تساهل.
(٦) الحسابة: الحسب، والبطل: الباطل.
(٧) الشم: المرتفعة.
(٨) والرواسي: أي الثابتة.
(٩) قاهر الفرس والروم: هو خالد بن الوليد.
(١٠) النواصي: جمع ناصية، والأصل أن يعقد بها اليمن، لا تعقد هي على الـــيمن كمـــا في البيـــت، والقلب في اللغة سماعي.
(١١) المذاكي: الخيل التي تم سنها وكملت قوتها.
(١٢) قارحها: أي القوم المكتمل منهم.
(١٣) المسموع تدوي (بتشديد الواو) أي: يرتفع الصوت بها.
(١٤) محجلة: أي واضحة مشرقة بالانتصار فيها، ومعنى البيت أن خالدًا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح.

و(خالـــد) في ســـبيل الله موقـــدها ... و(خالـــد) في ســـبيل الله صـــاليها [(١)]

أتـــاه أمـــر (أبي حفـــص) [(٢)] فقبلـــه ... كمـــا يُقبِّـــل آيَ الله تاليهـــا

فاســـتقبل العـــزل في إبَّـــان ســـطوته ... ومجده مستريح الـــنفس هاديهـــا [(٣)]

فأعجب لسيد مخـــزوم [(٤)] وفارســـها ... يـــوم الـــنزال إذا نـــادى مناديهـــا

يقـــوده حبشـــي [(٥)] في عمامتـــه ... ولا تُحـــرك مخـــزوم عواليهـــا [(٦)]

ألقى[(٧)] القياد إلى الجَـــراح [(٨)] ممتثلًـــا ... وعـــزة الـــنفس لم تجـــرح حواشـــيها

وانضم للجند يمشـــي تحـــت رايتـــه ... وبالحيـــاة إذا مالـــت يفـــديها

ومـــا عرتـــه شـــكوك في خليفتـــه ... ولا ارتضى إمرة الجـــراح تمويهـــا[(٩)]

(فخالد) كان يدري أن صـــاحبه [(١٠)] ... قد وجه الـــنفس نحـــو الله توجيهـــا

فمـــا يعـــالج مـــن قـــول ولا عمـــل ... إلا أراد بـــه للنـــاس ترفيهـــا [(١١)]

لذاك أوصـــى بـــأولاد لـــه (عمـــرًا) ... لمـــا دعـــاه إلى الفـــردوس داعيهـــا

---

(١) صاليها: أي يقاسي حرها وشدتها.

(٢) أمر أبي حفص: أي أمر عمر بعزله.

(٣) ويقال: إن سبب عزل خالد أمران: أولهما ما كان في نفس عمر بن الخطاب من خالد بن الوليد، منذ قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة، وتزوجه امرأته في حرب الردة، وثانيهما: إقبال جند المسلمين على خالد بـــن الوليد وحبهم له، واستماتتهم بين يديه في جميع حروبه في العراق والشام، وذلك ليمن طالعـــه في الحـــروب وشجاعته، وقد علم عمر بذلك؛ فخشي من افتتان الناس به، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر تولية الخلافة إلى المسلمين، وخالد أمير على جيش عظيم منهم، و لم يكتم عمر على خالد ما في نفسه من جهته، بل أظهره له، فقال له بعد عزله: (وما عزلتك لريبة فيك، ولكن افتتن الناس بك، فخفت أن تفتتن بالناس) وبقي خالـــد إلى آخر حياته مطيعًا لعمر، وقبل موته أوصى عمر بأولاده، وقد أشار الشاعر إلى ذلك.

(٤) مخزوم: قبيلة خالد.

(٥) يريد (بالحبشي) بلال بن رباح، وهو الذي نفذ أمر عمر في خالد بأن جَرَّه بعمامته حين اســـتحيا أبو عبيدة من تنفيذه، فهد بلال عمامة خالد ووضعها في رقبته، ثم رجعها إلى رأسه ثانية، وقال: نطيـــع أمراءنا ونكرم سادتنا.

(٦) والعوالي: الرماح، وتحريكها: كناية عن الثورة على عمر، والانتصاف لخالد.

(٧) الضمير في (ألقى): يعود إلى فارس مخزوم خالد بن الوليد.

(٨) والجراح: هو أبو عبيدة بن الجراح.. الذي قيل إنه كتم الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين.. وكان المسلمون على حصار دمشق.

(٩) التمويه: إظهار ما يخالف الباطن.

(١٠) صاحبه: أي عمر بن الخطاب.

(١١) الترفيه: الرغد والنعيم.

وما نعى (عمر) في يوم مصرعه نساء مخزوم أن تبكي بواكيها [1]

وقيل: خالفت يا (فاروق) صاحبنا[2] فيه[3]وقد كان أعطى القوس باريها[4]

فقال: خفت افتتان المسلمين به وفتنة النفس أعيت من يداويها

هبوه [5] أخطأ في تأويل مقصده وأنها سقطة في عين ناعيها [6]

فلن تعيب حصيف [7] الرأي زلته حتى يعيب سيوف الهند نابيها [8]

تالله لم يتبع في (ابن الوليد) هوى ولا شفى غلة فى الصدر يطويها

لكنه قد رأى رأيا فأتبعه عزيمة منه لم تثلم [9] مواضيها [10]

لم يرع في طاعة المولى خئوولته [11] ولا رعى غيرها فيما ينافيها

وما أصاب ابنه والسوط يأخذه لديه من رأفة في الحد يبديها

إن الذي برأ [12] (الفاروق) نزهه عن النقائص والأغراض تتزيها

فذاك خلق من الفردوس طينته الله أودع فيها ما ينقيها

لا الكبر يسكنها، لا الظلم يصحبها لا الحقد يعرفها، لا الحرص يغويها

٨- عمر وعمرو بن العاص

شاطرت داهية السواس [13] ثروته ولم تخفه بمصر وهو واليها

---

(١) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبكين على خالد ابن الوليد، فقال: وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة.

(٢) صاحبنا: يريد أبا بكر.

(٣) وفيه: أي في خالد.

(٤) وأعطى القوس باريها: أي استعان في الحرب بمن له معرفة وحذق.

(٥) هبوه: أي هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس.

(٦) ناعيها: أي في عين من يعدد سقطات عمر وزلاته.

(٧) حصيف الرأي: جيده ومحكمه.

(٨) نابيها: أي ما ينبو من سيوف الهند ويكل ويرتد.

(٩) لم تثلم: أي لم تكسر أشفارها.

(١٠) المواضي: السيوف الماضية.

(١١) خئولته: أي قبيلة خالد، فهم أخواله، فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وفيما ينافيها: أي في معصية المولى.

(١٢) برأ الفاروق: أي خلقه.

(١٣) داهية السواس: عمرو بن العاص.

وأنت تعرف (عمروًا) في حواضـرها ولست تجهل (عمـروًا) في بواديهـا

لم تنبت الأرض كابن العـاص داهيـة يرمي الخطوب برأي لـيس يخطيهـا

فلم يرغ [1] حيلة فيمـا أمـرت بـه وقام (عمرو) إلى الأجمال يزجيهـا [2]

ولم تقل عاملًا منها [3] وقـد كثـرت أمواله وفشـا [4] في الأرض فاشـيها

٩- عمر وولده عبد الله

وما وقى ابنك (عبـد الله) أينقـه [5] لما اطلعـت عليهـا في مراعيهـا [6]

رأيتـها في حمـاه وهـي سـارحة مثل القصور قـد اهتـزت أعاليهـا

فقلت: ما كان (عبـد الله) يشـبعها لو لم يكن ولـدي أو كـان يرويهـا

قـد اسـتعان بجـاهي في تجارتـه وبات باسم (أبي حفـص) ينميهـا [7]

ردوا النيـاق لبيـت المـال، إن لـه حـق الزيـادة فيهـا قبـل شـاريها

وهـذه خطـة لله واضـعها ردت حقوقًا فأغنت مسـتميحيها [8]

ما الاشتراكية المنشـود [9] جانبـها بين الورى غير مـبنى مـن مبانيهـا

فإن نكن نحن [10] أهليهـا ومنبتـها فـإنهم عرفوهـا قبـل أهليهـا

---

(١) أراغ يريغ: طلب.

(٢) ويزجيها: أي يسوقها.

(٣) و لم تقل عاملًا منها: أي لم تعف أحدًا من عمالك من مشاطرة ماله.

(٤) فشا: أي انتشر وكثر.

(٥) الأينق: النياق.

(٦) وقد عرفنا القصة قبل هذا.

(٧) ينميها: أي يزيدها.

(٨) أغنت مستميحيها: أي أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال.

(٩) المنشود: المطلوب، يريد أن المذهب الاشتراكي المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التي سار عليها عمر.

(١٠) فإن نكن نحن، أي العرب، أهل هذه الخطة وفيها نبتت، فإن الغربيين قد عرفوها، وعملوا بها قبلنا، ونحن أحق بها وأهلها.

١٠- عمر ونصر بن حجاج:

جنى الجمال على (نصرٍ) فغربه [١] ... عن المدينة تبكيه ويبكيها

وكم رمت قسمات الحسن [٢] ... وأتعبت قصبات السبق [٣] حاويها

وزهرة الروض لولا حسن رونقها ... لما استطالت عليها كف جانيها

كانت له لمة [٤] فينانة [٥] عجب ... على جبين خليق أن يحليها

وكان أنى مشى مالت عقائلها [٦] ... شوقًا إليه وكان الحسن يسبيها [٧]

هتفن تحت الليالي باسمه شغفًا ... وللحسان تمن في لياليها

جززت لمته لما أتيت به ... ففاقَ عاطلها [٨] في الحسن حاليها [٩]

فصحت فيه: تحول عن مدينتهم ... فإنها فتنة أخشى تماديها

وفتنة الحسن إن هبت نوافحها [١٠] ... كفتنة الحرب إن هبت سواقيها [١١]

١١- عمر ورسول كسرى:

وراع صاحب (كسرى) أن رأى عمرًا ... بين الرعية عُطلًا [١٢] وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لها ... سورًا من الجند والأحراس يحميها

---

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما روي من أن عمر رضي الله عنه مر بالمدينة فسمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقالت لها امرأة معها: من نصر؟ قالت: رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد، فدعا بها عمر، فخفقها بالدرة، ودعا بنصر فحلق لمته، فعاد أحسن مما كان، فقال: لا تساكنني في بلدة يتمناك النساء بها، وأخرجه إلى البصرة، وحاول نصر أن يعود إلى المدينة فأبى ذلك عليه عمر، وقال: أما ولي سلطان فلا، وكان نصر من أجمل الناس.

(٢) قسمات الحسن: مجاليه.

(٣) وقصبة السبق: ما ينصب في ميدان السباق، فمن سبق اقتلعها وأخذها، ليعلم أنه السابق.

(٤) اللمة بالكسر: الشعر المجاوز شحمة الأذن، والجمع لمم.

(٥) فينانة: طويلة حسنة.

(٦) عقائلها: أي عقائل المدينة: وعقائل النساء: كرائمهن، الواحدة: عقيلة.

(٧) يسبيها: أي يأسرها.

(٨) عاطل اللمة: المجرد منها.

(٩) حاليها: المتزين بها.

(١٠) نوافحها: أي روائحها الطيبة، جمع نافحة.

(١١) سواقي الحرب: أي عواصفها، والأصل في السواقي: الريح تحمل الغبار، واللواقح: الرياح الحارة المحرقة، جمع لافحة...

(١٢) عطلًا (بالضم): أي متجردًا من مظاهر الأبهة.

رآه مستغرقًا في نومه فرأى ... فيه الجلالة في أسمى معانيها
فوق الثرى تحتظل الدوح[1] مشتملًا[2] ... ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عينه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلًا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنتَ لما أقمتَ العدل بينهم ... فنمتَ نوم قرير العين هانيها

١٢- عمر والشورى

يا رافعًا راية الشورى [3] وحارسها ... جزاك ربك خيرًا عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها [4] ... وللمنية آلام تعانيها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله ... إلى الجماعة إنذارًا وتنبيها
إن ظل بعد ثلاث [5] رأيها شعبًا ... فجرد السيف واضرب في هواديها [6]
فأعجبْ لقوة نفسٍ ليس يصرفها ... طعم المنية مرا عن مراميها
درى عميد بني الشورى بموضعها ... فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأي في حكومته ... إن الحكومة تغري مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به ... رغم الخلاف، ورأي الفرد يشقيها

١٣- مثال من زهده

يا من صدفْت [7] عن الدنيا وزينتها ... فلم يغرك من دنياك مغريها
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا ... أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون [8] تقدمه ... خيل مطهمة تحلو مرائيها

---

(١) الدوح: جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة المتسعة الظل.
(٢) اشتمل الرجل بثوبه: أي تلفف به وأداره على جسده.
(٣) كان عمر ممن يأخذون بالشورى في أمورهم، وكان يقول: لا خير في أمر أبرم من غير شورى، وهو أول من قرر قاعدة الشورى في انتخاب الخليفة..
(٤) دولتها: أي دولة الشورى.
(٥) بعد ثلاث: أي بعد ثلاث ليال.
(٦) الهوادي: الأعناق.
(٧) صدف: أي أعرض وصد.
(٨) البرذون: ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر، ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما ضحي إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى، فنزل عنه، وأتى ببرذون فركبه، فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال: قبح الله من علمك، هذا من الخيلاء، ثم دعا بفرسه بعدما أجمه أيامًا فركبه، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، لم يركب قبله ولا بعده برذونًا.

مشـــى فهملـــج [١] مختالًـــا براكبـــه ... وفي البراذين ما تزهي [٢] بعاليهـــا [٣]

فصحت: يا قوم، كاد الزهـــو يقـــتلني ... وداخلـــتني حـــال لســـت أدريهـــا!

وكاد يصبو [٤] إلى دنيـــاكم (عمـــر) ... ويرتضـــي بيْـــع باقيـــه بفانيهـــا

ردوا ركابي فـــلا أبغـــي بـــه بـــدلًا ... ردوا ثيـــابي فحســـبي اليـــوم باليهـــا

١٤- مثال من رحمته

ومن رآه أمـــام القـــدر منبطحًـــا [٥] ... والنار تأخذ منـــه وهـــو يُـــذكيها [٦]

وقـــد تخلـــل في أثنـــاء لحيتـــه ... منها الدخان وفوه [٧] غاب في فيهـــا

رأى هنـــاك أمـــير المـــؤمنين علـــى ... حال تـــروع -لعمـــر الله- رائيهـــا

يستقبل النار خـــوف النـــار في غـــده ... والعين من خشية ســـالت مآقيهـــا [٨]

١٥- مثال من تقشفه وورعه

إن جـــاع في شـــدة قـــومٌ شـــركتهم ... في الجـــوع أو تنجلـــي [٩] عنـــهم

جوع الخليفـــة -والـــدنيا بقبضـــته- ... فى الزهـــد منزبـــة ســـبحان موليهـــا

---

(١) الهملجة: حسن السير في تبختر.

(٢) وأزهى (بالبناء للمجهول): اختال.

(٣) عاليها: راكبها.

(٤) يصبو: أي يميل.

(٥) انبطح: أي نام على وجهه ممتدًا على الأرض.

(٦) أذكى النار: أي أوقدها.

(٧) فوه غاب في فيها، أي: فمه غاب في فم النار وهو ينفخها، وهو بهذا يشير إلى ما روي من أن عمر رضي الله عنه كان يتعسس بالليل، فرأى امرأة توقد النار علي حصى وماء، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعـــام حتى يناموا، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئًا من الدقيق، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام، و لم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا.

(٨) المآيق: جمع ماق وموق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع.

(٩) أو تنجلي... الخ: أي حتى تنكشف عنهم.

(١٠) غواشيها: أي ما يغشاهم ويشملهم من الشدة والقحط، الواحدة: غاشية.
وهو في هذا البيت وما بعده من أبيات يشير إلى حادثتين من تقشف عمر، الأولى: ما يحكى عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم إلى أن تنتهي المجاعـــة، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون. والثانية: ما حكي عنه من أن امرأته اشتهت الحلواء، فادخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها، فلما نمى هذا إلى عمر رد ما ادخـــرت إلى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادخرت.

فمن يبارى أبا حفص وسيرته ... أو من يحاول (للفاروق) تشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها: ... من أين لي ثمن الحلوى فأشريها
لا تمتطي شهوات النفس جامحة ... فكسْرة الخبز عن حلواك تجزيها [1]
وهل يفي بيت مال المسلمين بما ... توحي إليك إذا طاوعت موحيها؟
قالت: لك الله إني لست أرزؤه [2] ... مالًا لحاجة نفس كنت أبغيها
لكن أجنب شيئًا من وظيفتنا [3] ... في كل يوم على حال أسويها
حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها ... شريتها ثم إني لا أثنيها [4]
قال: اذهبي واعلمي إن كنت جاهلة ... أن القناعة تغني نفس كاسيها [5]
وأقبلت بعد خمس وهي حاملة ... دريهمات لتقضي من تشهيها
فقال: نبهت مني غافلًا فدعي ... هذي الدراهم إذ لا حق لي فيها
ويلي على عمر يرضى بموفية [6] ... على الكفاف، وينهى مستزيديها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به ... أولى، فقومي لبيت المال رديها
كذاك أخلاقه كانت، وما عهدت ... بعد النبوة أخلاق تحاكيها

١٦- مثال من هيبته

في الجاهلية والإسلام هيبته ... تثني الخطوب فلا تعدو عواديها
في طي شدته أسرار مرحمة ... للعالمين، ولكن ليس يفشيها
وبين جنبيه في أوفى صرامته [7] ... فؤاد والدة ترعى ذراريها
أغنت عن الصارم المصقول[8] درته[9] ... فكم أخافت غوي النفس عاتيها

(١) تجزيها: أي تغني عنها.
(٢) لست أرزؤه مالًا: أي لست أصيب من بيت المال شيئًا.
(٣) وظيفتنا: أي ما يجري علينا من بيت المال.
(٤) لا أثنيها: أي لا أعود إلى طلب ذلك مرة ثانية.
(٥) كاسيها: أي المتجمل بها.
(٦) بموفية على الكفاف: أي بما يزيد على الحاجة من الرزق.
(٧) أوفى صرامته: أي أقصى شدته.
(٨) الصارم المصقول: السيف المجلو.
(٩) الدرة: العصا يضرب بها، ودرة عمر معروفة.

كانت له كعصا (موسى) لصاحبها ... لا يترل البُطل [١] مجتازًا بواديها

أخاف حتى الدراري في ملاعبها ... وراع حتى الغواني [٢] في ملاهيها

أريت [٣] تلك التي لله قد نذرت ... أنشودةً لرسول الله تهديها

قالت: نذرت لدن عاد النبي لنا ... من غزوة لعلى دفي أغنيها

ويممت حضرة الهادي وقد ملأت ... أنوار طلعته أرجاء ناديها

واستأذنت ومشت بالدف واندفعت ... تشجي بألحانها ما شاء مشجيها

(والمصطفى) (وأبو بكر) بجانبه ... لا ينكران عليها من أغانيها

حتى إذا لاح من بُعْد لها (عمر) ... خارت قواها[٤] وكاد الخوف يرديها[٥]

وخبأت دفها في ثوبها فرقًا [٦] ... منه، وودت لو آنَّ الأرض تطويها

قد كان حِلم رسول الله يؤنسها ... فجاء بطش (أبي حفص) يخشيها [٧]

فقال مهبط وحي الله مبتسمًا ... وفي ابتسامته معنى يواسيها:

قد فر شيطانها لما رأى عمرًا ... إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

١٧- مثال من رجوعه إلى الحق

وفتية ولعوا بالراح[٨] فانتبذوا ... لهم مكانًا وجدوا في تعاطيها

ظهرت [٩] حائطهم لما علمت بهم ... والليل معتكر[١٠] الأرجاء ساجيها[١١]

---

(١) البطل بالضم: الباطل، ويريد بهذا أنه لا يضرب بها إلا في حق.

(٢) الغواني: النساء غنين بحسنهن وجمالهن عن الزينة، الواحدة:غانية، والغوى: الضال.

(٣) أريت: أي أرأيت، ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده إلى ما يروى من أن رسول الله ﷺ سافر سفرًا، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالدف، وتغني بين يديه، فلما عاد الرسول ﷺ جاءت الجارية لتفي بنذرها، وضربت على الدف، وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك، فلما طلع عمر عليها أسقط في يدها واضطربت، فروح عنها رسول الله ﷺ وقال مبتسمًا: لقد فر شيطانها حين رأى عمر.

(٤) خارت قواها: أي ضعفت.

(٥) يرديها: أي يهلكها.

(٦) الفرق: أي الخوف.

(٧) يخشيها: أي يخوفها.

(٨) الراح: أي الخمر.

(٩) ظهر الحائط: علاه.

(١٠) اعتكر الليل: أي اختلط ظلامه.

(١١) والليل الساجي: الساكن الراقد الظلمة، وهو يشير في هذين البيتين وما بعدهما إلى ما روي من أن عمر تسور الحائط على جماعة يشربون الخمر، يريد أن يباغتهم، فأنكروا عليه أمورًا ثلاثة أتاها، وهي دخوله عليهم من غير الباب، وعدم استئذانه، وتجسسه عليهم، وكل هذه نهى عنها الله، فأثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم.

حتى تبينتهم والخمر قد أخذت ... تعلو ذؤابة [١] ساقيها وحاسيها [٢]

سفهت آراءهم فيها [٣] فما لبثوا ... أن أوسعوك على ما جئت تسفيها

ورمت تفقيههم في دينهم فإذا ... بالشرب[٤] قد برعوا (الفاروق) تفقيها

قالوا: مكانك قد جئنا بواحدة ... وجئتنا بثلاث لا تباليها

فأت البيوت من الأبواب (يا عمر) ... فقد يُزنُّ [٥] من الحيطان آتيها [٦]

واستأذن الناس أن تغشى بيوتهم ... ولا تلم بدار أو تحييها

ولا تجسس فهذي الآي قد نزلت ... بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها

فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم ... لما رأيت كتاب الله يمليها

وما أنفت وإن كانوا على حرج [٧] ... من أن يُحجك [٨] بالآيات عاصيها

١٨- عمر وشجرة الرضوان

وسرحة [٩] في سماء السرح قد رفعت ... بيعة المصطفى من رأسها تيها

أزلتها حين غالوا [١٠] في الطواف بها ... وكان تطوافهم للدين تشويها

الخاتمة

هذي مناقبه في عهد دولته ... للشاهدين وللأعقاب أحكيها

في كل واحدة منهن نابلة [١١] ... من الطبائع تغذو نفس واعيها

لعل في أمة الإسلام نابتة ... تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

---

(١) الذؤابة: أعلى الرأس، والذؤابة في الأصل: الضفيرة من الشعر.
(٢) وحاسيها: أي شاربها.
(٣) وفيها: أي في الخمر.
(٤) الشرب: أي الشاربون، وبرعوا: أي فاقوا.
(٥) يزن: أي يتهم.
(٦) أي لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها.
(٧) الحرج: الإثم.
(٨) وحجه يحجه: غلبه بالحجة.
(٩) السرحة: الشجرة الطويلة، أو هي من الشجر: ما لا شوك فيه، إنه يقول: إن هذه الشجرة قد تعالت تيها وافتخارًا على مثيلاتها من أعالي الأشجار بهذه البيعة.
(١٠) غالوا: أي بالغوا وأكثروا، وإنه بهذا يشير إلى شجرة الرضوان التي بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها يوم الحديبية، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معاني الوثنية، فأمر بقطعها، فقطعت.
(١١) نابلة: أي سجية شريفة من سجايا النبل.

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها   من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من (عمر)   حتى ينبه منها عين غافيها [1]

نعم – أخا الإسلام- هذى مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي سيظل مدرسة للأمة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، كما سيظل نموذجًا حيا لجميع الرؤساء والمسئولين.. حتى يكونوا من المتشبهين به في كل مُثله العليا التي كانت – ولا تزال – مضرب الأمثال، وحلية الرجال...

وإذا كان لنا أن نقول شيئًا عنه في ختام هذا العرض السريع الذي كان من الممكن ألا تكون له نهاية بتلك الصورة التي قد يتصورها العقلاء المنصفون.

إذا كان لنا أن نقول شيئًا بعد كل هذا الخير الذي وقفنا عليه، فهو أننا نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتشبهين به في إعلاء كلمة الحق، وأن يجعلنا –إن شاء الله تعالى– من الذين سيحشرون معه في أعلى درجات الجنان.

اللهم آمين

(١) الغافي: النائم.

٤١- ومَن هو عثمان بن عفان رضي الله عنه

إنه [١] عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُمية بنِ عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأُمَوِيّ، يجتمع هو ورسول الله ﷺ في (عبد مناف). يُكْنَى: أبا عبد الله، وقيل: أبو عمرو، وقيل: كان يُكْنى أولًا بابنه عبد الله، وأُمَّه [٢] رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ثم كُنِّي بابنه عمرو. وأُمُّه [٣] أرْوَي بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فهو بن عمة عبد الله ابن عامر، وأُمُّ أروى: البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

وهو: ذو النورين، وأمير المؤمنين، أسلم في أول الإسلام، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام.

أخبرنا أبو جعفر بإسناده إلى يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق قال: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل، ورسوله ﷺ، وكان أبو بكر رجُلًا مألفًا[٤] لقومه مُحَبّبًا سَهْلًا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجاربه وحُسن مُجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَن وثق به من قومه، ممَّن يغْشاه ويجلس إليه. فأسلم على يديه — فيما بلغني — الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بنُ عُبَيْد الله — وذكر غيرهم— فانطلقوا ومعهم أبو بكر حتى أتوا رسولَ ﷺ، فعَرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام، فآمنوا، فأصبحوا مُقِرِّينَ بحق الإسلام. فكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، فَصَلُّوا وصَدَّقوا.

ولما أسلم عثمان زوَّجهُ رسول الله ﷺ بابنته رُقَيَّة، وهاجر كلاهُما إلى أرض الحبشة الهجرتين [٥]، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة.

---

(١) كما جاء في (أُسد الغابة...) طبعة دار الشعب.ج ٣ ص ٥٨٤-٥٩٦.

(٢) أي: أُم عبد الله بن عثمان اسمها رقية.

(٣) أي: أم عثمان بن عفان، ينظر كتاب نسب قريش لمصعب: ١٠١- ١٠٤.

(٤) المألَف: أي الذي يألفه الإنسان.

(٥) سيرة ابن هشام: ٣٢٣/١.

ولما قَدِمَ إليها نزل على أوس بن ثابت أخي حسَّان بن ثابت، ولهذا كان حسَّان يحب عثمان ويبكيه بعد قتله قاله ابن إسحاق[1].

وتزوَّج بعد رُقَيَّةَ أُمَّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ، فلما تُوفِّيتْ قال رسول الله ﷺ: **((لو أن لنا ثالثة لزوجناك)).**

أخبرنا أحمد بن عثمان ابن أبي علي قال: أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، حدثنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر ابن مَرْدُويه الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إسحاق المفسِّر المقرئ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن مَرْدُويه، حدثنا علي بن أحمد بن بسطام، أخبرنا سهل بن عثمان، حدثنا النضر بن منصور العنزي، حدثني أبو الجنوب عقبة بن علقمة، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((لو أن لي أربعين بنتًا زوَّجْتُ عثمان واحدة بعد واحدة، حتى لا يبقى منهن واحدة)).**

وَوُلِدَ لعثمان ولَدٌ من رُقَيَّة اسمه عبد الله، فبلغ ستَّ سنين، وتُوفِّي سنة أربع من الهجرة.

و لم يشهد عثمان بدرًا بنفسه، لأن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة على الموت، فأمره رسول الله ﷺ أن يقيم عندها، فأقام، وتُوفِّيتْ يوم ورد الخبر بظفر النبي ﷺ والمسلمين بالمشركين، لكن رسول الله ﷺ ضرب له بسَهْمِه وأَجْرِه، فهو كمن شَهِدَها.

وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

أخبرنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أبي نصر قال: أخبرنا نصر بن أحمد أبو الخطاب إجازة إن لم يكن سَماعًا، أخبرنا أحمد بن طلحة بن هارون، أخبرنا أحمد بن سليمان، حدثنا يحيى بن جعفر، حدثنا علي بن عاصم، حدثني عثمان بن غيَاث، حدثني أبو عثمان النَّهْدي، عن أبي موسي الأشعري، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حديقة فلان، والباب علينا مُغْلَقٌ، إذ استفتح رجل فقال النبي ﷺ: يا عبد الله بن قيس، قم فافتح له الباب، وبَشِّره بالجنة. فقمت ففتحتُ البابَ، فإذا أنا بأبي بكر الصديق، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ودخل، فسلم وقعد، ثم أغلقتُ

---

[1] سيرة بن هشام: ١/٤٧٩.

البابَ فجعل النبي ﷺ ينكُتُ بعود في الأرض، فاستفتح آخر، فقال: يا عبد الله بن قَيْس، قم فافتح الباب وبَشِّره بالجنة.فقمت وفتحتُ، فإذا بعمر بن الخطاب، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ودخل، فسلم وقعد. وأغلقتُ البابَ فجعل النبي ﷺ ينكت بذلك العود في الأرض إذ استفتح الثالث البابَ، فقال النبي ﷺ: يا عبد الله بن قيس، قم فافتح الباب له، وبشِّره بالجنة على بلوى تكون. فقُمْتُ ففتحت البابَ، فإذا أنا بعثمان بن عفان، فأخبرته. بما قال النبي ﷺ، فقال: الله المستعان وعليه التُّكلان. ثم دخل فسلَّم وقعد [(١)].

أخبرنا أبو منصور بن مكارم أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن صفوان، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبيد الله بن طوق، أخبرنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حَيان، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمَّار، حدثنا المعافى بن عمران، عن شعبة بن الحجاج، عن الحر بن الصباح قال: سمعت بن زيد – هو ابن عمرو بن نفيل – فقال: قال رسول الله ﷺ: **«أبو بكر في الجنة، وعُمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعَليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة والآخر لو شئت سميته، ثم سَمَّي نفسه»**. [(٢)]

قال: وحدثنا المعافى بن عِمران، حدثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يَسَاف، عن أبي طالب، عن سعيد بن زيد أن رجلا قال له: أحبَبْتُ علِيًا حُبًّا لم أُحبُّهُ شيئًا قط. قال: أحسنتَ، أحببت رجلا من أهل الجنة، قال. وأبغضتُ عثمان بغضًا لم أبغضه شيئا قط! قال: أسأت، أبغَضتَ رجلا من أهل الجنة، ثم أنشأ يُحدثُ قال: بينما رسول الله ﷺ على حرَاء ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي، وطلحة، والزبير، قال: **«اثبُتْ حِراءُ، ما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد»**. [(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي موسى بنحوه في كتاب الفتن ٦٩/٩. وفي كتاب فضائل الصحابة: ١٠/٥، ١، وأخرجه مسلم. والترمذي، وأخرجه أحمد في مسنده....

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١ /١٨٨.. وينظر أيضا المسند: ١/١٨٧ ، ١٨٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد... بنحوه عن سعيد بن زيد في المسند: ١/ ١٨٧، ١٨٨.

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أخبرنا مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مَرْدُويه، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا الأحوص، عن إبراهيم الأُسدي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطَّية، قال: قال رسول الله ﷺ: **«غفر الله لك يا عثمان ما قدَّمتَ وما أخرَّتَ، وما أسررْتَ وما أعلنْتَ، وما هو كائن إلى يوم القيامة»**.

أخبرنا أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي،أخبرنا الحسن بن أحمد وأنا حاضر أسمع، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن أبي أُسامة (ح) قال أبو نعيم [1]: وحدثنا عبد الله بن الحسن بن بُنْدار، حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قالا: حدثنا روح بن عُبادة، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس قال، صعد النبي ﷺ أُحُدًا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف الجبل، فقال: **«اثبُتْ أُحُدٌ، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان»**.

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الشافعي الدمشقي، أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل القيسي، أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصِّيصي، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حَيْدَرة الأَطْرُبلُسي، حدثنا أبو الحسن أحمد ابن عبد الله بن محمد بن سليمان البنا بصنعاءَ، حدثنا إبراهيم بن أحمد اليمامي، حدثنا يزيد بن أبي حَكيم، حدثنا سفيان الثوري، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ..**﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال: نزلت في عشرة: أبي بكرٍ، وعمرٍ، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن أبي القاسم قال: قرأتُ على أبي القاسم علي ابن محمد المصِّيصي، أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن موسى ين عبد الله الغَسَّاني، أَخبرنا أَبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة، حدثنا هلال بن العَلاء،

(١) أبو نعيم هو: أحمد بن عبد الله الحافظ.

حدثنا أبي وعبد الله بن جعفر قالا: حدثنا عُبيد الله بن عمرو، عن يزيد بن أُنَيْسَة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قَيس بن أبي حازم، قال: حدثنا أبو سَهلة مولى عثمان، قال: قلت لعثمان يوم الدار: قَاتِلْ يا أميرَ المؤمنين قال: لا، والله لا أُقاتِل، وعَدني رسول الله ﷺ أمْرًا، فأنا صَائر إليه [1].

قال: وحدثنا هلال، حدثنا أبي، حدثنا إسحاق الأزرق، حدثنا أبو سفيان، عن الضَّحَّاك بن مُزاحم، عن النَزَّال بن سَبرة الهلاَلي قال: قلنا لعلي: يا أمير المؤمنين، فحدثنا عن عثمانَ بن عفَّان، فقال: ذاك امرؤٌ يُدْعَى في الملأ الأعْلَى ذَا النورين، كان خَتَن[2] رسول الله ﷺ على ابنتَيه، ضَمِنَ له بيتًا في الجنة.

أخبرنا إسماعيل بن عبيد وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، قال: حدثنا أبو هشام الرِفاعي، حدثنا يَحيى بن اليمان، عن شيخ من بني زُهْرة، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أَبي ذُباب، عن طلحة بن عبيد الله، قال: قال رسول الله ﷺ : **«لكُلِّ نبي رفيق، ورفيقي – يعني في الجنة –عثمان»** [3].

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا الحسن بن بشْر، حدثنا الحكَم بن عبد الملك عن قتادةَ، عن أنس بنِ مَالك قال: (لما أُمر رسول الله ﷺ ببيعَة الرِّضْوان، كان عثمانُ رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى أهْل مكة فبايَع الناس، قال: فقال رسول الله ﷺ : إن عثمان في حاجة الله وحَاجَة رسوله، فضَرَبَ بإحدى يديه على الأُخرى [4]، وكانت يدُ رسول الله ﷺ لعُثمانَ خيرًا من أيديهم لأنفسهم [5].

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشَّار، حدثنا عبد الوهاب الثقفيٍّ، حدثنا أيوب، عن أبي قِلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني: أن خُطباء قامت في الشام، فيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ ، فقام آخِرَهُم رجل [6] يقال له: مُرَّةَ بن كَعب،

---

(١) ينظر ابن ماجة: المقدمة، باب فضل عثمان رضي الله عنه ، الحديث ١١٣: ٤٢/١٤.

(٢) الختن: بفتح الخاء والتاء هو: زوج البنت أو الأخت.

(٣) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، مناقب عثمان رضي الله عنه: ١٨٨/١٠. وأخرجه الإمام أحمد من وجه آخر عن طلحة، المسند: ٧٤/١ وابن ماجه عن أبي هريرة، المقدمة، الحديث، والحديث: ١٠٩: ٤٠/١

(٤) أي: في البيعة. والمعني أنه جعل إحدى يديه نائبة عن عثمان.

(٥) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، مناقب عثمان رضي الله عنه . ١٠ /١٩٤. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب) وقال الحافظ أبو العلى: (وأخرجه اليهقى).

(٦) هذا لفظ الترمذي. ورواية أحمد (فقام من آخرهم رجل).

فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قُمتُ، وذَكَر الفتَنَ[1]، فمـرَّ رَجـل مُقَنَّعٌ [2] في ثوب، فقال [3]: « **هذا [4] يومئذ على الهُدى** »، فقمت إليه، فإذا هـو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه، فقلت: هذا؟ قال؟ (نعم) [5].

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرقي، حدثنا العَلاء بـن عبد الجبار العطار، حدثنا الحارث بن عُمير، عن عُبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: كُنَّا نقول ورسول الله ﷺ حَيٌّ: أبو بكر، وعمر، وعثمـان[6].فقيـل: في التفضيل، وقيل: في الخلافة.

أخبرنا أبو ياسر بإسناده عن عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثني أبو قطن، حـدثنا يونس- يعني ابن أبي إسحاق — عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: (أشـرف عثمان من القصر وهو محصور [7]، فقال: أنشُدُ بالله من سمعَ[8] رسول الله ﷺ يوم حراء إذا اهتزَّ الجبل فركَلَهُ برجله [9]، ثم قال: اسكن حرَاءْ، ليس عليك إلا نبي أو صـدِّيق أو شهيد، وأنا معه، فانتشد[10] له رجال، ثم قال: أنشُدُ بالله مَن شهد رسول الله ﷺ يومَ بيعة الرِّضوان إذا بعَثني إلى المشركين إلى أهل مكة، قال: هذه يَدي وهـذه يَـدُ عُثمان، فبايع لي فانتشد له رجال، قال:أنشُدُ بالله مَن شَهدَ رسول الله ﷺ قال: مَن يُوَسِّعُ لنا هذا البيت في المسجد ببيت له في الجنة؟ فابتعته من مالي فوسـعت بـه في

(١) لفظ المسند: (إن رسول الله ﷺ ذكر فتنة، وأحسبه قال: فقرَّبها — شك إسماعيل ومعـنى قربهـا: قرب وقوعها.

(٢) أي: مستتر في ثوب، جعله كالقناع.

(٣) أي: قال رسول الله ﷺ.

(٤) لفظ المسند: (هذا وأصحابه يومئذ على الحق).

(٥) تحفة الأحوذي، مناقب عثمان رضي الله عنه: ١/١٩٨، ١٩٩، ومسند أحمد ٣٥/٤٠، وينظـر المسـند: ٤/٢٤٣،٢٤٢،٢٣٦،وسنن ابن ماجة المقدمة فضل عثمان رضي الله عنه الحديث ١١١: ١/٤١.

(٦) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، مناقب عثمان رضي الله عنه ١٠ /٢٠١.

(٧) أي: محاصر في القصر.

(٨) في المسند: (من شهد رسول الله..).

(٩) في المسند: (فركله بقدمه).

(١٠) أي: فأجابه رجال، والذي في معاجم اللغة: (فأنشد له).

المسجد فانتشد له رجال. ثم قال: وأنشدُ بالله من شَهِدَ رسول الله ﷺ يوم جَيشِ العُسْرة، قال: مَن يُنفقُ اليوم نفقة مُتَقَبَّلةً؟ فجهَّزْتُ نصْفَ الجيش من مالي. فانتشد له رجال. قال: وأنشدُ بالله مَن شَهِدَ (رُومَة) [1] يُبَاع ماؤها من ابن السبيل، فابتعتها من مالي فأبَحتُها ابن السبيل. فانتشد له رجال [2].

قال: وحدثنا عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا القاسم —يعني ابن الفضيل — حدثنا عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد، قال: دعا عثمان ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمار بن ياسر، فقال: إني سائلكم، وإني أحب أن تصدقوني، نشدتكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشًا على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم، فبعث إلى طلحة والزبير، فقال عثمان: ألا أحدثكما عنه —يعني عمارًا— أقبلت مع رسول الله ﷺ، وهو آخذ بيدي [3]، نتمشى في البطحاء، حتى أتى على أبيه وأمه يعذبون [4]، فقال أبو عمار: يا رسول الله، الدهر هكذا؟ فقال النبي ﷺ، وقد فعلت [5].

قال: وحدثني أبي، حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن يحيى بن سعيد بن العاص: أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه: أن أبا بكر استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشه، لابس مِرْط [6] عائشة، فأذن له وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف.

قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليكِ ثيابك، فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت —قالت عائشة: يا رسول الله، لم أرك فزعت لأبي بكر ولا

(١) بئر رومة: بئر بالمدينة، اشتراها عثمان ﷺ وسبلها.. أي وجعلها في سبيل الله.
(٢) مسند أحمد: ١/٥٩.
(٣) لفظ المسند: (.. آخذًا بيدي).
(٤) لفظ المسند: (حتى على أبيه وأمه وعليه يعذبون).
(٥) مسند أحمد: ١/ ٦٢.
(٦) المرط: - بكسر فسكون -: كساء من صوف، وربما كان من خز.

عمر كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلى حاجته**» — وقال الليث: قال جماعة الناس[1]: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**» [2].

(ثم) يقول في (أُسد الغابة..) تحت عنوان:

خلافته رضي الله عنه

أخبرنا مسمار بن عمر بن العويس وأبو فرج، محمد بن عبد الرحمن الواسطي وغير واحد، قالوا: بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر قبل أن يصاب بأيام المدينة، ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكون حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمرًا هي له مطيقة —وذكر قصة قتل عمر رضي الله عنه— قال: فقالوا له: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر — أو الرهط — الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن — وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا: ﴿**الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [الحشر: ٩]، أن يقبل من محسنيهم، وأن يُغْضِي [3] عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردءُ الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤاخذ منهم إلا فَضْلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأصيه بذمة الله وذمة رسوله، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

(١) لفظ المسند: (وقال جماعة الناس: إن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «**ألا أستحي**..»).

(٢) مسند أحمد: ١/ ٧١، ٦/ ١٥٥.

(٣) لفظ الصحيح: (وأن يعفي عن...)

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، وقال: يستأذن عمر ابن الخطاب، فقالت -يعني عائشة -: أدخلوه، فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم - فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن - فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام[1]، لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي، والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، وأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له علي، وولج -أي دخل - أهل الدار فبايعوه [2].

وبويع عثمان بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين، بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاثة أيام، قاله أبو عمر [3].

(ثم) قال بعد ذلك في (أُسد الغابة..) تحت عنوان:

مقتله رضي الله عنه

قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة - أو سبع عشرة - خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة قاله نافع.

وقال أبو عثمان النهدي: قتل في وسط أيام التشريق.

وقال ابن إسحاق: قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهرًا، واثنين وعشرين يومًا من مقتل عمر بن الخطاب، وعلى رأس خمسٍ وعشرين من متوفَّى رسول الله ﷺ.

---

(١) أي: (والله عليه والإسلام رقيب. ينظر فتح الباري: ٧/ ٥٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان: ٥/ ١٩/ ٢٢.

(٣) الاستيعاب: ٣/ ١٤٤.

وقال الواقدي: قتل يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلت من ذي الحجة يوم التروية، سنة خمس وثلاثين.

وقد قيل: إنه قتل يوم الجمعة لليلتين بقين من ذي الحجة.

وقال الواقدي: حصروه تسعة وأربعين يومًا.

وقال الزبير: حصروه شهرين وعشرين يومًا. (١)

أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، حدثنا إسحاق ابن عيسى الطباع، عن أبي معشر، قال: وقتل عثمان يوم الجمعة، لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا (٢). وقيل: كانت إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهرًا، وأربعة عشر يومًا.

قال: وحدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن أبي اليعفور العبدي، عن أبيه، عن أبي سعيد -مولى عثمان بن عفان -: أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا - يعني وهو محصور - ودعا بسراويل فشدها عليه، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر، وقالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقتل وهو بين يديه (٣).

أخبرنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى، قال: حدثنا محمود ابن غيلان، حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة ابن يزيد، عن عبد الله بن عامر، عن النعمان بن بشير، عن عائشة، أن النبي ﷺ قال: **«يا عثمان، إنه لعل الله أن يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»**.(٤)

وأخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن

(١) الاستيعاب: ٣/ ١٠٤٤.

(٢) إلى هنا انتهى نص المسند: ١/ ٧٤.

(٣) مسند أحمد: ١/ ٧٢.

(٤) تحفة الأحوذي، أبواب المناقب، مناقب عثمان: ١٠/ ١٩٩، ٢٠٠، وقال الترمذي: وفي الحديث قصة طويلة، وهذا حديث حسن غريب. وقد أخرجه ابن ماجة، في المقدمة باب فضل عثمان ﷺ عن علي بن محمد، عن أبي معاوية، عن الفرج بن فضالة، عن ربيعة بن يزيد، عن النعمان بن بشير، عن عائشة به نحوه، الحديث ١١٢: ١/ ٤١.

منصور، أخبرنا أبو مسعود: سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه، أخبرنا أبو علي بن شاذان، حدثنا عبد الله بن إسحاق، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا الفضل بن جبير الوراق، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال لعثمان: «**تقتل وأنت مظلوم، وتقطر قطرة من دمك على: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾** [البقرة: ١٣٧] **قال: فإنها إلى الساعة لفي المصحف**».

ولما حصر عثمان وطال حصره –والذين حصروه هم من أهل مصر، والبصرة، والكوفة، ومعهم بعض أهل المدينة – أرادوه على أن ينزع نفسه من الخلافة، فلم يفعل، وخافوا أن تأتيه الجيوش من الشام والبصرة وغيرهما ويأتي الحجاج فيهلكوا، فتسوروا عليه فقتلوه رضي الله عنه وأرضاه.. [1].

ولما قتل دفن ليلًا، وصلى عليه جبير بن مطعم – وقيل: حكيم بن حزام – وقيل: المسور بن مخرمة – وقيل: لم يصل عليه أحد، منعوا من ذلك، ودفن في حش كوكب[2] بالبقيع، وكان عثمان قد اشتراه وزاده في البقيع. وحضره عبد الله بن الزبير، وامرأتاه: أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، ونائلة بنت الفرافصة الكلبية، فلما دلوه في القبر صاحت ابنته عائشة، فقال لها ابن الزبير: اسكتي وإلاَّ قتلتك، فلما دفنوه قال لها: صيحي الآن ما بدا لك أن تصيحي.

أخبرنا أبو ياسر ابن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد: حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أم موسى، قالت: (كان عثمان من أجمل الناس)، وقيل: كان ربعة لا بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، كبير اللحية، أسمر اللون، كثير الشعر، ضخم الكراديس[3] بعيد ما بين المنكبين، كان يصفر لحيته، ويشد أسنانه بالذهب، وكان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ست وثمانون سنة، قاله قتادة، وقيل: كان عمره تسعين سنة.

ورثاه كثير من الشعراء، قال حسان بن ثابت:

من سره الموت صرفًا لا مزاج له ... فليأت مأدبة في دار عثمانا

---

(١) ارجع إلى تاريخ (الكامل في التاريخ) لابن الأثير: ٣/ ٨٤ – ٩٠، لكي تقرأ القصة كاملة..

(٢) حش كوكب من الأنصار وهو عند بقيع الغرقد.

(٣) الكراديس: جمع كردوسة، وهي كل عظمتين التقيا في مفصل.

ضحوا بأشمط[1] عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا

صبرًا، فدىً لكم أمي وما ولدت ... قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا

لتسمعن وشيكًا في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات[2] عثمانا

وزاد فيها بعض أهل الشام أبياتًا لا حاجة إلى ذكرها، ومنها:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ... ما كان بين علي وابن عفانا

وإنما زادوا فيها تحريضًا لأهل الشام على قتال علي، ليقوى ظنهم أنه هو قتله.

وقال حسان أيضًا:

إن تمس دار بني عفان موحشة ... باب صريع وباب محرق خرب

فقد يصادف باغي الخير حاجته ... فيها، ويأوي إليها الجود والحسَب[3]

وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت:

لعمري لبئس الذبح ضحيتم به ... خلاف[4] رسول الله يوم الأضاحيا

أخرجه الثلاثة.. ا.هـ.

تعليق

(هذا) وإذا كان لي أن أعلق على هذا المشهد الأخير في حياة هذا الرجل الفاضل (عثمان بن عفان) – رضي الله عنه – الذي قال له الرسول ﷺ يوم أن جاءه بعشرة آلاف دينار صبها في حجره لحساب جيش العسرة: **((غفر الله لك يا عثمان، ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة))**.

وهو الذي كان سفير رسول الله ﷺ – لدى قريش يوم الحديبية، وهي مهمة خطيرة لا يقوم بها إلا المؤمن الكامل، وذلك لأن قريشًا عدو غادر وخصم فاجر، وليس ببعيد عليهم أن يقتلوه أو يعذبوه، ولكنه أبي إلا أن يؤدي الأمانة خير أداء في هذا الوقت العصيب والجو الرهيب.

---

(١) ضحوا بأشمط، أي أبيض، يعني ذبحوا رجلًا أشيب كما تذبح الضحية، وعنوان السجود به: أي في وجهه علامة الصلاة، وقرآنًا: أي قراءة.

(٢) إنه يهددهم بأنه عما قريب سيحضر من ينقم منهم..

(٣) يريد أن يقول: إن ذهب شخصه، فقد بقيت آثاره ومكارمه.

(٤) في الاستيعاب: ٣/ ١٠٥١: (وختنم رسول الله في قتل صاحبه).

وهو الذي زوجه الرسول ﷺ بابنتيه: (رقية، وأم كلثوم) رضي الله عنهما، ولهذا لقب بذي النورين.

وهو الذي اشترى (بئر رومة) من يهودي في المدينة — لأنه كان يبيع الماء للمسلمين بثمن غال لا يقدرون على دفعه — فاشتراها عثمان من ماله الخاص ثم جعلها ملكًا للمسلمين.

وهو الذي اشترى أرضًا بجوار مسجد الرسول بالمدينة — دفع فيها لأصحابها خمسة عشر ألفًا من الدراهم — ثم وسع المسجد بها لأنه كان يضيق بالمسلمين بعد أن زاد عددهم...

وهو الذي اشترى أرضًا مجاورة للمسجد الحرام — عام الفتح — لكي يوسع المسجد بها كما أراد الرسول ﷺ.

وهو الذي في زمن الخليفة أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — عندما أتى على المسلمين، وقت اشتد فيه القحط والجوع — وكان بعض المسلمين قد ذهبوا إليه وشكوا له ما حل بهم من الجوع.. فقال لهم — أبو بكر رضي الله عنه — اصبروا إلى الغد فسيأتيكم الفرج من عند الله!..

(ولما) جاء الغد كان الفرج فعلًا قد جاء (فقد) وصلت قافلة لعثمان بن عفان، قوامها ألف جمل، تحمل الطعام والخيرات من بلاد الشام..:

(تبرع) بها كلها (عثمان) رضي الله عنه لفقراء المدينة من غير ثمن ولا حساب.. وكل هذا طمعًا في ثواب الله الذي يضاعف لمن يشاء..

(هذا) بالإضافة إلى كل ما جاء في الترجمة من المناقب العظيمة التي لا يتسع المقام لذكرها.. (ومع) هذا فقد قتلوه عليه رضوان الله وهو يتلو آيات من القرآن الكريم..

(فكان) بعد مع رسول الله ﷺ والأصحاب الأبرار الأطهار.. في فراديس الجنان..

(فإذا) كان لي أن أعلق بعد كل هذا بكلام موجز.. أرجو أن ننتفع به.

(فهو) أن السبب في كل هذه الفتن ما ظهر منها وما بطن، هو (حب الدنيا) الذي ورد في حديث شريف: «**أنه رأس كل خطيئة**»، (وقد) ورد كذلك في السنة الشريفة ما يؤكد هذا:

(فعن) عمرو بن عوف الأنصاري — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح — رضي الله عنه — إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوه صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى صلوات الله

وسلامه عليه، انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟**»، فقالوا: أجل يا رسول الله، فقال: «**أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**» متفق عليه.

(فلنخرج) حب الدنيا من قلبونا.. حتى نكون فعلًا قد انتفعنا بهذا الدرس التاريخي.. (فقد) ورد في حديث حسن صحيح (عن) كعب بن عياض -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال**». رواه الترمذي.

(وفي) القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى:

﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف: ٤٦].

ويقول: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [الحديد: ٢٠].

ويقول: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**[1] **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة العنكبوت: ٦٤].

(ولنكن) من أبناء الآخرة لا من أبناء الدنيا الفانية، والتي هي متاع الغرور.

والله ولي التوفيق

(١) أي: لهي الحياة الحقيقية.

من تراجم الأعلام عليهم رضوان الله، وهم

١- الإمام أبو حنيفة النعمان – رضي الله عنه وأرضاه.
٢- الإمام مالك بن أنس- رضي الله عنه وأرضاه.
٣- الإمام محمد بن إدريس الشافعي- رضي الله عنه وأرضاه.
٤- الإمام أحمد ابن حنبل- رضي الله عنه وأرضاه.
٥- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري- رضي الله عنه وأرضاه.
٦- الإمام مسلم بن الحجاج- رضي الله عنه وأرضاه.
٧- الإمام النسائي- رضي الله عنه وأرضاه.
٨- الإمام أبو داود- رضي الله عنه وأرضاه.
٩- الإمام الترمذي- رضي الله عنه وأرضاه.
١٠- الإمام ابن ماجه- رضي الله عنه وأرضاه.

أهم مراجع تراجم الأعلام

١- منهاج الصالحين..
من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين للأستاذ عز الدين بليق
دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت
(ولسوف) أشير في هامش كل ترجمة إلي مصادر ما جاء في كل ترجمة .. إن شاء الله..

٢- مقدمة الجزء الأول من كتاب: (سبل السلام) شرح بلوغ المرام.. للإمام محمد ابن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني .. المتوفي سنة ١١٨٢ هـ صححه وعلق عليه الأستاذ: محمد عبد العزيز الخولي. الناشر: مكتبة عاطف.. بالأزهر .

٣- كتاب الهلال – الأئمة الأربعة. للأستاذ أحمد الشرباصي_ رحمه الله تعالي

١- الإمام أبو حنيفة ﷺ٨٠- ١٥٠هـ

نسبه وعمره

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، أقدم الأئمة الأربعة مولداً، وأكثرهم بين المسلمين أتباعاً، ولد بالكوفة، واختلف في سنة مولده علي ثلاثة أقوال، فقيل : سنة ٦٣ هجري، وقيل: ٧٠ ، وقيل: ٨٠ ، والمشهور هو الثالث لنقول وروايات. ترجح لديه العمل بها [1] وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هجري وقبره لا يزال هناك معروفاً ويزار في حي مُسمًّى باسمه وهو (الأعظمية) نسبة إلي الإمام الأعظم.

نشأته ومدرسته

نشأ بالكوفة، وقد كانت من أكبر الأمصار الأسلامية في ذلك العصر، وأحفلها بالعلماء من كل فئة.

وأشهرها بأئمة اللغة من نحو وصرف وأدب وغيرها، درس علم الكلام أولاً حتي برع فيه، وبلغ فيه مبلغاً يشار إليه بالأصابع، ثم التحق بحلقة حماد شيخ فقهاء الكوفة، وتتصل حلقة حماد بعبد الله بن مسعود، إذ هو تلقي العلم عن إبراهيم النخعي الذي تلقاه عن علقمة بن قيس الذي تلقاه عن عبد الله بن مسعود ﷺ، ثم مازال يداوم علي حضور حلقة شيخه حماد حتي توفي عام (١٢٠هـ) فاتفق رأي تلامذته علي استخلاف أبي حنيفة مكانه، فانتهت إليه رئاسة مدرسة الكوفة التي عرفت بمدرسة الرأي، وأصبح إمام فقهاء العراق غير منازع، وسارت بذكره الركبان، واجتمع مع أشهر علماء عصره، بالبصرة ومكة والمدينة، ثم ببغداد بعد أن بناها المنصور، وناقشهم واستفاد منهم واستفادوا منه، ومازالت شهرته تتسع حتي غدت حلقته مَجْمعاً علمياً يجتمع فيها كبار المحدثين كعبد الله بن المبارك، وحفص بن غياث، مع كبار الفقهاء كأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد، مع كبار الزهاد والعباد كالفضيل بن عياض، وداود الطائي، ومازال قائما بأمانة العلم مع الاجتهاد في العبادة والاستقامة في المعاملة، والزهد في الدنيا، والنصيحة لله ولرسوله وللمسلمين حتي لحق بربه راضياً مرضياً.

---

(١) منهم ابن عيان، واقتصر علي ذلك في كتاب (الضعفاء) وانظر تأنيب الخطيب ص ١٩ فما بعدها.

أصول مذهبه

أخرج البيهقى عن : يحيي بن خريس، قال: شهدت سفيان وأتاه رجل، فقال: ما تنقم علي أبي حنيفة ؟ قال: وماله؟ قال: قد سمعته يقول : (آخذ بكتاب الله، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله، أخذت بقول أصحابه مَنْ شئتُ منهم ، وأدع قول من شئتُ منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم. فأما إذا انتهي الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن، وعطاء، وابن المسيب- وعد رجالاً- فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا[1]) وفي رواية: (فما لم أجده فيه أخــذت بســنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات) .. الخ

أما اجتهاده فيما لم يكن فيه نص من كتاب ولا سنة ولا قول صحابة، فقد كان مرجعه إلي القياس، ومن أنواع القياس عنده الاستحسان الذي فسر بأنه قياس خفي في مقابلة قياس جليٍّ [2] .. أ.هـ من كتاب (منهاج الصالحين)

** (ثم) أضيف بعد ذلك باباً قرأته فى كتاب الأئمة الأربعة – كتاب الهلال – للدكتور أحمد الشرباصي- عليه رحمة الله – تحت عنوان:

اشتغاله بالتجارة

فلقد قال: كان أبو حنيفة في أول أمره منصرفاً إلي الاشتغال بالتجارة وحدها، ثم اشتغل معها بالعلم، وظل يتاجر طيلة حياته، وكان يتاجر في الخز- وهو نوع من الثياب-

ثم يقول: ولعله أخذ الاتجار فيه عن أبيه، وكان ماهراً في التجارة مُسْعَداً فيهـا، وكان له دكان معروف في الكوفة، واستعان بشركاء في التجارة يسافرون له فيهـا وينوبون عنه، ومن شركائه حفص بن عبد الرحمن.

وكان أبو حنيفة أميناً في تجارته لا يخدع مشترياً ولا يشتط في أخذ الربح، ويذكر للمشتري ما في السلعة من عيب إذا كان فيها (ويروي) أنـه وكـل إلي شـريكه (حفص) أن يبيع ثياباً فيها عيوب، وأن يذكرها لمن يشتريها، ولكن الشريك نســي

(١) مفتاح الجنة ص ٣٤

(٢) ارجع إلي كل هذا في (منهاج الصالحين) ص ٩٨٧ - ٩٩١

ذلك، وحاول أبو حنيفة أن يعرف المشتري فلم يهتد إليه، فتصدق بالثمن كلــه!.. واستطاع أبو حنيفة أن يحسن الجمع بين التجارة والعلم!..

* (ويروى) في سبب انصرافه إلي العلم أنه مر يوماً علي الإمام الشعبي، فدعاه إلي الجلوس وقال له: إلي من تختلف؟.. يعني: إلي أي العلماء تذهب لتتعلم منه؟. فقال أبو حنيفة: أختلف إلي السوق. فقال الشعبي: لم أعن الاختلاف إلي الســوق، عنيــت الاختلاف إلي العلماء.. (فأجاب) أبو حنيفة: أنا قليل الاختلاف إليهم. فقال له : لا تفعل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أري فيك يقظة وحركة!..

ووقعت كلمة الشعبي في نفس أبي حنيفة، وأخذ يضرب بسهمه الوافر في العلــم، فنفعه الله عز وجل بكلام الشعبيّ.

(وقد) حدث بعد ذلك أن زار أبو حنيفة أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكان عنده عيسى بن موسي، فقال عيسى للمنصور عن أبي حنيفة: هذا عالم الدنيا اليوم.. فسأل المنصور أبا حنيفة: يا نعمان، عمن أخذت العلم؟ .. قال: عن أصحاب عمــر عن عمر وعن أصحاب علي عن عليٍّ وعن أصحاب عبد الله بن عباس عن عبد الله، وما كان في وقت ابن عباس علي وجه الأرض أعلم منه فقــال المنصــور معجبــاً: استوثقت لنفسك!.. وفي رواية أخري أنه قال للمنصور عن أخذه الفقه:

(عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بــن مســعود وعبد الله ابن عباس)

فقال له المنصور: بخ بخٍ، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفــة الطيــبين الطــاهرين المباركين، صلوات الله عليهم..

* (وقد روي أن الأعمش المحدث أملي علي أبي حنيفة طائفة مــن الأحاديــث فوعاها وتفهمها.. وبعد حين من الزمان، كان أبو حنيفة في مجلس الأعمش، وجــاء من سأل الأعمش عن طائفة من المسائل، فلم يهتد إلي الجواب فيها، فالتفت نحو أبي حنيفة وقال له: ما تقول فيها ؟ .. فسارع أبو حنيفة بذكر أجوبتها، فقال الأعمش: من أين لك هذا؟ .. فقال أبو حنيفة: من الأحاديث التي رويتها عنك.. ثم سرد عليه

طائفة من الأحاديث بأسانيدها .. فقال الأعمش له: حسبك، ما حدثتك به في مائة يوم، تحدثني به في ساعة؟.. ما علمت أنك تعمل بهذه الأحاديث، يا معشر الفقهاء، أنتم الأطباء ونحن الصيادلة!.

(وقد) حدث أن أساء بعض الناس الظن بأبي حنيفة حينما رأوه يستخدم العقل والرأي والاجتهاد في استنباط الحكم، فادعوا عليه أنه يترك العمل بالحديث النبوي، وسببت هذه الدعوي لأبي حنيفة بعض المتاعب، ولذلك عني بتفنيدها والرد عليها، فتراه في موطن يقول: (عجباً للناس، يقولون أني أفتي بالرأي، ما أفتي إلا بالأثر)، والمراد بالأثر هنا هو ما جاء في السنة. (وأبو) حنيفة يقصد بكلمته هذه أنه متي صح الأثر عنده قبله وخضع له، وإلا اجتهد برأيه .

(وإذا) كان أبو حنيفة قد أحد بالقياس أو الاستحسان أو العرف، فليس هذا مجوزاً أن يتهمه البعض بأنه يقدم القياس على الحديث لأنه كان يخضع أولاً- كما يصرح – للقرآن والحديث وأقوال الصحابة، وهو الذي يقول: (كذب والله وافتري علينا من يقول أننا نقدم القياس علي النص ، وهل: يحتاج بعد النص إلي قياس)؟ ويقول: (نحن لا نقيس إلا عند الضرورة الشديدة، فإن لم نجد دليلاً قسنا حينئذ مسكوتاً عنه علي منطوق به) ويقول : (أنا آخذ أولاً بكتاب الله، ثم بالسنة، ثم بأفقهية الصحابة، ونعمل بما يتفقون عليه، فإن اختلفوا قسنا حكماً علي حكم، بجامع العلة بين المسألتين، حتي يتضح المعني).

وأبو حنيفة يأخذ بالأحاديث المتواترة، والأحاديث المشهورة، وأحاديث الأحاد. وهو إذا لم يأخذ بحديث رواه شخص، فإنه لا يعد نفسه طاعنا في الحديث النبوي، ولكنه يطعن في ثبوت هذا الحديث عن النبي ﷺ، ويقرر أن الطعن في الراوي أو في الثبوت، وليس رفضاً لشئ جاء عن النبي، لأنه متي ثبت أن الرسول قد قال هذا القول، أو فعل هذا الشيء، فإنه يكون علي العين والرأس ولذلك نجد أبا حنيفة: في كتاب (العالم والمتعلم) يقول: (فردِّي علي كل رجل يحدث عن النبي ﷺ بخلاف القرآن، وليس رداً علي النبي ﷺ، ولا تكذيباً له، ولكنه رد علي من يحدث عن النبي ﷺ

بالباطل، والتهمة دخلت عليه ليس علي نبي الله عليه السلام، وكذلك كل شيء تكلم به نبي الله عليه الصلاة والسلام ، سمعناه أو لم نسمعه، فعلي الرأس والعينين، قد آمنا به، ونشهد أنه كما قال النبي ﷺ أنه لم يأمر بشيء نهي الله عنه، ولم يقطع شيئاً وصله الله، ولا وصفَ أمراً وصف الله ذلك الأمر بغير ما وصف به النبي ، ولم يتقوّل علي الله غير ما قال الله تعالي، ولا كان من المتكلفين، ولذلك قال الله تعالي ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠]

(وكان) أبو حنيفة يترك الحديث من الأحاديث لأنه يجد حديثاً أقوي منه وأصح، وكان لا يأخذ برواية روا متروك أو متهم بوضع الحديث، وكان يفسر نص الحديث أحيانا بتفسير غير التفسير الذي يراه غيره كما في حديث «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**» فالفقهاء يفسرون (التفرق) هنا بتفرق المجلس، وأبو حنيفة يفسره بتفرق القول، فيري أن البيع يتم بالإيجاب والقبول ولو لم يتفرق الطرفان من المجلس!.

(ومع) سعة العلم عند أبي حنيفة، ودقة الفهم منه، كان يتواضع للعلم، ولا يغتر برأيه، ولا يحمل الناس عليه، بل يقول: (قولنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولي بالصواب منا). (وهو) يعنيه الوصول إلي الحق أولاً وقبل كل شيء، ومن أي طريق كان، وليس لديه شغفٌ بالمجادلة أو المماراة، ولذلك نهي ابنه حماداً عن الجدل والمناظرة في علم الكلام والعقائد، فقال له ابنه: رأيناك تناظر فيه وتنهانا عنه؟!..

فأجاب أبو حنيفة: كنا نناظر وكأن علي رءوسنا الطير مخافةأن يزل صاحبنا (أي مناظرنا)، وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم، ومن أراد أن يزل صاحبه فقد أراد أن يكفر صاحبه، ومن أراد أن يكفر صاحبه فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه!

** (ثم) يقول بعد ذلك، صاحب (كتاب) الأئمة الأربعة، الذي لخصت ما سبق من كلامه:

(ومع) هذا، فقد كان أبو حنيفة يغلظ في القول، أو يقسو في الرد أحياناً علي مناظريه أو مجادليه، ولست أدري لماذا أثارتني محاورة أبي حنيفة مع (جهم بن صفوان) حول الإيمان: أيكون اعتقاداً بالجنان، أم لابد معه من الإقرار باللسان؟..

(ولنستعرض) هذه المحاورة، فقد ذهب جهم بن صفوان إلي أبي حنيفة وقال له: يا أبا حنيفة، أتيتك لأكلمك في أشياء هيأتها لك (فأجابه) أبو حنيفة: الكلام معك عـــار، والخوض فيما أنت فيه نار تتلظي!

(قال) جهم: فكيف حكمت عليَّ بما حكمت، و لم تسمع كلامي و لم تلقني؟

فأجابه أبو حنيفة: بلغني عنك أقاويل لا يقولها أهل الصلاة (قال) جهم أفـــتحكم علي بالغيب؟

فأجابه أبو حنيفة: اشتهر عنك ذلك، وظهر عند العامة والخاصـــة، فجـــاز لى أن أحقق ذلك عليك.

قال جهم: لا أسالك عن شيء إلا عن الإيمان.

قال أبو حنيفة: أو لم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألني عنه؟

قال جهم: قال: بلى، ولكن شككت فى نوع منه.

قال أبو حنيفة: الشك فى الإيمان كفر.

فرد جهم: لا يحل لك إلا أن تبين لى من أى وجه يلحقنى الكفر. (قـــال) أبـــو حنيفة: سل.

فسأله جهم: أخبرني عمن عرف الله بقلبه، وعرف أنه واحد لا شريك له ولا ند، وعرفه بصفاته ، وأنه ليس كمثله شيء ، ثم مات قبل أن يـــتكلم بلســـانه : أمؤمنا مات أم كافرا ؟

وأجاب أبو حنيفة بقوله: كافر من أهل النار ، حتى يتكلم بلسانه ما عرفه بقلبه[1].

فسأله جهم: وكيف لا يكون مؤمنا وقد عرف الله بصفاته؟

وردّ أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن، وتجعله حجة ، كلمتك بـــه .... وإن كنت لا تؤمن به ولا تجعله حجتك كلمتك بما نكلم به من خالف ملة الإسلام.

قال جهم: أُومن بالقرآن وأجعله حجة.

---

(١) قال الموفق المكى فى توضيح ذلك: (تأويل أبى حنيفة إذا اقمم الشخص) بعدم الإقرار و لم يقر فإنه يموت كافرا ، فأما إذا لم تكن هناك قممة بأن كان فى جزيرة من البحر أو فى مفازة من الأرض فإنه لا يكون كافرا) وهذا تأويل حسن . وقد ورد عن أبى حنيفة قوله: إن المؤمن بقلبه الذى لم ينطق بلسانه يكون مؤمنا عند الله وإن لم يكن مؤمنا عند الناس ، فكيف قال هنا ما قال؟)

قال أبو حنيفة قد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان فى كتابه بجــارحتين : بالقلــب واللسان ، فقال تبارك وتعالى :

* ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ٨٣-٨٥] . وقال تعالى:

* ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧] وقال تعالى:

* ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦] وقال تعالى:

* ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج :٢٤] وقال تعالى:

* ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى :

* ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقال النبي ﷺ:

* «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» فلم يجعل الفلاح بالمعرفة دون القول.

* وقال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إلــه إلا الله ، وكــان فى قلبــه كذا..**» ولو كان القول لا يحتاج إليه ، ويكتفى بالمعرفة، لكان من رد الله بلســانه وأنكره بلسانه إذا عرفه بقلبه مؤمنا ، ولكان إبليس مؤمنا لأنه عارف بربه ، يعــرف أنه خالقه ومميته وباعثه ومغويه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:٣٩] وقــال ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤] وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص : ٧٦].

ولكن الكفار مؤمنين بمعرفتهم ربهم ، إذا أنكروا بلسانهم . قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم.

وقال عز وجل:﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل:٨٣]

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ [يونس: ٣١: ٣٢] فلم تنفعهم معرفتهم مع إنكارهم.

وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] فلم تنفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره وجحودهم به! وهنا قال جهم لأبي حنيفة: قد أوقعت في خلدي شيئًا، فسأرجع إليك!

(ثم) بعد ذلك يقول صاحب كتاب (الأئمة الأربعة):

أرأيت كيف تدفق أبو حنيفة في استدلاله ؟...

أرأيت كيف ساق الآيات الكريمة تباعاً لتأييد رأيه؟..أرأيت كيف ثنى بعد الآيات بالأحاديث الشريفة ليزيد رأيه تأييداً وتوطيداً ؟.

** (ومما) يدل على إجلال السلف لأبي حنيفة أنه لما مات أخو سفيان الثوري جاء الناس يعزونه، وجاء أبو حنيفة فيمن جاء، فقام إليه سفيان وأكرمه، وأقعده مكانه، وقعد بين يديه، فلما تفرق الناس قال أصحاب سفيان له: رأيناك فعلت شيئاً عجيباً مع هذا الرجل؟ فقال: هذا رجل من العلم بمكان، فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه!

** (وقد) هيأ له ذكاؤه أن يكون بارعاً في الجدال والمناظرة، ولذلك نراه يجتمع بطائفة من الخوارج من الذين يقولون: إن مرتكب الذنب كافر، وتجرى بينهم المحاورة الآتية:

* قالوا له: هاتان جنازتان على باب المسجد، أما إحداهما: فجنازة رجل شرب الخمر حتى كظته[1] وحشرج بها فمات، والأخرى: امرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحمل قتلت نفسها!

وطلبوا منه رأيه فيهما، فسألهم أبو حنيفة: من أي الملل كانا: من اليهود؟ .. قالوا: لا. قال: أفمن النصارى؟.. قالوا: لا. قال: أفمن المجوس؟.. قالوا: لا. قال: من أي الملل كانا؟.. قالوا: من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

(١) أي ملأته حتى لا يطيق النفس.

قال: فأخبروني عن هذه الشهادة: أهي من الإيمان ثلث أو ربع أو خمس؟ قالوا: إن الإيمان لا يكون ثلثاً ولا ربعاً ولا خمساً. قال: فكم هي من الإيمان؟ قالوا: الإيمان كله!.. قال: فما سؤالكم إياي عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟.

قالوا: دعنا عنك، أمن أهل الجنة هما أم من أهل النار؟. قال: أما إذ أبيتم فإني أقول فيهما ما قاله نبي الله إبراهيم في قوم كانوا أعظم جرماً منهما:

*﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [ابراهيم: ٣٦] وأقول فيهما ما قاله نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جرماً منهما: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

وأقول فيهما ما قاله نبي الله نوح إذ قالوا: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۞ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۞ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١١:١١٤]، وأقول: ما قال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ [هود: ٣١] ولما سمع الخوارج هذا من الإمام خضعوا وألقوا السلاح!

** (وكان) أبو حنيفة كذلك قد جمع أموراً ثلاثة زادته رفعة ومكانة: جمع الغنى اليسار، وجمع العلم والفقه، وجمع العبادة والتقوى.

** (وكان) أبو حنيفة يطيب له أن يكرر الآية من القرآن الكريم عشرات المرات، يديرها على لسانه، ويديرها في الوقت نفسه علي عقله وقلبه، فهو يرددها، وهو يفكر فيها وهو يتأثر بها، وكلما كررها تجدد له إدراك، وتجدد له انفعال. ولقد روي عنه أنه كرر في تهجده ذات ليلة الآية الكريمة: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] ، وظل يرددها في صلاته حتى طلع الفجر.

وقضي ليلة أخري يتهجد فيها يتعبد ،ويردد في صلاته قول ربه: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦] وكلما رددها بكي وتفزَّع.

** (ولقد) مات أبو حنيفة سنة خمسين ومئة، ويؤكد النووي أنه مات في السجن، وهناك رواية غريبة تقول: إنه توفي في سنة ثلاث وخمسين ومئة، والصحيح هو القول الأول .

** (ويروي) أن أبا حنيفة أوصي قبيل موته بأن يدفن في أرض طيبة، لم يحدث فيها غصْب، وألا يدفن في أرض اتُّهم الأمير بأنه اغتصبها، ولقد بلغت هذه الوصية مسمع أبي جعفر المنصور، فقلق لها وقال: (مَنْ يعذرني من أبي حنيفة حيا وميتاً)؟..

* (وتولي) غسله الحسين بن عمارة، وأثني علي عبادته وصومه وقيامه وتهجده وترتيله. (وشهد) جنازته حلق كثير، ويقال أنه صلي عليه خمسون ألف شخص. العجيب أنه كان بين المصلين عليه أبو جعفر المنصور الذي آذاه بالأمس..

* (ودفن) أبو حنيفة في الجانب الشرقي من بغداد، في مقبرة (الخيزران)، وقبره هناك ظاهر ومعروف..

* (وقد) قال عبد الله بن المبارك — عنه بعد وفاته-:

كان أبو حنيفة آية ! .. فسآله أحد الأعداء : في الخير أم في الشر؟ : فقال : اسكت يا هذا، فإنه يقال آية في الخير، وغاية في الشر ثم تلا قوله تعالي: **﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾** [المؤمنون: ٥٠]

(ولما بلغ) ابن جريج موت أبي حنيفة استرجع وتوجع، وقال: أيٌّ علمٍ ذهب !! . (فرضى) الله عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان.. وجزاه الله تعالي عن العلم والعلماء ورجال الفقه بصفة خاصة .. خير الجزاء إلي يوم الدين.

اللهم آمين

٣- الإمام مالك رضي الله عنه وأرضاه ٩٣-١٧٩هـ

حياته ومكانته العلمية

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى: إمام دار الهجرة ومحدثها الأشهر، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ. وذكر ابن الديبع الشيبانى فى مقدمة (تيسير الوصول) أن ولادته كانت سنة ٩٥، ونشأ وتوفى فيها عام ١٧٩هـ عن ستة وثمانين سنة، تلقى العلم عن ربيعة الرأى، وأخذ عن كبار الفقهاء من التابعين، وسمع كثيراً من الزهرى، حتى ليعتبر من أشهر تلاميذه، كما سمع من نافع مولى ابن عمر واشتهر بالرواية عنه حتى أصبحت روايته تسمى فى عرف المحدثين بالسلسلة الذهبية، وهى: (مالك عن نافع عن ابن عمر)، ومازال دائباً فى طلب العلم وتحصيله حتى أصبحت له الإمامة فى الحجاز، وأطلق عليه: عالم المدينة وإمام الهجرة، وانتشر صيته فى الآفاق، فهرع إليه أهل العلم من مختلف بقاع الأرض، وكان يعقد للحديث مجلساً فى مسجد النبى ﷺ فى وقار وأدب وحكمة متطيباً لابساً أحسن ثيابه، لا يرفع صوته فيه إجلالاً للرسول ﷺ.

أصول مذهبه

عرف مالك رحمه الله بالفقه والحديث معاً، وقد عرف باحتجاجه بالمرسل كأبى حنيفة، وقد أخرج من المراسيل عدداً فى موطئه، وكانت أصول مذهبه فى الأصول المعتبرة لدى الأئمة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وزاد عليها شيئين: عمل أهل المدينة والمصالح المرسلة أما هذه الأخيرة فقال: قال بها أكثر الأئمة وأما عمل أهل المدينة فقد اعتبره حجة دالة على ما كان عليه النبى ﷺ من فعل أو حال، ولا يعتبر عملهم حجة إلا إذا كانوا مجمعين عليه متوارثين العمل به جيلاً بعد جيل حتى عهد الرسول الكريم، وهو يرى أنهم لا يلتزمون أمراً ويعملون به جميعاً إلا إذا كان أمراً مشروعاً عمل به الصحابة فى عهد الرسول وأقرهم عليه ثم توارثه من بعدهم ودرجوا عليه.

وعمل أهل المدينة عنده أقوى من حديث الآحاد، فإذا تعارض خبر الواحد مع عمل أهل المدينة رجح الثانى، ومن هنا استدرك عليه الليث بن سعد سبعين سُنَّة ترك الأخذ بها وهى فى موطئه، ولم يوافقه بقية الأئمة والعلماء من بعده على هذا. وممن

ناقشه فى ذلك الإمام الشافعى رحمه الله، وتتالى العلماء من بعده يناقشونه فى ذلك، ومن أشهر من رد حجية عمل أهل المدينة ابن حزم، فقد ناقشه فى كتابه (الإحكام فى أصول الأحكام) نقاشاً قوياً، وكذلك رد عليه فى بحوث متفرقة من كتابه (المحلى) وهو شديد الوطأة فى نقاشه العلمى مع كل من يخالفهم [1].

وقد انتشر مذهب مالك فى كثير من أقطار العالم الإسلامى وخاصة فى المغرب ومصر.

الموطأ - مكانته - رواياته وأحاديثه - شروحه

ولعل أشهر ما عرف به الإمام مالك رحمه الله، كتابه (الموطأ) الذى ألفه بإشارة من المنصور حين حج وطلب إليه أن يدون كتاباً جامعاً فى العلم يتجنب فيه شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس، وأن يوطئه للناس، فألف كتابه هذا، وسماه (الموطأ) وذكر السيوطى لهذه التسمية سبباً آخر، وهو ماروى أن مالكاً قال (عرضت كتابى هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة، فكلهم واطأنى عليه فسميته الموطأ) ثم جاء المهدى حاجاً فسمعه منه، وأمر له بخمسة آلاف دينار، ولتلاميذه بألف، ثم رحل إليه الرشيد فى إحدى حججه، مع أولاده وسمعه منه، ورغب أن يعلقه فى الكعبة ويحمل الناس على العمل بما جاء به، فأجابه -رحمه الله- بقوله: (لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان، وكُلٌّ مصيب) فعدل الرشيد عن ذلك، رواه أبو نعيم فى الحلية.

وقد وضع الله له القبول فى قلوب الناس، فأقبلوا عليه دراسة وسماعاً، ومن أشهر الأئمة الذين سمعوه من مالك: الأوزاعى، والشافعى، ومحمد، ورواية محمد له هى إحدى روايات الموطأ المشهورة والمعتبرة كما سيأتى.

وقد عنى مالك رحمه الله بتأليفه وتدوين الأحاديث الصحيحة فيه حتى قالوا: إنه مكث فيه أربعين سنة، يهذبه وينقحه، ويستدل لذلك عن الأوزاعى، إنه قال: (عرضنا على مالك الموطأ فى أربعين يوماً فقال: كتاب ألفته فى أربعين سنة، أخذتموه فى أربعين يوماً ما أقل ما تفقهون فيه).

---

(١) انظر الإحكام: ٢/٩٧-١٢٠.

وقد جرى فى الموطأ على أن يبوبه على أبواب العلم المختلفة، ويذكر فى كل باب ما جاء فيه من الحديث عن النبى ﷺ، ثم ما ورد من الآثار عن الصحابة والتـابعين، وكانوا فى جمهرتهم من أهل المدينة، لأن مالكاً رحمه الله لم يغادرها، وأحياناً يفسـر كلمات الحديث بعد سرده، ويبين المراد من بعض عباراته، وكان ينص على عمـل أهل المدينة فى الأبواب التى جاء فيها من الآحاد بما يعارض ذلك العمل.

أما درجة الموطأ فى السنة فقد اختلفت آراء العلماء:

فقال قوم: بأنه مقدم على الصحيحين لمكانة الإمام مالك رحمه الله تعـالى، ولمـا عُرِف عنه من التثبيت والتمحيص، وحسبك أنه ألفه فى أربعين سنة، وممن ذهب إلى هذا الرأى ودافع عنه، ابن العربى، وهو رأى جمهور المالكية.

ومنهم من جعله مع الصحيحين فى مرتبة واحدة، وإليه يشير كلام الـدهلوى فى (حجة الله البالغة) حيث تحدث عن طبقات كتب السنة، وجعل فى الطبقـة الأولى منها، الموطأ والصحيحين.

ومنهم من رأى مرتبته دون مرتبة الصحيحين، وهو رأى جمهور المحدثين، ويعـبر عن سر ذلك ابن حجر حيث يقول: (إن كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما) وقد عرفـت عـدم اعتداد المحدثين بالمرسل والمنقطع وما عدا المتصل، فلا جرم إن كانت مرتبة الموطأ — عندهم- دون مرتبة الصحيحين.

وقد بلغت روايات الموطأ المتداولة نحواً من ثلاثين نسخة من أشهرها: موطأ يحيى ابن يحيى الليثى، وموطأ ابن بكير، وموطأ أبى مصعب، وموطأ ابن وهب، وموطأ الإمام محمد ابن الحسن، وهذه النسخ تختلف فيما بينها تقديماً وتأخيراً وزيادة ونقصـاً، لاختـلاف الزمن الذى رويت فيه عن مالك، مع ما كان عليه- رحمه الله- من إدامـة النظـر فى موطئه، فلا يبعد أن يزيد فيه أحياناً، وأن ينقص منه أحياناً حسبما يتراءى له من النظر.

ولهذا اختلفت الأقوال فى عدد أحاديث الموطأ نظراً لاختلاف النسخ المتداولة، فأبو بكر الأبهرى يقول: (جملة ما فى الموطأ من الآثار عن الـنبى ﷺ وعـن الصـحابة

والتابعين، ألف وسبعمائة وعشرون حديثاً، المسند منها: ستمائة حديث، والمرسل: مائتان واثنان وعشرون حديثا، والموقوف: ستمائة وثلاثة عشر، ومن قول التابعين: مائتان وخمسة وثمانون).

أما موطأ محمد بن الحسن وهو من أشهر نسخ الموطأ وله شهرة عظيمة فى الحرمين والهند، فقد بلغ ما فيه من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدهم- مسندة، ومرسلة، ومنقطعة- ثمانين ومائة وألفاً، منها عن مالك: خمسة وألف، ومنها عن أبى حنيفة: ثلاثة عشر، وعن أبى يوسف: أربعة، والباقى عن غيرهما.

ومازال علماء الحديث يتداولون الموطأ شرحاً وتخريجاً، وممن شرحه الحافظ ابن عبد البر (٤٦٣هـ) فقد ألف فيه شرحين:

الأول: (التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد) رتب فيه أسماء شيوخ الحديث مثله فكيف أحسن منه ؟!).

والثانى كتاب: (الاستذكار فى شرح مذاهب علماء الأمصار).

وممن شرحه أيضاً: الحافظ أبو بكر محمد بن العربى (ت٥٤٣هـ)، والجلال السيوطى (ت٩١١هـ)، والزرقانى، المالكى (ت١١٢٢هـ)، والدهلوى (ت١١٨٠هـ)، والشيخ على القارى المكى (ت١٠١٤هـ)، واللكنوى (ت١٣٠٤هـ)فى كتابه: (التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد).

وقد اختصر الموطأ كثيرون، منهم أبو سليمان الخطابى (ت٣٨٨هـ)، وابن عبد البر: (ت٤٦٣هـ) وابن رشيق القيروانى: (ت٤٦٣هـ).

كما ألفت فى شرح غريبه وفى شواهده ورجاله واختلافاته مؤلفات كثيرة تدل على عناية علماء الأمة بهذا الكتاب الجليل..أ.هـ. (من كتاب منهاج الصالحين) ص ٩٨٧ وما بعدها -٩٩١.

(ثم) أضيف بعد ذلك بعض المقتطفات الموضوعية، من كتاب (الأئمة الأربعة) لفضيلة الدكتور أحمد الشرباصى عليه رحمة الله، فلقد ذكر تحت عنوان:

مولد مالك

أنه عليه رضوان الله، ولد بعد ميلاد الإمام الأول أبى حنيفة النعمان بثلاث عشرة سنة. (وأنه) إمام دار الهجرة، وإمام أهل الحجاز، وأحد تابعى التابعين، وإليه انتهى فقه المدينة وفقهائها السبعة، وهو الذى عاش قرابة تسعين عاماً، شاب خلالها شَيْبة طيبة فى خدمة الإسلام والمسلمين..(وأنه) قد ولد فى مكان يسمى (ذو المروة) شمالى المدينة، ثم نزل (العقيق) ثم استقر فى المدينة (وروى) أنه ولد فى المدينة سنة ثلاث وتسعين، وقيل:ولد سنة تسعين، وقيل: ولد سنة أربع وتسعين، وقيل:سنة خمس وتسعين، وقيل: سنة ست وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين. (ثم) يقول: وما أكثر الاضطراب فى تحديد سنوات الميلاد وسنوات الوفاة خلال العصور المتقدمة. (وروى) أن أُمَّة حملت به سنتين، وقيل: ثلاث سنوات.

(وهو) مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث.. وهو من حُلفاء بنى تيم بن مرة. (وكان) جده الثانى: (أبو عامر ابن عمرو) من صحابة الرسول ﷺ، شهد معه الغزوات كلها إلا بدراً (وكان) جده الأول: (مالك بن أبى عامر) من كبار التابعين، وكنيته أبو أنس، (وقد) روى عن عمر، وطلحة، وعائشة، وأبى هريرة، وحسان بن ثابت رضى الله عنهم، (وهو) أحد الأربعة الذين حملوا عثمان رضي الله عنه ليلاً إلى قبره وغسلوه وكفنوه...

(وروى) أن عثمان أغزاه أفريقية ففتحها، (وكان) ممن يكتب المصاحف حين جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، (وكان) خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يستشيره.. (ثم) يقول: و لم يحدثنا التاريخ بشىء ذى بال عن (أنس) والد مالك، وكل ما نعرفه عنه أنه عاش فى (ذى المروة) وهو مكان كالواحة فى الصحراء شمالى المدينة المنورة، و لم يكن لهذا الأب اشتغال ظاهر بالعلم، وإن كانت لديه رغبة طيبة فيه، ولعله عرف بعض الأحاديث (وكان) رجلا مقعداً، يمارس صناعة النبال ليكسب نفقة بيته..

(وأما): والدة مالك، فهى: (الغالية) بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية، وقيل: اسمها: (طلحة)، والأول أصح وأشهر (وكانت) أسرة مالك تشتغل بالحديث والفتيا..

(ثم) بعد ذلك يذكر تحت عنوان:

نشأته

أن الإمام مالك:

بدأ يحفظ القرآن الكريم، ثم شرع فى حفظ الحديث، (وأنه) كان قوى الذاكرة (وكان) من عادته وهو يستمع الأحاديث أن يعقد عقداً بعددها بخيط فى يده، ثم يتبين ما تبقى فى ذاكرته منها (وذات) يوم سمع من ابن شهاب ثلاثين حديثاً، فوعاها كلها إلا حديثاً واحداً منها، فسارع إلى ابن شهاب يسأله عن هذا الحديث، فقال له ابن شهاب: ألم تكن فى المجلس؟..

فأجاب مالك: بلى.. فقال له ابن شهاب: فمالك لم تحفظ؟..

فأجاب: إنها ثلاثون، وإنما ذهب عنى واحد.فقال ابن شهاب: لقد ذهب حفظ الناس، ما استودعت قلبى شيئاً فنسيته، هات ما عندك!(فراجع) عليه مالك، وأخبره ابن شهاب بالحديث الذى نسيه !...(ثم) يذكر بعد ذلك (أن) مالكاً فى أول أمره كان فقيراً، حتى قال ابن القاسم:أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته، فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد ذلك.

وأخذ مالك عند بلوغه الحلم راتباً من المال، كما كانت العادة جارية......

(ثم) يذكر بعد ذلك تحت عنوان:

شيوخ مالك

أن الإمام مالكاً، أكثر من جلوسه إلى الشيوخ، حتى نقل النووى فى (تهذيب الأسماء واللغات) أنه أخذ العلم على تسعمائة شيخ، منهم ثلاثمائة من التابعين، وستمائة من تابعيهم، ممن اختارهم وارتضى دينهم وفقههم وقيامهم بحق الرواية عن الذين لا يعرفون الرواية، حتى ولو كانوا أهل صلاح ودين..

(وأن) مالكاً كان يتلقى من العلوم: الأحاديث، والرد على أهل الأهواء، وفتاوى الصحابة، وفقه الرأى. وكان بارعاً فى تلقى العلم وتحصيله، حتى قال ابن عيينة: (ما رأيت أحداً أجود أخذاً للعلم من مالك، وما كان أشد انتقاءه للرجال والعلماء).

(وكان) من شيوخه ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ، ويظهر أن مالكاً جلس إليه حينما كان صغيراً، بدليل أنه قال لأمه: أذهب أكتب العلم ؟..فاستمهلته حتى ألبسته ثياب العلم وعممته، ثم قالت له: اذهب فاكتب الآن، واذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه..وأطاع مالك أمر أمه.

(ومن) شيوخ مالك: نافع مولى عبد الله بن عمر، فكان مالك يتعرض له ويسائله

(ومن) شيوخه أيضاً: جعفر بن محمد الباقر، ومحمد بن مسلم الزهرى، وعبد الرحمن ابن ذكوان، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وأبو حازم سلمة بن دينار، ومحمد بن المكندر، وعبد الله بن دينار، (وخلائق آخرون من التابعين)، كما يعبر النووى.

(ولقد) انقطع مالك إلى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج سبع سنين أو أكثر، لم يخلطه بغيره، وكان يعطى صبيان ابن هرمز هذا تمراً ويقول لهم:إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا إنه مشغول.وهو يريد بذلك أن يخلص الشيخ له، فيأخذ عنه أكثر ما يستطيع، فربما قضى معه النهار كله...(ثم) يقول تحت عنوان:

مالك والحديث النبوى

(وقد) عنى مالك عناية شديدة بحديث الرسول ﷺ، حتى صار فيه إماماً، وأصبح سنده أصح الأسانيد عند علماء السنة، وقرروا أنه ثقة عدل ضابط، مدقق فى اختيار من يروى عنهم، و لم يستطع أحد أن يطعن على مالك بشيء فى هذه الناحية، بل قال سفيان: (ما كان أشد انتقاد مالك للرجال)يعنى رواة الحديث، وقال ابن المدينى: (لا أعلم مالكاً ترك إنساناً إلا من فى حديثه شيءٌ) وقال الشافعى: (كان مالك إذا شك فى شيءٌ من الحديث تركه).

(ثم) يقول:

و لم يكن بالأمر الهين أن يبلغ مالك هذه المنزلة، بل تعب من أجلها وسهر، واجتهد وصبر، وحقق ودقق، ويكفينا أنه قال: (كتبت بيدى: مئة ألف حديث) وأنه قال: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين- وأشار إلى أعمدة المسجد- فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن)!.

(وكان) مالك: يجل حديث الرسول ﷺ غاية الإجلال، فهؤلاء هم الناس يقبلون إليه فى جموعهم ليستزيدوا من علمه فيسألهم عما يريدون، فإذا كانوا يريدون فقه المسائل خرج إليهم وأفتاهم، ولكنه إذا وجدهم يطلبون الحديث لا يخرج إليهم حتى يغتسل ويتطيب ويلبس ثياباً جديدة ويتعمم، ثم يخرج وعليه خشوع، إجلالاً منه للحديث (ولقد) لدغته عقرب وهو يروى حديثاً للرسول ﷺ، فاحتمل اللدغة، ولم يقطع الرواية، ولما سئل فى ذلك؟قال: صبرت إجلالاً منه الحديث (ولقد) لدغته عقرب وهو يروى حديثًا للرسول ﷺ، فاحتمل اللدغة ولم يقطع الرواية، ولمّا سُئل فى ذلك قال: صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

(ومن) تعظيمه لحديث النبى ﷺ أنه كان يعتبر رفع الصوت فى درس الحديث أمراً مكروها يحرم على المسلم أن يفعله، ويستدل على ذلك فيقول: قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي**﴾ [الحجرات: ٢]، فمن رفع صوته عند حديث النبى ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت الرسول ﷺ.

(وكان) يهتدى بالسنة المطهرة، ويعتبرها المصباح المضىء أمام الإنسان، ويرى أنه لا تجوز مخالفتها ولا الخروج عليها، وكان فى كثير من الأحيان يشير إلى قبر الرسول ﷺ، ثم يقول: (كُلُّ أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا صاحب هذه الروضة)!. (ولذلك) كان إذا ذكروا عنده أحداً من أهل الأهواء والشكوك يتمثل بعبارة قالها خامس الراشدين عمر ابن عبد العزيز، فيقول: (قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده[1] سنناً الأخذ بها اتباع لكتاب الله تعالى، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها، ولا النظر فى شيءٍ خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً).

(١) يقصد بهم الخلفاء الراشدين، وهم قد ساروا على ما سار عليه الرسول ﷺ الذى يقول: **((عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ...))**.

(وكان) مالك إذا ردد هذه العبارة العمرية يهتز لها سروراً (ونحن) نشهد فى سيرة مالك الإعجاب الزائد منه بخامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، ولعل السر فى ذلك هو اهتداء عمر بالسنة، وعودته بالحكم إلى هدى الخلافة الراشدة، فلم يكن عجيباً أن يتحدث مالك عن عمر كثيراً، ويروى جوانب من سيرته للناس..

(بل) بلغ من إعجاب مالك بخامس الراشدين أن سائلاً سأله عن حكم الله تعالى فى الخارجين على الخلفاء:

هل يجوز قتالهم؟. فقال مالك: إن خرجوا علي مثل عمر بن عبد العزيز فقاتلهم. فقال السائل: فإن لم يكونوا مثله؟ فأجاب مالك: دعهم ينتقم الله من لما لم بظالم، ثم ينتقم الله من كليهما ! ... (ثم) يقول:

(وحب) مالك للسنة كان يتضمن من غير شك حبه لصاحبها صلوات الله وسلامه عليه، ومن أجل حبه لرسول الله ﷺ أحب المدينة حبًّا شديداً، وعاش عمره كله فيها، ولم يتركها إلا للحج إلي مكة، ولانه كان يفضل مجاورة الرسول عليه الصلاة والسلام.

(ولقد) دعاه بعض الخلفاء كي يرحل إلي بغداد، فيحيا في ظل الخلافة وتحت ألوية النعيم، فأبي مالك وردد قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)!

(وبلغ) به توقيره لمكانة الرسول ﷺ أنه كان يستحي أن يركب أي دابة في المدينة، ويقول: إني لأستحي أن أركب دابة تطأ بحافرها أرضاً يضم تُرابها جسد الرسول ﷺ !.... (ثم) يقول:

* (ومن) توفيق الله الكبير — له — أن أقام مالك بالمدينة، وأن جعل درسه فيها بجوار قبر الرسول ﷺ..

* (وكان) من طريقة مالك في فقهه أنه كان يقدم القرآن أولاً وقبل كل شيء ويستعين في فهمه بالحديث والسنة، ولكنة كان يدقق في رواية الحديث، حتي لا يختلط صحيح بغير صحيح، وهو يعد عمل أهل المدينة حجة ومصدراً من مصادر الفقه الهامة، وهو يلتزم السنة، ولا يفارقها في الإفتاء، ويردد كثيراً هذا البيت:

خير أمور الدين ما كان سُنَّةً . وشَرُّ الأمور المحدثات البدائعُ

(وكان) يطيل التفكير فى المسألة قبل أن يفتى فيها، ويقول: (ربما وردت علىَّ المسألة فأسهر فيها عامة ليلتى)، وإذا جاءه السائل يسأله قال له:(انصرف حتى أنظر)، ثم يعود إليه السائل بعد حين ليسمع منه الجواب.

(وحدثه) بعض الناس فى ذلك فبكى مالك وقال: (إنى أخاف أن يكون لى من هذه المسائل يوم وأى يوم)!...

(وجاءه) ذات يوم أحد الناس وسأله سؤالاً، وكأن مالكاً قد استمهله حتى يفكر فى الجواب، فقال له السائل:هذه مسألة خفيفة، أى لا تحتاج إلى تفكير ولا تأجيل. (فغضب) مالك من ذلك وقال مستنكراً: (مسألة خفيفة سهلة !..ليس فى العلم خفيف، أما سمعت قول الله تعالى:﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾ [المزمل:٥]؟..

فالعلم كله ثقيل، وخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة)!

(ويؤكد) مالك هذا الخوف مرة أخرى فيقول: (ما من شئ أشد على من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام، لأن هذا هو القطع فى حكم الله).

(ولذلك) يقول مالك فتواه بعد اجتهاد وتدبر، وهو مع هذا لا يقطع بأن قوله هو عين الصواب، بل يحذر من الاستسلام المطلق لرأيه، ويقول: ﴿**إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**﴾ [الجاثية: ٣٢].

(بل) وحدث أن مالكاً تحير فى بعض المسائل الغامضة أو المبهمة أو المترددة بين وجهتين، وظل يطيل فيها النظر زمناً بعد زمن، وهو لا يقطع فيها برأى، ولا يخجل أن يصرح بهذا فيقول: (إنى لأفكر فى مسألة منذ بضع عشرة سنة ما اتفق لى فيها رأى إلى الآن)!.

(وورد) أنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب عن اثنتين وثلاثين منها–أى عن ثلثيها– بقوله: (لا أدرى)!....إلخ.باختصار.

إلى أن يقول بعد ذلك فى كتاب (الأئمة الأربعة)تحت عنوان:

صفات مالك وعاداته

(كان)مالك رجلا طويل القامة كبير الهامة، أبيض اللون، أصلع، أشم الأنف، حسن الصورة.

(وكان) يرتدى الثياب العدنية الجياد، ويلبس الملابس الجميلة ويعنى بها، ويحـــرص على استعمال العطور والطيب.

(وكان) يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المُثلة، ولا يكتم شيبه، ويأكل الطعام الجيد، وينال كل يوم قدراً لا بأس به من اللحم، (وقيل) إنه كان يحرص على ذلـــك بشكل لافت للنظر مثير للعجب، ويحب أكل الموز من غيره ويقول: (لا شيء أشــبه بثمر الجنة منه، لا تطلبه فى شتاء ولا صيف إلا وجدته، قال الله تعــالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ [الرعد: ٣٥].

(وكان) يهتم بتأثيث مترله حتى يبدو الأثاث جميلاً فخماً، وهـــو يســـتخدم فى الأثاث النمارق والوسائد والبسط والحشايا من ريش، وينفق عن سعة بعد أن مرت به فى حياته فترات ضيق وحاجة.

(وكان) مالك يرى هذا التوسع فى النفقة تمتعاً بالطيبات التى أحلـــها الله تعـــالى، والتى لا ينبغى للمسلم أن يحرمها على نفسه ما دام يجدها ويقدر عليهـــا، (ولقـــد) حاول يحيى بن يزيد النوفلى أن يعترض على الإمام مالك فى ذلك، فكتب إليه، ورد مالك عليه، ويحسن أن نرى الاعتراض والجواب عنه:

كتب يحيى إلى مالك يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين. من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى الإمام مالك بن أنس.

أما بعد، فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق، وتأكل الرقاق، وتجلس علـــى الـــوطىء، وتجعل على بابك حاجباً، وقد جلست مجلس العلم، وقد ضربت إليك المطى، وارتحل الناس، واتخذوك إماماً، ورضوا بقولك:

فاتق الله تعالى يا مالك، وعليك بالتواضع.كتبت إليك بالنصيحة منى كتاباً ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى، والسلام.

فرد عليه الإمام مالك يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد.سلام الله عليك، أما بعـــد، فقد وصل إلى كتابك، فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب.

أمتعك الله بالتقوى، وجزاك بالنصيحة خيراً، وأسأل الله تعالى التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فأما ما ذكرت لى أنى آكل الرقاق، وألبس الدقاق، وأحتجب، وأجلس على الوطيء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف:٣٢]، وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا، والسلام. وقد علق الإمام الغزالى عليه رضوان الله فى الجزء الأول من كتابه: (إحياء علوم الدين) بطريقته الورعة الزاهدة على رد مالك، فقال: فانظر إلى إنصاف مالك إذا اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، وأفتى بأنه مباح، وقد صدق فيهما جميعاً.

(ومن) صفات مالك

أنه كان قوى الحافظة شديد الوعى، يحفظ العشرات من الأحاديث بمجرد سماعها، ويغلب عليه الصبر والعزم القوى على مغالبة الصعاب وبلوغ ما يريد، وكانت فيه ألمعية وقوة فراسة.

(ومن) طباع مالك

أنه كان يتجنب الأغلوطات والبحوث التى لا تجدى أو ليست لها ثمرة عملية، (ولقد) سأله سائل عن معنى قول القرآن: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** [طه:٥] فكيف استوى؟..فسكت مالك حتى شمله العرق، ثم قال: الاستواء منه معلوم[1] ، والكيف منه مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب.

فقال السائل:والله الذى لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له !.

(وكانت) فى مالك هيبة واضحة، فقد هابه تلاميذه ومعارفه، وهابه الحكام والخلفاء، وجاءته هيبته هذه من قوة روحه وحسن سمته وجمال تصرفه.

(١) أى: من القرآن .

(ولقد) قال سعيد بن هند الأندلسى: ما هبت أحداً هيبتى عبد الرحمن بن معاوية عبد الرحمن الداخل فدخلت على مالك فهبته هيبةً شديدة صغرت هيبة ابن معاوية !.

(بل) قال الشافعى: (ما هبت أحداً قط هيبتى من مالك بن أنس!... (ثم) يقول بعد ذلك تحت عنوان:

أُسرة مالك

تزوج الإمام مالك عن طريق (التسرى)، أى بأمة من الإماء، ولم يتزوج حرةً، وكان يحب زوجته أم ولده، ويعتز بها، وولد له منها ثلاثة أبناء هم: محمد، وحماد، ويحيى، وبنت تسمى (فاطمة) ويقال لها: أم البنين، وكانت تحفظ (الموطأ)، وكانت إذا عقد أبوها مجلسه فى منزله، تجلس خلف الباب تسمع قراءة من يقرأ على أبيها الموطأ، فإذا أخطأ القارئ دقت فاطمة الباب، فيأمر مالك من يقرأ بأن يعاود القراءة ويصحح الخطأ.

(ومن) العجيب أن ابنته نالت هذه المكانة العلمية، وبقى أبناؤه دونها بمراحل، وكان مالك يتعجب من هذا التفاوت ويقول:إنما الأدب أدب الله، هذا ابنى.. وهذه ابنتى!!.

(ثم) بعد ذلك يقول فى ختام كتاب (الأئمة الأربعة) تحت عنوان:

وفاة مالك

مرض مالك اثنين وعشرين يوماً، ودخل عليه بكر بن سليمان الصواف مع جماعة ليلة وفاته، فقالوا: يا أبا عبد الله، كيف تجدك؟.فقال: ما أدرى كيف أقول لكم، إلا أنكم ستعاينون غداً من عفو الله ما ليس فى حساب.(وبعد) قليل تشهد وقال: (لله الأمر من قبل ومن بعد)، ثم أسلم روحه إلى بارئها..

(وكانت) وفاته بالمدينة فى اليوم الرابع عشر من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة.(وقيل):فى اليوم الحادى عشر، أو الثالث عشر، أو الرابع عشر من رجب، (وذكر) النووى: أن توفى فى صفر..والقول الأول أشهر.

(ثم) حسبى كذلك أن أذكر ببعض الأقوال التى قيلت فى الإمام مالك..كما جاء أيضا فى نفس المرجع السابق بتصرف:

فقد قال الإمام الشافعى: (مالك معلمى وأستاذى، ومنه تعلمنا العلم، وما أحـد أَمَنَّ عَلَىّ من مالك، وجعلت مالكاً حجة فيما بينى وبين الله تعالى)!..

ويقول محمد بن عبد الحكم: إذا انفرد مالك بقول لم يقله غيره فقوله حجة.

وقال ابن مهدى: ما بقى على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله ﷺ من مالك.

وقال أيوب بن سويد: ما رأيت أحداً قط أجود حديثاً من مالك بن أنس.

وقال أبو حاتم الرازى: مالك ثقة، إمام أهل الحجاز، وهو أثبت أصحاب الزهرى، وإذا اختلفوا فالحكم لمالك، ومالك تقى الرجال، نقى الحديث، وهو أتقن حديثاً من الثورى والأوزاعى.

وقال أبو مصعب: كانوا يزدحمون على باب مالك بن أنس، فيقتتلون على الباب من الزحام، وكنا نكون عند مالك فلا يكلم هذا هذا، ولا يلتفت ذا إلى ذا، والناس قائلون برءوسهم هكذا-أى يمدونها للمبالغة فى الإنصات-وكانت السلاطين تهابه وهم قائلون ومستمعون وكان يقول فى المسألة: لا، أو نعم، فلا يقال له: من أين قلت هذا؟.

وقال النووى عنه:أجمعت طوائف العلماء على إمامته وجلالته وعظم سيادته، وتبجيله وتوقيره، والإذعان له فى الحفظ والتثبيت، وتعظيم حديث رسول الله ﷺ . ا.هـ.

(فهذا) هو الإمام مالك بن أنس..

وتلك شهادة العلماء الأجلاء له..(وقد) ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال للمؤمنين مزكياً شهادتهم لصالح الصالحين: **((أنتم شهداء الله فى الأرض))** [1]، وإذا كان الله تبارك وتعالى قد قال فى قرآنه:﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾ [الفتح: ٢٨]، فإنه أيضاً حسبه شهادة الله له..

(ونحن) نسأله سبحانه وتعالى أن يجزيه عنا وعن السنة المحمدية خير الجزاء..إلى يوم الدين..

اللهم آمين

---

(١) من حديث صحيح متفق عليه (رياض الصالحين) باب ثناء الناس على الميت.

٣- الإمام الشافعى رضي الله عنه وأرضاه ١٥٠-٢٠٤هـ

حياته ومكانته العلمية

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع، ينتهى نسبه إلى قُصَىّ، ويلتقى نسبه مع النبى ﷺ فى عبد مناف، ولد رحمه الله بغزة من أعمال الشام سنة ١٥٠هـ، وحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، وبها نشأ وقرأ القرآن الكريم، وأقام فى هذيل نحواً من عشر سنين تعلم منهم اللغة والشعر حتى كان من أوثق الناس بأشعار الهذليين، وقد روى أن الأصمعى صحح عليه أشعارهم، وأخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة، ثم رحل إلى المدينة وتتلمذ على مالك فقرأ عليه الموطأ كله، ورأى فيه مالك من الذكاء وقوة الذاكرة والنباهة المبكرة ما جعله يكرمه ويصله، ثم تولى الشافعى العمل فى إحدى ولايات اليمن، وهناك وُشِىَ به إلى الرشيد فأحضر إلى بغداد متهماً بالتشيُّع والدعوة لآل البيت، وكان ذلك سنة ١٨٤هـ فتدخل محمد بن الحسن عند الرشيد حتى اقتنع ببرائته، وهناك تم له الإتصال بالإمام محمد وأخذ عنه كتب أصحابه، حتى قال: (خرجت من بغداد وقد حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعيد) ثم عاد إلى مكة، وما زال ينتقل بين العراق والحجاز حتى أقام فى مصر سنة ١٩٩هـ، وبها دَوَّن مذهبه الجديد إلى أن توفى عام ٢٠٤هـ، بعد أن ملأ الدنيا علماً واجتهاداً، وبعد أن جمع حوله أفذاذ طلاب العلم فى مصر والعراق، وبعد أن ملأ القلوب بحبه وإجلاله والاعتراف بإمامته؛ لما كان يتمتع به رحمه الله من علم غزير ومنطق فحل وذكاء عجيب، وذهن نافذ إلى لب الحقائق، وإحاطة واسعة بكتاب الله وسنة رسوله، وعلوم اللغة وآدابها.

دورة فى الدفاع عن السنة

وللشافعى -عدا مكانته الفقهية- مكانة ممتازة عند أهل الحديث، فهو الذى وضع قواعد الرواية، ودافع عن السنة دفاعاً مجيدًا، وأعلن رأيه الذى يخالف فيه مالكاً وأبا حنيفة، وهو أن الحديث متى صح بالسند المتصل إلى النبى ﷺ يجب العمل به من غير تقييده بموافقة عمل أهل المدينة كما اشترط مالك، أو بالشروط المتعددة التى اشترطها

أبو حنيفة، وبذلك كان فى جانب أهل الحديث مما جعلهم يطلقون عليه لقب(ناصر السنة) وفى الحق أن (رسالته) وبحوثه فى (الأم) من أثمن ما ألفه العلماء دفاعاً عن حجية السنة ومكانتها فى التشريع بأسلوب قوىٍّ جذل، وأدلة دامغة قاهرة، ولا ينكر كل من كتب فى مصطلح الحديث وفى مباحث السنة والكتاب من علماء الأصول، أنه مَدين للشافعى فيما كتب.

ومن هنا كان صحيحاً ما يقوله محمد بن الحسن: (إن تكلم أصحاب الحديث يوماً فبلسان الشافعى) وما قاله الزعفرانى: (كان أصحاب الحديث رقوداً فأيقظهم الشافعى). ومن هنا أجله علماء الحديث وذكروه بكل خير، فقال فيه أحمد بن حنبل: (ما أحد مس بيده محبرة وقلماً إلا للشافعى فى رقبته منة). ويقول: (ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعى). وقال عبد الرحمن بن مهدى: (لما نظرت الرسالة للشافعى أذهلتنى لأننى رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح، فإنى لأكثر الدعاء له). وقال الكرابيسى: (ما كنا ندرى ما الكتاب والسنة حتى سمعناه من الشافعى، ومنا رأيت مثل الشافعى، ولا رأى الشافعى مثل نفسه، وما رأيت أفصح منه وأعرف).

أصول مذهبه

كانت أصول مذهبه كأصول الأئمة الآخرين: العمل بالكتاب والسنة والقياس والإجماع، إلا أن عمله بالسنة كان أوسع دائرة من مالك وأبى حنيفة من ناحية الأخذ بخبر الآحاد، وكان أضيق دائرة من ناحية رفض العمل بالمرسل إلا إذا كان مرسل كبار التابعين كسعيد بن المسيب.ومن أصوله (الاستصحاب) وقد أخذ به الحنفية فى الدفع لا فى الإثبات.

ولم ينقل عن الشافعى من الحديث كتاب مستقل إلا (مسند الشافعى)رواية أبى العباس الأصم، و(سنن الشافعى)رواية الطحاوى، ويظهر أنه من استخراج تلاميذه لا من تأليفه كما هو الحال فى مسانيد أبى حنيفة، وذلك لأنه لم يجلس للتحديث كما هى عادة المحدثين، ولا عنى بجمع الروايات والطرق كما عنوا بذلك، وإنما هو إمام

مجتهد يبحث فى السنة عن كل ما يمكن أن يكون أصلاً من أصول التشـريع، فهـو يطلب الحديث ليكون نواة لاجتهاده وفقهه، لا ليملأ به الكراريس والصحف، وهذا هو الفرق بين المحدثين المنقطعين للتحديث، وبين الأئمة المعنيين بالفقـه والتشـريع. ا.هـ من كتاب (منهاج الصالحين).

(ثم) أضيف بعد ذلك بعض المقتطفات الموضوعية من كتاب (الأئمـة الأربعـة) لفضيلة الدكتور أحمد الشرباصى –عليه رحمة الله – حيث يقول، تحت عنوان:

الشافعى

الشافعى هو ثالث الأئمة الأربعة فى ترتيب الميلاد، وهو (ناصر الحديث) و (مجدد القرن الثانى)، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل: يروى عن النبى ﷺ أن الله عز وجـل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها، فكان عمر بن عبـد العزيز على رأس المائة، وأرجو أن يكون الشافعى على رأس المئة الأخرى.

(ثم) يقول: وإذا كان ابن حنبل قد قصر كلامه على دائرة التوقع والرجاء، فقـد جاء بعده من أصدر الحكم صريحاً فى ذلك، (فقد) حدث سنة ثلاث وثلاثمائـة أن دخل على أحمد بن سريح القاضى شيخ من أهل العلم وقال له: أبشر أيها القاضى، فإن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها، وأنه تعالى بعث علـى رأس المئة الأولى: عمر بن عبد العزيز، وتوفى سنة ثلاث ومئة[1] وبعث على رأس المئتين أبا عبد الله محمد إدريس الشافعى، وتوفى سنة أربع ومئتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة، ثم أنشأ يقول:

اثنان قـد مضـيا، فبـورك فيهمـا ... عمر الخليفـة، ثم خلـف السـؤدد
الشـافعىُّ الألمعـىُّ محمـدٌ ... إرثُ النبـوة، وابـن عـمِّ محمـد
أبشـر أبـا العبـاس إنـك ثالـث ... من بعـدهم، سـقيا لتوبـة أحمـد

فصاح ابن سريح باكياً وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلى نفسى. ومات ابن سريح فى هذه السنة.

(١) فى الجزء الأول من كتاب (خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز) أنه توفى سنة إحدى ومئة، انظر ص٢٥.

(ثم) جاء بعد ذلك جلال الدين السيوطى، وأنشأ منظومة سماها (تحفة المهتـــدين بأخبار المجددين)، وذكر فيها أن المجدد الأول على رأس المئة الأولى، هـــو:خـــامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، وأن الشافعى هو المجدد على رأس المئة الثانية، فقال:

فكـــان عنـــد المئـــة الأولى عمـــر خليفـــة العـــدل بإجمـــاع وُقـــر

والشـــافعى كـــان عنـــد الثانيـــة لمـــا لـــه مـــن العلـــوم السـاـرية

(ثم) يقول: ولقد عاش الشافعى عمره فى العصر العباسى، وهو عصر ازدهرت فيه الثقافة...واتسعت الترجمة، ونقلت الفلسفة، ودونت العلوم، وتعددت العناصر داخل المجتمع الإسلامى، وكثرت الحوادث الاجتماعية، وظهـــرت الاتجاهـــات الفكريـــة المختلفة، ونجم بلاء الزندقة، وحاول محاولون إشاعة الفساد والتحلل بـــين الأمـــة، ونشأت جماعات المتكلمين والمفندين لأقوال الخارجين على الملة، وظهرت ملامـــح التميز الواضح بين مدرسة الحديث والنقل، ومدرسة الرأى والعقل، واتســـع نطـــاق الجدل والمناظرة بينهما، وكان الشافعى أقرب إلى المدرسة الأولى منه إلى الثانية...إلى أن يقول بعد ذلك تحت عنوان:

مولده ونسبه

ولد الشافعى بغزة من أرض فلسطين سنة خمسين ومئة، وهذا هو المشهور عنـــد الكثيرين..وهناك رواية تقول إنه ولد بعسقلان، وهى بلدة تبعد نحو ثلاثة فراسخ من غزة، وعلى مرحلتين من بيت المقدس أو ثلاث، وهناك رواية أبعد من سابقتها، وهى أنه ولد باليمن.وروى ياقوت عن الشافعى أنه قال: (ولدت باليمن، فخافت أمى على الضيعة) فحملتنى إلى مكة وأنا ابن عشر أو شبيه بذلك).. (وقـــد) أورد يـــاقوت الروايات الثلاث فى ميلاد الشافعى، ثم قال: (لا شك أنه ولد بغـــزة، وانتقـــل إلى عسقلان إلى أن ترعرع). وكذلك قال النووى: (المشهور الذى عليه الجمهـــور أن الشافعى ولد بغزة)

(ويروى) أن الشافعى ولد فى الليلة التى مات فيها أبو حنيفة، ولئن صح هـــذا- والتأكد منه بعيد -إنها لمصادفة عجيبة، أن يموت إمام فيولد عند موته إمام...

(ثم) يقول:

(والشافعى) هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، فهو عربى قرشى هاشمى مطلبى، يلتقى مع الرسول ﷺ فى جده عبد مناف، ولذلك يقال عن الشافعى إنه (ابن عم الرسول) ﷺ ... (وأما) أبوه فقد مات والشافعى صغير، فانتقلت به أمه إلى مكة وعمره سنتان، لتحافظ على شرف نسبه...(وقيل): إن عمره كان عشر سنوات، فنشأ الشافعى يتيما..(ثم) يقول:

(وأم) الشافعى: امرأة من الأزد، وليس بصحيح ما قيل أنها من قريش، واسمها فاطمة بنت عبد الله الأزدية، (ولقد روى) النووى عند حديثه عن أم الشافعى أن الرسول ﷺ قال: «**الأَزْد أُسْدُ الله فى الأرض، يريد الناس أن يضعوهم، ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان يقول الرجل: يا ليتنى كنت أزدياً، ويا ليت أمى كانت أزدية..** » كما روىحديثاً موقوفاً جاء فيه: «**الملك فى قريش، والقضاء فى الأنصار، والأذان فى الحبشة، والأمانة فى الأزد**».

(ولقد) شب الشافعى فقيراً رقيق الحال ضيق العيش، حتى احتاج وهو يطلب العلم إلى جمع قطع الخزف (الفخار) وقطع الجلود، وسعف النخل، وعظام الجمال ليكتب عليها، وكان يذهب إلى الدواوين ويستوهب أهلها أوراقاً ليكتب عليها.

(ثم) يقول، تحت عنوان:

نشأته العلمية

حفظ الشافعى القرآن بسرعة وهو صغير، وأخذ يحفظ الأحاديث ويكتبها، وعنى بتعلم قواعد العربية وكلماتها، ورحل فى سبيل ذلك إلى البادية، وعاشر قبيلة (هذيل) نحو عشر سنين، ليتعلم من كلامها، ويأخذ طبعها، وكانت (هذيل) أفصح العرب.وحفظ الشافعى أشعار (هذيل) وأخبارها، حتى قال الأصمعى أنه صحح أشعار (هذيل) على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس، يعنى الشافعى..(وتعلم) الرمى بجوار العلم، حتى كان يرمى عشرة سهام، فلا يخطئ فى سهم منها، وقال: (كانت همتى فى شيئين:فى الرمى والعلم، فصرت فى الرمى بحيث من عشرة عشرة). وسكت، فقال له بعض من سمعه: (أنت والله فى العلم أكثر منك فى الرمى).

(ولقد) كان الشافعى منصرفاً فى أول أمره — كما رأينا- إلى الشعر والأدب وأيام العرب، ولكن الله هيأ له من الأسباب ما صرفه إلى الفقه والعلم...(فلقد) روى أنه كان يسير يوما على دابة له وهو ناشئ، وخلفه كاتب لعبد الله الزبيرى، فتمثل الشافعى ببيت من الشعر، فقرعه الكاتب بسوطه كالناصح وقال له مرشداً: مثلك يذهب بمروءته فى مثل هذا؟..أين أنت من الفقه ؟..فأثر فيه ذلك وهزه، وسارع بمجالسة مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة، ولقى عنه.

(وروى) أنه التقى وهو فى طريقه إلى طلب النحو والأدب، بمسلم هذا، فقال للشافعى: من أين أنت ؟..قال: من أهل مكة..قال: أين منزلك ؟..فقال: بشعب [1] الخيف..قال: من أى قبيلة أنت ؟.. فأجاب الشافعى: من عبد مناف.

قال مسلم: بخٍ بخٍ[2]، لقد شرفك الله فى الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك هذا فى الفقه فكان أحسن لك...إلى أن (يقول) بعد ذلك: والثابت أن الشافعى طلب العلم فى مكة وبرع فيه، ولما أذن له مسلم بن خالد الزنجى فى الإفتاء لم يقنع الشافعى بما حصله..بل واصل طلب العلم، وهاجر إلى المدينة وتلقى عن الإمام مالك بعد أن استعد للقائه، بأن قرأ (الموطأ) وحفظ أكثره، وأخذ كتاب توصية للإمام من والى مكة...ولما التقى الإمام مالك بالشافعى قال له فيما قال: (إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية)!.

(ثم) يقول: وأخذ الشافعى يقرأ عليه ومالك يستزيده فى القراءة، وظل معه يروى عنه ويتفقه عليه إلى أن مات مالك سنة تسع وسبعين ومئة، وكان الشافعى خلال ذلك يزور أُمَّه بمكة، أو يقوم برحلات هنا وهناك...

(إلى) أن يقول بعد ذلك تحت عنوان:

شيوخ الشافعى

بدأ الشافعى بشيخه مسلم بن خالد الزنجى وغيره من أئمة مكة، ثم رحل وسِنُّه

---

(١) الشعب: بكسر الشين المشدودة:انفراج بين الجبلين، وجمعه شعاب..

(٢) بخٍ بخٍ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشىء، أو المدح، أو الفخر.

ثلاث عشرة إلى المدينة، ولازم فيها الإمام مالكاً حتى مات، ثم كان لـه شـيوخ فى الحواضر والعواصم الكبرى التى رحل إليها.

(فمن) شيوخ الشافعى فى مكة: مسلم بن خالد الزنجى، وسفيان بن عيينة، وسـعيد ابن سالم القداح، وداود بن عبد الرحمن العطار، وعبد الحميد بن عبد العزيز بن أبى داود.

(ومن) شيوخه فى المدينة: مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد الأنصـارى، وعبـد العزيز بن محمد الدار وردى، وإبراهيم بن يحيى الأسامى، ومحمد بن سـعيد بـن أبى فديك، وعبد الله بن نافع الصائغ.

(ومن) شيوخه فى اليمن: مطرف بن مازن، وهشام بن يوسف قاضـى صـنعاء، وعمر بن أبى مسلمة صاحب الأوزاعى، ويحيى بن حسان صاحب الليث بن سعد.

(ومن) شيوخه فى العراق: محمد بن الحسن، ووكيع بن الجراح الكوفى، وأبو أسامة حماد بن أسامة الكوفى، وإسماعيل بن عطية البصرى، وعبد الوهاب بن عبـد المجيـد البصرى.....(ثم) يقول بعد ذلك تحت عنوان:

تلاميذ الشافعى

إذا كان الشافعى قد كثرت شيوخه بالصورة التى رأيناها فإن تلاميذه قد كثـروا كذلك، (فمن) تلاميذه فى (مكة): أبو بكر الحميدى، وإبراهيم بن محمد بن العباس، وأبو بكر محمد بن إدريس، وموسى بن أبى الجارود.

(ومن) تلاميذه فى (بغداد): الحسن الصباح الزعفـرانى، والحسـين بـن علـى الكرابيسى، وأبو ثور الكلبى، وأحمد بن محمد الأشعرى البصرى.

(ومن) تلاميذه فى (مصر): حرملة بن يحيى، ويوسف بن يحيى البويطى، وإسماعيل ابن يحيى المزنى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، والربيع بن سليمان الجيزى.

(ومن) أبرز تلاميذ الشافعى: أحمد ابن حنبل الذى سئل عن الشافعى فقال: لقـد مَنَّ الله به علينا، لقد كنا تعلمنا كلام القوم، وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا الشافعى، فلما سمعنا كلامه علمنا أنه أعلم من غيره، ولقد جالسناه الأيام والليالى فما رأينا منه إلا كل خير، رحمة الله عليه...

إلى أن يقول بعد ذلك: (وكان) الشافعى يلقى درسه بمكة فى المسجد الحرام حيث استمع إليه الكثيرون فى موسم الحج وغيره، وحيث التقى به الإمام ابن حنبل وأخذ عنه، ويدل على هذا أن إسحاق بن راهويه كان عند سفيان بن عُيينة يكتب منه أحاديث عمرو بن دينار، فجاءه أحمد بن حنبل فقال له: (قم يا أبا يعقوب حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله).

فقام معه إسحاق وأتيا فناء زمزم، فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض، تعلو وجهه السمرة، حسن السمت حسن العقل، وهو الشافعى الذى أجلس إسحاق بجانبه، وقال ابن حنبل للشافعى: (يا أبا عبد الله، هذا إسحاق بن راهويه الحنظلى) فرحب الشافعى به وحياه، وذاكره فانفجر منه لإسحاق علم أعجب إسحاق حفظه.

(ثم) قال ابن حنبل لإسحاق: (يا أبا يعقوب، اقتبس من الرجل فإنه ما رأت عيناى مثله!..)... (وفى) سنة خمس وتسعين ومئة عاد الشافعى من مكة إلى بغداد، بعد أن سطع نجمه فى الفقه، فأقبل عليه العلماء والمحدثون وأهل الرأى، وألف كتابه (الرسالة) التى وضع بها الأساس لعلم أصول الفقه...(وفى) آخر سنة تسع وتسعين ومئة، وقيل: سنة مائتين رحل إلى مصر..(ويقال): إن سبب قدومه مصر هو أن العباس بن عبد الله والى مصر –وهو قرشى هاشمى- استدعى الشافعى إلى مصر فاستجاب، وقال وهو يهمُّ بالرحيل:

لقد أصبحت نفسى تتوق إلى مصر ... ومن دونها قطع المهامه والقفر

فوالله ما أدرى أللفوز والغنى ... أُساق إليها أم أساق إلى القبر

(وأقام)بمصر أربع سنين ونيفاً، وصنف فيها كتبه وسار ذكره، وقصده الناس من الشام واليمن والعراق.

ووضع مذهبه الجديد الذى ذهب إليه فى مصر بسبب تغير الأوضاع والعادات، وضمنه كتاب (الأم).

(وكانت) الدروس والعلوم التى يلقيها الشافعى على تلاميذه كثيرة متعددة، تدل على باع طويل من الشافعى فى العلم، وتدل على تعدد المشارب التى كان يترع إليها

تلاميذه فى طلب العلم، ويتضح هذا إذا عرفنا أن الشافعى كان- كما يقول الربيع بن سليمان – يجلس فى حلقته إذا صلى الفجر، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار !..(ومعنى) هذا أن الشافعى يظل قرابة ست ساعات يومياً يلقى دروساً متواصلة..ينتقل فيها من علم إلى علم، ومن مادة إلى مادة، ويظل ملازماً مكانه، وجموع التلاميذ تتوالى عليه، يذهب عنه جَمْع ليقبل عليه آخر، ويظل هكذا من بعد صلاة الفجر حتى تدنو صلاة الظهر!.. (ثم)بعد ذلك يقول تحت عنوان:

فقه الشافعى

إن فقه الشافعى يمثل طور الإزدهار الفقهى فى تاريخ التشريع الإسلامى، لأنه يجمع بين فقه أهل العقل والرأى، وفقه أهل النقل والحديث، وهو أيضا: الفقه الذى يتمثل فيه ضبط السنة والقياس والرأى بموازين ومقاييس، كما أنه الفقه الذى حدد طرق الفهم للقرآن والسنة، وقواعد الإستنباط والتخريج، ولذلك يعتبر الشافعى بحق واضح أصول الفقه...

إلى أن يقول: (والشافعى) فى فقهه ومذهبه يتخذ القرآن الكريم الإمام الأول له فى الحكم والتشريع، ثم يقول: إن السنة بمترلة القرآن، لأنها مبينة له ومفسرة، ولذلك تعد المصدر التالى للقرآن، وإذا ما صح الحديث عند الشافعى خضع له، ولذلك كان يقول: (هل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة)؟.. وكان يقول: (إذا صح الحديث فهو مذهبى).

(وكان) إذا عرضت له مسألة بحث فيها أولاً عن الحديث النبوى ليعتمد عليه، وكان يطلب من تلاميذه أن يتركوا رأيه ويأخذوا بما يثبت لديهم من الحديث إذا خالف رأيه الحديث..(وكان) يقول: (أى أرض تقلنى، وأى سماءٍ تظلنى، إذا رويت عن رسول الله ﷺ ولم أقل: نعم على الرأس والعينين)!.

(وكان) يقول: (مهما قلت من قول، أو أصَّلتُ من أصل، وفيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولى)...

(وكان) الشافعى يعنى بتمحيص ما يرويه الرواة منسوباً إلى الرسول ﷺ، ولذلك كان يشترط فى راوى الحديث أن يكون ثقةً صادقاً متديناً، فاهماً ما يرويه، ضابطاً له وحافظاً إن رواه من كتاب، وأن يكون قد سمع الحديث مباشرة ممن يرويه عنه !.

(وكان) الشافعى يأخذ بالإجماع، ويعتبره حجة بعد القرآن والحديث، ولكنه وضع للإجماع قيوداً وشروطاً، حتى لا ينتقل أمره إلى دعوى أو فوضى.

(وكان) الشافعى يكره الابتداع فى الدين، ولذلك كان يكره علم الكلام وأهله الذين يبتدعون، ويرى أنهم يستحقون الضرب والتشهير، ويقول عنهم: (هذا جزاء من ترك السنة وأخذ فى الكلام)...(وكان)يقول: (من استحسن فقد شرَّع)أى من قال فى الدين برأيه فد أضاف إلى الدين ما ليس منه !...إلى أن (يقول) تحت عنوان:

الشافعى والسياسة

كان الشافعى يرى أن الإمامة –أى الخلافة– لازمة، وأنها فى قريش، وروى فى كتابه (الأم) كثيراً من الأحاديث فى فضل قريش، ويرى أن الخلافة تكون بالبيعة، إلا إذا دعت الضرورة، فإنها تقوم بغير بيعة، فلو غلب أحد بالقوة وأجمع عليه الناس جازت إمامته.

(وكان) الشافعى لا يرتضى كثرة الخوض فيما وقع بين الصحابة من خلاف أو حرب، كالذى حدث بين على ومعاوية، وكان يستحسن قول خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز عندما سألوه عن أهل حرب صفين: (هذه دماء طهر الله منها يدى، فلا أحب أن أخضب منها لسانى)!.

(وكان) الشافعى يقدم أبا بكر رضي الله عنه على غيره، (ومع) ذلك يحب آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام، ويشيد بعلى بن أبى طالب رضي الله عنه، ويردد:

إن كان رفضاً حُبُّ آل محمد ... فليشهد الثقلان أنى رافضى

إلى أن يقول بعد ذلك، تحت عنوان:

صفات الشافعي

(كان) الشافعي حسن الهيئة، طويل القامة، طويل العنق، أسمر اللون، حسن الصوت والإلقاء، يبكي القوم بقراءة القرآن، وكان مقتصداً في ثيابه، ويتختم بخاتم في يساره كتب عليه: (كفى بالله ثقة لمحمد بن إدريس).

(وكان) ذا معرفة بالطب ومهارة في الرمي، وكان يأخذ بأذنه وأذن الفرس والفرس يعدو..

(وكان) حاضر البديهة، قوي الإدراك، عميق الفكرة، واسع العقل، حتى قال فيه بشر المريسي: (هذا رجل معه نصف عقل أهل الدنيا). وكان يميل إلى البحث في الأمور الكلية أكثر من الأمور الجزئية.

(وكان) فصيح اللسان، موفور البيان، قوي الجنان، وطيد الإيمان، بارعاً في الخطابة، حتى لقبه ابن راهويه: (خطيب العلماء).

(وكان) نافذ البصيرة خبيراً بالنفوس..

(ثم) يقول:

(ومن) أخلاق الشافعي: المروءة، حتى يقول في ذلك يحيى ابن معين: (لو كان الكذب مباحاً لكانت مروءة الشافعي تمنعه أن يكذب).والشافعي نفسه يقول: (لو علمت أن الماء البارد يثلم مروءتي ما شربته!).

(ومن) أخلاقه السخاء والكرم، فقد قدم إلى مكة من صنعاء ومعه عشرة آلاف دينار، فما برح حتى فرقها كلها، وكانت تأتيه مجموعات من الثياب والوشي -وهو في مصر- فيقسمها بين الناس.

(ولقد) سقط سوطه وهو راكب، فناوله له أحد المارة بعد أن مسحه بكفه، فأمر الشافعي غلامه بأن يعطيه الدنانير التي معه، وكانت نحو سبعة، وفعل مثل هذا مع رجل أصلح له نعله.

(وكان) يطلب إلى أصدقائه أن يقترحوا عليه ما يحبونه من أطعمة ليصنعها لهم في بيته ويأكلوا منها.

(وكان) يتبع الحق أينما كان، ولا يخجل من أن يعود إليه إذا ند عنه [(١)]، ولقد يرى الرأى فيصرح به، فإذا لاحت له أدلة أخرى، أو انقدح فى ذهنه رأى آخر، واعتقد أنه أصح من الأول، ترك الرأى الأول وجاهر بالثانى. (ولذلك) رأينا فى فقه الشافعى ما يسمى:

(القول القديم) و(القول الجديد)....إلى أنه يقول:

(ومن) أخلاق الشافعى: نفوره من الشهرة والفخر والإعجاب بالذات، ولذلك يقول: (وددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الله الحق على يديه. وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إلى منه حرف واحد.وددت أن كل علم يعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدونى قط.. ما ناظرت أحداً على الغلبة)!.

(ومن) أخلاق الشافعى: شعوره القوى بالتبعة، وإحساسه العميق بالمراقبة، وخوفه الشديد من المحاسبة، فقد قيل له: كيف أصبحت ؟. فأجاب: كيف يصبح من يطلبه ثمانية: الله تعالى بالقرآن، والنبى ﷺ بالسنة، والحفظة بما ينطق، والشيطان بالمعاصى، والدهر بصروفه، والنفس بشهواتها، والعيال بالقوت، وملك الموت يقبض روحه؟!.

(وكان) الشافعى: كثير العبادة والتهجد، وحسبنا أن نعلم عنه أنه كان يقسم ليلة ثلاثة أقسام: فثلث للكتابة، وثلث للصلاة والتهجد، وثلث للنوم !.

(ثم)بعد ذلك يقول تحت عنوان:

مرض الشافعى ووفاته

تعرض الشافعى فى حياته لأمراض كثيرة من بينها:

(البواسير) الذى كان سبباً لنزف الدم منه فى أكثر الأحيان ... (وهذا) هو المشهور.

ويروى أن الربيع دخل عليه قرب وفاته وقال له: كيف أصبحت ؟. فأجاب الشافعى وكأنه أحس دنو أجله:أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخوانى مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء أعمالى ملاقياً، وعلى الكريم سبحانه وارداً، ثم بكى).. (ثم) يقول:

(وقد) توفى الشافعى بمصر ليلة الخميس بعد المغرب، فى آخر ليلة من شهر رجب سنة أربع ومئتين، وعمره أربعة وخمسون عاماً، وكانت وفاته عند عبد الله بن الحكم،

(١) ند عنه: أى ابتعد عنه.

وإليه أوصى، ودفن فى يوم الجمعة التالى ليوم وفاته، ودفنه بنـو عبـد الحكـم فى مقابرهم، وقبره غربى الخندق، وحوله جماعة من بنى زهرة، يقول يـاقوت: (وقـبره مشهور هناك مجمع على صحته)!...(ثم)بعد ذلك يقول تحت عنوان:

بعد وفاة الشافعى

روى ابن فرحون فى (الديباج المذهَّب): إن جماعة جلسوا فى حلقة الشافعى عقب موته، فأقبل عليهم أعرابى فسلم، وسأل عن الشافعى قائلا: أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟...

فقالوا له: توفى رحمه الله !.

فبكى الرجل بكاءاً شديداً ثم قال: رحمه الله وغفر له..كان يفتح ببيانـه منغلـق الحجة، ويسد فى وجه خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوهـاً مسـودة، ويوسع بالرأى أبواباً منسدة !.

(نعم)، هذا هو الإمام الشافعى الذى قال عنه أبو بكير الحميدى: الشافعى سيد الفقهاء.

وقال عنه أحمد ابن حنبل: الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء: فى اللغة، واختلاف الناس، والمعانى، والفقه.

وقال عنه سفيان الثورى:الشافعى أفضل أهل زمانه.

وقال عنه يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت أعقل أو أفقه منه.

وقال عنه أيوب بن سويد الرملى: ما ظننت أنى أعيش حتى أرى مثل الشافعى.

وقال عنه محمد بن عبد الحكم: لولا الشافعى ما عرفت كيف أرد على أحد، وبه عرفت ما عرفت، وهو الذى علمنى القياس رحمه الله، فقد كان صاحب سنة وأثـر، وفضل وخير، مع لسان فصيح طويل، وعقل صحيح رصين.

وقال عنه داود بن على الظاهرى: للشافعى من الفضائل ما لم يجتمع لغيره مـن شرف نسبه، وصحة دينه، ومعتقده، وسخاوة نفسه، ومعرفتـه بصـحة الحـديث وسقيمه، وناسخه ومنسوخه، وحفظ الكتاب والسنة، وسـيرة الخلفـاء، وحُسْـن التصنيف. ا.هـ بتصرف كبير وتقديم وتأخير من كتاب (الأئمة الأربعة). لفضـيلة الشيخ الدكتور أحمد الشرباصى عليه رحمة الله.

ورضى الله تعالى عن الإمام الشافعى، وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خـير الجزاء.. إلى يوم الدين.

اللهم آمين

الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ١٦٤-٢٤١هـ

حياته ومكانته العلمية

هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى، ولد فى بغداد سنة ١٦٤هـ، وبها نشأ وترعرع، حضر فى أول طلبه للعلم مجلس أبى يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة، ثم انتقل إلى طلب الحديث، وما زال يجد فى طلبه ويلقى الشيوخ ويكتب عنهم، حتى بلغ الذروة فى حفظ السنة والإحاطة بها، وحتى أصبح إمام السنة فى عصره غيرمنازع، أخذ عن الشافعى الفقه أولاً، ثم أخذ الشافعى عنه الحديث، ومن تلاميذه البخارى ومسلم، وكان من الورع والزهد والأمانة والتشدد فى الحق على جانب عظيم، تعرض لمحنة خلق القرآن وصبر عليها منذ عهد المأمون حتى المتوكل، وكان لموقفه العظيم أثر خالد فى تثبيت قلوب الجمهور على الحق، وقد زاد ثباته على المحنة فى نظر المسلمين، مكانته فى قلوبهم واعترافهم بإمامته، وشهادات العلماء فى حقه كثيرة متوافرة، وحسبك قول الشافعى رحمه الله: (خرجت من بغداد وما خَلَّفْت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل) وتوفى رحمه الله تعالى ببغداد سنة ٢٤١هـ ومشى فى جنازته خلق لا يُحصون.

أصول مذهبه

أما أصول مذهبه فهى أصول الأئمة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وكان كثير الأخذ بالسنة حتى ورد عنه أنه كان يقول: (ضعيف الحديث عندى أولى من رأى الرجال)، وكان كثير الاتباع لآراء الصحابة، حتى إذا كان للصحابة رأيان فى المسألة أو ثلاثة كان له فيها رأيان أو ثلاثة، ومن هنا لم يعده بعض العلماء من الأئمة الفقهاء كما فعل ابن عبد البر فى الانتقاء وابن جرير الطبرى فى اختلاف الفقهاء، ولقى بسبب ذلك عنتاً شديداً من الحنابلة فى زمنه. ولكن الحق أنه إمام مجتهد فقيه لا شك فى ذلك، وإن كانت صبغة الحديث عليه أغلب.

المسند: مرتبته – أحاديثه

وقد كان من أخلد آثار الإمام وأجزلها فائدة وأعظمها بركة على السنة كتابه: (المسند) الذى أورد فيه نحو أربعين ألف حديث، منها عشرة آلاف مكررة، من

مجموع سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً كان يحفظها، وطريقته فى تأليفه أنه يجمع أحاديث كل صحابى فى باب واحد، فما روى عن أبى بكر ﷺ مثلا يجمعه فى باب واحد، رغم اختلاف موضوعات الأحاديث.أ.هـ من كتاب (منهاج الصالحين).

(ثم) إليك بعد ذلك أخا الإسلام بعض المقتطفات الإضافية عن حياة الإمام (أحمد ابن حنبل) من كتاب (الأئمة الأربعة) للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى-عليه رحمة الله.. حيث يقول باختصار وتصرف، تحت عنوان:

أحمد بن حنبل

وهذا رابع الأئمة من الفقهاء، صاحب الصفات والنعوت الباهرة التى أطلقها عليه معاصروه وعارفوا قدره، فهو إمام الدنيا، إمام دار السلام مفتى العراق، عالم السنة، زاهد الوقت، محدث الدنيا، عالم العصر، قدوة أهل السنة، الصابر فى المحنة، الرجل الصالح، الزاهد المحتسب: أحمد بن حنبل ﷺ !.

(وهو) مجدد القرن الثالث فى رأى السيد محمد رشيد رضا، وفى رأى بعض الباحثين أن ابن حنبل أولى بهذا اللقب من ابن سريج والشافعى والطحاوى والخلال والنسائى.

(ولقد) عاش ابن حنبل فى العصر العباسى، حيث تغلب العنصر الفارسى على العنصر العربى، وكثرت المنازعات على ولاية العهد، كما صار لطائفة المعتزلة سلطان وقوة، وكانت لهم آراؤهم الخاصة أحيانا، وذلك بجوار ردودهم على الزنادقة والملاحدة، واتسع نطاق الفقه ونضج غرسه، كما وضع الشافعى علم أصول الفقه، واتسع علم الحديث كذلك، وجمعت فيه المجموعات، ودونت فيه الكتب، وحينما كثرت المناظرات والمساجلات والمراسلات فى الفقه والعقائد، وجَدَّت علوم وفنون، كان ابن حنبل منصرفا إلى دراسة الحديث، مستمسكاً بالأثر!..

(ثم) بعد ذلك يقول تحت عنوان:

مولده ونسبه

ولد ابن حنبل فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة ببغداد، بعد أن خرجت به أمه وهو جنين من مدينته (مرو) التى كان يقيم بها أبوه إلى بغداد.

(وهو) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن عوف بن قاسط ابن مازن بن شيبان.. المروزى ثم البغدادى.

ويلتقى ابن حنبل فى نسبه مع الرسول ﷺ فى نزار بن معد بن عدنان.

وقد اشتهرت نسبة ابن حنبل إلى جده (حنبل) فصار الناس يقولون: (ابن حنبل) مع أن (حنبل) جده، وأما أبوه فهو (محمد)، والسبب فى ذلك أن جده كان أشهر من أبيه، لأن أباه كان مجاهدا مغموراً، على حين كان جده والياً للأمويين على (سرخس) من أعمال خراسان، وكان مع هذا من الدعاة إلى الخلافة العباسية الذين نالهم الأذى والأذى بسبب هذه الدعوة.

(ولقد) مات والد ابن حنبل وهو طفل صغير، ابن حنبل لا يتذكر أنه رآه، ولذلك نشأ يتيماً تكفله أمه وترعاه، وتقوم على تربيته، واسمها (صفية) بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيبانى من بنى عامر، وهكذا نجد أمه عربية شيبانية كأبيه.

وكانت قبيلة شيبان تقيم بالبصرة، ولذلك يقال لابن حنبل أنه بصرى، وكان إذا زار البصرة صلى فى مسجد مازن من بنى شيبان، وقال: إنه مسجد آبائى...إلى أن يقول:

وحج ابن حنبل خمس مرات، أدى ثلاثاً منها ماشياً.

وأنفق فى إحدى هذه الحجات ثلاثين درهما فقط، ولما رحل إلى الكوفة لطلب العلم كان ينام فى بيت وتحت رأسه لبنة-لأنه أساساً كان يعيش عيشة رقيقة فقيرة، إذ لم يترك له والده سوى مترل صغير يسكنه، وعقار ضئيل يغل عليه غلة قليلة، ولذلك مرت على ابن حنبل فترات قاسية فى حياته كانت تضطره إلى الحرفة والعمل، فهو إذا ضاق به الأمر، أجَّر نفسه من الحياكة (أى صانعى الثياب) فسوى لهم، كما يقول ابن رجب الحنبلى، وهو أحيانا يلتقط بقايا الزروع من الحقول عقب جمع الحصاد بعد استئذان أهليها، وفى بعض الأحيان كان يكتب بالأجرة، أو ينسج الثياب ويبيعها، واضطر فى بعض الأحيان إلى أن يؤجر نفسه للحمل فى الطريق-(ولما) سافر إلى اليمن فى طلب العلم اضطر إلى أن يحمل مع بعض الحمالين حتى بلغ (صنعاء) ورفض أن يأخذ معونة من أحد — وكان مع هذا حريصاً على الحلال، لا يقبل مالا فيه شبهة، ولا يقبل الهدايا أو العطايا.

(ثم) يقول تحت عنوان:

نشأته العلمية

حفظ ابن حنبل القرآن الكريم، ودرس علم اللغة، وتعلم الكتابة والتحرير فى الديوان وهو ابن أربع عشرة سنة، ونشأ محباً لطلب العلم شغوفاً به، حتى كانت أمه تشفق عليه من تعبه الموصول فى طلب العلم، (ولقد) حدث عن نفسه بأنه كان أحياناً يريد الخروج إلى العلم قبل انبلاج الفجر، فتأخذ أمه بثيابه وتستمهله حتى يصبح الناس !.

(وتلقى) جانبا من العلم عن أبى يوسف، (وكتب) أولا كتب الرأى وحفظها، ثم لم يلتفت إليها، بل مال إلى طلب الحديث، فجمعه من الأقاليم، وبدأ ذلك سنة تسع وسبعين ومئة، ورحل فى سبيل العلم – على الرغم من فقره–إلى مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة والبصرة والجزيرة...

(وأول) رحلة قام بها كانت إلى الكوفة سنة ثلاث وثمانين ومئة، وهى السنة التى مات فيها شيخه هيثم بن بشير، وذهب إلى البصرة لأول مرة سنة ست وثمانين ومئة، وحج لأول مرة سنة سبع وثمانين ومئة...(ثم) يقول:

(ومن) الرقائق التى تذكر عنه فى طلبه الحديث- والعهدة على الراوى-أنه سار مرة من بغداد إلى الشام ليسمع من محدث مشهور هناك، فلما بلغه وجده يطعم كلباً، وجلس ابن حنبل، واستمر المحدث فى إطعامه الكلب زمناً أغضب ابن حنبل وضايقه، فلما انتهى المحدث من إطعامه الكلب التفت إلى ابن حنبل وقال له: لعلك وجدت علىَّ فى نفسك؟. فأجابه: نعم. فقال المحدث:- إنه ليس بأرضنا كلاب، وقد قصدنى هذا الكلب ورجانى أن أطعمه وأسقيه، فعلمت أنه جائع وظمآن، فأطعمته وسقيته، وأجبت رجاءه، لأنى سمعت من أبى الزنار عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة»** .

فابتسم ابن حنبل وقال: يكفينى هذا الحديث، وعاد إلى بغداد !...

(ثم) يقول تحت عنوان:

شيوخ ابن حنبل

تلقى ابن حنبل العلم- أول ما تلقاه -- من أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضى صاحب أبى حنيفة، فأخذ عنه الفقه والحديث، ولذلك يعد أبو يوسف الأستاذ الأول لابن حنبل..

(ومن) شيوخه هشيم الذى كان إمام الحديث ببغداد، وكان تقياً ورعاً، وهو من تابعى التابعين، سمع الكثير من الأئمة، وروى عنه الإمام مالك وخلائق، وكان قوى الحافظة بصورة مدهشة، وقد ولد سنة أربع ومئة، وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومئة.

(وفى) أثناء جلوس ابن حنبل إلى هشيم كان يجلس أيضاً إلى عمير بن عبد الله بن خالد، وعبد الرحمن ابن مهدى، وأبى بكر بن عياش.

(وكان) الشافعى أحد شيوخ الإمام ابن حنبل، بل هناك من يعد الشافعى الأستاذ الثانى له بعد هشيم (ولقد) التقى ابن حنبل بالشافعى فى الحجاز، حين ذهابه للحج، وكان الشافعى يدرس بالمسجد الحرام، فأخذ عنه، ثم التقى به مرة أخرى فى بغداد، وحبب إليه الشافعى أن يرحل معه إلى مصر، وكان ابن حنبل ينوى أن يلحق بالشافعى، ولكن ذلك لم يتم، وقد تعلم من الشافعى الفهم والاستنباط واستخراج الأحكام، وقال محمدبن إسحاق بن خزيمة: (هل كان أحمد بن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعى).

(كما) سمع من إبراهيم بن سعد ويحيى القطان ووكيع وغيرهم، (وكان) ابن حنبل يتمنى أن يسمع من الإمام مالك بن أنس، ولكن مالكاً توفى وابن حنبل مبتدئ فى طلب العلم، فجعل الله له عوضا عن مالك فى سماعه من سفيان بن عيينة بمكة، حتى قال الإمام ابن حنبل: (فاتنى مالك، فأخلف الله على سفيان بن عيينة)...

(ثم) يقول تحت عنوان:

مع المحبرة إلى المقبرة

دأب ابن حنبل على طلب العلم طيلة حياته، وداوم على طلب الحديث حتى بعد أن صار فيه إماماً.

(ولقد) قال له بعض الناس متعجباً من استمراره فى طلب العلم على الرغم من إمامته وجلالته: إلى متى وقد بلغت هذا المبلغ، وصرت إمام المسلمين ؟.. فأجابه الإمام بقوله: (مع المحبرة إلى المقبرة)!!...

(وكان) ابن حنبل لا يعتمد على الذاكرة أو الحافظة، بل هو يقيد كل ما يتلقى ويسمع، (وكان) إذا أملى حديثاً لا يمليه إلا من كتاب وإن كان حافظاً له، وربما ذكر الحديث من الأحاديث للجالسين معه من ذاكرته، فإذا أرادوا كتابته استمهلهم قائلاً: (الكتاب أحفظ شيء)، ثم يسارع بإحضار الكتاب ويملى منه. يفعل هذا مع أنه كان قوى الحفظ، حتى قال أبو زرعة: (ما رأيت من المشايخ أحفظ من أحمد ابن حنبل)!. (كما) أوصى الإمام ابن حنبل تلميذه على بن المدينى فقال له: لا تحدث إلا من كتاب..

(مع) أن الإمام ابن حنبل لم يدون فقهه.. لأنه كان شديد الكراهية لتصنيف الكتب فى غير الحديث، إجلالا منه لشأن السنة النبوية.. (ولكن) تلاميذه وأصحابه قد جمعوا أقواله الفقهية وقيدوها، فتألف منها مجموع كبير[1]، وكان له بجوار روايته للسنة استنباط وبحث.

(وأما) عن:

جلوسه للتدريس

(فلقد) ذكر أنه: بعد أن تعلم ابن حنبل ما تعلم، وتلقى عن الشيوخ الكبار ما تلقى، جلس للتدريس فى المسجد الجامع ببغداد وهو فى سن الأربعين، وهى سن الاستواء والاستحصاد، ويظهر أنه امتنع عن التدريس قبل ذلك لأنه كان يستحى أن يفعل ذلك وهناك من شيوخه الذين علموه ودربوه من لا يزال حياً. (أو) لعله فعل ذلك تأسياً بالرسول ﷺ، لأن الله تبارك وتعالى إنما كلف نبيه بتبعات الرسالة والتبليغ وهو فى سن الأربعين، (ولقد) كان الإمام ابن حنبل حريصاً على اتباع طريقة الرسول ﷺ فى كل شيء.

---

(١) كما فعل أحمد بن محمد الخلال، فلقد جمع فقه ابن حنبل فى كتابه (الجامع الكبير) الذى بلغ عشرين سفرا...(هامش) ص٢٠٥.. من المرجع الذي ندور حوله.

(وكان) له درس عام ودرس خاص، فالدرس العام يعقده بعد العصر فى المسجد، والدرس الخاص يعقده فى مترله، (وكان) درسه العام مشهوداً حافلاً بالسامعين، حتى روى أن عدد حاضريه كان يبلغ خمسة آلاف، يكتب منـــهم خمســـمائة.(وكـــان) لحاضرى درسه رغبات واتجاهات، فمنهم من يطلب العلم، ومنهم من يطلب العظة، ومنهم من يهتدى بأخلاقه وآدابه، ومنهم من يلتمس البركة.. (وكان) الوقار يسود درسه مع السكينة والجد، فهو لا يمزح أبداً، بل لا يصبر على المزاح من غيره..

(وإذا) كان هناك من تعود المزاح فإنه لا يمزح إذا كان هناك الإمام أحمد بن حنبل !.

مصادر فقهه

(فلقد) ذكر كذلك أن ابن حنبل كان مقبلاً على السنة النبوية حفياً بهـــا.. لأن السنة هى بيان للقرآن وتفسير لأحكامه.. (ولهذا) فإنه ليس غريباً أن يجعل ابن حنبل القرآن والسنة فى طليعة المصادر التى يستمد منها فقهه، (وهو) لا يتصور خلافـــاً أو وقوع خلاف بين القرآن والسنة..(ولذلك) نراه يرد على الذين أخذوا بظاهر القرآن وتركوا السنة، ويقول فى طليعة رده: (إن الله جل ثناؤه، وتقدست أسمـــاؤه، بعـــث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وأنزل عليـــه كتابه بالهدى والنور لمن اتبعه، وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنـــه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه ما قصد له الكتاب.

(فكان) رسول الله هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه، شاهده فى ذلـــك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه، واصطفاهم له، ونقلوا ذلك عنه، فكانوا أعلم الناس برسول الله ﷺ، وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم، وما قصد له الكتاب، فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله ﷺ)... (إلى) أن يقول:

(وكان) ابن حنبل يأخذ بالحديث الضعيف إذا لم يوجد غـــيره، وبشـــرط أن لا يعارض قاعدة من قواعد الدين، ولا أصلاً من أصوله، ولا حكما ثابتا بسنة صحيحة.

(وإذا) كان الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ يتعلق بالحكم على شيء بالتحليل أو التحريم، شد ابن حنبل فى تمحيص الحديث وبحث سنده، وإذا كان الحديث يتعلق

بالحث على مكارم الأخلاق أو فضائل الأعمال أو محامد العادات لا يشدد، ويقول: (إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا فى الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ فى فضائل الأعمال، وفيما لا يضع حكماً ولا يرفعه، تساهلنا فى الأسانيد)!.

(وقد) أعجبتنى كلمة قالها صاحب كتاب (الأئمة الأربعة)-الذى نلخص منه- بعد ذلك فقال: وليت ابن حنبل سار هو وبقية الأئمة على وتيرة واحدة، فآثروا التمحيص والتصحيح فى جميع السنن حتى لا يدعوا ثغرة لإضافة شىء إلى الرسول لم يقله أو لم يفعله- إلى أن يقول:

(ومما) يؤخذ على فقه ابن حنبل أنه يأخذ بالتشديد فى طائفة من الأمور، حتى اشتهر بين الناس أن مذهب ابن حنبل يمثل العنف والتضييق، وصار الناس يقولون للشخص إذا كان متزمتاً أو متعنتاً: (أنت حنبلى).

(والسبب) فى شدة ابن حنبل فى هذه الأمور أنه كان ورعاً يشدد على نفسه، ويفرض عليها ما لا يفرض على سواها، ويتجنب الشبهات بحرص وحذر، وهو أيضاً يلتزم النص الوارد فيتقيد فيه بلا تصرف. (ثم) يضرب-بعد ذلك – مثلاً على هذا فيقول:

(وقد) تشدد مذهب الحنابلة فى أمر الطهارة من النجاسة، فقال: إن نجاسة الكلب يجب أن تغسل ثمانى مرات، وهذا المذهب يرى غسل بعض النجاسات الأخرى سبع مرات، وهو يوجب غسل اليد عند القيام من النوم، مع أن هذا سنة فى المذاهب الأخرى، ويوجب المضمضة والاستنشاق فى الوضوء، مع أنهما سنة فى المذاهب الأخرى، ويوجب الوضوء من أكل لحم الإبل!. (ولكن) ليس معنى هذا أن التشديد يسود المذهب الحنبلى كله كما يتصور كثير من الناس... إلخ.

(إلى) أن يقول بعد ذلك تحت عنوان:

صفات أصحابه

غلب على أصحاب ابن حنبل وأتباعه الجد والخشونة، والزهد والورع، والتقيد بالنقل مع عدم التأويل، وهذه ظاهرة غالبة امتدت بعد ابن حنبل امتداداً طويلاً...

(وهذا) هو أبو الوفاء بن عقيل الفقيه الحنبلى أحد الأعلام، وشيخ الإسلام المتوفى

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، يصف أصحاب الإمام ابن حنبل فيقول فى صراحة وصرامة وتقدير:

هم قوم خشن، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة، وغلب عليهم الجد، وقل عندهم الهزل، وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة.

وفزعوا عن الآراء إلى الروايات، وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة فلم يدققوا فى العلوم الغامضة، بل دققوا فى الورع، وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها، من خشية باريها.. (ثم) يقول: و لم أحفظ عليهم تشبيهاً، إنما غلبت عليهم الشناعة، لإيمانهم بظواهر الآى والأخبار، من غير تأويل ولا إنكار.. (ثم) يقول: والله يعلم أننى لا أعتقد فى الإسلام طائفة محققة خالية من البدع، سوى من سلك هذا الطريق..والسلام. أ.هـ. كلام أبو الوفاء بن عقيل..

(ثم) يعود ابن عقيل- بعد ذلك – مدافعاً عن مذهب ابن حنبل، فيقول: (هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه، لأن أصحاب أبى حنيفة والشافعى إذا برع واحد منهم فى العلم تولى القضاء وغيره من الولايات، فكانت الولاية سبباً لتدريسه واشتغاله بالعلم..(فأما) أصحاب أحمد فإنه قل فيهم من تعلق بطرف العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهد، لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم... إلخ ما جاء فى نفس المرجع الذى يقول فى آخره: ليس هذا أننا نعمم الحكم على الجميع، فلا شك أن هناك أفراداً من أهل هذا المذهب ساروا على طريق الاعتدال والإنصاف.وليس معنى هذا أننا نرتضى السكوت على الإثم أو البدعة أو المنكر، ولكن بعض وسائل المقاومة يختلف عن البعض الآخر، وربما كانت هناك وسائل ألين وألطف تحقق من الثمرات مالا تحققه وسائل العنف والإرهاب، والله تعالى يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** [النحل:١٢٥]..

ويقول لرسوليه موسى وهارون فى شأن دعوة فرعون إلى الهدى: **﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾** [طه:٤٤]!.

(وأما) عن:

محنة ابن حنبل

(فلقد) ذكر أن الإمام أحمد ابن حنبل تعرض لمحنة قاسية أقبلت عليه بالأذى والعذاب، ولكنها أورثته عزاً ومجداً وشهرة، وتلك المحنة هى التى سببتها فتنة القول بأن القرآن الكريم مخلوق، وهذا القول لم يجر له ذكر فى الأمة من قبل، حتى نشأت فرقة المعتزلة، وكان من آرائها أن القرآن مخلوق، وكان ذلك فى عهد المأمون الخليفة العباسى الذى يعتنق مذهب المعتزلة الذين كان يحبهم ويقربهم ويستعين بهم...

(ثم) يقول:

ويظهر أن أحمد بن أبى دؤاد المعتزلى وزير المأمون هو الذى تولى كبر هذه الفتنة، وانتهز الفرصة المناسبة لإشعال نارها سنة ثمان عشرة ومائتين، فقد خرج المأمون من بغداد غازياً، ولكنه مرض وهو فى مدينة (طرطوس)، فكتب ابن أبى دؤاد كتبا باسم المأمون وجهها إلى جهات مختلفة، لينتزع بها موافقة على القول بخلق القرآن من الفقهاء والعلماء بسلطة الدولة ورهبة الحكم، واستطاع ابن أبى دؤاد أن يجعل المأمون الذى أنهكه المرض يوقع على هذه الكتب ويأذن بإرسالها.

(وخاف) كثيرون فخضعوا لحكم القوة والجبروت، وأما ابن حنبل فأبى أن يخضع، لأنه.. كما قيل فى تفسير موقفه: يؤمن بأن القرآن كلام الله عز وجل، وكلام الله صفة من صفاته سبحانه. والله تعالى قديم لا أول له، فصفاته يجب أن تكون قديمة لا أول لها، إذ لا انفصال للصفة عن الموصوف هنا... إلخ. إلى أن يقول:

(ولما) رفض ابن حنبل الخضوع حملوه مقيداً إلى المأمون، ولكن المأمون مات فى (طرطوس) وابن حنبل مازال على الطريق...(وأوصى) المأمون أخاه المعتصم —وهو الخليفة من بعده— بأن يسير سيرته فى القول بخلق القرآن، ومن يدرى، لعل هذه الوصية قد كانت بتأثير ابن أبى دؤاد، واستسلم لها المأمون المريض!...(وتولى) المعتصم الخلافة، واستمر ابن أبى دؤاد فى الوزارة، وكان ابن حنبل سجيناً ينتظره مصيره، فاستدعاه المعتصم، وجادله وأغراه وتوعده، ولكن ابن حنبل أصر على موقفه:

يقال له: ما تقول فى القرآن ؟.. فيجيب: هو كلام الله !..

فيقال له: أمخلوق هو ؟.. فيجيب: هو كلام الله..

ولا يزيد على ذلك !.

(ولما) رأوا إصراره على موقفه ضربوه بالسياط حتى أغمى عليه عــدة مــرات، وكانوا ينخسونه بالسيف وهو مغمى عليه فلا يحس !!.. يا للشناعة!..

(ثم) ساروا به إلى السجن حيث ظل فيه عامين ونصف عام، ولما يئسوا منه بعــد معاودة تعذيبه، أخرجوه من السجن واهِيَ القوة مريضاً مثخناً بالجراح، ومكــث فى مترله حيناً حتى برئ، ثم عاد إلى درسه، وفى جسمه ندوب وآثار للمحنة السوداء..

-وكان الله تعالى قد انتقم من ابن أبى دؤاد فأصابه بالفالج-وهو الشلل والعياذ بالله —(وقد) شمت فيه الكثيرون منهم على سبيل المثال: عبد العزيز بن يحي المكى الــذى دخل عليه — وهو مفلوج- وقال له: إنى لم آتك عائداً، ولكن جئت لأحمد الله على أنه سجنك فى جلدك !.

وهذا هو ابن شراعة البصرى أيضا يشمت فى ابن أبى دؤاد فيقول له وهو مفلوج:

أَفَلَــتْ نجومُــك يــا ابــن دؤاد وبدت نُحــو ســك فى جميــع أيــاد

فرحــت بمصــرعك البريــة كلــها مــن كــان منــها موقنــاً بمعــاد

لم يبق منــك ســوى خيــال لامــع فــوق الفــراش ممهــداً بوســاد

وخَبَت لدى الخلفاء نــارٌ بعــد مــا قــد كنــت تقــدحها بكــل زنــاد

لم تخش مــن ربّ الســماء عقوبــة فســننت كــل ضــلالة وفســاد

كم مــن كريمــة معشــر أرملتــها ومحــدث أوثقــت بالأقيــاد[1]

كم من مساجد قد منعــت قضــائها مــن أن يعــدّل شــاهد برشــاد

لا زال فالجك الــذى بــك دائمــاً ومحقــت قبــل المــوت بــالأولاد

(وبالطبع) كانت الشماتة هذه-وهى ليست محمودة عند الكثيرين من الرجال-: بسبب كراهيتهم الشديدة له-

(ثم) بعد أن تولى (الواثق) بعد المعتصم: سار على طريقة سابقيه ولكنه لم يمــد يــد

(١) إنه يعنى الإمام أحمد بن حنبل عليه رضوان الله.

الإيذاء إلى ابن حنبل، وإنما منعه من الاجتماع بالناس، فظل ابن حنبل منطوياً فى عزلته حتى مات الواثق، وتولى (المتوكل) الذى حاول إنهاء الفتنة، وإزالة آثارها السيئة..

(وبعد) خمس سنوات عاد ابن حنبل سنة ثنتين وثلاثين ومئتين إلى التدريس عزيزاً كريماً، بعد أن استمر فى المحنة أربع عشرة سنة...

(وقد) عرض عليه المتوكل المال فرفضه مراراً، ثم قبله تحت الإلحاح، وتصدق به كله، واستبان للمتوكل إخلاص ابن حنبل، فرفض قبول الوشاية فيه، حتى قيل له يوماً: إن أحمد لا يأكل طعامك، ولا يجلس على فراشك، ويحرم هذا الشراب الذى تشرب!..

فأيأسهم من إساءته إلى أحمد، وأعلمهم أنه لن يقبل فيه وشاية لأى إنسان، فقال: لو نشر المعتصم وقال لى فيه شيئاً لم أقبله...

(إلى) أن يقول بعد ذلك صاحب كتاب (الأئمة الأربعة) رحمه الله تعالى، تحت عنوان:

صفات ابن حنبل

كان ابن حنبل رجلا طويلا أسمر، يخضب بالحناء، ويلبس الثياب الغليظة، ويأتزر[(١)] ويعتم، وكان قليل الطعام، لا يستوفى له حظاً من أصناف المأكولات، يأتدم فى كثير من الأحيان بالخل، وكان يستقى ماء الوضوء بيده، ولا يدع غيره يستقى له ويشترى حزمة الحطب أو الشىء ويحمله، وكان يجلس على لبد قد أتى عليه سنون كثيرة حتى بلى .

(وكان) رجلا قوى الحافظة، فاهماً لما يحفظ، متخلقاً بالصبر الجميل، والعزم الوحيد، والإرادة القوية، والثبات على المبدأ، والبعد عن الرياء، والنفور من المزاح، حتى كان الناس لا يجرأون على المزاح فى حضوره..

(وكان) الإمام ابن حنبل لا يفتى إلا إذا سئل، ولا يفتى إلا فيما يقع، ولا يحب الأمور الفرضية أو تصور المسائل أو تشقيق الفروع، وكان لا يفتى بالرأى إلا فى أضيق نطاق، ويقول: (لا أدرى) كثيراً..

(وكان) ينهى نهياً شديداً عن تقييد العلوم وكتب الرأى والجدل، ولما قيل له: إن عبد الله بن المبارك كتب شيئا من كتب الرأى، قال: (ابن المبارك لم يترل من السماء، إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق)..ولعله يقصد الأخذ عن رسول الله ﷺ الموحى إليه من عند الله رب العالمين...

---

(١) أى يلبس الإزار ويلبس العمامة. والإزار: ثوب يحيط بالنصف الأول من البدن.

(ومن) أخلاق ابن حنبل: الصفح عن المذنب، وتروى عنه فى ذلك روايات كثيرة، ولعل أوقعها وأشدها أثراً فى النفس أن بعض الجهلة المتعصبين لأبى حنيفة قال لابن حنبل: بول أبى حنيفة أكثر من ملء الأرض مثلك !.(ثم) انصرف، وبعد قليل أدرك إثمه فيما قال، فعاد إلى ابن حنبل يعتذر إليه ويقول له: يا أبا عبد الله، إن الذى كان منى كان على تعمد، فأنا أحب أن تجعلنى فى حل.فقال الإمام أحمد: مازالت قدماى من مكانهما حتى جعلتك فى حل.

(ومن) أخلاقه التواضع للفقراء والضعفاء، وإن كان عزيزاً كل العزة على الكبراء والعظماء، حتى قال تلميذه المروزى: (لم أر الفقير أعز منه فى مجلس أبى عبد الله، كان مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعَجول، وكان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس فى مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجد لا يتصدر، يجلس حيث انتهى به المجلس).

(وكان) ابن حنبل عفيفاً نزيهاً زاهداً متحرزاً من الحرام (ولقد) سأله أبو حفص الطرسوسى: بم تلين القلوب؟ فأجاب: بأكل الحلال يا بنى...

(وكان) الإمام ابن حنبل كثير التعبد والتهجد، ويروى ابنه عبد الله أنه كان يصلى كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، ولما مرض من تعذيب المحنة كان يصلى مئة وخمسين ركعة، وكان قد قرب من الثمانين، وكان يختم القرآن كل سبعة أيام...(ثم) بعد ذلك يقول تحت عنوان:

أسرة ابن حنبل

تسرى ابن حنبل بجارية اسمها (حُسْن)، وفعل ذلك تشبهاً بالنبى ﷺ حينما تسرى بمارية القبطية، وقد ولدت هذه المرأة لابن حنبل أولاداً هم: سعيد، ومحمد، والحسن، وزينب، وفاطمة، وتوأمين سماهما الحسن والحسين وماتا عقب ولادتهما.

(وتزوج) ابن حنبل من (العباسة بنت الفضل)، وكان له منها ولده الأكبر: صالح، وكنيته أبو الفضل، ولد سنة ثلاث ومئتين، وتوفى سنة خمس وستين ومئتين، وتولى قضاء أصبهان، وقد كتب ترجمة لأبيه.

وله منها: ولده عبد الله، وكنيته أبو عبد الرحمن، وكان إماماً فى الحديث، وتوفى سنة تسعين ومئتين.

(وقد) دفنت بنت أحمد ابن حنبل معه فى قبره، كما دفن بجواره كثيرون من الحنابلة.

(ثم) بعد ذلك يقول تحت عنوان:

مرض ابن حنبل ووفاته

(مرض) ابن حنبل مرض الموت، وكان لا يشغله فى هذا المرض إلا أمور هى: الصلاة، والتفكير فى توزيع المال الذى تركه، وثلاث شعرات من شعر النبى ﷺ كانت عنده، وحرصه على عدم الأنين مهما اشتد عليه الوجع، لأنه روى حديثاً عن طاووس ينهى عن الأنين.

(ولقد) حافظ على الصلاة لم يتركها بحال من الأحوال، وحين عجز عن تخليل أصابعه أمر أولاده بتخليلها، وقد توفى بعد وضوء له بلحظات محدودة.

(وسأل) عما عنده من المال فكان ضئيلا، فأمر بأن يتصدق منه..ولم يصدر منه أنين قط..

وفى أول يوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين أصابته الحمى، وضعف عن المشى فى البيت إلا مستعيناً بغيره، ووصف له الطبيب طعاماً يشوى، فقال ابن حنبل لولده صالح: لا تشو هذا الطعام فى بيتك، ولا فى بيت عبد الله أخيك، وإنما قال هذا ابتعاداً عن الشبهة لأنهما كانا يأخذان من مال السلطان.

وكان ابن حنبل قد حنث فى يمين هى اليمين الوحيدة التى حنث فيها خلال عمره كله، فأمر بشراء تمر، وعمل كفارة عن هذه اليمين، ثم قال: الحمد لله.

وكانت لابن حنبل وصية قال فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد ابن حنبل: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله فى العابدين، ويحمدوه فى الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين.

وأوصى أنى قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً.

وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحواً من خمسين ديناراً، وهو مصدق فيما قال، فيقضى ماله على من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطى

ولدى صالح وعبد الله، ابنى أحمد بن حنبل، كل ذكر وأنثى عشرة دراهم، بعد وفاء مال أبى محمد.

شهد أبو يوسف، وصالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل).

(ثم) توفى الإمام أحمد بن حنبل ضحى يوم الجمعة الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين، وتولى غسله أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزى، وكان أثيراً عنده.وكانت جنازته بعد صلاة الجمعة، ودفن فى بغداد حيث مات..رضي الله عنه.

(نعم) رضي الله عنه وأرضاه فهو..الذى شهد له السلف الصالح بالصلاح والتقوى، وحبه للسنة النبوية، والحفظ، ووفور العلم والسيادة.. (وقد) ذكر فى كتاب (الأئمة الأربعة) بعض هذه الأقوال التى منها:

قول إبراهيم الحربى: أحمد ابن حنبل كان الله عز وجل جمع له علم الأولين من كل صنف.

وقول أبى مسهر: ما أعلم أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها إلا شاباً بالمشرق (يعنى ابن حنبل).

وقول أبى عبيد: انتهى العلم إلى أربعة: أحمد ابن حنبل وهو أفقههم فيه، وعلى بن المدينى وهو أعلمهم به، ويحيى بن معين وهو أكتبهم له، وأبى بكر بن أبى شيبة وهو أحفظهم له.

وقول أبى داود السجستانى: لقيت مئتين من مشايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، ولم يكن يخوض فى شىء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.

وقول أبى ثور: لو أن رجلاً قال: إن أحمد بن حنبل من أهل الجنة ما عنف فى ذلك.

وقول النووى: هو الإمام البارع المجمع على جلالته وإمامته وورعه وزهادته، وحفظه ووفور علمه وسيادته.

وقول أبى حاتم: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة.. ا.هـ بتصرف واختصار..

فجزى الله الإمام الورع أحمد ابن حنبل عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء..إلى يوم الدين.

اللهم آمين

(والآن) وبعد أن وقفنا على تلخيص تراجم (الأئمة الأربعة)، من كتاب: (منهاج الصالحين) وكتاب: (الأئمة الأربعة)..أريد أن أقف مع الأخ المسلم على أهم ما يتعلق بموضوع يتعلق (بالتمذهب)، وذلك من خلال سؤال هام أطرحه لكى نقف على إجابته، وهو: هل من الضرورى لكى أكون متفقها فى دينى أن أكون: حنفياً، أو مالكياً، أو شافعياً، أو حنبلياً؟

فأقول وبالله التوفيق بما جاء فى كتاب: (ذخيرة الواعظ) للأستاذ إبراهيم عبد الباقى، تحت عنوان:

أسباب اختلاف الأئمة

(فلقد) ذكر أن أسباب هذا الاختلاف كثيرة:

منها: أن النص تارة يكون محتملا أموراً، فتختلف فيه الأفهام، فيرى كل واحد من المجتهدين رأيه.

ومنها: ألا يبلغ النص جميع المجتهدين لنشأقم فى بلاد بعيدة عن البلاد التى نزل بها الوحى و لم يهاجروا إليها حتى يأخذوا الحديث من أهلها، كالإمام أبى حنيفة، فإنه نشأ فى بلاد العراق، فلذلك كان يكثر من القياس.

ومنها: أن بعض المجتهدين يعمل بالرأى والقياس إن لم يكن فى المسألة نص، وبعضهم يقف عند النصوص، ولا يقيس على أن الاختلاف إنما هو فى الفروع فقط لا فى الأصول...(ثم) يقول:

(فهم) متفقون على وجوب الصلوات الخمس وعدد أركانها، ولزوم الطهارة فيها، واستقبال القبلة فيها، وعلى وجوب الزكاة وصوم رمضان والحج، وعلى تحريم كل ما

يضر بالنفس أو العرض أو المال، وعلى الأحكام العامة كشرعية الزواج، ووجـــوب المهر فيه والطلاق، ووجوب العدة فى المدخول بها إلى غير ذلك...(ثم) يقول:

(هذا) ولما كان أصحاب المذاهب الأربعة قد اتبعهم كثيرون...(مع)أنه قد نقـــل عنهم ما يفيد أن لا ينبغى لأحد أن يقلدهم إلا فيما قام عليه الدليل..لأهم يخطئـــون ويصيبون. ا.هـــ. كلام (ذخيرة الواعظ) بتصرف -:

فإننى أرى أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأقوال التى وردت عنهم، كما جـــاء فى الجزء الأول من (الدين الخالص) للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى عليه رحمة الله، حيث يقول:

(أن) جميع الأئمة المجتهدين متبرئون من كل عقيدة فاسدة وبدعة فى العبادة (وقد) قالوا لأصحابهم: خذوا العلم من حيث أخذنا، أى من الكتاب والسنة. وقالوا: نحن بريئون ممن يخالف الكتاب والسنة.

وقالوا: ليس لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأن الله لم يجعل لأحد معه كلاماً، وجعل قوله يقطع كل قول.

وقال الشافعى فى رسالته: إذا وجدتم قولى يخالف قول رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم فاعملوا بقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واضربوا بقولى عرض الحائط.

وقال مالك رحمه الله: من استحسن بدعة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة.وقال: ما لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ديناً لم يكن اليوم دينًا وغير ذلك.

(ثم) يقول فى الدين الخالص:

(والأدهى) أنك لو أرشدك أحد أولئك المقلدين- التقليد الأعمـــى -إلى العمـــل بالشرع الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وترك البـــدع، هـــاج وماج وأشاع وأذاع أنك تريد إبطال المذهب الـــذى نســـب نفســـه إليـــه بهتانـــاً وزوراً.وصاح أمثاله بذلك معه، ويشتد منهم الجدال والتراع الذى يناسب حـــالهم ويتعصبون تعصب الجاهلية الأولى، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(ومن شدة) عمى البصيرة (دعواهم) على من تمسك فى قوله وعمله بكتـــاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجانب البدع (أنه ضل وأضل) وخرج على مذاهب المسلمين، وأحدث الفتن والشحناء بين المؤمنين. ا.هـــ.

(فلنلاحظ) كل هذا حتى لا نظلم الأئمة الأعلام الذين لم يجتهدوا إلا فى الفروع على أساس من الكتاب والسنة والإجماع والقياس... إلخ.

(وقد) ورد فى حديث أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى، والدارمى، والبيهقى فى المدخل، وابن سعد فى الطبقات، وابن عبد البر فى (جامع بيان العلم وفضـــله)، (عن) معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: **«كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟»** قال: أقضى بكتاب الله، قال: **«فإن لم يكن فى كتـــاب الله ؟»** قال: فبسنة رسول الله، قال: **«فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟»** قال: اجتهـــد رأيى ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ على صدره، وقال: **«الحمد لله الذى وفق رســـول رسول الله لما يرضى رسول الله»**.

(ولما) كان هذا هو منهج الأئمة الأعلام -الذين وقفنا على تراجمهم- فإنه مـــن الخير لنا أن نأخذ بآرائهم فى الفروع التى قد نكون فى أشد الحاجة إلى رأى الإسلام فيها..تحت أى إسم من أسماء تلك المذاهب. (وكما) يقولون: (مـــذهبك مـــذهب مفتيك): أى من هؤلاء الأئمة الأعلام ومن على شاكلتهم وهديهم..

(مع) ملاحظة: أن اختلافهم رحمة لنا... بدون تعصب.

(والآن)، وبعد أن وقفنا على تراجم الأئمة الأربعة..والتعليق عليها بما هو مفيد لنا نحن المؤمنين المتفقهين بصفة خاصة.. إليك أخا الإسلام، ترجمة:

٥- الإمام البخاري ١٩٤-٢٥٦هـ

(فهو) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبه الجعفي مولاهم، إمام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الإطلاق، (ولد) ببخارى يوم الجمعة ١٣ شوال ١٩٤هـ وبدأ بحفظ الحديث وهو لما يبلغ العشر سنين، ثم دأب عليه ورحل فى طلبه حتى طاف أشهر الأمصار الإسلامية التى عرفت بالحديث.

وكما قال هو نفسه: (دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين).

(وكان) لا يسمع بشيخ فى الحديث إلا رحل إليه واختبره وسأل عنه وأخذ منه.

(وكان) آية فى الحفظ وقوة الذاكرة والبصر بعلل الأسانيد ومتونها، وقصته فى بغداد حين امتحنه علماؤها مشهورة تدل على مبلغ حفظه وإمامته فى هذا الفن، وقد كافأه الله على صبره وجلده وتحمله المشاق فى سبيل السنة بإقبال الناس عليه وإشادتهم بذكره وفضله، قال محمود بن الناظر بن سهل الشافعى: (دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها، كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخارى فضلوه على أنفسهم).

(وكان) قد سمع مرة شيخه إسحاق بن راهويه يقول لتلاميذه: (لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ؟) قال البخارى: (فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح).

وقد أمضى فى جمعه وتمحيصه وتأليفه ستة عشر عاماً، وما وضع فيه حديثاً إلا بعد أن يغتسل ويصلى ركعتين، ثم يستخير الله تعالى فى وضعه، ولم يخرج إلا ما صح عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل الذى توفر فى رجاله العدالة والضبط واللقيا، ولم يكن يكتفى بإمكان معاصرة التلميذ للشيخ، بل لابد من ثبوت سماعه منه ولقياه له، وبهذا كان أول كتاب فى السنة على هذه الشروط الدقيقة، تجرد من الأحاديث الضعيفة والحسنة واقتصر على الأحاديث الصحيحة فقط، وقد بوبه البخارى على أبواب العلم والفقه، إلا أنه دقيق النظر جداً، بعيد الغور فى الاستنباط، فجاءت تراجم أبوابه وموافقة الأحاديث للترجمة غامضة فى بعض الأحيان، فقد تطلب حديثاً فى باب فلا تجده، بل تجده فى باب آخر لا يخطر فى بالك، وقد ذكر فيه عَرَضًا الموقوف والمعلق

وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء العلماء، كما جرى على تقطيع الحديث إلى أقسام يذكر فى كل باب القسم الذى يناسبه.

وتبلغ أحاديثه على ما ذكر ابن حجر فى مقدمة فتح البارى (٧٣٩٧) بالمكرر، سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات، وبغير المكرر من المتون الموصولة (٢٦٠٢)، ولما أتم تأليفه وتمحيصه عرضه على أحمد وابن معين وابن المدينى وغيرهم من أئمة الحديث فاستحسنوه وشهدوا بالصحة إلا فى أربعة أحاديث، وقال العقيلى: (القول فيها قول البخارى). ولما أخرجه للناس وأخذ يحدث به، طار فى الآفاق أمره، فهرع إليه الناس مِنْ كُلِّ فج يتلقونه عنه حتى بلغ من أخذه نحواً من مائة ألف، وانتشرت نسخه فى الأمصار، وعكف عليه الناس حفظاً ودراسة وشرحاً وتلخيصاً، وكان فرح أهل العلم به عظيماً.

قال الذهبى: (وأما جامع البخارى الصحيح، فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى. فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته).

هذا و لم يعن علماء الإسلام بكتاب -بعد القرآن- كما عنوا بصحيح البخارى حتى بلغ الذين كتبوا حوله ما بين شرح واختصار وترجمة رجال، عدداً كبيراً جداً، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغت اثنين وثمانين شرحاً كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون، ومن أشهر هذه الشروح أربعة: شرح الإمام بدر الدين الزركشى واسمه التنقيح (ت٧٩٤هـ)، وشيخ الإسلام ابن حجر (ت٨٥٢هـ) فى فتح البارى، وهو أجل هذه الشروح وأوفاها شهرة وفائدة. والعلامة العينى الحنفى (ت٨٥٥هـ) فى عمدة القارى، والجلال السيوطى (ت٩١١هـ) فى التوشيح.ا.هـ من كتاب (منهاج الصالحين) ص٩٩٩.

(وقد) جاء فى (مقدمة): (سبل السلام) الجزء الأول ص١٢: أنه: كانت وفاة الإمام البخارى بقرية سمرقند وقت العشاء، ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، عن اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً، و لم يخلف ولداً. ا.هـ.

فرحم الله تعالى الإمام البخارى رحمة واسعة وجزاه الله عنا وعن السنة وأهلها خير الجزاء.

اللهم آمين

٦- والإمام مسلم ٢٠٤-٢٦١هـ

(هو) مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى أحد أئمة الحديث ومشاهيره، (ولد) سنة ٢٠٤ بنيسابور، وطلب العلم منذ الصغر، ثم رحل إلى أقطار الإسلام، فزار العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وأخذ عن شيوخها من مشايخ البخارى وغيره، وكان شديد الحب للبخارى، وشديد التقدير له، وقد اقتدى به فى وضع صحيحه، إلا أنه حصل بينهما جفاء فى آخر أيامهما، وتوفى بنيسابور سنة ٢٦١هـ.

وضع كتاب الصحيح المشهور بصحيح مسلم، وهو من أجل الكتب وأصحها مع صحيح البخارى، وقد ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح البخارى عليه لأمور:

١- اشترط البخارى اللقاء فى الرواى دون الاكتفاء بالمعاصرة، بينما مسلم يكتفى بذلك.

٢- دقة فقه البخارى واحتواء صحيحه على استنباطات فقهية لا توجد فى صحيح مسلم.

٣- تحرى البخارى فى أمر الرجال، حتى إن الذين تكلم فيهم الحفاظ — على ما فى كلامهم من مجال للنقاش — بلغوا ثمانين، وقد بلغ الذين تكلموا فيهم من رجال مسلم مائة وستين، ومع أن البخارى لم يكثر من إخراج حديثهم، وأغلبهم من شيوخه الذين يعرف دخائلهم أكثر من غيره.

٤- قلة الأحاديث التى انتقدت على البخارى من الشذوذ والإعلال بالنسبة لما انتقد على مسلم، فقد بلغت عند البخارى —وحده- ثمانية وسبعين، وقد بلغت عند مسلم — وحده- مائة وثلاثين.

من أجل هذا، ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح صحيح البخارى مع اتفاقهم جميعاً على أن البخارى أجل من مسلم فى علم الحديث وأعلى كعباً، وقد اعترف له مسلم بذلك، وقد روى مسلم عن البخارى، ولم يرو البخارى عن مسلم شيئاً.

نعم يمتاز صحيح مسلم على البخارى بأمور فنية ترجع إلى التأليف، فمسلم لم يقطع الحديث ولم يكرر الإسناد، وإنما جمع ما ورد فى الحديث كله فى باب واحد،

جمع فيه طرقه التي ارتضاها، وأورد أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة، مما جعله أسهل تناولاً على الطالب من صحيح البخارى، كما أنه جعل لكتابه مقدمة نفيسة بين فيها ما دعاه لجمع الصحيح، ومنهجه فيه، وما أجمل ماقيل فيهما:

قـــالوا: لمســـلم فضـــل قلـــت: البخـــارى أعْلَـــى
قـــالوا: المكـــرر فيـــه قلـــت: المكـــرر أحْلَـــى

(بلغت) أحاديثه دون المكرر أربعة آلاف، وبالمكرر ٧٢٧٥.وقد شرحه كثير من الأئمة الحفاظ، وذكر منها صاحب كشف الظنون خمسة عشر شرحاً من أشـــهرها شرح الإمام الحافظ أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى (ت٦٧٦هـــ)، وقـــد اختصره أيضاً عدد من العلماء، ومن أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشـــرحه لأحمد بن عمر القرطبى (ت٦٥٦هـــ)، ومختصر الحافظ زكى الدين عبـــد العظـــيم المنذرى (ت٦٥٦هـــ)[١] أ.هـــ[٢].

(وقد) قرأت كذلك فى مقدمة سبل السلام، قول بعض العلماء:

تشاجر قـــوم فى البخـــارى ومســـلم لـــدىَّ وقـــالوا: أىُّ ذَيْـــنِ تقـــدَّمْ؟
فقلت: لقد فـــاق البخـــارى صـــحة كما فاق فى حسن الصـــناعة مُسْـــلِمْ

ورضى الله تعالى عن الإمام مسلم.. وجزاه الله تعالى عنا وعن السنة وأهلها خير الجزاء..

اللهم آمين

---

(١) تهذيب الأسماء للنووى ٨٩/٢ ومفتاح السنة ص٤٦.
(٢) من كتاب (منهاج الصالحين).

٧- والإمام النسائى وسننه ٢١٥ - ٣٠٣هـ

(هو) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراسانى الحافظ، إمام عصره فى الحديث وقدوتهم فى الجرح والتعديل، (ولد) سنة ٢١٥هـ بنساء بلدة مشهورة فى خراسان، سمع من أئمة الحديث بخراسان، والحجاز، والعراق، ومصر، والشام، والجزيرة، (وكان) شديد التحفظ والورع، بارعاً فى علوم الحديث حافظا متقناً حتى نقل الذهبى أنه كان أحفظ من الإمام مسلم، وتوفى رحمه الله بالرملة سنة ٣٠٣هـ[١].

(ألف) النسائى سننه الكبرى، أولاً مشتملة على الصحيح والمعلول، ثم اختصرها فى السنن الصغرى وسماها (المجتبى) وهى تلى فى الدرجة الصحيحين، لأنها أقل السنن ضعفاً، وقد شرح سننه الجلال السيوطى فى كتاب مختصر سماه (زهر الرُّبَى على المُجْتَبَى)، وكذلك أبو الحسن محمد بن عبد الهادى السِّندى الحنفى (-١١٣٨)هـ. اقتصر فيه على ما يحتاج إليه القارئ والمدرس من ضبط اللفظ وإيضاح الغريب. ا.هـ. من كتاب (منهاج الصالحين).

فرضى الله تعالى عن الإمام النسائى..وجزاه الله تعالى عنا وعن السنة وأهلها خير الجزاء.

اللهم آمين

(١) وكانت وفاته يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من شهر صفر سنة ثلاث وثلاثمائة بالرملة ودفن ببيت المقدس (مقدمة سبل الإسلام).

٨- والإمام أبو داود وسننه ٢٠٢-٢٧٥هـ

(هو) سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدى السجستانى، (ولد) سنة ٢٠٢هـ.

(ورحل) فى طلب العلم إلى العراق، والشام، ومصر، وخراسان، وكتب عن شيوخها، كما أخذ عن مشايخ البخارى ومسلم كالإمام أحمد، وابن أبى شيبة، وقتيبة بن سعيد وغيرهم، وأخذ عنه النسائى وغيره، أثنى عليه العلماء بالحفظ والعلم والفهم مع الورع والدين، قال فيه الحاكم أبو عبد الله: (كان أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة)، توفى بالبصرة سنة ٢٧٥هـ. رحمه الله.

انتقى سننه من خمسمائة ألف حديث، فبلغت أربعة آلاف وثمانمائة حديث، وقصرها على أحاديث الأحكام، وبذلك كان أول من ألف فى الأحكام من أصحاب السنن والصحاح، (وسننه) جامعة للأحاديث التى استدل بها فقهاء الأمصار وبنوا عليها الأحكام، ولذلك قال الإمام أبو سليمان الخطابى فى معالم السنن[1]: (اعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنف فى علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من كافة الناس، فصار حكماً بين فرق العلماء، وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فلكلٍ فيه ورد، ومنه شرب، وعليه معول أهل العراق، وأهل مصر، وبلاد المغرب، وكثير من أقطار الأرض، فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل، ومسلم بن الحجاج، ومن نحا نحوهم فى جمع الصحيح على شرطهما فى السبك والانتقاد، إلا أن كتاب أبى داود أحسن رصفاً وأكثر فقهاً، وكتاب أبى عيسى (الترمذى) أيضاً كتاب حسن).

(وطريقته فى تأليف سننه، ما أخبر عن نفسه، كما نقله ابن الصلاح فى مقدمته: (ذكرت فيه الصحيح وما أشبهه وقاربه، وما كان فى كتابى من حديث فيه وهن شديد فقد بينته، ما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض) وقال عنه

(١) تهذيب الأسماء للنووى ٨٩/٢ ومفتاح السنة ص٧٩.

ابن منده: (إنه يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد فى الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأى الرجال) .

(هذا) وقد شرح سننه كثير من أهل العلم، منهم الخطابى (ت٣٨٨هـ)، وقطب الدين اليمنى الشافعى (ت٧٥٢هـ)، وشهاب الدين الرملى (ت٨٤٤هـ)، واختصرها الحافظ المنذرى (ت٦٥٦هـ)، وهذب المختصر ابن القيم (ت٧٥١هـ)، وقد شرحه شرف الحق العظيم آبادى وسماه (عون المعبود)، ومن المعاصرين: الشيخ محمود خطاب السبكى- عليه رحمة الله- فى شرح مستفيض. ا.هـ. من كتاب (منهاج الصالحين).

(وقد) جاء فى مقدمة (سبل السلام) قول الخطابى، عن سنن أبى داود: (هى أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من الصحيحين)، وقال ابن الأعرابى: (من عنده كتاب الله، وسنن أبى داود لم يحتج إلى شىء معهما من العلم)، (ومن) ثم صرح الغزالى بأنها تكفى المجتهد فى أحاديث الأحكام.. (وتبعه) أئمة على ذلك.

(وكانت) وفاة أبى داود- عليه رحمة الله – سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة .ا.هـ.

فرضى الله تعالى عن الإمام (أبى داود) صاحب السنن..

وجزاه الله تعالى عنا وعن السنة خير الجزاء..

اللهم آمين

٩- والإمام الترمذي وجامعه ٢٠٩-٢٧٠هـ

(هو) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمى الترمذى، (ولد) بترمذ سنة ٢٠٩هـ، وذكر ابن الديبع الشيبانى فى مقدمة تيسير الوصول أن ولادته كانت سنة ٢٠٠هـ.

أخذ الحديث عن كثيرين، منهم: قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن موسى، وسفيان بن وكيع، ومحمد بن إسماعيل البخارى وغيرهم.

(وقد) رحل إلى الآفاق، وأخذ عن الخراسانيين، والعراقيين، والحجازيين، حتى غدا إماماً فى الحديث.

(جمع) إلى الدين والورع: الحفظ والثقة، (قال) عنه أبو يعلى الخليلى: (ثقة متفق عليه ويكفى فى توثيقه أن إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخارى كان يعتمده ويأخذ عنه).

(وقد) توفى رحمه الله بترمذ سنة ٢٧٩هـ[١].

(وقد) ألف الترمذى جامعه على أبواب الفقه وغيره، واشتمل على الصحيح، والحسن، والضعيف، مع بيان درجة كل حديث فى موضعه، وبيان وجه ضعفه، وبين مذاهب الصحابة وعلماء الأمصار فى كل المسائل التى عقد لها أبواباً، ومن ميزاته أنه أفرد فى آخره فصلاً للعلل جمع فيه قواعد هامة.

(وقد) شرحه كثير من العلماء، منهم: أبو بكر بن العربى (ت٥٤٣هـ)، ومنهم: الجلال السيوطى، وابن رجب الحنبلى (ت٧٩٥هـ)، وعبد الرحمن المباركفورى الهندى (١٣٥٣هـ) وسماه (تحفة الأحوذى). ا.هـ. من كتاب (منهاج الصالحين) بتصرف يسير فى العرض.

(وقد) قرأت فى مقدمة (سبل السلام)، أنه عليه رحمة الله..كان إماماً ثبتاً، حجة، وألف كتاب السنن وكتاب العلل، (وأنه) كان ضريراً، (وأنه) قال: عرضت كتابى هذا -أى كتاب السنن المسمى بالجامع- على علماء الحجاز والعراق وخراسان، فرضوا به. (وأن) من كان فى بيته فكأنما فى بيته نبى يتكلم. (وأنه) قد قال الحاكم: سمعت عمر بن علك يقول: مات البخارى و لم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والحفظ والورع والزهد (وكانت) وفاته بترمذ فى أواخر رجب سنة سبع وستين ومائتين هجرية.ا.هـ بتصرف يسير فى العرض.

فرضى الله تعالى عن الإمام الترمذى..

وجزاه الله تعالى عنا وعن السنة وأهلها خير الجزاء..

اللهم آمين

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى، وميزان الإعتدال للذهبى /١١٧.

١٠- والإمام ابن ماجه وسننه ٢٠٧-٢٧٣هـ

(هو) أبو عبد الله بن يزيد بن ماجه الحافظ، (ولد) سنة ٢٠٧هـ، (وطلب) علم الحديث، ورحل فى طلبه حتى سمع أصحاب مالك والليث بن سعد، روى عنه خلائق كثيرون، (يقول) عنه أبو يعلى الخليلى القزوينى: (وكان عالماً بهذا الشأن صاحب تصانيف منها التاريخ والسنن، (وارتحل)إلى العراقين، ومصر، والشام)، وقال ابن كثير: (صاحب السنن المشهورة، وهى دالة على علمه، وعمله، وتبحره، واطلاعه، واتباعه للسنة فى الأصول والفروع)، (ويشتمل) على اثنين وثلاثين كتاباً، وألف وخمسمائة باب، وعلى أربعة آلاف حديث، كلها جياد سوى اليسيرة (وقد) توفى رحمه الله سنة ٢٧٣هـ[١] .

(ثم) يقول فى (منهاج الصالحين)، تحت عنوان:

درجة سننه

(كان) كثير القدماء والمتأخرين يعدون أصول كتب الحديث خمسة: البخارى، ومسلم، والنسائى، وأبى داود، والترمذى، ولكن بعض المتأخرين أضاف إليهم ابن ماجه، لأنهم رأوا كتابه عظيم الفائدة فى الفقه، (وأول) من فعل ذلك: الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى (ت٥٠٧هـ)، إلا أن بعضهم خالف فى ذلك، ورأى أن يجعل السادس كتاب (الدارمى)، وقال آخرون: يجب أن يكون السادس هو الموطأ لصحته وجلالته، وسنن ابن ماجه دون الثلاثة فى الدرجة، (شرح) سننه كثيرون، منهم محمد بن موسى الدميرى (ت ٨٠٨هـ) والسيوطى فى (مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه).

ا.هـ. من كتاب (منهاج الصالحين) بتصرف يسير.

فرضى الله تعالى عن الإمام (ابن ماجه) وجزاه الله تعالى عنا وعن السنة خير الجزاء..

اللهم آمين

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٥٢/١١) وقال فى مقدمة سبل السلام أنه كانت وفاته يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث أو خمس وسبعين ومائتين.

تعليق

(فلننتفع) جميعاً -على المستوى العام والخاص- كمؤمنين صادقين، ووعاظ مرشدين.. (بكل) تلك التراجم التاريخية الصحيحة..المتعلقة بالأصحاب الفضلاء الذين رووا المائة الأولى والثانية من وصايا الرسول ﷺ.. (وكذلك) المتعلقة بالأئمة الأعلام الذين لابد كذلك وأن نقف على أهم أخبارهم وأعمالهم وأحوالهم.. (حتى) نقتدى بهم..أو نتشبه بهم فى حبهم لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه..بتلك الصور النورانية المقطوعة النظير..والتى ستظل شاهداً لهم على صدق إيمانهم..وحسن انتمائهم إلى هذا الدين الحنيف.. إلى آخر لحظة فى حياة كل واحد منهم.. والتى ستظل دليلاً واضحاً على حب الله تعالى لهم.. فكانوا بسبب حب الله تعالى لهم نجوماً يهتدى بهم ويقتدى بفعالهم.. إلى الصراط المستقيم.

فرضى الله عنهم جميعاً..وجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.. إلى يوم الدين..

اللهم آمين

أهم مراجع كتاب المائة الثانية من وصايا الرسول ﷺ

١- القرآن الكريم.

٢- القرآن الكريم وبهامشه التفسير الميسر لفضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى –شيخ الأزهر –أكرمه الله تعالى.

٣- حاشية الصاوى على الجلالين.

٤- الترغيب والترهيب –للمنذرى –رحمه الله تعالى وبهامشه شرح وتحقيق لفضيلة الشيخ خليل الهراس – أكرمه الله تعالى.

٥- رياض الصالحين –للإمام النووى –رحمه الله تعالى.

٦- الأربعون النووية– للإمام النووى– رحمه الله تعالى.

٧- الدين الخالص– للإمام محمود خطاب السبكى- عليه رحمة الله تعالى.

٨- المقامات العلية– للإمام محمود خطاب السبكى– عليه رحمة الله تعالى.

٩- (فقه السنة) لفضيلة الشيخ سيد سابق– عليه رحمة الله –

١٠- (الفقه الواضح) لفضيلة الدكتور / محمد بكر إسماعيل –بارك الله تعالى فيه.

١١- (التاج الجامع للأصول) لفضيلة الشيخ –على ناصف –أكرمه الله تعالى.

١٢- (سبل الآسلام) للإمام الصنعانى-شرح بلوغ المرام- من جمع أدلة الأحكام- الناشر مكتبة عاطف بجوار الأزهر الشريف.

١٣- (المعجم المفهرس) لألفاظ القرآن الكريم..لفضيلة الأستاذ/ محمد عبد الباقى- أكرمه الله تعالى.

١٤- (مختار الصحاح)..

١٥- (المعجم الوجيز)..

١٦- (خلق المسلم) لفضيلة الشيخ محمد الغزالى –عليه رحمة الله – وهناك مراجع أخرى مثبتة فى صفحات الكتاب ومن أهمها:

١٧- (منهاج الصالحين) للأستاذ عز الدين بليق- أكرمه الله تعالى..

١٨- (كتاب الهلال)- الأئمة الأربعة- للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى عليه رحمة الله تعالى ...

..هذا بالإضافة.. إلى أسد الغابة فى أخبار الصحابة. وكتاب الإصابة... إلخ.

والله ولى التوفيق

(إصدارات) للمؤلف / طه عبد الله العفيفى

**** دار الاعتصام:** (ت ٣٥٥١٧٤٨)

١- من وصايا الرسول ﷺ فى ثلاث مجلدات طبعة فاخرة- من الوصية ١-١٠٠.

**** الدار المصرية اللبنانية: (ش عبد الخالق ثروت) (ت ٣٩٣٦٧٤٣)**

٢- الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الله تبارك وتعالى.. (طبعة فاخرة).

٣- الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام..(طبعة فاخرة).

٤- من صفات الرسول ﷺ الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة.. (طبعة فاخرة).

٥- العشرة المبشرون بالجنة خلقيًّا وخُلُقيًّا.. (طبعة فاخرة).

٦- صفات المؤمنين فى الكتاب والسنة وأقوال الأئمة..

٧- من صفات المتقين فى الكتاب والسنة وأقوال الأئمة (تحت الطبع).

٨- من صفات المنافقين فى الكتاب والسنة وأقوال الأئمة (تحت الطبع).

٩- ميراث رسول الله ﷺ.. (طبعة فاخرة).

١٠- رحلة الرجوع إلى الله تبارك وتعالى.. (طبعة فاخرة).

**** دار الرشاد: ١٤٠ ش جواد حسنى-باب اللوق- القاهرة) (٣٩٣٤٩٦٠٥)**

١١- من فتاوى الرسول ﷺ..(الجزء الأول فاخر).

١٢- من فتاوى الرسول ﷺ..(الجزء الثانى فاخر) (وقد تم طبعه) والحمد لله.

١٣- الملعونون والملعونات فى القرآن والسنة..(طبعة فاخرة).

١٤- سنن الفطرة وأهم أحكامها.. (طبعة فاخرة).

١٥- من خطب الرسول ﷺ..(طبعة فاخرة).

١٦-من خطب الخلفاء الراشدين ﷺم..(طبعة فاخرة).

١٧-أهل الرحمة فى القرآن والسنة.. (طبعة فاخرة).

١٨-لا تقل كذا أو كذا ولكن قل..(تحت الطبع).

**** دار البيان:** (ت ٥١١٨٠٩٧)

١٩- المائة الثانية من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم فى ثلاث مجلدات فاخرة.. (إن شاء الله تعالى) وهى التى بين يديك.

٢٠- الجواهر المنبرية..-الجزء الأول- فى مجلد فاخر.. (وقد تم طباعته)

٢١- الجواهر المنبرية..- الجزء الثانى- فى مجلد فاخر.. (وقد تم طباعته)

٢٢-الجواهر المنبرية..-الجزء الثالث-تحت التجهيز إن شاء الله.

**** كتب تحت التجهيز والاتفاق..إن شاء الله:**

٢٣- مجلد الحقوق الإسلامية..(فاخر).

٢٤-مجموعة الحقوق الإسلامية —عشرة أجزاء.. بالإضافة إلى خمس كتب أخرى وهى:

٢٥- مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة.. (طبعة فاخرة).

٢٦-مفاتيح السماء من مختارات الدعاء.. (طبعة فاخرة).

٢٧- مكائد الشيطان... (طبعة فاخرة).

٢٨- أسباب السلامة من أهوال القيامة..(طبعة فاخرة).

٢٩- من أفعال الرسولﷺ فى الطهارة والصلاة.. (طبعة فاخرة).

٣٠- (متن) المائة الأولى من وصايا الرسولﷺ .

٣١- (متن) المائة الثانية من وصايا الرسولﷺ .

٣٢- من سنن العبادات القولية والفعلية..(طبعة ثانية).

٣٣-من أفعال الرسولﷺ فى الزكاة والصيام والحج.. (طبعة أولى).

٣٤- الحب المحمود فى القرآن والسنة..(طبعة أولى).

٣٥- من فقه القرآن الكريم من الفاتحة إلى الناس... فى أجزاء.. متتابعة إن شاء الله تعالى.

٣٦- مختارات من الأحاديث القدسية.. فى أجزاء...

٣٧- ديوان (العفيفيات) ديوان شعر للمؤلف.

وأرجو أن يعطينى الله القوة حتى أواصل إن شاء الله.

والله ولى التوفيق

طه عبد الله العفيفى

السبت ٢٠٠٤/٢/٢١م.

أول محرم ١٤٢٥هـ.

جمهورية مصر العربية المعادى ش ١٠ منزل رقم ٨٤.

ت/ ٣٥٨٠٩١٢.

خاتمة

فاشكر إلهك يا أخا الإيمان في كل وقت بل وكل مكان

واعلم بأنك سوف تجني دائمًا من واحة العدنان خير بيان

من ذي (الوصايا) بل كذا من لتكون يا هذا عظيم الشان

وتكون من خير الدعاة إلى الهدى وتحرر الأفكار في الإنسان

فاسأل إلهك دائمًا عونا لنا حتى نكون من الهدى بمكان

اللهم آمين

طه عبد الله العفيفى

الجمعة ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٤م

الجمعة ١٣ شوال ١٤٢٥ هـ

فهرس محتويات
المجلد الثالث

دليل موضوعات المائة الثانية من وصايا الرسول ﷺ

الوصية	الصفحة
الوصية الثالثة والتسعون وهى بعد المقدمة: (حول) الوسطية والاعتدال فى العبادة لأن النبى ﷺ نهى عن المبالغة والانقطاع إلى العبادة.. بل هو الدليل على ذم تلك الحالة. لأن ذلك يؤدى إلى الضعف والانقطاع بالكلية.. وفى الحديث: **((القصد القصد تبلغوا فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى))**. (فارجع) إلى نص الوصية حتى تفهم المراد من هذا التنبيه الهام.. **والله ولى التوفيق**	٣٣
الوصية الرابعة والتسعون وهى بعد المقدمة: (حول) موضوع يتعلق بالرجل الذى رآه النبى ﷺ وقد اجتمع الناس حوله وقد ظلل عليه فقال: **((ما له))** ؟ قالوا رجل صائم.. فقال رسول الله ﷺ.. **((ليس البر أن تصوموا فى السفر))** زاد فى رواية: **((وعليكم برخصة الله التى رخص لكم))**.. (فارجع) إلى كل هذا فى شرح الوصية.. حتى تقف على المراد من كل هذا وتنفذه.. **والله ولى التوفيق**	٤١
الوصية الخامسة والتسعون وهى بعد التقديم: (حول) النهى عن تخصيص يوم الجمعة بقيام من بن الليالى.. (فقد) قال الشوكانى حول تخصيص قيام ليلة الجمعة: فيه دليل على	٤٩

الوصية الثامنة والتسعون وهى بعد التقديم: (حول) موضوع يتعلق بالقوم الذين كانوا من الغزاة وكانوا مجتابى النمار والعباء متقلدى السيوف عامتهم من مُضر وكانوا فى حالة شديدة من الفقر والحاجة فتمعر وجه الرسول ﷺ لما رأى ما بهم من الفاقة — أى الشدة — فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب.. فحث على الصدقة فجاء الأصحاب بخير كثير لهؤلاء القوم... بعد أن جاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها.. فقال النبى ﷺ: ((**من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة..**)) الخ فارجع إلى كل هذا فى شرح الوصية.. **والله ولى التوفيق**	٨١
الوصية التاسعة والتسعون وهى بعد التقديم: (حول) النهى عن المراء.. وهو والجدال بمعنى واحد، وهو المجادلة والمغالبة، وهو مذموم لأنه ينبت العداوة بينهما.. وقد نهى النبى كذلك فى نص الوصية عن المزاح لأنه يذهب الهيبة إذا كثر. وكذلك نهى عن خلف الوعد لأنه من صفات المنافقين إلا لعذر وإلا فلا.. الخ (فعلى) الأخ المسلم أن يعود إلى شرح الوصية حتى ينتفع بها.. **والله ولى التوفيق**	٩١

(وله) أيضا فى الواعظ الذى يطلب الدنيا وينفر الناس منها...	
(ثم) إليك قصيدة قيل أنها لرابعة العدوية رضى الله عنها...	
(ثم) إليك ما ورد فى شأن المعمرين فى الإسلام.. نثرا وشعرا...	
(ثم) إليك ما ورد فى أن إبليس — عليه لعنة الله —قد قاله بعد أن نزل إلى الأرض..	
(ثم) إليك قصيدة فى طلب العلم الذى لابد منه وهو العلم الشرعى كالفقة والحديث والتفسير والآلات الموصلة إلى فهم ذلك...	
(ثم) إليك قصائد أخرى فى طلب العلم النافع...	
(ثم) إليك كذلك أهم المحاسن التى ينبغى أن يتخلق بها العالم العامل.	
(ثم) إليك فصل فى ذكر مواقف القيامة وما به تحصل السلامة. محمد الغزالى رحمه الله.	
(ثم) بعد ذلك تعليق حول حب الدنيا .	
(ثم) إليك رسالة تضمنت وعظ ملك.. — من كتاب (مع الله) للشيخ محمد الغزالى رحمه الله .	
(ثم) بعد ذلك تعليق حول حب الدنيا	
(ثم) قصيدة عظيمة عن الدنيا وتقلباتها كما جاء فى كتاب (بستان العارفين)	
(ثم) إليك الوصية الشرعية — شعرًا — وهى من أعظم ما قرأت.	
(ثم) إليك بعض الأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع الوصية الشرعية وما يتعلق بها قبل الموت وبعده من أحكام وتنبيهات... الخ.	
(ثم) تعليق هام حول موضوع المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى قبل الغرغرة.	
(ثم) خاتمة فى التوبة — من كتاب (تحفة العصر الجديد)...	

عنيت بتصحيحه وتنسيقه وإخراجه
القدس للدراسات والبحوث